

عز الدين بليق

منهاج
ورسائل
بين الظن واليقين

الناشر
دار الفتح للطباعة والنشر
ببيروت - لبنان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَرَسَالَهُ
بَيْنَ الظُّلُمِ وَالْيَقِينِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

عز الدين بليق

مُسْتَبْعَةٌ
وَدَسَالَتُهُ
بَيْنَ الظَّرِّ وَالْيَقِينِ

الناشر
دار الفتح للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل الأول

إلى المصطفى الأول:

﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم، وآل عمران على العالمين﴾.
إلى من خلقه الله بيده، وعلمه أسماء كل شيء، وأسجد له ملائكته، وأدخله
وزوجه الجنة.

إلى من قال عنه سبحانه:

﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى.

إلى من قال عنه عز وجل:

﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل، فنسي ولم نجد له عزماً﴾.

إلى من قال لأهل الموقف في حديث الشفاعة الذي رواه البخاري في صحيحه:

— «اثتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض».

إلى أبي البشر: آدم عليه السلام:

الذي نحبه ونحترمه ونصدقّه، وندعو له ولأمنا حواء عليها السلام بلسان

أبي الأنبياء [إبراهيم عليه السلام]:

﴿ربَّنَا اغفر لي ولوالديّ، وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾.

[المؤلف]

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسل الله أجمعين من نوح عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام.

وبعد، فهذه هي الرسالة الرابعة عن (القطعيات . . . والظنيّات) (*) وهي بعنوان: [نبوة آدم ورسالته بين الظن واليقين]، والرسالة تتحدث عن الأنبياء والرسل، وهل هناك فرق بين النبي والرسول كما يقول بذلك كثير من العلماء؟ . . أم أن كل نبي رسول، وكل رسول نبي، كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وبعض العلماء المحققين؟.

وقد راجت فكرة التفرقة بين الأنبياء والرسل قديماً وحديثاً، حتى أصبحت عند الكثيرين من البدهيات التي لا تقبل نقاشاً! وذكروا تعريفات متعددة لكل من النبي والرسول في كثير من كتب العقائد . . . وكتب الأنبياء وقصص الأنبياء وكتب التفسير . . وجرّ ذلك إلى القول بنبوة أبي البشر آدم عليه السلام . . وإلى القول بنبوة النساء عند بعض العلماء بحجة أن كل وحي نبوة، بل أشار بعضهم إلى القول بنبوة الحواريين كما ستراه مبسوطاً في هذه الرسالة في الفصل الأول [بين النبوة والرسالة].

لقد ذهب القائلون بنبوة آدم ورسالته مذاهب شتى،

(*) الرسالة الأولى: القطعيات والظنيّات، ومواطن الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، لفضيلة الشيخ محمد محمد المدني، والثانية: ندوة لواء الإسلام حول رفع عيسى حياً إلى السماء، والثالثة: ندوة لواء الإسلام حول المهدي المنتظر.

فمنهم من قال بأولية نبوة آدم ورسالته .

ومنهم من يقول بالنبوة دون الرسالة .

ومنهم من يجعل شيئاً - ابن آدم - النبي الثاني ، ثم إدريس النبي الثالث ونوح عليه السلام النبي الرابع .

ومنهم من قال بأولية نبوة آدم . وأولية إرسال نوح ،

ومنهم من جعل إدريس سابقاً على نوح ، ومنهم من جعله لاحقاً عليه .

ومنهم من قال إن الياس هو إدريس !!

والذين وضعوا تعريفاً لكل من النبي والرسول ، لا يستندون في تعريفهم إلى نص قطعي الثبوت والدلالة من كتاب الله عز وجل أو من سنة رسوله الصحيحة المتواترة ، وإنما أخذوه من حديث أبي ذر الطويل الذي يفرق بين النبي والرسول ، والذي حكم بوضعه الإمام ابن الجوزي ، وتحديث رجال الجرح والتعديل عن راويه إبراهيم بن هشام ووصفوه بأنه كذاب !!

وإذا كان القرآن الكريم قد حدّد خاتم النبيين لقطع الطريق على مدّعي النبوة بعد محمد ﷺ ، فهل أغفل القرآن الكريم الإشارة إلى النبي الأول حتى لا يقع المسلمون في الحيرة والبلبلة وتفرّق الكلمة وينطبق عليهم تحذير القرآن الكريم : ﴿ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ [آل عمران : ١٠٥] . وقوله عز وجل : ﴿إنّ الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء﴾ . [الأنعام : ١٥٩] ، وقوله سبحانه : ﴿ولا تكونوا من المشركين : من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً ، كلّ حزب بما لديهم فرحون﴾ [الروم : ٣٢] .

وهل أغفل الرسول ﷺ الإشارة إلى النبي الأول ، أم كانت إشارة

الرسول ﷺ في أحاديث الشفاعة التي رواها البخاري ومسلم مطابقة إلى إشارة القرآن الكريم بالنص على أولية النبوة والرسالة لنوح عليه السلام؟! .
لقد ادّعى بعض المنتسبين إلى أهل العلم الإجماع على نبوة آدم عند أهل الكتاب والمسلمين؟! .

وادّعى بعضهم أنّ من لم يؤمن بنبوة آدم فهو كافر مرتدّ!
وادّعى البعض الآخر بأن من لم يؤمن بنبوة آدم فهو فاسق وليس بكافراً! .

وزعم آخرون بأن من لم يعترف بنبوة آدم فهو يعيش مع زوجته في سفاح وليس في نكاح!! .

يقولون ذلك بكل بساطة بعد أن اعترف آدم عليه السلام لأهل الموقف في حديث الشفاعة الذي رواه أبو هريرة عن رسول الله (ﷺ) في صحيح البخاري بأولية النبوة لنوح عليه السلام حينما جاءوا إليه يسألونه الشفاعة فأجابهم: لَسْتُ هُنَاكُمْ . . أي لست في المكان المؤهل للشفاعة . . ثم قال لهم : ولكن اثّوا نوحاً أوّل نبيّ بَعَثَهُ اللهُ إلى أهل الأرض . . .

فهل يمكن أن يكون نوحٌ أوّل نبيّ، ويكون آدم عليه السلام أوّل نبيّ أيضاً؟ .

أم أنّ القاعدة الأصولية القرآنية تقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ، وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] . والقاعدة الفقهية تقول : « لا حجة مع التناقض » . [المادة (٨٠) من مجلة الأحكام العدلية] .

*** . . ***

لقد ادّعى بعض العلماء أنّ آدم أوّل نبيّ، وأن نوحاً عليه السلام أوّل

رسول، ليسلموا من هذا التناقض... وقالوا: إنَّ هناك فرقاً بين النبيِّ والرسول.. ووضعوا تعريفات مختلفة لكل من النبيِّ والرسول، منها:

النبي: هو من أُوحِيَ إليه بشرعٍ، ولم يُؤمَر بتبليغه...
والرسول: هو من أُوحِيَ إليه بشرعٍ، وأُمِر بتبليغه...
ونحن بدورنا نسأل هؤلاء العلماء:

هل جاء في القرآن الكريم نصّ قاطع في التفرقة بين النبيِّ والرسول؟
وهل جاء في القرآن الكريم نصّ قاطع بنبوّة آدم ورسالته، كما ذُكِرَتِ
النُّبوّة والرسالة بإزاء غيره من الأنبياء كنوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق
ويعقوب وموسى وعيسى وسواهم من رسل الله؟.

هذا ما سنحاول الإجابة عليه في هذه الرسالة...

— لقد تحدّثنا في [الفصل الأول] عن (النُّبوّة والرسالة)، وعن آراء العلماء
قديماء وحديثاً فيهما... ثم بيّنا النُّبوّة والرسالة في كتاب الله الخالد، وفي
سنة رسوله الصحيحة، وانتهينا إلى الرأي الصحيح وهو أن كلَّ نبيٍّ
رسولٌ وكلّ رسول نبيٌّ...

— وفي [الفصل الثاني]: أوردنا [آراء العلماء قديماء وحديثاً في نبوّة آدم
ورسالته ظنيّاً أو ترجيحاً أو يقيناً] واختلافهم حول نبوّة دون رسالته، أو
رسالته. ونبوته معاً. أو القول بهذه الأوليّة لنوح عليه السلام... لا لآدم
أبي البشر.

— وبما أن بعض العلماء يرون أن نبوّة آدم عليه السلام من أركان العقيدة
الإسلامية... وأنه لا يتمّ إسلام المسلم إلّا بالإقرار بهذه العقيدة،
كان لا بدّ لنا من أن نتحدّث في [الفصل الثالث] عن [العقائد الأساسية
في الإسلام]، وعن [القرآن والسُّنة] وثبوت العقيدة، وأنّ العقيدة

الصحيحة تقول بوجوب الإيمان بجميع رسل الله الذين قصّهم علينا في القرآن الكريم: من نوح عليه السلام، إلى محمد عليه الصلاة والسلام.

— أما الفصل الرابع : فقد خصّصناه للحديث عن [تعريفات وقواعد فقهية وأصولية وتفسيرية].

وقد صدّرنا هذا الفصل بالتعريفات الدائرة بين أهل النظر. . ثم الأدلة الشرعية والقواعد الأصولية. . ثم القواعد الفقهية. . ثم قاعدة تحريم القول على الله بغير علم. . ثم بيان أنّ دلالة آيات القرآن إمّا قطعية. . وإمّا ظنية. . ثم تحدّثنا عن السُّنة النبوية المتواترة وأحاديث الأحاد. . وقطعي السنة وظنيّتها. . ثم الاجماع في أصول الفقه. . والظنّ واليقين في كتاب الله، وأخيراً القواعد الأصولية والتفسيرية التي اتفق عليها علماء أصول الفقه وعلماء التفسير، وختمنا هذا الفصل ببيان أن الفهم الإنساني في الإسلام ليس ديناً يلتزم!

— وفي الفصل الخامس: رأينا إثبات [قصة آدم عليه السلام]، في العهد القديم (التوراة)، وإيراد ما جاء في (دائرة معارف البستاني)، و(دائرة المعارف الإسلامية)، عن آدم عليه السلام. . وأخيراً ما جاء في القرآن الكريم عن آدم أبي البشر وزوجه ونهاية قصتهما بهبوطهما من جنة الله إلى أرض الله، مزوّدين بوصيّة الله الخالدة لهما ولذريتهما:

﴿قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدوّ، فلِمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى، فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً، ونَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قال: رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قال: كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا، وكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾. [طه : ١٢٣ - ١٢٦].

— أما الفصل السادس، فقد تحدّثنا فيه عن [أدلة الذين يقولون بنبوّة آدم ورسالته . .] أو بالنبوّة دون الرسالة . . واستناد القائلين بهذه النبوّة إلى فهمهم لبعض الآيات من القرآن الكريم أو إلى بعض الأحاديث الضعيفة المنسوبة إلى رسول الله ﷺ، وعلى زعم بعضهم بإجماع علماء المسلمين وأهل الكتاب على نبوّة آدم عليه السلام . .

ثم ناقشنا هذه الأدلة مناقشة علمية موضوعية تستند إلى توجيه القرآن الكريم: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل : ١٢٥] .

— ثم خصّصنا الفصل السابع: في الحديث عن [أدلة العلماء والمفسّرين القدامى والمعاصرين الذين لم يقتنعوا بنبوّة آدم ورسالته نظراً لإيمانهم بأوليّة هذه النبوّة والرسالة لنوح عليه السلام . . لا لآدم عليه السلام . .]

وهذه الأدلة تستند إلى :

— القرآن الكريم .

— السُّنّة النبوية الصحيحة . .

وقد صدّرنا هذا الفصل بتمهيد [ماذا كان بين آدم ونوح عليهما السلام من أجيال وقرون ؟] . ثم [الأدلة القرآنية القطعية على نبوّة الأنبياء في القرآن الكريم] من نوح عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام .

— أما الفصل الثامن : فقد خصصناه [للحوار والنقاش مع القائلين بنبوّة آدم عليه السلام . . وردودنا على بعض الشبهات] التي أوردها البعض للدلالة على هذه النبوّة الظنيّة لا اليقينيّة . .

— وبما أن بعض العلماء قد غالى في نبوة آدم حتى زعم بعضهم أن من لم يؤمن بنبوة آدم فهو فاسق، وغالى البعض الآخر حتى زعم بكفر وردة من لا يقول بهذه النبوة، وزعم آخرون بأن من لم يؤمن بنبوة آدم فهو يعيش مع زوجه في سفاح وليس في نكاح!!

من أجل ذلك فقد خصصنا الفصل التاسع للحديث عن [حرية التفكير . . والاجتهاد . . لا حرية التكفير . . والتفسيق] .

— ثم كان ختام هذه الفصول الفصل العاشر: لفتاوى العلماء والمفتين حول نبوة آدم عليه السلام . . والتي تبين في نهاية البحث أن « قضية نبوة آدم أو رسالته ليست من أصول العقيدة . . ولا علاقة لها بكفر أو إيمان . . » كما تقول بذلك فتوى العلامة الشيخ محمد الغزالي .

وقد صَدَرنا هذا الفصل بدراسات قيِّمة للإمام ابن قيم الجوزية :

١ — في تحريم الافتاء في دين الله بالرأي المتضمن لمخالفة النصوص والرأي الذي لم تشهد له النصوص بالقبول .

٢ — في تحريم الإفتاء والحكم في دين الله بما يخالف النصوص، وسقوط الاجتهاد والتقليد عند ظهور النص، وذكر إجماع العلماء على ذلك .

٣ — في أنواع الرأي الباطل .

ثم صَدَرنا هذه الفتاوى بالدراسة القيمة التي أثبتها العلامة الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار بعنوان [تحقيق مسألة الإيمان بالرسول إجمالاً وتفصيلاً . . وعدد الرسل المذكورين في القرآن] .

ثم فتاوى كبار علماء العالم الإسلامي أمثال :

— فضيلة الدكتور عبد الله المشد، [رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف] .

- فضيلة الشيخ محمد الغزالي [الداعية الإسلامي الكبير].
- فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر [وكيل الأزهر ووزير الأوقاف السابق].
- فضيلة الشيخ أحمد كفتارو، [مفتي الجمهورية العربية السورية].
- وفضيلة مفتي جمهورية مصر العربية الشيخ محمد سيد طنطاوي . .
وغيرهم من العلماء المحققين . .

** . . ** . . **

ونسأل الله سبحانه أن يرينا الحقَّ حقًّا، ويرزقنا اتِّباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتَّبِعُون أحسنه، وأن يبعدنا عن أهل التقليد الذين: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، قَالُوا: بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا، أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾. [البقرة : ١٧٠].

والله يقول الحق . . وهو يهدي السبيل .
وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

[المؤلف]

** . . ** . . **

الفصل الأول بين النبوة والرسالة

- آراء العلماء قديماً وحديثاً في النبوة والرسالة.
- خلاصة آراء العلماء في النبوة والرسالة
- النبوة والرسالة في كتاب الله.
- النبوة والرسالة في السنة النبوية الصحيحة.

** . . ** . . **

بين النبوة والرسالة

آراء العلماء قديماً وحديثاً في النبوة والرسالة

اسم العالم	اسم الكتاب
١ - الإمام الماوردي	أعلام النبوة
٢ - القاضي عياض	الشفاء
٣ - الإمام ابن حزم	الإحكام في أصول الأحكام
٤ - الإمام ابن تيمية	النبوات
٥ - الإمام الألوسي	روح المعاني
٦ - عبد الرحيم فودة	كلمات قرآنية
٧ - محمد رشيد رضا	الوحي المحمدي
٨ - عبد الرحمن حسن حبنكة	العقيدة الإسلامية وأسسها
٩ - السيد نعمة الله الجزائري	النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين
١٠ - آدم عبد الله الألوري	فلسفة النبوة والأنبياء
١١ - محمد علي الصابوني	النبوة والأنبياء
١٢ - السيد سابق	العقائد الإسلامية
١٣ - أبو بكر جابر الجزائري	عقيدة المؤمن

اسم العالم	اسم الكتاب
١٤ - البراء أحمد الأميري	إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم
١٥ - عفيف عبد الفتاح طيارة	مع الأنبياء في القرآن الكريم
١٦ - ابن أبي العزّ الحنفي	شرح العقيدة الطحاوية
١٧ - محمد ناصر الدين الألباني	العقيدة الطحاوية (شرح وتعليق)
١٨ - عبد الكريم التّان	شرح الفقه الأكبر
١٩ - محمد خليل رفاعي	عقيدة المسلم من الكتاب والسنة
٢٠ - عبد الله الحبشي	الصراط المستقيم
٢١ - عبد الله بن زيد آل محمود	الإيمان بالأنبياء بجملتهم، وضعف حديث أبي ذر في عددهم
٢٢ - أحمد محمد جمال	يسألونك

١ - الإمام الماوردي :

يقول الإمام الماوردي في كتابه (أعلام النبوة) (*).

الفرق بين الأنبياء والرسل :

فأما الفرق بين الأنبياء والرسل فقد جاء بهما القرآن جمعاً ومفصلاً بقول الله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، فينسخُ الله ما يلقي الشيطانُ ثمَّ يُحْكُمُ اللهُ آياته ﴾ [الحج : ٥٢].

واختلف أهل العلم في الأنبياء والرسل على قولين :

أحدهما : أن الأنبياء والرسل واحد، فالنبيُّ رسول، والرسولُ نبيٌّ، والرسول مأخوذ من تحمُّل الرسالة. والنبيُّ مأخوذ من النبأ وهو الخبر إن همز، لأنه مُخبر عن الله تعالى، ومأخوذ من النبوة إن لم يُهمز، وهو الموضع المرتفع، وهذا أشبه، لأنَّ محمداً ﷺ قد كان يخاطب بهما.

والقول الثاني : أنهما يختلفان، لأنَّ اختلاف الأسماء يدلُّ على اختلاف المسميات. والرسول أعلى منزلةً مِنَ النَّبيِّ، ولذلك سُميت الملائكة رُسُلًا ولم يسمُوا أنبياء.

(*) كتاب أعلام النبوة: تأليف أبو الحسن علي بن محمد الماوردي .

الناشر: دار إحياء العلوم - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

[ص ٥١ - ٥٢].

واختلف مَنْ قال بهذا في الفرق بينهما على ثلاثة أقاويل:
أحدها: أنَّ الرسول هو الذي تنزل عليه الملائكة بالوحي.
والنبيُّ هو الذي يُوحى إليه في نومه!
والقول الثاني: أنَّ الرسول هو المبعوث إلى أُمَّة.
والنبيُّ هو المحدث الذي لا يُبعث إلى أُمَّة [قاله قطرب].
والقول الثالث: أنَّ الرسول هو المبتدئ بوضع الشرائع والأحكام.
والنبيُّ هو الذي يحفظ شريعة غيره [قاله الجاحظ].

٢ - رأي القاضي عياض:

يقول المؤلف في كتابه^(١) تحت عنوان:

بين النبوة والرسالة:

فالنبوة: في لغة مَنْ همز مأخوذة من النبأ، وهو الخبر، وقد لا يهمز على هذا التأويل تسهيلاً. والمعنى: أن الله تعالى أطلعه على غيبه، وأعلمه أنه نبيّه، فيكون نبياً (منبأ) فعيل بمعنى (مفعول) أو يكون مخبراً عما بعثه الله تعالى به، ومنبئاً بما أطلعه الله عليه. فعيل بمعنى فاعل. ويكون عند مَنْ لم يهمزه من النبوة. وهو ما ارتفع من الأرض. ومعناه أن له رتبة شريفة ومكانة نبهة عند مولاه منيفة^(٢)، فالوصفان في حقه مؤتلفان.

وأما الرسول، فهو المرسل، ولم يأتِ فعول بمعنى مُفعل في اللغة إلا نادراً.. وإرساله أمرُ الله له بالإبلاغ إلى مَنْ أرسله إليه، واشتقاقه من التتابع.. ومنه قولهم: جاء الناس أرسالاً.. إذا تبع بعضهم بعضاً.. فكأنه ألزم تكرير التبليغ.. أو ألزمت الأمة اتّباعه.

واختلف العلماء: هل النبيُّ والرسول بمعنى أو بمعنىين،

(١) كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى.

للقاضي عياض بن موسى، اليحصبي الأندلسي. الناشر: مكتبة الفارابي / دمشق، ومكتبة مؤسسة علوم القرآن، دمشق. الجزء الأول [ص ٤٨٧ - ٤٨٩].

(٢) منيفة: من أناف أي عالية مشرفة.

فقليل: هما سواء، وأصله من الإنباء وهو الإعلام، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾^(٣) فقد أثبت لهما معاً الإرسال، قال: ولا يكون النبي إلا رسولاً، ولا الرسول إلا نبياً.

وقيل: هما مفترقان من وجه.. إذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب، والإعلام بخواص النبوة أو الرفعة لمعرفة ذلك وحوز درجتها..

- وافترقا في زيادة الرسالة للرسول.. وهو الأمر بالإنذار والإعلام كما قلنا، وحجّتهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين، ولو كانا شيئاً واحداً لما حُسّن تكرارهما في الكلام البليغ^(*).

قالوا: والمعنى: وما أرسلنا من رسول إلى أمة، أو نبيّ وليس بمرسل إلى أحد!

وقد ذهب بعضهم إلى أن الرسول قد جاء بشرع مبتدأ، ومن لم يأت به نبيّ غير رسول. وإن أمر بالإبلاغ والإنذار.

والصحيح والذي عليه الجماء الغفير: أن كل رسولٍ نبيّ، وليس كل نبيّ رسولاً، وأول الرُّسل: آدم، وآخرهم محمد ﷺ.

وفي حديث أبي ذر^(٤) رضي الله عنه: «أن الأنبياء مئة ألف وأربعة وعشرون ألف نبيّ» وذكر أن الرُّسل منهم ثلاث مئة وثلاثة عشر، أولهم آدم عليه السلام، فقد بان لك معنى النبوة والرسالة.

(٣) الحج: ٥٢.

(٤) رواه أحمد في مسنده، وابن حبان، والحاكم في مستدركه.

(*) مع أن القرآن الكريم أضاف إلى وصف الرسول (النبوة) كما قال تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل، إنه كان صادق الوعد، وكان رسولاً نبياً﴾، وقال أيضاً: ﴿واذكر في الكتاب موسى، إنه كان مخلصاً، وكان رسولاً نبياً﴾، وقال عن خاتم النبيين =

٣- الإمام ابن حزم:

أما الإمام ابن حزم الأندلسي فيعرّف النبوة والرسالة^(١) بقوله:

[النبوة: اختصاص الله عز وجل رجلاً أو امرأة من الناس بإعلامه بأشياء لم يتعلمها؛ إمّا بواسطة ملك، أو بقوة يضعها في نفسه خارجة عن قوى المخلوقين، تعضدها خرق العادات وهو المعجزات، وقد انقطعت بعد محمد ﷺ.

والرسالة: أن يأمر الله تعالى نبياً بإنذار قوم وقبول عهده، وكل رسول نبى، وليس كل نبى رسولاً].

(١) في كتابه (الإحكام في أصول الأحكام). الناشر: دار الجيل - بيروت. الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م. الجزء الأول [ص ٤٢].

= في سورة الأعراف: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾. [المؤلف].

٤ - رأي الإمام ابن تيمية في النبوة والرسالة:

يقول الإمام ابن تيمية في (كتابه النبوات) [ص ٢٥٥].
(... والمقصود هنا: الكلام على النبوة).

فالنبيُّ هو الذي ينبئه الله . وهو ينبيء بما أنبأ الله به . فإن أُرسِلَ مع ذلك إلى مَنْ خالف أمر الله ليبلّغه رسالة من الله إليه ، فهو رسول . وأمّا إذا كان إنما يعمل بالشرعية قبله ، ولم يرسل هو إلى أحد يبلّغه عن الله رسالة فهو نبيّ ، وليس برسول قال تعالى :

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ﴾ [الحج : ٥٢] .

وقوله : ﴿ من رسولٍ ولا نبيٍّ ﴾ فذكر إرسالاً يعمُّ النوعين ، وقد خصّ أحدهما بأنّه رسول ، فإنّ هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى مَنْ خالف الله كنوح . وقد ثبت في الصحيح أنه أول رسول بُعث إلى أهل الأرض وقد كان قبله أنبياء كيث وإدريس ، وقبلهما آدم كان نبياً معلماً .

وأضاف :

فقوله : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ ﴾ . دليل على أن النبي مرسل ! ولا يسمّى رسولاً عند الإطلاق . لأنّه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حقّ كالعالم ! ولهذا قال النبيّ : «العلماء ورثة الأنبياء» .

ثم قال :

وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة، فإنَّ يوسف كان رسولاً وكان على ملَّة إبراهيم . وداود وسليمان كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة قال تعالى عن مؤمن آل فرعون : ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات، فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم: لن يبعث الله من بعده رسولاً ﴾ [غافر : ٣٤] .

وقال تعالى :

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ، وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ * ورُسُلًا قد قصصناهم عليك من قبل ورُسُلًا لم نقصصهم عليك، وكلم الله موسى تكليماً ﴾ .

[النساء : ١٦٣ - ١٦٤] .

وأضاف :

والإرسال اسم عام يتناول إرسال الملائكة، وإرسال الرياح وإرسال الشياطين وإرسال النار (١) .

(١) كتاب النبوات لابن تيمية .

— الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٨٢ م - ١٤٠٢ هـ .

٥ - رأي الإمام الألوسي :

يقول الإمام الألوسي في تفسيره لسورة الحج وعن اختلاف العلماء في تعريف كل من النبي والرسول^(١) :

قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ﴾ وعطف «نبي» على «رسول» يدل على المغايرة بينهما وهو الشائع ، ويدل على المغايرة أيضاً ما روي «أنه ﷺ سُئِلَ عن الأنبياء فقال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً . قيل : فكم الرُّسل منهم؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً» وقد أخرج ذلك - كما قال السيوطي - أحمد ، وابن راهويه في مسنديهما من حديث أبي أمامة ، وأخرجه ابن جَبَّان في صحيحه ، والحاكم في مستدركه من حديث أبي ذر .

وزعم ابن الجوزي أنه موضوع ، وليس كذلك . نعم قيل في سنده ضعف ، جبر بالمتابعة ؛ وجاء في رواية الرُّسل ثلاثمائة وخمسة عشر .

واختلفوا هنا في تفسير كل منهما فقليل :

الرسولُ : ذَكَرَ حُرُّ بَعَثَهُ اللهُ تعالى بشرعٍ جديدٍ يدعو الناس إليه .

والنبيُّ : يعمُّه ، وَمَنْ بَعَثَهُ لتقرير شرع سابق كأنبيا بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام . وقيل :

الرسول : ذَكَرَ حُرُّ بَعَثَهُ اللهُ تعالى إلى قومٍ بشرعٍ جديدٍ بالنسبة إليهم ،

(١) تفسير الألوسي - الجزء السابع عشر - [ص ١٧٢ - ١٧٣] .

وإن لم يكن جديداً في نفسه، كإسماعيل عليه السلام إذ بعث لجرهم،
والنبيُّ يعمّه ومن بعث بشرع غير جديد كذلك. وقيل:
الرسول: ذكر حرُّ له تبليغ في الجملة وإن كان بياناً وتفصيلاً لشرع
سابق.

والنبيُّ: مَنْ أُوحي إليه ولم يؤمر بتبليغ أصلاً أو أعمّ منه ومن
الرسول. وقيل:

الرسول من الأنبياء: مَنْ جمع إلى المعجزة كتاباً منزلاً عليه.

والنبيُّ غير الرسول: مَنْ لا كتاب له. وقيل:

الرسول: مَنْ له كتاب أو نسخ في الجملة.

والنبيُّ: مَنْ لا كتاب له ولا نسخ. وقيل:

الرسول: مَنْ يأتيه المَلَك عليه السلام بالوحي يقظة.

والنبيُّ: يقال له ولمن يُوحى إليه في المنام لا غير، وهذا أغرب
الأقوال، ويقتضي أن بعض الأنبياء عليهم السلام لم يوحَ إليه إلاّ مناماً، وهو
بعيد، ومثله لا يقال بالرأي.

وأنت تعلم أن المشهور أن النبي في عُرف الشرع أعمّ من الرسول،
فإنّه مَنْ أُوحي إليه سواء أمر بالتبليغ أم لا. والرسول مَنْ أُوحي إليه وأمر
بالتبليغ، ولا يصحُّ إرادة ذلك، لأنه إذا قوبل العام بالخاص يراد بالعام ما عدا
الخاص، فمتى أريد بالنبي ما عدا الرسول كان المراد به مَنْ لم يؤمر
بالتبليغ، وحيث تعلّق الإرسال صار مأموراً بالتبليغ فيكون رسولاً، فلم يبق
في الآية بعد تعلّق الإرسال رسول ونبيّ مقابل له، فلا بدّ لتحقيق المقابلة
أن يراد بالرسول: مَنْ بُعث بشرع جديد، وبالنبيّ: مَنْ بُعث لتقرير شرع من
قبله أو يراد بالرسول مَنْ بُعث بكتاب، وبالنبيّ مَنْ بُعث بغير كتاب، أو يراد
نحو ذلك مما يحصل به المقابلة مع تعلّق الإرسال بهما!

٦ - رأي الشيخ عبد الرحيم فودة:

يقول الكاتب في كتابه^(١) تحت عنوان (الرسول):

من تمام رحمة الله بالناس أن بعث فيهم رُسُلًا منهم. اصطفاهم لتبليغ رسالته إليهم، وآثرهم بتلقّي وحيه وهُدّيه.

فالرسول إنسان ذَكَرَ حرّاً، أُوحي إليه بشرع يعمل به وأُمر بتبليغه كما يقول العلماء، فإذا لم يؤمر بتبليغه فهو مجرد نبي يتلقّى الأمر من السماء.

وبعض العلماء يرى أنّ النبي والرسول بمعنى واحد، فالنبي هو المُنبىء عن الله كالرسول.

(١) كلمات قرآنية - عبد الرحيم فودة، مؤسسة دار الشعب - بالقاهرة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٧- رأي العلامة الشيخ محمد رشيد رضا :

في الوحي والنبوة والرسالة

يقول السيد محمد رشيد رضا في كتابه [الوحي المحمدي]^(١) تحت عنوان [تحقيق معنى الوحي والنبوة والرسالة...].

تعريف الوحي لغةً وشرعاً:

قال في الأساس: أوحى إليه وأومى إليه بمعنى، ووحيت إليه وأوحيت إذا كلمته بما تخفيه عن غيره. وأوحى الله إلى أنبيائه... ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾^(٢).

وقال الراغب: أصل الوحي الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: «أمر وحي» وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتاب. وقد حمل على ذلك قوله تعالى عن زكريا: ﴿فخرج على قومه من المحراب، فأوحى إليهم أن سبحوا بكرةً وعشيّاً﴾^(٣). أي أشار إليهم ولم يتكلم.

(١) الوحي المحمدي - محمد رشيد رضا - الطبعة الثانية ١٣٥٢ هـ. الفصل الأول، [ص ٢٢-٢٦].

(٢) سورة النحل: ٦٨.

(٣) مريم: ١١.

ثم قال:

فالقول الجامع في معنى الوحي أنه الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره. ومنه الإلهام الغريزي كالوحي إلى النحل، وإلهام الخواطر بما يلقيه الله في روع الإنسان السليم الفطرة الطاهر الروح، كالوحي إلى أم موسى، ومنه ضده، وهو وسوسة الشيطان، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيَجَادِلُوكُمْ﴾^(٤)، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾^(٥).

وأضاف:

ووحي الله تعالى إلى أنبيائه قد روعي فيه المعنيان الأصليان لهذه المادة وهما: الخفاء والسرعة. فهذا معنى المصدر، ويطلق على متعلقه وهو ما وقع به الوحي أي اسم المفعول، وهو ما أنزله تعالى على أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع والحكم، ومنهم من أعطاه كتاباً أي شريعة تكتب، ومنهم من لم يُعطه.

والله تعالى يوحى إلى ملائكته ما يأمرهم بفعله كقوله: ﴿إِذْ يُوْحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٦)، ويوحى ملك الوحي ما يوحىه الملك إلى الرسول كقوله: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾^(٧)، أي أوحى إلى عبده جبريل عليه السلام ما أوحى جبريل إلى محمد ﷺ.

(٤) الأنعام: ١٢١.

(٥) الأنعام: ١١٢.

(٦) الأنفال: ١٠.

(٧) النجم: ٥٣.

ثم قال :

وقال شيخنا الأستاذ الإمام في رسالته التوحيد بعد تعريف الوحي لغة :

«وقد عرفوه شرعاً أنه إعلام الله تعالى لنبيٍّ من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه. أمّا نحن فنعرّفه على شرطنا بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قِبَل الله بواسطة أو بغير واسطة. والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت. ويفرق بينه وبين الإلهام بأنّ الإلهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق إلى ما يُطلب من غير شعور منها من أين أتى، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور».

هذا التعريف يشمل أنواع الوحي الثلاثة الواردة في قول الله عز وجل : ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاّ وحياً، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء، إنه عليّ حكيم﴾^(٨).

فالوحي هنا إلقاء المعنى في القلب، وقد يعبر عنه بالنفث في الرُوع - وهو بالضم القلب والخلد والخاطر - والكلام من وراء حجاب، هو أن يسمع كلام الله من حيث لا يراه، كما سمع موسى عليه السلام النداء من وراء الشجرة. وأمّا الثالث فهو ما يلقيه ملك الوحي المرسل من الله تعالى إلى رسول الله فيراه متمثلاً بصورة رجل أو غير متمثل، ويسمعه منه أو يعيه بقلبه.

وتعبيره يشمل (قبل التفرقة بينه وبين الإلهام) ما يسمّيه بعضهم بالوحي النفسي وهو الإلهام الفاض من استعداد النفس العالية . . . ».

وتحدّث عن (النبي : معناه لغةً وشرعاً، والفرق بين الرسول وغيره) فقال : «النبيُّ في اللغة العربية : وصف من النبأ، وهو الخبر المفيد لما له

(٨) الشورى : ٥١.

شأن مهم، ويصح فيه معنى الفاعل والمفعول لأنه منبىء عن الله ومنبأ منه، والنبى بالتشديد أكثر استعمالاً، أبدلت الهمزة ياء، أو هو من النبوة وهي الرفعة والشرف. ويطلق عند أهل الكتاب على الملهم الذي يخبر بشيء من أمور الغيب المستقبلة، وقيل إن معنى أصل مادته من العبرانية القديمة: المتكلم بصوت جهوري مطلقاً، أو في الأمور التشريعية، وهو عندنا من أوحى الله إليه وحياً، فإن أمره بتبليغه كان رسولاً، فكل رسول نبى، وما كل نبى رسول.

٨ - رأي الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني :

في معنى النبوة والرسالة والنبى والرسول.

يقول المؤلف في كتابه^(١) في الباب الرابع (الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام) الفصل الأول، تحت عنوان: معنى النبوة والرسالة والنبى والرسول:

أ - النبوة:

١ - في اللغة: مأخوذة من النبأ، أي الخبر، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ؟ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ﴾، أو من النبوة: وهي ما ارتفع من الأرض، يقال: نبا الشيء إذا ارتفع.

٢ - وفي الاصطلاح الشرعي: اصطفاة الله عبداً من عباده بالوحي إليه.

ولهذا المعنى الشرعي مناسبة ظاهرة مع كل من معني النبوة في اللغة: الخبر والارتفاع.

فالنبى: عبد اصطفاه الله بالوحي إليه.

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني - الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - دار القلم - دمشق - بيروت.

ب - الرسالة :

١ - في اللغة : التوجيه بأمرٍ ما ، فالرسول هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه .

٢ - وفي الاصطلاح الشرعي : تكليف الله نبياً من أنبيائه بتبليغ شريعة للناس .

فالرسول : هو النبي المكلف من قبل الله بتبليغ شريعته لخلقه .
وقال : في معنى الاصطفاء بالنبوة نجد عدة آيات في القرآن الكريم :
فمنها قوله تعالى في وصف آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران :
﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ .

وفي معنى الاصطفاء بالرسالة نجده في عدة آيات أيضاً :
﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ، فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ .
﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ .
ثم قال :

«ونستطيع أن نستنبط من النصوص القرآنية حول النبي والرسول الأمور التالية :

أولاً : أن كلاً من النبوة والرسالة فيض إلهي واصطفاء رباني ، وأن أياً منهما لا يكون أمراً مكتسباً بالاجتهاد والرياضة ، ولا بالدراسة والبحث ، وهذا هو معنى الاصطفاء والاختيار والاجتهاد .

ثانياً : أن الوصف بالرسالة مغاير للوصف بالنبوة ، ويشهد لذلك وصف الله لهما معاً ، وفي هذا إشعار بتغاير مفهوميهما في الاصطلاح الشرعي .

ومن ذلك قوله تعالى في [سورة مريم]: ﴿واذكر في الكتاب موسى، إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً﴾، كما يشهد له عطف أحدهما على الآخر عطف تغاير، وذلك في قوله تعالى في [سورة الحج]: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته، والله عليم حكيم﴾.

ثالثاً: إن الاصطفاء بالنبوة سابق على الاصطفاء بالرسالة، فلا يتم الاصطفاء بالرسالة إلا إن تم اصطفاء بالنبوة. أي بالوحي إليه، كما سبق في التعريف.

ويدلّ على ذلك عدّة نصوص، منها قوله تعالى في [سورة الزخرف]:

﴿وكم أرسلنا من نبيٍّ في الأولين﴾، وقوله في حق سيدنا محمد ﷺ في [سورة الأحزاب]: ﴿يا أيها النبيّ إنّنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً.. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾، وأضاف:

فهاتان الآيتان تشيران إلى أنّ النبوة تكون محققة أولاً، ثم يأتي بعدها الإرسال. ونستطيع من هذا أن نفهم أنه قد تمرّ على النبيّ فترة الاصطفاء بالوحي، قبل أن يؤمر بالتبليغ، فيكون في هذه الفترة - بالنظر لواقع حاله - نبياً لا رسولاً!

فإذا أمره الله بالتبليغ صار - في واقع حاله - نبياً رسولاً!!

وذلك كالفترة التي كانت للنبي محمد ﷺ بين بدء الوحي، وبين أمر الله له بالتبليغ في نحو قوله تعالى: ﴿يا أيها المدثر، قم فأندر﴾، وقوله تعالى في [سورة المائدة]: ﴿يا أيها الرسول، بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾.

رابعاً: إنّ الله قد يقتصر على الاصطفاء بالنبوة لبعض الأنبياء، دون أن يأمرهم بتبليغ رسالته، وهؤلاء يمكن أن نسميهم أنبياء لا رُسلًا، وعلى هذا

فتكون مهمة النبي الذي لم يُؤمر بتبليغ رسالته: العمل والفتوى بشريعة رسول سابق له!

ثم قال:

ويدلُّ على هذا: أننا إذا نظرنا فيمن تحدّث القرآن عنهم بأنهم أنبياء، وجدنا بعضهم لم يؤمر بتبليغ رسالته إلى قومه، كما لم يذكر في عداد الرُّسل، ويمكن أن نستشهد لهذا بمثل قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ، مِنْ بَعْدِ مُوسَى، إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ لَهُمْ: ابْعَثْ لَنَا مَلَكًا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. قَالَ: هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا؟﴾. [البقرة: ٢٤٦].

وأضاف: وهذا النبي لم يُذكر في عداد الرُّسل، مع أنه قد جرى التنويه به وبقصته مع بني إسرائيل من بعد موسى. قال المؤرِّخون، وتابعهم المفسِّرون: واسمه (صمويل = شمويل).

ويؤيِّد ذلك أيضاً الأحاديث النبوية التي تفرِّق بين عدد الأنبياء وعدد الرُّسل، كما سيأتي بيانها فيما بعد.

ومن ذلك يتبين لنا:

(أنَّ كلَّ رسولٍ نبيٍّ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً).

ثم قال:

[وحسبنا أن نفهم أنَّ النبيَّ: عبدٌ اصطفاه الله بالنبوة، وذلك بأن أوحى إليه. وأنَّ الرسول: نبيُّ اصطفاه الله، فكلفه بتبليغ رسالته لخلقه]

[ص ٢٩٦ - ٣٠١].

٩ - رأي السيد نعمة الله الجزائري :

وتحدّث السيد نعمة الله الجزائري في كتابه^(١) عن الرسول والنبيّ، والإمام، مستعرضاً آراء العلماء في ذلك، فقال:

وفي (الكافي) عن زُرارة، قال: سألت أبا جعفر (ع) عن قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ ما الرسول، وما النبيّ؟

قال: النبيّ الذي يرى في منامه، ويسمع الصوت ولا يُعَين المَلَك، والرسول: الذي يرى في المنام، ويسمع الصوت، ويُعَين المَلَك، قلت: الإمام ما منزلته؟

قال: يسمع الصوت ولا يرى ولا يُعَين المَلَك، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ وَلَا مُحَدِّثٍ﴾!!

وعن الرضا (ع): الرسول الذي ينزل عليه جبريل، فيراه ويسمع كلماته وينزل عليه الوحي، وربما يرى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام. والنبيّ: ربما يسمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع.

والإمام: هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص.

وفي (الصحيح) عن الأحول قال: سمعت زُرارة يسأل أبا جعفر عليه السلام، قال: أخبرني عن الرسول والنبيّ والمحدّث؟ فقال:

(١) النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين - نعمة الله الجزائري - منشورات مؤسسة الأعلمي - الطبعة الثامنة - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

الرسول: الذي يأتيه جبريل قبلاً فيراه ويكلّمه.

وأما النبيّ: فهو يرى في منامه على نحو ما رأى إبراهيم عليه السلام، ونحو ما كان رسول الله ﷺ من أسباب النبوة قبل الوحي، حتى أتاه جبريل من عند الله بالرسالة، وكان محمد ﷺ حين جُمع له النبوة وجاءته الرسالة من عند الله يجيئه بها جبريل عليه السلام ويكلّمه بها قبلاً، ومن الأنبياء من جمع له النبوة ويرى في منامه يأتيه الروح فيكلّمه ويحدّثه من غير أن يكون رآه في اليقظة.

وأما المحدث: فهو الذي يُحدّث فيسمع ولا يُعاین ولا يرى في منامه.

(أقول) اختلف علماء الإسلام في الفرق بين النبيّ والرسول، فقليل بالترادف، وقيل بالفرق بأنّ الرسول من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه.

والنبيّ غير الرسول: من لم ينزل عليه كتاب، وإنما يدعو إلى كتاب من قبله.

ومنهم من قال: إن من كان صاحب المعجزة، وصاحب الكتاب ونسخ شرع من قبله فهو الرسول.

ومن لم يكن مستجمعاً لهذه الخصلة فهو النبيّ غير الرسول.

ومنهم من قال: إن من جاءه المَلَك ظاهراً وأمره بدعوة الخلق فهو الرسول. ومن لم يكن كذلك، بل يرى في النوم فهو النبيّ. [ذكر هذه الوجوه الفخر الرازي وغيره]، ثم قال: والظاهر من أحاديثنا صحة القول الأخير لما مرّ من عدد المرسلين وكون من نسخ شرعه ليس إلا خمسة.

ثم قال:

وفي كتاب (البصائر) عن الباقرين (ع):

والمرسلون على أربع طبقات:

فنبىّ تنبأ في نفسه لا يعدو غيرها.

ونبىّ يرى في النوم، ويسمع الصوت، ولا يُعاین في اليقظة، ولم يُبعث إلى أحد، وعليه إمام مثل ما كان إبراهيم على لوط.

ونبىّ يرى في منامه ويسمع الصوت، ويُعاین المَلَك، وقد أرسل إلى طائفة قلّوا أو كثروا، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾.

ونبىّ يرى في منامه، ويسمع الصوت، ويُعاین في اليقظة، وهو إمام مثل أولي العزم، وقد كان إبراهيم عليه السلام نبياً وليس بإمام حتى قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، قال: ومن ذرّيتي؟ قال: لا ينال عهدي الظالمين ﴿، أي من عبد صنماً أو وثناً.

ثم قال:

(أقول) يعني الإمامة الرياسة العامة لجميع المخلوقات، فهي أفضل من النبوة وأشرف منها!!! [ص ٨ - ٩ المقدمة].

١٠ - رأي الأستاذ آدم عبد الله الألوري :

ويقول الأستاذ آدم عبد الله الألوري في كتابه [فلسفة النبوة والأنبياء] عن الفرق بين النبي والرسول^(١) :

وصحَّ عند الجمهور بشكل الإجماع أنَّ كل رسول نبيّ، وليس كل نبيّ رسولاً، والفرق بينهما العموم والخصوص، ويؤيده قوله تعالى : ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾^(٢).

ويطلق النَّبِيُّ على الرسول من باب إطلاق العام على الخاص، كما يطلق العسكر على الجندي العادي وعلى ذي الرتبة العالية.

والتعريف التقليدي المشهور للنَّبِيِّ والرسول هو:

النَّبِيُّ: مَنْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ بِشَرَعٍ يَعْمَلُ بِهِ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِتَبْلِيغِهِ.

والرسول: مَنْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ بِشَرَعٍ يَعْمَلُ بِهِ وَأُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ.

وأوضح الزمخشري في تفسيره وقال: «الرسول من الأنبياء مَنْ جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه».

واعترض بعض العلماء على التفريق بين النبي والرسول. وقال: «لا فرق بين الرسول والنبي في التبليغ، إذ ما من نبيٍّ إلَّا وقد تلا على قومه

(١) فلسفة النبوة والأنبياء في ضوء القرآن والسنة - الفصل الثالث (النبوة والرسالة). [ص ٩٣-٩٧]. الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م. مكتبة وهبة - القاهرة.

(٢) الزخرف: ٦.

الكتاب، واستدلّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ إلّا إذا تمنّى ألقى الشيطانُ في أُمْنِيَّتِهِ، فينسخ الله ما يُلقى الشيطانُ﴾ (٣).

لذلك يُحرم على كل نبيٍّ أن لا يبلغ ما أُوحي إليه، وكل نبيٍّ على هذا يكون رسولاً حيث بلغ لغيره. قال المؤلف: (قلت):

أولاً: إن الاستدلال بالأية ظني وليس قطعياً لأن كلمة «تمنّى» تدلُّ على معنيين:

أولهما: أراد، وهو المتبادر.

وثانيهما: قرأ وتلّا، وهو المعنى الثاني، فلا يجوز حمل المعنى على الثاني دون الأول المتبادر.

ثانياً: إن أخذ ميثاق الذين أوتوا الكتاب لا ينطبق على الأنبياء، وإنما ينطبق على أتباعهم بدليل قوله تعالى بعده: ﴿فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً﴾ (٤)، فبذلك بطل الاعتراض!

وأضاف تحت عنوان (تعريف جديد للنبي والرسول):

إنّ التعريف التقليدي للنبي والرسول لم يسلم من النقد والاعتراض، لأنّه ليس مستمداً من النص، لذلك رأيت أن يؤخذ تعريف النبي من قوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلّا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء، إنّه عليّ حكيم﴾ (٥)، ومن حديث أبي ذر هل كان آدم نبياً؟ قال: «نعم كَلَّمَهُ الله».

(٣) الحج: ٥٢.

(٤) آل عمران: ١٨٧.

(٥) الشورى: ٥١.

ومن ثم يكون كُلُّ مَنْ كَلَّمَهُ اللهُ بوحى من البشر نبياً!!
وشرحت الآية السابقة طرق الوحي، وعلى ذلك نقول:
النبيُّ: بَشَرٌ كَلَّمَهُ اللهُ عَيَاناً أو من وراء حجاب، أو أرسل إليه ملكاً
فأوحى إليه بإذنه ما يشاء.

كما يؤخذ تعريف الرسول من قوله تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾^(٧)، وقوله تعالى: ﴿ما على الرسول إلاّ البلاغ﴾^(٨)، وقوله تعالى: ﴿رُسُلًا مبشرين ومنذرين﴾^(٩)، وقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾^(١٠).

ونقول في تعريفه:

الرسول: هو النبيُّ الذي بعثه الله داعياً إلى الله ومبلغاً رسالة الله ومبشراً ونذيراً!

عدد الأنبياء وعدد المرسلين:

ومما يثبت الفرق بين الأنبياء والمرسلين ورود نصّ الحديث على تحديد العدد لكل منهما كما في الطبراني عن أبي ذر يقول:

قلت: يا رسول الله.. كم الأنبياء؟

فقال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً».

(٦) النحل: ٣٦.

(٧) النساء: ١٦٥.

(٨) المائدة: ٩٩.

(٩) المائدة: ٦٩.

(١٠) الأحزاب: ٤٥ - ٤٦.

قلت: يا رسول الله . . كم المرسلون منهم؟

قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر».

ثم قال المؤلف معلقاً:

(قلت): ومهما يقال من ضعف هذا الحديث لورود حديث آخر يعارضه في العدد، فقد صحَّ وجود الفرق بين عدد الأنبياء وعدد الرُّسل؟! ولقد بحث المفسِّرون في بعض الرُّسل ضمن بحوثهم عن مبهمات ودونوها في كتبهم، أورد السيوطي في الإتيقان بعضها. غير أن علماء التوحيد قرَّروا بأن الواجب معرفته من المرسلين خمسة وعشرون.

١١ - رأي الأستاذ محمد علي الصابوني :

ويقول الأستاذ محمد علي الصابوني في كتابه (النبوة والأنبياء)^(١)
تحت عنوان :

ما الفرق بين النبي والرسول :

النبي هو : إنسان من البشر، أوحى الله تعالى إليه بشرع، ولكنه لم
يكلّف بالتبليغ !

وأما الرسول فهو : إنسان من البشر، أوحى الله تعالى إليه بشرع،
وأمر بتبليغه .

فالرسالة إذاً أعلى مرتبة من النبوة . . لأنّ كلّ رسول نبيّ، وليس كلّ
نبيّ رسولاً .

وعدد الأنبياء لا يحصى ، إذ يزيد عددهم - على ما جاء في بعض
الآثار - إلى مائة وعشرين (١٢٠) ألفاً^(٢) .

(١) النبوة والأنبياء : تأليف محمد علي الصابوني ، الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات
الإسلامية بمكة المكرمة - الطبعة الثانية ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م [ص ١١ - ١٣] .

(٢) روى الإمام أحمد عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنّه قال : قلت يا رسول الله :
أيّ الأنبياء كان أوّل ؟

قال : « آدم » .

قلت : يا رسول الله : ونبيّ كان ؟

أما الرُّسل فهم قَلَّةٌ، والذين ذكروا في القرآن الكريم يجب الإيمان بهم تفصيلاً، وهم (٢٥) خمسة وعشرون، وكلُّهم من الرُّسل.. أولهم آدم.. وآخرهم محمد ﷺ.

ثم قال:

وهؤلاء يجب الإيمان بهم (تفصيلاً) بمعنى أنه يتعيّن التصديق برسالتهم بأشخاصهم وأسمائهم، لأنهم ذكروا في القرآن الكريم، أما بقية الأنبياء، فيجب الإيمان بهم (جملة) بمعنى أن نصدّق بأنّ هناك أنبياء غير هؤلاء الذين ذكروا في الكتاب العزيز، لأنّ الله تبارك وتعالى قد أخبر عنهم بقوله: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ، وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ، وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(٣).

وأما الدليل على أن الرُّسل الكرام مأمورون بتبليغ الرسالة، وأنهم يختلفون عن الأنبياء في هذه النقطة بالذات فهو النصُّ القرآني الكريم، وهو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رَسُولَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رَسُولَتَهُ، وَاللَّهُ يَعْصَمُكَ مِنَ النَّاسِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٥).

= قال: «نعم، نبيّ مكّلم».

قلت يا رسول الله: كم المرسلون؟

قال: «ثلاثمائة وبضعة عشر جمّاً غفيراً».

وفي رواية أبي أمامة قال أبو ذر: قلت يا رسول الله كم وفاء عدة الأنبياء؟

قال: «مائة ألف وعشرون ألفاً، الرُّسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمّاً غفيراً»

(رواه أحمد).

(٣) النساء: ١٦٤.

(٤) الأحزاب: ٣٩.

(٥) المائدة: ٦٧.

١٢ - رأي الشيخ سيد سابق في النبي والرسول:

ويعرّف فضيلة العلامة الشيخ السيد سابق في كتابه^(١) النبي والرسول فيقول:

النبيُّ: هو مَنْ أُوحي إليه بشريعة ليعمل بها في نفسه.
والرسول: هو مَنْ أُوحي إليه بشريعة ليعمل بها في نفسه، وليبلغها غيره.

ويقول: أوجب الله على المسلم أن يؤمن بجميع رُسُل الله دون تفریق بينهم:

﴿قولوا آمنا بالله، وما أنزل إلينا، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرّق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون﴾ [البقرة: ١٣٦].
وإذا آمن الإنسان ببعض الرُّسل، ولم يؤمن ببعض الآخر، وفرّق بينهم في الإيمان فهو كافر: قال سبحانه:

﴿إنّ الذين يكفرون بالله ورسله، ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله، ويقولون: نؤمن ببعض، ونكفرُ ببعض، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً. أولئك هم الكافرون حقاً﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥١].

(١) كتاب [العقائد الإسلامية] تأليف: فضيلة الشيخ السيد سابق. [ص ١٥٣ - ١٥٤].
الناشر: دار الكتب الحديثة - القاهرة - ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.

وهؤلاء الرُّسل منهم مَنْ قصَّه الله علينا فذكرهم بأسمائهم، ومنهم مَنْ لم يقصص علينا، قال سبحانه: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ، وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].
أما الذين قصَّهم الله علينا فعددهم خمسة وعشرون، وهم المذكورون في قوله تعالى:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا...﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦].

وقد جمعت هذه الآيات ثمانية عشر رسولاً، ويجب الإيمان بسبعة آخرين مذكورين في عدَّة آيات:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: ٦٥].

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [هود: ٦١].

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [هود: ٨٤].

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥].

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ، وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ

النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقد ورد أن عدد الأنبياء (١٢٤) ألف نبي.

١٣ - رأي الشيخ أبو بكر جابر الجزائري :

تعريف النبوة :

ويتحدث الأستاذ أبو بكر جابر الجزائري عن النبوة والنبي والرسول والأنبياء فيقول^(١) :

النبوة : اسم مشتق من نَبَأ الشيء ينبو نبوة إذا ارتفع متجاوزاً غيره، ومنه قولهم : نَبَأ السيف ينبو نبوة إذا ارتفع متجاوزاً مضرب الفارس، أو هي اسم مشتق من أنبأ فلان غيره ينبئه إنباءً إذا أخبره بخبر ذي شأن، ولهذا يقال النبوة بالهمز بعد الواو، وبها قرأ ورش عن نافع، ﴿ وآتيناه الكتاب والحكم والنبوة ﴾ [الأنعام : ٨٩]، وقرأ حفص عن عاصم النبوة بواو مشددة، ويمكن رد القراءة الأولى إلى هذه، وذلك بقلب الهمزة واواً، وإدغامها في الواو، وهو إعلال معروف عند النحاة.

وبناءً على هذا فالنبوة الشرعية : هي إعلام الله تعالى من اجتبي من الناس لرفعته، والإعلاء من شأنه بإنبائه الوحي الذي أراده له، أو له ولغيره. والأنبياء : جمع نبي، ويمدُّ مهموزاً فيقال نبيء كما هي قراءة ورش عن نافع في جميع القرآن أو في غالبه، وهو عائد إلى الاشتقاق الأول الذي تقدّم في كلمة النبوة.

(١) كتاب (عقيدة المؤمن) لمؤلفه أبو بكر جابر الجزائري صاحب كتاب [منهاج المسلم]. الناشر: دار الكتب السلفية - القاهرة - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م. [ص ٢٠٨].

والنبي: ذكر من بني آدم أوحى الله تعالى إليه بأمر، فإن أمر بتبليغه إلى الناس فهو نبي ورسول، وإن لم يؤمر بتبليغه فهو نبي غير رسول، وبهذا يظهر الفرق بين كل من النبي والرسول، وهو أن الرسول من أمر بإبلاغ ما أوحى إليه، والنبي من أوحى إليه بشيء ولم يؤمر بإبلاغه، لاختصاصه به دون غيره من الناس وعليه فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا.

ومثال النبي غير الرسول يوشع بن نون صاحب موسى وفتاه عليهما السلام، فقد نبأه الله تعالى، وخلف موسى وهارون في بني إسرائيل، وهو الذي غزا بيت المقدس وفتحها الله تعالى عليه ومثال النبي الرسول نبينا محمد ﷺ.

ثم يتحدث عن الرُّسل في التاريخ فيقول: [ص ٢١٣]
لقد سبق أن عرفنا الرسول في اصطلاح الشرع وهو: ذكر من بني آدم أوحى إليه بشرع، وأمر بتبليغه، وأنه بوحى الله تعالى إليه أصبح نبيا، وبارساله كان رسولا.

عدد الرُّسل: لم نشك أبداً في أن الرُّسل كانوا جمّاً غفيراً، وذلك لقوله تعالى:

﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [النحل: ٣٦].

وقوله: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ [فاطر: ٢٤]. غير أننا لا نستطيع أن نجزم بعدد معين لا نزيد عليه ولا ننقص منه، وذلك لعدم ثبوته عن الوحي الإلهي، والخبر النبوي الصحيح. وكل ما ورد عن النبي ﷺ في بيان عدد الأنبياء والمرسلين حديث أبي ذر الغفاري في مسند أحمد وسنده ليس بالقوي كما قيل، ولفظه: (قلت يا رسول الله: أي الأنبياء كان أول؟ قال: «آدم»، قلت يا رسول الله: كم المرسلون؟ قال: «ثلاثمائة وخمسة عشر

جَمًّا غفيراً»، وفي لفظ: (كم وفاء الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرُّسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر جَمًّا غفيراً)، ففي هذا الخبر المرفوع بيان أن آدم كان نبياً يكلمه الله تعالى، ويوحى إليه، وبيان عدد كل من الأنبياء والمرسلين. ولا يبعد أن يكون هذا الخبر صحيحاً وإن ضعف سنده! وذلك لما فيه من آثار طابع النبوة وروحها!

ولمّا لم يجد علماء الإسلام بديلاً عنه، قالوا بالمعنى الذي جاء فيه، فحكموا بنبوة آدم، وحدّثوا أن عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفاً، وأن المرسلين منهم ثلاثمائة وخمسة عشر، ولا تثريب عليهم في ذلك لعدم وجود ضرر يترتب على القول بهذا الخبر، إذ هو كأخبار بني إسرائيل تصحُّ روايتها للاعتبار بها إذا لم يوجد في الإسلام ما ينافيها أو يتنافى معها. [ص ٢١٣].

١٤ - رأي الأستاذ أحمد البراء الأميري :

يقول المؤلف في كتابه (*) تحت عنوان :

تعريف النبي والرسول :

ورد في لسان العرب : [النبي : المخبر عن الله عز وجل . . لأنه أنبأ عنه .
وقيل : النبي : مشتق من النبوة ، وهي الشيء المرتفع] (١).

وجاء في اللسان أيضاً : «النبي : العَلَمُ من أعلام الأرض التي يُهتدى بها .
قال بعضهم : ومنه اشتقاق النبي ، لأنه أرفع خَلْقِ الله ، وذلك لأنه يُهتدى به» (٢).

فالأنبياء هم عباد الله ، يختارهم من خلقه ، ويصطفيهم لوجيه ، وهم من
البشر ، إلا أنهم يَسْمَوْنَ عليهم بنبل الخلال وطيب الفعال ، فيكونون للناس أسوة ،
وفي الحق والخير قُدوة .

يقول الماوردي : «الأنبياء : هم رُسل الله تعالى إلى عباده بأوامره ونواهيه ،
زيادة على ما اقتضته العقول من واجباتها ، وإلزاماً لما جوزته من مباحاتها ، لما
أراد الله من كرامة العاقل وتشريف أفعاله ، واستقامة أحواله ، وانتظام
مصالحه . .» (٣) ، «فالنُّبُوَّة : سفارة بين الله عز وجل ، وبين ذوي العقول لإزاحة

(*) إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم - للأستاذ أحمد البراء الأميري -
الناشر: دار المنارة: جدة. الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، [ص ١٩ - ٢١].

(١) ج ٣ : [ص ٥٦١ - ٥٦٢].

(٢) ج ٣ : [ص ٥٧٣].

(٣) أعلام النبوة [ص ٢٢].

عِلِّهَا»^(١)، وهي : «نعمة يمنُّ الله بها على مَنْ يشاء، ولا يَبْلُغُها أحد بعلمه ولا كشفه، ولا يستحقُّها باستعداد ولايته . . . وليست راجعة إلى جسم النَّبيِّ ولا إلى عرض من أعراضه، بل ولا إلى علمه بكونه نبيًّا، بل المرجعُ إلى إعلام الله له، بأنِّي نَبَأْتُكَ، أو جعلْتُكَ نبيًّا . . .»^(٢).

أما الرسول : «فهو المرسل (للمذكّر والمؤنث والواحد والجمع) وفي التنزيل العزيز ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء : ١٦]. ويجمع أيضاً على رُسُلٍ وأرسل . وهو من (الناس) مَنْ يبعثه الله بشرع يعمل به ويبلِّغه للناس»^(٣).

والملاحظ على التعاريف السابقة أنها مزجت بين النبي والرسول، والنبوة والرسالة، وذلك للعموم والخصوص بينهما. إلّا أنَّ العلماء ذكروا «فروقاً بين النبي والرسول، أحسنها: أنَّ مَنْ نبَّأه الله بخبر السماء، إن أمره أن يبلغ غيره فهو نبيٌّ ورسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره، فهو نبيٌّ وليس برسول، فالرسول أعم من النبي، فكل رسولٍ نبيٌّ، وليس كل نبيٍّ رسولاً»^(٤).

(١) المعجم الوسيط: ج ٢ [ص ٩٠٣].

(٢) فتح الباري: شرح صحيح البخاري لابن حجر: ج ٦ [ص ٣٦١].

(٣) انظر المعجم الوسيط: ج ١ [ص ٣٤٥].

(٤) شرح العقيدة الطحاوية - علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي [ص ١٠٣].
وانظر النبوات - ابن تيمية [ص ١٧٧]. وكبرى اليقينيّات الكونية - محمد سعيد رمضان البوطي [ص ١٩٦] وما بعدها.

١٥ - رأي الأستاذ عفيف طيارة:

ويتحدث الأستاذ عفيف عبد الفتاح طيارة عن الأنبياء والرسل، وعن الفرق بين النبي والرسول فيقول^(١):

مَن هم الأنبياء والرسل:

الأنبياء والرسل هم الذين اصطفاهم الله من بني البشر يحملون دعوته لعباده، يبشرون مَن آمَنَ منهم وعَمِلَ صالحاً بحُسن الثواب والمكافأة في الحياة الدنيا والآخرة، ويُنذرون مَن كفر وعمل سيئاً بالعقاب وسوء المصير، قال تعالى:

﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومُنذرين، فَمَن آمَنَ وَأَصْلَحَ فلا خَوْفٌ عليهم ولا هم يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨].

الفرق بين النبي والرسول: النبوة: قد تكون قاصرة على صاحبها ويسمى حينئذ نبياً، وقد تكون مقترنة بتكليف تقويم سلوك جماعة من الناس، فيسمى هذا التكليف رسالة، ويدعى صاحبها رسولاً، وعلى هذا فكل رسولٍ نبيٍّ، وليس كل نبيٍّ رسولاً.

وتحدث عن وظيفة النبوة، فقال:

(١) مع الأنبياء في القرآن الكريم، تأليف عفيف عبد الفتاح طيارة، توزيع دار العلم للملايين، الطبعة السابعة (أيار ١٩٧٩) [ص ١١] - الفصل الأول: تعريف النبوة.

وظائف النبوة تتلخص في ثلاثة أمور:
أولاً: الدعوة إلى الإيمان بالله ووحدانيته.
ثانياً: الإيمان باليوم الآخر والجزاء فيه على الأعمال.
ثالثاً: تبيان الشرائع التي فيها صلاح الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة.

عدد الأنبياء والرسل:

والأنبياء والرسل كثيرون، أما الذين ذكرهم القرآن فهم خمسة وعشرون يجب الإيمان بهم تفصيلاً وهم:
(١) آدم، (٢) إدريس، (٣) نوح، (٤) هود، (٥) صالح،
(٦) إبراهيم، (٧) لوط، (٨) إسماعيل، (٩) إسحاق، (١٠) يعقوب،
(١١) يوسف، (١٢) شعيب، (١٣) أيوب، (١٤) ذو الكفل، (١٥) موسى،
(١٦) هارون، (١٧) داود، (١٨) سليمان، (١٩) إلياس، (٢٠) اليسع،
(٢١) يونس، (٢٢) زكريا، (٢٣) يحيى، (٢٤) عيسى، (٢٥) محمد عليهم السلام أجمعين.

١٦ - رأي العلامة ابن أبي العزّ الحنفي :

ويقول العلامة ابن أبي العزّ الحنفي في شرحه للعقيدة الطحاوية^(١) .
«وقد ذكروا فروقاً بين النَّبيِّ والرسول، وأحسنها:

أَنَّ مَنْ نَبَّأَ اللَّهَ بِخَبَرِ السَّمَاءِ، إِنَّ أَمْرَهُ أَنْ يَبْلُغَ غَيْرَهُ، فَهُوَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ
وإن لم يأمره أَنْ يَبْلُغَ غَيْرَهُ، فَهُوَ نَبِيٌّ وَلَيْسَ بِرَسُولٍ، فالرسول أخصّ من
النبي، فكلُّ رسولٍ نَبِيٌّ، وليس كلُّ نَبِيٍّ رسولاً»، ولكن الرسالة أعمّ من
جهة نفسها، فالنُّبُوَّةُ جزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النُّبُوَّةَ وغيرها بخلاف
الرُّسُلِ، فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس، فالرسالة أعمّ
من جهة نفسها وأخصّ من جهة أهلها.

(١) شرح العقيدة الطحاوية للإمام ابن أبي العزّ الحنفي - المكتب الإسلامي، الطبعة
الرابعة، ١٣٩١ - بيروت [ص ١٦٧].

١٧ - رأي الشيخ محمد ناصر الدين الألباني :

ويقول الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في شرحه للعقيدة الطحاوية على كلام المؤلف [وأن محمداً عبده المصطفى، ونبيّه المجتبى، ورسوله المرتضى]^(١) :

اعلم أنّ كلّ رسول نبيّ، وليس كلّ نبيّ رسولاً، وقد ذكروا فروقاً بين الرسول والنبيّ، تراها في تفسير الألوسي (٤٤٩/٥ - ٤٥٠) وغيره، ولعلّ الأقرب أن الرسول مَنْ بُعِثَ بشرع جديد، والنبيّ مَنْ بُعِثَ لتقرير شرع مَنْ قبله، وهو بالطبع مأمور بتبليغه، إذ من المعلوم أن العلماء مأمورون بذلك، فهم بذلك أولى.

(١) العقيدة الطحاوية (شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني)، نشر المكتب الإسلامي - الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، [ص ٢٢].

١٨ - رأي الأستاذ عبد الكريم التتّان :

ويقول الأستاذ عبد الكريم تتّان في شرحه(*) على رسالة (الفقه الأكبر) المنسوب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان على قول المؤلف:

أصل التوحيد، وما يصحّ الاعتقاد فيه، يجب أن يقول: آمَنْتُ بالله، وملائكته، وكتبه ورُسُله^(١)، والبعث بعد الموت، والقدر خيره وشره من الله.

يقول الشارح: ورسله: أي جميع أنبيائه، وظاهر كلام الإمام ترادف النبي والرسول، إلا أن الجمهور على أن الرسول أخصّ من النبي، والرسول: هو مَنْ أنزل عليه شرع وأمر بتبليغه، والنبي: مَنْ أُوحي إليه بشرع ولم يُؤمر بتبليغه. ولا نعين عدداً لئلا يدخل فيهم مَنْ ليس منهم أو يخرج منهم مَنْ هو منهم.

*** . . . ***

(*) شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان، الشارح: الأستاذ عبد الكريم التتّان، [ص ٦] - نشر مكتبة الغزالي ومكتبة ابن الفارض - حماة - سوريا.

١٩ - رأي الأستاذ محمد خليل رفاعي :

ويعرّف الأستاذ محمد خليل رفاعي الأنبياء والمرسلين فيقول^(١) :

الأنبياء قسمان : أنبياء مرسلون : وهم الذين أُوحي إليهم بشرع وأُمرُوا بتبليغه إلى أقوامهم كما أمر الله ، وأنبياء غير مرسلين ، وهم الذين أُوحي إليهم بشرع ما قبلهم ولم يؤمروا بتبليغه !!

والأنبياء الواجب معرفتهم خمسة وعشرون :

ثم قال تحت عنوان :

الملائكة والرُّسل : ويجب على كل مكلف أن يعرف ويؤمن بما يأتي :

أن يعرف عشرة من الملائكة بأسمائهم وأعمالهم وهم :

١ - جبريل .

٢ - ميكائيل .

٣ - إسرافيل .

٤ - مَلَك الموت .

٥ - منكر ونكير وهما لسؤال القبر وهما شخصان هائلان عظيمان ، فيسألانه مَنْ رَبُّكَ وَنَبِيُّكَ ، فإن استعجم (أي تلثم لسانه ولم ينطق بالشهادتين) ولم يُجِبْ ضُربَ بمقمعة من حديد وملئ قبره ناراً وحيات

(١) عقيدة المسلم من الكتاب والسنة ، تأليف محمد خليل رفاعي نشر دار الاعتصام - القاهرة - ١٩٧٦ [ص ٢٦ - ٢٧] .

وعقارب بدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي . . فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه : ١٢٣].

٧ - رقيب .

٨ - عتيد .

٩ - رضوان خازن الجنة .

١٠ - مالك خازن النار!

ثم قال :

ويجب على كل مكلف معرفة خمسة وعشرين نبياً أولهم آدم وآخرهم محمد ﷺ .

وأضاف :

واعلم أنه يجب معرفة أن بعض الأنبياء أولو عزم بدليل قوله تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ وهم خمسة على القول الصحيح :

١ - محمد ، ٢ - إبراهيم ، ٣ - موسى ، ٤ - عيسى ، ٥ - نوح .

٢٠ - رأي الشيخ عبد الله الحبشي :

أما الشيخ عبد الله الحبشي فيتحدث عن الفرق بين الأنبياء والرسل فيقول:

«اعلم أنَّ النبيَّ والرسول يشتركان في الوحي، فكلُّ قد أوحى الله إليه بشرع يعمل به لتبليغه للناس.

غير أن الرسول يأتي بنسخ بعض شرع مَنْ قبله أو بشرع جديد، والنبيُّ غير الرسول يوحى إليه ليتبع شرع رسول قبله، فلذلك قال العلماء: كل رسول نبيٍّ، وليس كل نبيٍّ رسولاً»^(١).

(١) الصراط المستقيم للشيخ عبد الله الحبشي - الطبعة السادسة ١٤٠٣، [ص ٤٢].

٢١ - رأي فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود:

يقول المؤلف في كتابه [الإيمان بالأنبياء بجملتهم وضعف حديث أبي ذر في عددهم] (*).

الأنبياء: هم بشر اصطفاهم الله لحمل نُبُوَّتِهِ وتبليغ رسالته. فهو يوحى إليهم من أمره ما يشاء، ثم يقومون بإبلاغ ما أوحى إليهم من ربهم، ولا يكتُمون الله حديثاً، يقول الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (١).

فكلهم ممّن أوحى إليهم بشرع، وأُمرُوا بتبليغه، يقول الله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ (٢).
والأنبياء، هم رؤوس من أُوتوا الكتاب، وأُخِذَ منهم العهد والميثاق في البيان وعدم الكتمان.

فالأنبياء هم الرُّسل، والرُّسل هم الأنبياء، تنوع الاسم، والمسمّى واحد. قال الله سبحانه: ﴿رُسُلًا مَبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى

(*) الإيمان بالأنبياء بجملتهم. . عبد الله بن زيد آل محمود، رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر - الطبعة الثالثة: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م، المكتب الإسلامي - بيروت. [ص ٣ - ٢٢].

(١) سورة المائدة: ٦٧.

(٢) آل عمران: ١٨٧.

الله حجة بعد الرُّسل ﴿١﴾، وقال: ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾ ﴿٢﴾. فأمر الله النبيين بما أمر به المرسلين.

وأما التعريف بقولهم: إن الرسول، هو مَنْ أُوحي إليه بشرع، وأمر بتبليغه. والنبي: هو مَنْ أُوحي إليه بشرع، ولم يؤمر بتبليغه. فهذا يُعدّ من الخطأ المتناقل، الذي انتشر واشتهر على ألسنة الناس، وفي عقائدهم في كل بلد، وحتى التبس الأمر فيه على العلماء الكبار، فظنّوه حقّاً، وهو لا صحّة له، إذ لا يوجد نبيّ أُوحي إليه بشرع من الأمر، والنهي، والفرائض، والأحكام، والحلال، والحرام، ثم يصرُّ على كتمانته، وعدم بيانه، لكون هذا ينافي مقتضى الرسالة، والأمانة، فكلّهم مكلفون بنشر الدعوة وتبليغ الرسالة.

وأوّل مَنْ رأيناه تكلم بهذا التفريق بين النبيّ والرسول، هو الإمام النووي. فتلقاه الناس عنه، وهو إنما أخذه من الحديث الموضوع المنسوب إلى أبي ذرٍّ في التفريق بين الأنبياء والرُّسل، وسيأتي الكلام على بيانه بما يقتضي بطلانه.

وليست هذه بأول غلطة دخلت في عقائد الناس، وتناقلوها من جراء سوء الأحاديث الموضوعية، التي عملت التأثير في الأمة، في إدخال البدع، وتغيير السنن، إذ تأبى حكمة الله، وحكمة بعثه لأنبيائه، أن يكون فيهم مَنْ أُوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه.

وأضاف:

ثم إننا متى بحثنا عن سبب انتشار هذا الاعتقاد بين الناس في التفريق

(١) سورة النساء: ١٦٥.

(٢) سورة البقرة: ٢١٣.

بين الرسول والنبى، نجد السبب هو: تأثرهم بالحديث المنسوب لأبي ذر،
ويترجح بمقتضى الدلائل والبراهين أنه حديث موضوع مكذوب على
الرسول وعلى أبي ذر، وإن كان رواه الإمام أحمد في مسنده، ورواه ابن
حبان في صحيحه، فقد حقق ابن الجوزي: بأنه موضوع، واتَّهم بوضعه
إبراهيم بن هشام. وكذلك ابن كثير، فقد أشار في التفسير إلى ضعفه قائلاً:
ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل، مع العلم أن
لفظه ينم بوضعه، ونحن نسوقه بلفظه، ثم نعقب عليه بما يوضح بطلانه، نصيحة
لله، ولعباده المؤمنين.

فعن أبي ذر قال: قلت: «يا رسول الله! كم الأنبياء! قال: مائة ألف
وأربعة وعشرون ألفاً. قلت: يا رسول الله! كم الرُّسل منهم؟ قال: ثلاثمائة
وثلاثة عشر، جمٌ غفير. قلت: يا رسول الله! مَنْ كان أولهم؟ قال: آدم.
قلت: يا رسول الله! أنبي مرسل؟ قال: نعم، خلقه الله بيده، ثم نفخ فيه
من روحه، ثم سواه قبلاً. ثم قال: يا أبا ذر، أربعة سريانئون: آدم،
وشيث، ونوح، وخنوخ، وهو: إدريس، وهو أول مَنْ خطَّ بالقلم. وأربعة
من العرب: هود، وصالح، وشعيب، ونبىك يا أبا ذر. وأول نبى من بني
إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى، وأول النبيين آدم، وآخرهم نبىك قلت
يا رسول الله: كم كتاباً أنزله الله؟ قال: مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل على
شيث خمسين صحيفة وأنزل على أخنوخ ثلاثين صحيفة وأنزل على إبراهيم
عشر صحائف وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة
والإنجيل والزبور والفرقان». وقد روى هذا الحديث الحافظ أبو حاتم ابن
حبان البستي في كتابه «الأنواع والتقاسيم» وقد وسَّمه بالصحة، وخالفه أبو
الفرج ابن الجوزي، فذكر هذا الحديث في كتابه «الموضوعات» واتَّهم به
إبراهيم بن هشام. هذا ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح
والتعديل، من أجل هذا الحديث، والله أعلم.

ثم قال:

وقد اتَّفَق علماء المِلَّة على كفر مَنْ كَذَّب نبيًّا معلوم النبوة، وكذا مَنْ سَبَّ نبيًّا لكون الإيمان واجباً بجميع الأنبياء، وأن لا تُفَرَّق بين أحدٍ منهم. يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا. أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا. وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١).

وهذا التفريق الذي ذمَّه الله، بما أنه محمول على الإيمان ببعضهم، وتكذيب بعضهم، فإنه أيضاً يشمل إثبات الرسالة لبعضهم، ونفيها عن بعضهم. والله سبحانه قد فضَّل بعض الأنبياء على بعض، فقال سبحانه: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (٢).

أما عددهم: فقد جاء في حديث أبي ذرٍّ المذكور، وقد تكلم عليه الوليُّ العراقي بما يحقق وضعه وبطلانه، وعدم صحته. وردَّ على ابن حِبَّان، جماعة من العلماء الحفاظ، وانتقدوا عليه إدخال هذا الحديث في صحيحه.

وفي كتاب «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في قول الإمام أحمد - رضي الله عنه - في الرُّسل، وعددهم، أنه يجب الإيمان بهم في الجملة، مع الكفِّ عن عددهم، لعدم صحة الحديث الوارد فيه. وذكر محمد بن نصر المروزي وغيره من أئمة السلف نحو هذا

(١) سورة النساء: ١٥٠ - ١٥٢.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٣.

الكلام، مما يبين أنهم لم يعلموا عدد الكتب، والرُّسل، وأن حديث أبي ذرٍّ في ذلك لم يثبت عندهم. انتهى - كلام شيخ الإسلام^(١).

ثم تحدّث عن خطر التفرقة بين الأنبياء والرُّسل فقال:

وقد دخلت طائفة البهائية، والقاديانية من فجوة هذا التفريق بين الأنبياء والرُّسل، لزعمهم أن الرسالة مكتسبة، وأن بابها مفتوح، وأنها لم تُختم بمحمد رسول الله ﷺ، ولما استدلّ عليهم بعض المسلمين بقوله سبحانه: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾^(٢)، فقالوا: نعم، إنه خاتم النبيين، وليس بخاتم المرسلين، فكأنهم وجدوا في هذا التفريق الذي لا صحّة له فجوة يدخلون من جهتها إلى باطلهم في إثبات الرسالة «لبهاء الله الميرزا علي أحمد» كما في الطريقة القاديانية، القائلين برسالة رجل يدعى «ميرزا غلام أحمد» من سكنة قاديان بالهند، تشابهت قلوبهم وأكثرهم فاسقون.

(١) نقله عنه السفاريني في لوائح الأنوار - ص ٢٥٣ من المجلد الثاني.

(٢) سورة الأحزاب: ٤٠.

٢٢ - رأي الشيخ أحمد محمد جمال :

ويرد المؤلف^(١) على أسئلة السائلين عن الفرق بين النبي والرسول وعن نبوة النساء في كتابه^(*) تحت عنوان :

لا فرق بين النبي والرسول . . ولا نبوة في النساء . . .

الأخ (ف، غ، خ) من الرياض بالمملكة العربية السعودية - يسأل ما الفرق بين النبي والرسول؟ وعندما ينزل عيسى عليه السلام آخر الزمان بماذا يدعى بنبي أم رسول؟

الأخ (عبد الجواد الخضري) من القاهرة بمصر - يُثير مسألة (نبوة النساء) ويحيل على رأي الإمام ابن حزم رحمه الله في ذلك، ويريد البيان في هذه القضية؟

الجواب - (أولاً) اختلف الأولون في التفريق بين الرسول والنبي - جاء في «شرح الطحاوية» قول المصنّف: ذكروا فروقاً بين النبي والرسول أحسنها أن مَنْ نبأه الله بخبر السماء إن أمره أن يبلغ غيره فهو نبي ورسول،

(*) يسألونك - فتاوى نشرت في مجلة المسلمون التي كانت تصدر في لندن - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، [ص ١٦١ - ١٦٤].

وإن لم يأمره أن يبلغ فهو نبي وليس برسول، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً.

وجاء في تفسير القرطبي - جـ/ ١٢ ص ٨٠ - تعليقا على قول الله عز وجل: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته...﴾ قوله: ﴿إن قوماً يرون أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فيهم مرسلون، وفيهم غير مرسلين^(١) وهناك تعريف واضح - في عدد من كتب العقائد - لكل من النبي والرسول، وهو أن: النبي من أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، والرسول من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه - وهذا التعريف القديم أورده - من العلماء المعاصرين - الشيخ محمد علي الصابوني في كتابه (النبوة والأنبياء).

والمتمأمل في آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية - لا يجد فرقاً بين النبي والرسول. فالقرآن يتحدث عن الأنبياء والرسل حديثاً واحداً من حيث التكليف بما ينقض زعم الزاعمين أن الأنبياء لم يؤمروا بتبليغ ما أوحى إليهم من شرع، وإنما كانت نبوتهم خاصة بهم... وقد طرحنا هذا السؤال مراراً - في دراسات سابقة - ما هي جدوى أن يوحى إلى إنسان بشريعة ثم لا يؤمر بالدعوة إليها وتبليغها إلى الناس؟

* * *

ونبدأ بالآيات التي تخاطب رسولنا محمداً ﷺ باسم (النبي) فهي أكثر عدداً من الأخرى التي يخاطب فيها باسم (الرسول):
- ﴿يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال...﴾.

(١) نرى أن في هذه دليلاً واضحاً على أن الرسول والنبي شيء واحد... وإلا فلو كان النبي يوحى إليه بشرع ولا يؤمر بتبليغه، فهو إذن لا يتمنى إيمان قومه، ولا يلقي الشيطان في طريقه العقبات.

- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ ۞ ﴾ .
- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۚ ۞ ﴾ .
- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ ۚ ۞ ﴾ .
- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرِ ۚ ۞ ﴾ .
- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ ۞ ﴾ . إلخ .

وهناك آيات أخرى تخاطب الرسول عليه الصلاة والسلام بأسلوب غير مباشر - كقوله عز وجل :

- ﴿ مَا كَانَ لَنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى ۚ ۞ ﴾ .
 - ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ۚ ۞ ﴾ .
 - ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ ۚ ۞ ﴾ . إلخ .
- وبالنسبة للأنبياء جميعاً فالقرآن يتحدث - كما أسلفنا - عن مهمتهم وابتلائهم بأممهم بوصفهم (أنبياء) أكثر مما يتحدث عنهم بوصفهم (رُسُلًا) - من ذلك قوله عز وجل :

- ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ (نَبِيٍّ) فِي الْأَوَّلِينَ ۚ ۞ ﴾ .
- ﴿ وَكَأَيُّنَ مِنْ (نَبِيٍّ) قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ ۚ ۞ ﴾ .
- ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ (نَبِيٍّ) عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ۚ ۞ ﴾ .
- ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ (نَبِيٍّ) عَدُوًّا مِنَ الْمَجْرِمِينَ ۚ ۞ ﴾ .
- ﴿ يَحْكُمُ بِهَا (النَّبِيُّونَ) الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا ۚ ۞ ﴾ .
- ﴿ وَمَا أُوتِيَ (النَّبِيُّونَ) مِنْ رَبِّهِمْ ۚ ۞ ﴾ .
- ﴿ وَيَقْتُلُونَ (النَّبِيِّينَ) بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ ۞ ﴾ .
- ﴿ وَيَقْتُلُونَ (الْأَنْبِيَاءَ) بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ۞ ﴾ .
- ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ (وَالنَّبِيِّينَ) مِنْ بَعْدِهِ ۚ ۞ ﴾ .

* . * . *

كذلك جاءت كلمة (النبوة) كوصف لجميع الرُّسل أكثر مما جاءت كلمة (الرسالة). ومثل القرآن حديث الرسول ﷺ. فهو يتحدث عنهم بلفظ (النبين أو الأنبياء) أكثر مما يصفهم بأنهم رُسل أو مرسلون.

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة في زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون ويقولون: هلاً وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة، وأنا خاتم الأنبياء» أخرجه البخاري ومسلم.

وقوله ﷺ:

- «لكل نبيٍّ حوارِيُون وأصحاب...» أخرجه البخاري.
- «ما من نبيٍّ إلا وله بطانتان...» أخرجه البخاري.
- «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم...» أخرجه البخاري.
- «إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» رواه النسائي، وابن ماجه.

- «لا تتخذوا قبور الأنبياء مساجد...» أخرجه البخاري.
- إلى أحاديث أخرى لا نحصيها عدداً في هذا المجال المحدود..
- فكيف يقال - بعد التأمل في هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية - إن النبي هو مَنْ أُوحي إليه بشريعة ولم يؤمر ببلاغها إلى الناس؟

وإذن... فلا فرق بين الرسول والنبي... فهما - في رأينا - وصفان متلازمان، فالرسول لا بدّ أن يكون نبياً بمعنى أن الله نبّأه أي أعلمه بمهمته التي اختير لها، والنبي رسول اختاره الله لبيان دعوته لقومه، فهو لهم بشير بالخير إن آمنوا، ونذير لهم بالسوء إن كفروا..

وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «عرضت

عليّ الأمم . . فأخذ النبيّ يمرّ معه الأُمّة، والنبيّ يمرّ معه النفر، والنبيّ يمرّ معه العشرة، والنبيّ يمرّ معه الخمسة، والنبيّ يمرّ وحده!»!

* . * . *

وبالنسبة لنزول عيسى عليه السلام آخر الزمان . . فقد أسلفنا تفصيلاً عن حقيقة هذا النزول، ورددنا على منكّريه، وقلنا أنه ينزل حاكماً بشريعة سيدنا محمد ﷺ لا بشريعته - أي النصرانية - (*) .

* . * . *

أما موضوع نبوة النساء - فالقائل بها هو الإمام ابن حزم رحمه الله . . إذ يرى أن مجرد الاتصال الإلهي بخبر أو بُشْرَى هو (نبوة) فسارة امرأة إبراهيم عليهما السلام ومريم ابنة عمران، وأمّ موسى، وامرأة فرعون أيضاً - هؤلاء جميعاً نبيّات! (ص/ ١٧ ج- ٥ من الفصل في الملل والنحل).

وقد ردّ عليه ابن كثير رحمه الله بقوله: لا يلزم من هذا أن يكنّ نبيّات بذلك، فالذي عليه أهل السنّة والجماعة أنه ليس في النساء نبية، وإنما فيهنّ صديقات كما قال تعالى عن أشرفهنّ مريم بنت عمران: ﴿وأمّه صديقة . . ﴾ ولو كانت نبيّة لذكر ذلك.

ويعتمد ابن كثير في ردّه على الآية الكريمة - من سورة الأنبياء - ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم﴾ فهي صريحة وواضحة ومؤكدة أن الله عزّ وجل إنما أرسل رُسُلَه من الرجال لا من النساء، وهو قول الجمهور.

(*) راجع رسالة [ندوة لواء الإسلام حول رفع عيسى حيّاً إلى السماء] التي ستصدر قريباً عن دار الفتح للطباعة والنشر - بيروت . .

خلاصة آراء العلماء

في النبوة والرسالة

بعد استعراض آراء العلماء قديماً وحديثاً عن النبوة والرسالة، وعن الفرق بين النبي والرسول - كما يدّعي بعضهم - أو عدم وجود هذا الفرق بينهما - كما يقول البعض الآخر - يحسن بنا أن نلخص آراءهم قبل أن نُبدي رأينا في ذلك.

١ - فالإمام الماوردي يثبت اختلاف أهل العلم في الأنبياء والرسل على قولين:

أحدهما: أنَّ الأنبياء والرسل واحد، فالنبيُّ رسول، والرسول نبيُّ. والقول الثاني: أنهما يختلفان، لأن اختلاف الأسماء يدلُّ على اختلاف المسميات.

ويضيف الماوردي:

واختلف مَنْ قال في الفرق بينهما على ثلاثة أقاويل:

أحدهما: أنَّ الرسول هو الذي تنزل عليه الملائكة بالوحي.

والنبيُّ هو الذي يوحى إليه في نومه!

والقول الثاني: أنَّ الرسول هو المبعوث إلى أمة.

والنبيُّ هو المحدث الذي لا يبعث إلى أمة.

والقول الثالث: أنَّ الرسول هو المبتدئ بوضع الشرائع والأحكام.

والنبيُّ هو الذي يحفظ شريعة غيره.

ولذلك يقول القائلون بالتفرقة بين الرسول والنبي :

«إن كلَّ رسولٍ نبيٌّ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً».

٢ - ويثبت القاضي عياض اختلاف العلماء بين النبوة والرسالة بقوله :

«واختلف العلماء : هل النبي والرسول بمعنى أو بمعنىين :

١ - فقليل : هما سواء ، وأصله من الإنباء ، وهو الإعلام .

واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ﴾

[الحج : ٥٢] . فقد أثبت لهما معاً الإرسال ، قال : ولا يكون النبي إلا رسولاً ، ولا الرسول إلا نبياً .

٢ - وقيل : هما مفترقان من وجه . . إذ قد اجتمعا في النبوة التي هي

الاطلاع على الغيب والإعلام بخواص النبوة أو الرفعة لمعرفة ذلك وحوز درجتها . .

٣ - واختلفا في زيادة الرسالة للرسول . . وهو الأمر بالإنذار والإعلام كما

قلنا ، وحجَّتْهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين ، ولو كانا شيئاً واحداً

لما حَسُنَ تكرارهما في الكلام البليغ . قالوا : والمعنى وما أرسلنا من رسول

إلى أمة ، أو نبيٍّ وليس بمرسل إلى أحد !

٣ - كما أثبت الإمام الألوسي اختلاف العلماء في تعريف كلٍّ من

النبي والرسول ، ثم ذكر ستة أقوال للعلماء في كلٍّ من النبي والرسول من

بينها :

الرسول من الأنبياء : مَنْ جمع إلى المعجزة كتاباً منزلاً .

والنبي غير الرسول : مَنْ لا كتاب له .

ثم قال :

وأنت تعلم أن المشهور أن النبي في عُرف الشرع أعم من الرسول ،

فإنه مَنْ أُوحي إليه سواء أُمِر بالتبليغ أم لا ، والرسول مَنْ أُوحي إليه وأُمِر

بالتبليغ، ولا يصحُّ إرادة ذلك لأنه إذا قوبل العام بالخاصَّ يراد بالعام ما عدا الخاصَّ، فمتى أريد بالنبيِّ ما عدا الرسول كان المراد به مَنْ لم يُؤمَر بالتبليغ، وحيث تعلّق الإرسال صار مأموراً بالتبليغ، فيكون رسولاً، فلم يبقَ في الآية بعد تعلّق الإرسال رسول ونبيّ مقابل له!

وأضاف: فلا بدّ لتحقيق المقابلة أن يُراد:

بالرسول: مَنْ بُعثَ بشرع جديد.

وبالنبيِّ: مَنْ بُعثَ لتقرير شرع مَنْ قبله.

أو يراد:

بالرسول: مَنْ بُعثَ بكتاب.

وبالنبيِّ: مَنْ بُعثَ بغير كتاب.

أو يراد نحو ذلك مما يحصل به المقابلة مع تعلّق الإرسال!

٤ - وحجّة العلماء التي يستندون إليها في التفرقة بين النبيِّ والرسول بالإضافة إلى آية ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيٍّ﴾ حديث أبي ذرّ الطويل - الموضوع في رأي ابن الجوزي، والضعيف في رأي السيوطي - الذي يذكر عدد الأنبياء بأنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، وأن عدد الرُّسل ثلاثمائة وثلاثة عشر، كما يشير ذلك القاضي عياض منهيّاً كلامه بعد ذكر هذا الحديث بقوله:

«فقد بان لك معنى النبوة والرسالة!!»

وأَيّده في ذلك الشيخ آدم عبد الله الألوري بقوله:

«ومما يثبت الفرق بين الأنبياء والمرسلين ورود نصّ الحديث على تحديد العدد لكلٍّ منهما كما في الطبراني عن أبي ذر:

قلت: يا رسول الله... كم الأنبياء؟

فقال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً.

قلت: يا رسول الله.. كم المرسلون؟

قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر.

وأضاف: ومهما يقال من ضعف هذا الحديث، لورود حديث آخر يعارضه في العدد، فقد صحَّ وجود الفرق بين عدد الأنبياء وعدد الرُّسل! ٥ - ثم جرَّ هذا الرأي بالتفرقة بين النَّبيِّ والرسول إلى القول بنبوَّة النساء كما يقول الإمام ابن حزم في كتاب (الإحكام في أصول الأحكام) دون القول برسالة النساء، لأنَّ القرآن نصَّ على ذكورية الرُّسل بقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم﴾.

٦ - بل جرَّ هذا الرأي إلى القول بنبوَّة أبي البشر آدم كما يقول بذلك كثير من العلماء والمفسِّرين، وإلى قول بعضهم بنبوَّة الحواريين، كما يقول بذلك الشيخ آدم عبد الله الألوري.

ولم يقف الأمر عند هذا الحدِّ بل دخلت طائفة البهائية والقاديانية من فجوة التفريق بين الأنبياء والرُّسل، لزعمهم أن الرسالة مكتسبة وأنَّ بابها مفتوح، وأنها لم تختتم بمحمد رسول الله ﷺ. ولما استدلَّ عليهم بعض المسلمين بقوله سبحانه: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم، ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾، فقالوا: نعم، إنه خاتم النبيين وليس بخاتم المرسلين، كما أشار إلى ذلك فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود^(١)!

٧ - ويرى الشيخ آدم عبد الله الألوري أنَّ أخذ ميثاق الذين أُوتوا الكتاب لا ينطبق على الأنبياء، وإنما ينطبق على أتباعهم بدليل قوله تعالى: ﴿فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً﴾، في حين أن الشيخ عبد الله بن زيد آل

(١) راجع كتاب (الإيمان بالأنبياء بجملتهم، وضعف حديث أبي ذر في عددهم)، [ص ٢١ - ٢٢].

محمود يرى بأن الأنبياء هم رؤوس من أوتوا الكتاب ، وأخذ منهم العهد والميثاق في البيان وعدم الكتمان .

وكذلك فإن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني يعارض رأي الشيخ آدم عبد الله الألوري وغيره من العلماء الذين يعرفون النبي بأنه من أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه ، فيقول :

«النبيُّ مَنْ بُعِثَ لتقرير شرع مَنْ قبله ، وهو بالطبع مأمور بتبليغه ، إذ من المعلوم أن العلماء مأمورون بذلك ، فهم بذلك أولى!» .

كما يشاطر الشيخ عبد الله الحبشي الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رأيه في وجوب تبليغ النبي شرع الله بقوله : «اعلم أن النبي والرسول يشتركان في الوحي ، فكلُّ قد أوحى الله إليه بشرع يعمل به لتبليغه للناس» .
أما شارح الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان الأستاذ عبد الكريم التتار فيقول بعد تعريفه للنبي بأنه من أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه :
«ولا نعين عدداً لثلا يدخل فيهم من ليس منهم ، أو يخرج منهم من هو منهم» .

٨ - ويعترف الشيخ آدم عبد الله الألوري أن التعريف التقليدي للنبي والرسول لم يسلم من النقد والاعتراض ، لأنه ليس مستمداً من النص !
ويرى أن يؤخذ تعريف النبي من قوله تعالى : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولاً ، فيوحى بإذنه ما يشاء ، إنه عليّ حكيم ﴾ .

ومن حديث أبي ذرٍّ : «هل كان آدم نبياً؟ قال : نعم ، كلمه الله» ، وأضاف : ومن ثم يكون كل من كلمه الله بوحي من البشر نبياً !
ولذلك قال بنو آدم . . والنساء . . والحواريين !

وبنبوة «عزير» صاحب الحمار، و«الخضر» صاحب موسى، و«ذو القرنين» صاحب السد، و«لقمان» صاحب الحكمة(*)!

وأضاف الشيخ آدم عبد الله الألوري بعد تعريفه الجديد للنبي، قوله: «كما يؤخذ تعريف الرسول من قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الرُّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾.

وأضاف: ونقول في تعريفه (الرسول) هو النبي الذي بعثه الله داعياً إلى الله، ومبلغاً رسالة الله، ومبشراً ونذيراً.

٩- أما الشيخ محمد علي الصابوني فيستدلّ على تعريف الرُّسل، واختصاصهم بالبلاغ بقوله:

«إِنَّ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ الرُّسُلَ الْكِرَامَ مَأْمُورُونَ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، وَأَنَّهُمْ يَخْتَلِفُونَ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ فِي هَذِهِ النِّقْطَةِ بِالذَّاتِ، فَهُوَ النَّصُّ الْقُرْآنِيُّ الْكَرِيمُ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.

(*) راجع فلسفة النبوة والأنبياء في ضوء القرآن والسنة، [ص ١٠٠ - ١٠٨].

١٠ - ولا بدّ من الإشارة إلى اعتراف الشيخ آدم عبد الله الألوري بأن بعض العلماء لا يفرّقون بين النبي والرسول بقوله:

«واعترض بعض العلماء على التفريق بين النبي والرسول.. وقال: «لا فرق بين الرسول والنبي في التبليغ، إذ ما من نبيّ إلا وقد تلا على قومه الكتاب، واستدلّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، فينسخ الله ما يلقي الشيطان﴾، لذلك يُحرم على كل نبيّ أن لا يبلغ ما أوحى إليه، وكل نبيّ على هذا يكون رسولاً حيث بلغ لغيره».

بالإضافة إلى رأي للشيخ عبد الله بن زيد آل محمود الذي يقول: «إن كل نبيّ رسول، وكل رسول نبيّ، وليس هناك من فرق بينهما، فقبل أن يُرسل النبي يُنبأ، ثم يرسل».

وأخيراً رأي الأستاذ أحمد محمد جمال الذي يقول:

«والمتملّ في آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، لا يجد فرقاً بين النبي والرسول. فالقرآن يتحدث عن الأنبياء والرسل حديثاً واحداً من حيث التكليف مما ينقض زعم الزاعمين أن الأنبياء لم يؤمروا بتبليغ ما أوحى إليهم من شرع، وإنما كانت نبوتهم خاصة بهم.. وأضاف: وقد طرحنا هذا السؤال مراراً - في دراسات سابقة - ما هي جدوى أن يُوحى إلى إنسان بشريعة، ثم لا يؤمر بالدعوة إليها وتبليغها للناس؟!».

والآن وبعد استعراض آراء العلماء حول النبوة والرسالة يجدر بنا أن نبدي رأينا في هذا الموضوع.

النبوة والرسالة في كتاب الله

رأي المؤلف في النبوة والرسالة :

قبل أن نبدي رأينا في هذا الموضوع، أحبُّ أن أذكر القارئ الكريم بأن رسول الله ﷺ لمَّا أراد أن يبعث معاذ بن جبل قاضياً إلى اليمن أجرى له امتحاناً قبل إرساله، فسأله :

«كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟»

قال : أقضي بكتاب الله .

قال : فإن لم تجد؟

قال : فبسنة رسول الله .

قال : فإن لم تجد في سنة رسول الله ولا في كتاب الله؟

قال : اجتهد رأيي، ولا آلو^(١) . فضرب رسول الله ﷺ صدره، وقال :

الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله^(٢) .

* . * . *

ومعنى ذلك أنه يتوجب على العالم والفقيه والمجتهد، قبل أن يقول

(١) قوله : ولا آلو: معناه لا أقصر في الاجتهاد، ولا أترك بلوغ الوسع فيه .

(٢) سنن أبي داود - الجزء الرابع - كتاب الأقضية - باب اجتهد الرأي في القضاء،

حديث رقم ٣٥٩٢، [ص ١٨ - ١٩] .

برأيه، أن يفتش عن الحكم في كتاب الله، فإن لم يجد، يلجأ إلى حديث رسول الله ﷺ، فإن لم يجد في كتاب الله، ولا في سنة رسوله، يحاول الاجتهاد على ضوء القواعد العامة للشريعة الإسلامية.

الاجتهاد الفردي:

ويقول الإمام الشيخ محمود شلتوت رحمه الله:

«أما الاجتهاد الفردي فإنه لا يكون حجة ملزمة إلا لصاحبه. وأضاف:

والاجتهاد الفردي حق ثابت في الإسلام، لكل من له أهلية النظر والبحث، يستوي فيه الرجل والمرأة، والحاكم والمحكوم، وأرباب الوظائف الكبرى وغيرهم ممن لا يشغلون وظيفة، وكما يستوون في ثبوت هذا الحق لهم، يستوون في حق الخطأ، ولا يعرف الإسلام عصمة أحد من الخطأ، إلا الرسول فيما يبلغه عن ربه. أما فيما يجتهد فيه، فقد سبق أنه فيه عرضه للخطأ...»

ثم قال:

وإذا كان الرسول فيه عرضة للخطأ، فإن غيره من أمته، مهما علا كعبه وقربت نسبته إليه، يكون - بالأولى - عرضة للخطأ»^(٣).

ونبادر إلى القول بأننا نشاطر الشيخ آدم عبد الله الألوري في أن التعريف التقليدي للنبي والرسول ليس مستمداً من النص. لا من كتاب الله، ولا من سنة رسول الله، ولا لصحابي من صحابة رسول الله. ومن المعلوم أن قضايا الدين والعقيدة مصدرها القرآن الكريم أو الخبر

(٣) راجع كتاب (الإسلام عقيدة وشريعة) لمحمود شلتوت، [ص ٥٤٧]، دار الشروق - بيروت.

الصحيح المتواتر عن الرسول الكريم. فإذا كان لدينا تعريف من هذين المصدرين فعلى الرأس والعين. أمّا إذا كان هذا التعريف لبعض العلماء، فهو اجتهاد قد يكون صحيحاً وقد يكون خطأ، وقد يكون نظرية ظنية لا حقيقة علمية، وإنّ الظن لا يُغني عن الحق شيئاً.

ويقول الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود^(٤):

«أحبُّ أن ألفت النظر إلي هذا التعريف - للنبي والرسول - الذي شاع على ألسنة العلماء والعوام، حتّى ألحقه بعضهم بعقائد الإسلام، مع العلم أنّ هذا التعريف لا أصل له، لا من القرآن الكريم ولا من السنة الصحيحة المتواترة».

وأشار إلى العلامة ابن كثير الذين تكلموا بهذا التفريق بين النبي والرسول في تفسيره على قوله سبحانه: ﴿ما كان محمدٌ أباً أحد من رجالكم، ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾.

قال ابن كثير:

«... فهذه الآية نصّ في أنّه لا نبي بعده، فلا رسول بالطريق الأولى والأخرى، لأن مقام الرسالة أخصّ من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس» انتهى كلام ابن كثير.

ويضيف الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود:

«وأول من رأيناه تكلم بهذا التفريق بين النبي والرسول، هو الإمام النووي. فتلقاه الناس عنه، وهو إنما أخذه من الحديث الموضوع المنسوب إلى أبي ذر في التفريق بين الأنبياء والرسل».

(٤) في رسالة «الإيمان بالأنبياء بجملتهم، وضعف حديث أبي ذر في عددهم».

ثم قال:

وليست هذه بأول غلطة دخلت في عقائد الناس، وتناقلوها من جرّاء سوء الأحاديث الموضوعة، التي عملت التأثير في الأمة، في إدخال البدع، وتغيير السنن، إذ تأبى حكمة الله، وحكمة بعثه لأنبيائه أن يكون فيهم من أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه.

وأضاف:

والحق أن كلّ نبيّ ذكره الله في القرآن الكريم فإنّه رسول، فلا فرق بين النبيّ والرسول إلّا بمجرد الاسم، والمسمّى واحد، وهذا من تنوع الاسم، كما نقول:

محمد رسول الله، ومحمد نبيّ الله.

والله عزّ وجلّ خاطب محمداً بصفة الرسالة تارة، وبصفة النبوة تارة أخرى، فقال:

﴿يا أيّها الرسول، بلغ ما أنزل إليك من ربّك﴾ [المائدة: ٦٧].

﴿يا أيّها النبيّ جاهد الكفار والمنافقين﴾ [التوبة: ٧٣].

والمعنى واحد.

ثم قال:

والنبيّ مشتقّ من الإنباء أي أنّ الله أنبأه من وحيه بما شاء، كما قال تعالى: ﴿قد نبأنا الله من أخباركم﴾ [التوبة: ٩٤]، ثم يقوم هو بإنباء ما أوحى الله إليه، كما يقول المحدث: أنبأنا فلان.

ثم ردّ على الذين استندوا في التفريق بين النبيّ والرسول من الآية الكريمة ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾، بقولهم: فعطف بالنبيّ على الرسول بالواو المفيدة للمغايرة، فكأنّ النبيّ غير الرسول، فأجاب:

«إِنَّ مَثَلَ هَذَا يَقَعُ كَثِيرًا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَفِي السُّنَّةِ أَيْضًا. يُعْطَفُ بِالشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ، وَيُرَادُ بِالتَّالِي نَفْسَ الْأَوَّلِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾

[الأحزاب: ٣٥].

فغايـر بينهما بواو العطف. ومعلوم أن المسلمين هم المؤمنون، والمؤمنين هم المسلمون، فلا يقال فلان مؤمن وليس بمسلم، ولا يقال فلان مسلم وليس بمؤمن، وإنما هو تنوع اسم، والمسمى واحد. كما في قوله تعالى:

﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

ونظير ذلك قوله تعالى:

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

فعطف بجبريل وميكاال على الملائكة، وهما منهم.

والنبي ﷺ يقول:

«فادعوا بدعوى الله الذي سمّاكم المسلمين المؤمنين عباد الله»^(١).

* * *

أما ردُّنا على مَنْ استند إلى حديث أبي ذر الطويل الذي يفرِّق بين الأنبياء والرُّسل، فسنردُّ عليهم بعد استعراض أدلة الذين يقولون بنبوة آدم ورسالته فيما بعد.

* * *

(١) راجع رسالة الإيمان بالأنبياء بجملتهم، وضعف حديث أبي ذر في عددهم للشيخ عبد الله بن زيد آل محمود.

• نعود الآن للتأكيد أنه ليس في كتاب الله عز وجل أي فرق بين النبي والرسول، بل فيه تأكيد أن النبي هو الرسول، والرسول هو النبي... والدليل على ذلك أن الله خاطبهم تارة بالنبوة... وتارة بالرسالة.

فهذا إبراهيم عليه السلام يتحدث عنه القرآن الكريم بصفة النبوة في سورة مريم:

﴿واذكر في الكتاب إبراهيم، إنه كان صديقاً نبياً﴾
[سورة مريم: ٤١].

ثم تحدث عنه في سورة الحديد بالرسالة:

﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم، وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب﴾
[الحديد: ٢٦].

وهذا عيسى عليه السلام يشير إليه بالنبوة حيناً، وبالرسالة حيناً آخر:

ففي سورة مريم:

﴿قال: إني عبد الله، آتاني الكتاب، وجعلني نبياً، وجعلني مباركاً أينما كنت، وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً﴾ [مريم: ٣٠ - ٣١].

وفي سورة آل عمران:

﴿ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، ورسولاً إلى بني إسرائيل﴾
[آل عمران: ٤٨ - ٤٩].

وهذا هارون عليه السلام يذكره القرآن تارة بوصف النبوة وتارة أخرى بوصف الرسالة، ففي سورة مريم:

﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً﴾ [مريم: ٥٣].

وفي سورة طه يشير إليه بصفة الرسالة:

﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى، فقولا له قولاً لئلا نلعه يتذكر أو

يخشى . قالوا : ربنا إنما نخاف أن يَفْرُطَ علينا أو أن يطغى . قال : لا تخافا،
إنني معكما أسمع وأرى . فأتياه فقولا : إنا رسولا ربك، فأرسل معنا بني
إسرائيل ولا تعذبهم، قد جئناك بآية من ربك، والسلام على من اتبع
الهدى ﴿ [طه : ٤٣ - ٤٧] .

وفي سورة الشعراء :

﴿ فأتيا فرعون فقولا : إنا رسول رب العالمين . أن أرسل معنا بني
إسرائيل ﴾ [الشعراء : ١٦ - ١٧] .

وهذا محمد ﷺ يخاطبه رب العالمين تارة بالنبوة . . وتارة بالرسالة :
﴿ يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ﴾ [الأنفال : ٦٤] .
﴿ يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴾
[الأنفال : ٦٥] .

﴿ يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في
قلوبكم خيراً، يؤتكم خيراً مما أخذ منكم، ويغفر لكم، والله غفور رحيم ﴾
[الأنفال : ٧٠] .

﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم ومأواهم جهنم
وبئس المصير ﴾ [التوبة : ٧٣] .

﴿ يا أيها النبي اتق الله، ولا تطع الكافرين والمنافقين، إن الله كان
علماً حكيماً ﴾ [الأحزاب : ١] .

﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها،
فتعالين أمتعن وأسرحن سراحاً جميلاً ﴾ [الأحزاب : ٢٨] .

﴿ يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيتن أجورهن ﴾
[الأحزاب : ٥٠] .

﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من

جلايبهنّ، ذلك أدنى أن يُعرفن فلا يُؤذّن، وكان الله غفوراً رحيماً ﴿[الأحزاب: ٥٩].

﴿يا أيها النبيّ لم تحرم ما أحلّ الله لك، تبتغي مرضات أزواجك،
والله غفور رحيم﴾ [التحریم: ١].

﴿يا أيها النبيّ إذا جاءك المؤمنات يبایعنك على أن لا يشركن بالله
شيئاً، ولا يَسْرِقْنَ، ولا يَزْنِينَ، ولا يقتلن أولادهنّ، ولا يأتين ببهتان يفترينه
بين أيديهنّ وأرجلهنّ، ولا يعصينك في معروف، فبایعهنّ، واستغفر لهنّ
الله، إنّ الله غفور رحيم﴾ [الممتحنة: ١٢].

﴿يا أيها النبيّ إذا طَلَّقْتُم النساء، فطَلَّقوهنّ لعدّتهنّ، وأحصُوا العِدَّةَ،
واتَّقُوا الله ربّكم، لا تُخْرِجُوهُنّ من بيوتهنّ، ولا يَخْرُجْنَ إلّا أن يأتين بفاحشة
مبيّنة، وتلك حدود الله، ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه، لا تدري لعلّ
الله يُحدِثُ بعد ذلك أمراً﴾ [الطلاق: ١].

﴿يا أيها النبيّ إنّنا أرسلناك شاهداً، ومبشّراً، ونذيراً، وداعياً إلى الله
بإذنه وسراجاً منيراً﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦].

ثم خاطبه سبحانه بوصف الرسالة قائلاً:

﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك، وإن لم تفعل فما
بلّغت رسالته، والله يعصمك من الناس، إنّ الله لا يهدي القوم الكافرين﴾
[المائدة: ٦٧].

﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر، من الذين
قالوا: آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾.

ثم جمع الله له بين النبوّة والرسالة في سورة الأحزاب:

﴿ما كان محمد أباً أحد من رجالكم، ولكن رسول الله، وخاتم
النبيين، وكان الله بكل شيء عليم﴾.

* . * . *

وأكثر العلماء الذين فرّقوا بين النبي والرسول قالوا:
النبي: هو مَنْ أُوحِيَ إليه بشرع، ولم يؤمر بتبليغه.
والرسول: هو مَنْ أُوحِيَ إليه بشرع، وأُمر بتبليغه.
أي إن الرسول والنبي يشتركان في الوحي، ولكن الرسول يزيد على
النبي بالإرسال والبلاغ.

ولو أنهم قرأوا القرآن الكريم جيداً وفهموه لما وقعوا في هذا الخطأ
الكبير.

فالقرآن الكريم في آية واحدة من آياته البينات يقرّر للأنبياء: الإرسال
والبلاغ.

ففي سورة البقرة:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً. فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَأَنْزَلَ
مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ.﴾
وإذا كانت مهمة الرُّسل: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾.
وإذا كانت مهمة النبيين: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾.

فأين الفرق بين الأنبياء والرُّسل؟

فَوَصَّفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الرُّسُلَ بِالتَّبَشِيرِ وَالْإِنْذَارِ كَمَا وَصَّفَ الْأَنْبِيَاءَ عَلَى
حَدِّ سَوَاءٍ، وبذلك يتبين عدم صحة تعريف:

«النبي: بأنه مَنْ أُوحِيَ إليه بشرع، ولم يؤمر بتبليغه».

وإذا كان المسلم العادي مكلف بتبليغ رسالة الإسلام إلى مَنْ يستطيع
إبلاغهم، لأنَّ رسول الله ﷺ وضع أمانة البلاغ في عُنُقِ أُمَّتِهِ في خطبته في
حجّة الوداع حيث قال:

«أَلَا فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتَ، اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ.

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٠٤]. والأمة المسلمة ما استحققت وصف خير أمة أخرجت للناس، إلا على أساس: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٠٠].

وأمة الإسلام لم تكن أول أمة كُلفت بالبلاغ، بل إن الأمم السابقة سبقتها بالدعوة والبلاغ: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٨١]. ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٥٩]. فهل يعقل أن تكون مكانة الأنبياء أقل مرتبة من مكانة العلماء؟ «والله عز وجل تأبى حكمته أن يُوحى إلى نبيٍّ من الأنبياء بشرع من الأمر والنهي، والفرائض والأحكام، وأمور الحلال والحرام، ثم لا يأمره بتبليغها، وما الفائدة من هذا النبي وهذا الشرع الذي أوحى إليه إن لم يبلغه إلى الناس. إن هذا لا يكون أبداً، وليس هو من سنة الله ولا من شرعه، ويجب تنزيه الأنبياء عن الاتِّصاف به والله عز وجل يقول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٨٧]. والأنبياء هم رؤوس من أُوتوا الكتاب، وأخذ عليهم الميثاق في بيان ما نزل إليهم من ربهم، فهم لا يكتُمون الله حديثاً» (*).

وللدلالة على أن مهمة الأنبياء هي البلاغ، وأن من سنة الحياة أن يقاوم الظالمون دعوات الخير، تكذيباً واستهزاء وتحدياً وتهديداً، عند ذلك يضطر النبي الذي قام بتبليغ الرسالة، يضطر هو والذين آمنوا معه إلى مقاومة الظالمين كما قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ، فَمَا وَهَنُوا

(*) راجع رسالة (الإيمان بالأنبياء بجملتهم)، لعبد الله بن زيد آل محمود.

لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا: رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿[سورة آل عمران: الآيات ١٤٦ - ١٤٨].

وصدق الله عز وجل:

﴿وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ * وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ * وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

وإذا كان القرآن الكريم يشير إلى أن الأنبياء كانوا يقابلون بالاستهزاء من أقوامهم كما يقابل الرُّسل سواء بسواء، فأين الفرق بين النبي والرسول؟ وهذا وصف القرآن الكريم لاستقبال دعوة الأنبياء:

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ... وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ﴾ [الزخرف: ٦ - ٧].

يقابله وصف القرآن الكريم لاستقبال دعوة الرُّسل:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ... وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ﴾ [الحجر: ١٠ - ١١].

ولولا أن النبي قام بواجب الدعوة، لما تلقى الاستهزاء من قومه. بل إن القرآن الكريم يقرّر وجود الأعداء لكل نبي من شياطين الإنس والجنّ ومن المجرمين:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وفي سورة الفرقان:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمَجْرَمِينَ، وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

والقرآن الكريم يستعمل أحياناً كلمة الرُّسل وأحياناً كلمة النُّبیین :
﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾
[سورة البقرة: الآية ٢٥٣].

﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ﴾
[سورة الإسراء: الآية ٥٥].
ويؤكد ذلك وصف القرآن الكريم لنبی اسرائیل أحياناً بقتل النُّبیین،
وأحياناً بقتل الرُّسل :

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ،
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [سورة البقرة: الآية ٦١].
﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ ، فَفَرِيقًا
كَذَّبْتُمْ ، وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [سورة البقرة: الآية ٨٧].

ودليل آخر أشار إليه القرآن الكريم تارة ببعث أو بإرسال الرُّسل ، وتارة
ببعث أو بإرسال الأنبياء :

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ، فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾
[سورة البقرة: الآية ٢١٣].
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾
[سورة النحل: الآية ٣٦].
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء: الآية ٢٥]
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ
يَضُرَّعُونَ ﴾ [سورة الأعراف: الآية ٩٤].

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ، ثُمَّ جَاءَكُمْ

رسولٌ مصدّقٌ لِمَا معكم لتؤمننَّ به ولتنصرُنَّه ﴿

[سورة آل عمران: الآية ٨١].

﴿ وإذ أخذنا من النبيّن ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ﴾ * لِيَسْأَلَ الصّادِقِينَ عَنْ صَدَقِهِمْ، وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً ﴿

ومن المعلوم أنّ الرسول ﷺ ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى هم رُسُلٌ وليسوا فقط أنبياء.

* . * . *

أما جوابنا على مَنْ احتجّ بالتفريق بين النّبيّ والرسول من آية الحج ﴿ وما أرسلنا من قبلك من نبيٍّ ولا رسول ﴾ بقوله: «ولو كانا شيئاً واحداً لما حَسُنَ تكرارهما في الكلام البليغ» بأن القرآن الكريم استعمل كلمة النبوّة بعد الرسالة. . وإذا كان وصف الرسول يشمل النبوّة، ووصف النبوّة لا يشمل الرسالة فلا ضرورة أن يصف القرآن الكريم الرسول بالنبوّة، ما دامت الرسالة تشمل النبوّة وليس العكس. ففي سورة الأعراف:

﴿ ورحمتي وسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فسأكتبها للذين يتّقون، ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾ * الذين يتّبِعون الرسول النّبيّ الأميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر ﴿ [١٥٦ - ١٥٧].

ثم يقول في آية أخرى:

﴿ فآمنوا بالله ورسوله النّبيّ الأميّ الذي يؤمن بالله وكلماته، واتّبِعوه لعلّكم تهتدون ﴾ [١٥٨].

وكذلك وصف موسى عليه السلام بالنبوّة بعد الرسالة في سورة مريم:

﴿ واذكر في الكتاب موسى، إنّهُ كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً ﴾ [مريم: ٥١].

كما وصف إسماعيل عليه السلام:
﴿واذكر في الكتاب إسماعيل، إنه كان صادق الوعد، وكان رسولاً
نبياً﴾ [مريم: ٥٤].

فهل يصحّ بعد ذلك أن نقول:
«ولو كانا شيئاً واحداً لما حَسُنَ تكرارهما في الكلام البليغ؟!».

* . * . *

وأخيراً ذكر القرآن الكريم إيمان المؤمنين تارةً بالنبّيين.. وتارةً
بالرُّسل:

﴿ليس البرّ أن تولُّوا وجوهكم قبلَ المشرق والمغرب، ولكن البرّ من
آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبّيين﴾ [البقرة: ١٧٧].
﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون، كلٌّ آمن بالله
وملائكته وكتبه ورُسُله، لا نفرّق بين أحد من رُسُله، وقالوا سمعنا وأطعنا،
غفرانك ربّنا وإليك المصير﴾.

النبوة والرسالة في السُّنة النبوية الصحيحة

- ١ - النبيّ هو الرسول في حديث الرسول.
- ٢ - النبيّ يبلغ الرسالة.
- ٣ - النبيّ صاحب كتاب أو معجزة.
- ٤ - النبوة والرسالة في الكتاب والسنة.
- ٥ - لكل نبيّ حوار.
- ٦ - أحاديث عن الأنبياء.
- ٧ - النبيّ هو الرسول.. ومحمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين.

النبي هو الرسول في حديث الرسول

الحديث الأول:

عن أبي أُمَامَةَ قَالَ عِكْرَمَةُ - وَقَدْ لَقِيَ شَدَّادَ أَبَا أُمَامَةَ وَوَاثِلَةَ، وَصَحْبَ أَنَسٍ إِلَى الشَّامِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَضْلاً وَخَيْراً عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ السُّلَمِيُّ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بَرَجِلَ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَاراً، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْفِياً جُرْءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟

قال: أنا نبي.

فقلت: وما نبي؟

قال: أرسلني الله.

فقلت: وبأي شيء أرسلك؟

قال: أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يُشرك به

شيء.

قلت له: فمن معك على هذا؟

قال: حرٌّ وعبدٌ (قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به).

فقلت: إني متبعك.

قال: إنك لا تستطيع ذلك يَوْمَكَ هذا، ألا ترى حالي وحال الناس،

ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعت بي قد ظَهَرْتُ فأتني .

قال: فذهبتُ إلى أهلي، وقدمَ رسول الله ﷺ المدينة وكنت في أهلي، فجعلت أتخبرُ الأخبار، وأسأل الناس حين قدمَ المدينة حتى قدمَ عليَّ نفر من أهل يثرب من أهل المدينة، فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدمَ المدينة؟

فقالوا: الناسُ إليه سراعٌ، وقد أراد قومه قتله، فلم يستطيعوا ذلك، فقدمت المدينة فدخلت عليه، فقلت: يا رسول الله: أتعرفني؟
قال: نعم، أنت الذي لقيتني بمكة.

قال: قلت: بلى،

[فقلت يا نبيَّ الله: أخبرني عما علمك الله، وأجهلُهُ، أخبرني عن الصلاة.

قال: صلَّ صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صلَّ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقلَّ الظلُّ بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة فإن حينئذ تُسجرُ جهنم، فإذا أقبل الفيلُ فصلَّ، فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصليَ العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار.

قال: فقلت يا نبيَّ الله فالوضوء حدَّثني عنه؟

قال: ما منكم رجل يقرب وضوءه فيتمضمض ويستنشق فينثر إلا خرت

خطايا وجهه وفيه خياشيمه، ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرت خطايا يديه من أنامله مع الماء، ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خرت خطايا رجله من أنامله مع الماء، فإن هو قام فصلى فحمد الله

وأثنى عليه ومجّده بالذي هو أهل له وفرّغ قلبه لله إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمّه (*) .

النبي يبلغ الرسالة

الحديث الثاني :

عن عبد الرحمن بن عبد ربّ الكعبة، قال^(١) :
دخلت المسجد، فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالس في ظلّ الكعبة والناس مجتمعون عليه، فأتيتهم فجلست إليه، فقال :
كُنَّا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلنا منزلاً، فمِنَّا مَنْ يُصلح خبائه، ومِنَّا مَنْ ينتضل^(٢)، ومِنَّا مَنْ هو في جشره^(٣) إذ نادى منادي رسول الله ﷺ الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال .

«إنّه لم يكن نبيّ قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدلّ أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شرّ ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاءٌ وأمورٌ تنكرونها، وتجيء فتنةٌ فيرقق بعضها بعضاً^(٤) وتجيء الفتنة فيقول المؤمن : هذه مهلكتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه،

(*) رواه الإمام مسلم في صحيحه : ج ٢ ص ٢٠٨ - ٢٠٩ - باب إسلام عمرو بن عبسة .

(١) صحيح مسلم - الجزء السادس - باب الأمر بالوفاء وبيعة الخلفاء، الأول فالأول، [ص ١٨] . منشورات دار الآفاق - دار الجيل - بيروت .

(٢) من المناضلة، وهي المراماة بالنشاب .

(٣) أي مع دوابه، وأصل الجشر : الدواب ترعى في مكان، ولا ترجع إلى البيوت مساءً، تبيت حيث ترعى .

(٤) أي يصير بعضها بعضاً، أي خفيفاً لعظم ما بعده، فالثاني يجعل الأول رقيقاً . .

فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَزْحَاحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلِيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يَحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ.
وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ وَثَمَرَةً قَلْبِهِ فَلْيَطْعَمْهُ إِنْ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ
جَاءَ آخَرُ يَنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُقُقَ الْآخَرِ».

النبي صاحب كتاب أو معجزة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:
«ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي ما مثله آمن عليه البشر،
وإنما كان الذي أُوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم
تابعاً يوم القيامة» (متفق عليه).

النبوة والرسالة في الكتاب والسنة

يقول الله سبحانه في سورة الحديد:
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ، وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ،
فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ، وكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ.
ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا،
وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ، وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾
[الحديد: ٢٦ - ٢٧].

وفي سورة البقرة:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ، وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ
مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ، وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ، أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى
أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ، وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: آية ٨٧].

وفي سورة المائدة: ٤٤ - ٤٧:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ،

يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا، والربانيون والأخبار بما
استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء، فلا تخشوا الناس واخشون، ولا
تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً، وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ*
وكتبنا عليهم فيها: أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذْنَ
بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ، والجروح قصاص، فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ
لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ*

وقفنا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة،
وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة
للمتقين* وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه، وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ
اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ*.

وعن أبي حازم قال:

«قاعدت أبا هريرة خمس سنين، فسمعتة يحدث عن النبي ﷺ قال:
(كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وأنه
لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثر،

قالوا: فما تأمرنا؟

قال: فوا ببيعة الأول فالأول، واعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما
استرعاهم) (رواه مسلم).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«قاتل الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» (متفق عليه).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

«سئل رسول الله ﷺ أيُّ الناس أكرم؟

قال: أكرمهم عند الله أتقاهم.

قالوا: ليس عن هذا نسألك.

قال: فأكرم الناس يوسف نبياً الله ابنُ نبِيّ الله، ابنِ نبِيّ الله، ابنِ خليل الله» (رواه البخاري في كتاب التفسير).

لكل نبِيّ حوارِي

عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبِيّ بعثه الله في أُمَّةٍ قبلي، إلّا كان له من أُمَّته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنّها تَخْلُفُ من بعدهم خُلُوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون. فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بيده فهو مؤمن، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بلسانه فهو مؤمن، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بقلبه فهو مؤمن. وليس وراء ذلك من الإيمان حَبَّة خردل».

[صحيح مسلم - الجزء الأول - باب كون النهي عن المنكر من الإيمان - ص ٥٠ - ٥١].

وعن جابر بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «إن لكل نبِيّ حوارياً، وحواريّ الزبير» (متفق عليه).

أحاديث عن الأنبياء

عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيتُ خمساً لم يعطهنّ أحد من الأنبياء قبلي:

- ١ - نصرت بالرعب مسيرة شهر.
- ٢ - وجُعِلَتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة، فليصل.
- ٣ - وأُحِلَّت لي الغنائم.
- ٤ - وكان النبي يبعث إلى قومه خاصّة، وبعث إلى الناس كافّة.
- ٥ - وأُعْطِيتُ الشفاعة» (متفق عليه).

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«ثلاثة لهم أجران، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد،
والعبد المملوك إذا أدى حقَّ الله وحقَّ مواليه،
ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها،
ثم أعتقها فتزوجها، فله أجران» (متفق عليه).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج علينا النبي ﷺ يوماً فقال:
عرضت عليَّ الأمم، فجعل يمرُّ النبيُّ معه الرجل، والنبيُّ معه
الرجلان، والنبيُّ مع الرهط، والنبيُّ ليس معه أحد» (متفق عليه).

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:
«كأنني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء، ضربه قومه فأدموه،
وهو يمسح الدَّم عن وجهه، ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»
(متفق عليه).

النبيُّ هو الرسول: ومحمد خاتم الأنبياء والمرسلين

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
[مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا
موضع لبنة، - من زاوية من زواياه - فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له
ويقولون: هلاً وُضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين]

[رواه مسلم - باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين - الجزء السابع -

ص ٦٤ - ٦٥].

الفصل الثاني نبوة آدم ورسالته بين الظن واليقين

آراء العلماء القائلين بنبوة آدم عليه السلام
ظنياً أو ترجيحاً أو يقيناً

*** ***

ملخص آراء العلماء حول نبوة آدم
مع بعض الملاحظات

□.□.□.□

آراء العلماء القائلين بنبوّة آدم ظنّاً أو ترجيحاً أو يقيناً

اسم العالم	اسم الكتاب أو المرجع
١ - الشيخ عبد الوهاب النّجار	قصص الأنبياء
٢ - الإمام ابن حزم	الإحكام في أصول الأحكام
٣ - الإمام الماوردي	أعلام النبوة
٤ - الإمام ابن كثير	قصص الأنبياء
٥ - الإمام النيسابوري الثعلبي	قصص الأنبياء (عرائس المجالس)
٦ - السيد نعمة الله الجزائري	النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين
٧ - السيد أحمد الصباحي	حياة وأخلاق الأنبياء
٨ - الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود	الإيمان بالأنبياء بجملتهم
٩ - الدكتورة بنت الشاطيء	مقال (القرآن والتاريخ)
١٠ - آدم عبد الله الألوري	فلسفة النبوة والأنبياء
١١ - عبد الرحمن حسن حبنكة	في ضوء القرآن والسنة
١٢ - الشيخ محمد علي الصابوني	العقيدة الإسلامية وأسسها
١٣ - عبد السلام محمد بدوي	النبوة والأنبياء
١٤ - الشيخ علي الطنطاوي	من أنباء الرسل
	تعريف عام بدين الإسلام

اسم العالم	اسم الكتاب أو المرجع
١٥ - أبو بكر جابر الجزائري	عقيدة المؤمن
١٦ - السيد سابق	العقائد الإسلامية
١٧ - عفيف عبد الفتاح طيارة	مع الأنبياء في القرآن الكريم
١٨ - محمد خليل رفاعي	عقيدة المسلم من القرآن والسنة
١٩ - الشيخ عبد الله الحبشي	الصراط المستقيم
١٠ - الدكتور صبحي الصالح	حديث في (الرسالة الإسلامية)
٢١ - الشيخ حسن خالد	(فتوى رقم ٨٥٩ / ٨٨)
٢٢ - الشيخ محمد كنعان	(مقال بمجلة الفكر الإسلامي)
٢٣ - الشيخ نزار الحلبي	(مقال بمجلة الفكر الإسلامي)
٢٤ - الشيخ أحمد العجوز	مناهج الشريعة الإسلامية
٢٥ - الدكتور محمد خضر	الهداية الإسلامية
٢٦ - المقاصد الخيرية الإسلامية	المبادئ الإسلامية [الأصدقاء الأربعة]
٢٧ - جمعية التعليم الديني الإسلامي	الإسلام رسالتنا
٢٨ - الشيخ عبد الله العلايلي	[مجلة الشراع اللبنانية]

١ - رأي الشيخ عبد الوهاب النجار :

في كتابه [قصص الأنبياء] ^(١) عن نبوة آدم ورسالته :

جاء في مقدمة الطبعة الثالثة من كتاب المؤلف :

وليعلم القارئ الكريم أنني حين شرعت في كتابي «قصص الأنبياء» كانت ماثلة أمامي قواعد سرت على ضوئها. وإن كانت غير منصوطة كلها في مقدمة الطبعة الأولى من هذا الكتاب، وإنما تركتها على ذهن القارئ، وكلها يكاد يكون معلوماً من الدين بالضرورة.

١ - أن العقل ركنُ المعتقدات الأول: فما أوجبه كان واجباً. وما أجاز به كان جائزاً.

٢ - أن الخبر الوارد عن المعصوم إذا كان قطعي الثبوت والدلالة، فهو حجة قاطعة على ما تضمنه، وذلك يشتمل شيئين: الكتاب الكريم، والخبر المتواتر.

٣ - إذا عارض الخبر العقل، وجب تأويل الخبر بما يُزيل هذا التعارض.

٤ - الخبر إذا كان رواته آحاداً، فلا يصلح أن يكون دليلاً على ثبوت

(١) قصص الأنبياء - عبد الوهاب النجار - الطبعة الثالثة - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

الأُمُور الاعتقادية؛ لأنَّ الأُمُور الاعتقادية الغرض منها القطع، والخبر الظنيّ الثبوت أو الدلالة لا يفيد القطع.

٥ - ما نُقِلَ عن الأنبياء مما يُشعرُ بكذبٍ أو معصية: فما كان منقولاً بطريق الآحاد سواء بلغ حدَّ الشهرة أو لا فمردود؛ لأنَّ نسبة الخطأ إلى الرواة، أهون من نسبة المعاصي إلى الأنبياء.

٦ - ما نُقِلَ مما يُشعرُ بكذب أحد الأنبياء أو معصيته، وكان النقل متواتراً، فما يمكن صرفه عن ظاهره صُرف إن أمكن، وإلاَّ فيحمل على أنَّه ترك الأولى، أو قبل البعثة.

٧ - المعجزات لا تثبَّت بخبر الآحاد؛ لأنَّ المطلوب فيها اليقين. وخبر الآحاد لا يقين فيه.

٨ - إنكار المعجزة الثابتة بنصِّ قطعيِّ الثبوت والدلالة، كُفِّر.

٩ - الإسرائيليات: لا حَرَج في مخالفتها ولا في إنكارها جُملةً وتفصيلاً.

١٠ - كتب العهد القديم والجديد: ما كان منها موافقاً للقرآن فهو حقٌّ، وما كان منها مخالفاً للقرآن فهو باطل. وما كان القرآن ساكتاً عنه فلا نقطع بصدقه ولا بكذبه. ويجوز نقله والاستئناس به.

١١ - أقوالُ المفسِّرين ليست حُجَّة قاطعة فيما نصَّت عليه، بل هي أوجه، كما يجوز حمل عبارة القرآن عليها يجوز مخالفتها، وحمل عبارته على غيرها. ولا مؤاخذه على مَنْ خالفها.

١٢ - القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه، ولا تنفذ غرائبه؛ فلكلِّ امرئ أن يتدبَّره بعقله ويفهمه على الوجه الذي يستقرُّ في اعتقاده، بشرط أن يكون جارياً على مقتضى العربية، غير مخلٍّ بفصاحته، ولا مخلٍّ بشيء من مقاصد الدين.

ملاحظتان :

- قال الإمام أحمد: «ثلاثة ليس لها أصل: التفسير، والملاحم، والمغازي»، وعندي أيضاً متى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ما نُقِلَ عن الصحابة نقلاً صحيحاً، فالنفس إليه أسكن مما يُنقل عن التابعين» - وكل ذلك فيما يتعلق بأمر يحتاج فيه إلى اليقين».

* . * . *

هذه هي القواعد التي أثبتها العلامة الشيخ عبد الله النجار في مقدمة الطبعة الثالثة من كتابه (قصص الأنبياء)، ولو أن كُتِّب السيرة وقصص الأنبياء وكتب العقائد، اعتمدوا هذه القواعد وعملوا بها، لما نشروا في كتبهم كثيراً من الخرافات والأساطير والإسرائيليات، ولما جعلوا فيه الظننات . . قطعيات.

والآن إلى رأي الشيخ النجار في نبوة آدم ورسالته: فقد قال تحت عنوان: هل آدم نبيٌّ ورسول؟

والجواب: أن نبوة آدم قد أخذت دوراً مهماً من عدة سنوات، إذ ظهر بمدينة دمنهور رجلٌ أنكر أن يكون آدم نبياً، وقد رُفعت عليه الدعوى بالمحكمة الشرعية، وصدر الحكم عليه بالتفريق بينه وبين زوجته لِرُدِّته بذلك الإنكار، ولما استأنف الحكم إلى محكمة الإسكندرية كان كلامه أمامها:

إنَّه لم يرَ لَفْظاً في القرآن يذكر آدم بالنبوة، وإنَّه يعتقد نبوته، فصَدَرَ حُكْمُهَا بِالْغَاءِ الْحَكْمِ الْأَوَّلِ، وأعيدت إليه زوجته!

ثم قال :

أقول أيضاً إنَّ القرآن الكريم لم يذكر لفظ النبوة بإزاء آدم كما ذكر ذلك بإزاء غيره من الأنبياء، كإسماعيل وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم، ولكن ذكر أنه خاطبه بلا واسطة، وشرع له في ذلك الخطاب، فأمره ونهاه، وأحلَّ له وحرَّم عليه بدون أن يرسل إليه رسولاً، وهذا هو كل معاني النبوة؛ فمن هذه الناحية نقول: إنه نبيٌّ، وتطمئن أنفسنا بذلك.

وأضاف :

وأما رسالته فالأمر فيها مختلف فيه، وشأننا أن نفوض علم ذلك إلى الله تعالى؛ على أنني رأيتُ في حديث أبي هريرة في الشفاعة الوارد في صحيح مسلم أنَّ الناس يذهبون إلى نوح، ويقولون: أنت أول رُسُلِ الله إلى الأرض؛ فلو كان آدم رسولاً لما ساغ هذا القول. والعلماء القائلون برسالة آدم يؤوِّلون ذلك بأنه أول رسول بعد الطوفان(*)، وهو تأويل متكلف.

ثم قال :

إذا كان آدم نبياً فكيف عصي، والأنبياء معصومون من المعصية؟ والجواب عن ذلك من وجوه:

(الأول): أن يكون ذلك على سبيل النسيان؛ وإنما سمي ما أتاه ناسياً خطيئة ومعصية وغواية، لأنَّ النبي ﷺ لما كان ليس كأحد الناس، وكان التنبيه والحذر من مخالفة الله لازماً له، فإذا نسي، عُدَّ ذلك خطيئة في حقه، وإن كان غير خطيئة إذا صدر من غيره، وحسنات الأبرار سيئات المقرِّبين!

(الثاني): أنه تأوَّل فيما فعل، إذ فهم أنَّ الأمر والنهي ليسا جازمين بحيث

(*) مع أنه كان رسولاً قبل الطوفان! [المؤلف].

يترتب على المخالفة الغضب والمجازاة، بل فهمه أمر إرشاد فقط ونهي إرشاد، وما كان من هذا القبيل لا تحرم مخالفته، كما حمل الفقهاء الأمر بكتابة الدّين على أنه أمر إرشاد ولا إثم بتركه!

(الثالث): أنّ ما حصل من الذّنب صغيرة، وهذا لا يتأتى إلّا على رأي من يقول إنّ الأنبياء غير معصومين من الصغائر.

(الرابع): أنّ ذلك كان قبل النبوّة المستلزمة للعصمة من المعصية، وهو جواب حسن، لولا أنّه وقع بعد صدور الأمر والنهي إليه بلا واسطة، وهو ما جعلناه من أمارات نبوّته!!

* . * . *

وتحدث عن إدريس عليه السلام وقال في ترجمته:

هو إدريس بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام واسمه في التوراة العبرية «خنوخ» وفي الترجمة العربية «أخنوخ». ونقل عن ابن كثير في «البداية والنهاية»: وكان أول بني آدم أُعطي النبوّة بعد آدم وشيث عليهما السلام.

وذكر ابن إسحاق أنّه أول من خطّ بالقلم، وقد أدرك من حياة آدم ثلاثمائة سنة وثمان سنين...

ونقل ابن كثير: زعم بعضهم أنّ إدريس لم يكن قبل نوح، بل في زمان بني إسرائيل.

وقال عن نوح عليه السلام:

هو النبيّ الثاني ممن ذكروا بعد آدم عليه السلام، والأول بعد آدم هو جدّه الأكبر إدريس عليه الصلاة والسلام. وهو أول الرُّسل كما في حديث الشفاعة عن أبي هريرة في صحيح مسلم: (يا نوح أنت أول الرُّسل إلى الأرض)، وبعضهم يؤوّل هذا الحديث ويقول برسالة آدم وإدريس!

٢ - رأي الإمام ابن حزم في نبوة آدم:

تحدّث ابن حزم في كتابه(*) عن نبوة آدم فقال في الجزء الأول - الباب السادس تحت عنوان: [هل الأشياء في العقل على الحظر أو على الإباحة]:

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَ سَدًى﴾ [القيامة: ٢٦]، والسدى المهمل الذي لا يؤمر ولا يُنهى، فصَحَّ بهذه الآية أنَّ الناس لم يبقوا وقتاً من الدهر هملاً دون ورود شرع، فبطل قول مَنْ قال: إِنَّ العقول تعرَّت وقتاً من الدهر من شرع، وإذْ قد بطل هذا القول، فقد بطل أن يكون الشيء في العقل قبل ورود الشرع، له حكم في العقل بحظرٍ أو إباحة. فصار قولهم مُحالاً ممتنعاً، مع كونه حراماً أيضاً لو كان ممكناً.

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

فبطل هذا أن تكون أُمَّة وقتاً من الدهر لم يتقدّم فيهم نذير^(١) وقد كان آدم عليه السلام رسولاً في الأرض^(٢)، وقال تعالى له، إذ أنزله إلى الأرض:

(*) الإحكام في أصول الأحكام - علي بن أحمد بن حزم الأندلسي - الطبعة الثانية - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م - الناشر: دار الجيل - بيروت.

(١) أبناء آدم كانوا أسرة ولم يكونوا أمة، والله سبحانه قال عن أهل مكة: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا، وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤]. [المؤلف]

(٢) ليس هناك من دليل على رسالة آدم إلى أهل الأرض، بل الصحيح أن نوحاً عليه السلام هو أول نبي ورسول إلى أهل الأرض كما ثبت في حديث الشفاعة الذي =

﴿ ولکم فی الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين ﴾ فأباح تعالى الأشياء بقوله إنّها متاع لنا، ثُمَّ حَظَرَ ما شاء، وكلُّ ذلك كان بشرع. وكذلك إذ خلقه فی الجنة لم یترکه وقتاً من الدهر دون شرع، بل قال تعالى: ﴿ وَكُلّا مِنْها رِغداً حِثُّ شَتْمًا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظّالِمِینَ ﴾ [البقرة: ٣٥]، فلم یخلُ قطّ وقتٌ من الزمان عن أمرٍ أو نهی. [ص ٥٧ - ٥٨].

ثم تحدّث فی الجزء الخامس من کتابه [الإحكام فی أصول الأحكام] الباب الثالث والثلاثون - تحت عنوان [فی شرائع الأنبياء علیهم السلام قبل محمد ﷺ أیلزمنّا أتباعها ما لم تُنّه عنها أم لا یجوز لنا اتباع شيء منها أصلاً...] رادّاً علی مَنْ قال: «إنّ نوحاً بُعث إلى أهل الأرض کلهم»:

[فلیس فی إهلاك الله تعالى مَنْ أَهْلَكَ بالطوفان دلیل علی أن جمیعهم بُعث إلیهم نوح، بل نصّ القرآن مثبت أنّ نوحاً علیه السلام لم یُبعث إلى غیر قومه البتّة، بقوله تعالى: ﴿ إِنّا أَرْسَلنا نُوحاً إلی قومه ﴾، فَمَنْ ادّعی أن قومه كانوا جمیع أهل الأرض، فقد کذب وقفا ما لیس له به علم] وقد حرّم ذلك بقوله: ﴿ وَلَا تَقْفُ ما لیس لَکَ به علم ﴾ [الإسراء: ٣٦]، ولا فی النصّ أيضاً أنّ جمیع أهل الأرض هلكوا بالطوفان، لا فی القرآن ولا فی الحديث الصحيح، والله أعلم، ولا علم لنا إلاّ ما علّمنا، والقول بغير علم لا یستسهله فاضل، نعوذ بالله من الخذلان.

فإن تعلّق متعلّق بما حدّثناه عن أبي هريرة قال: [کنا مع النبی ﷺ فی دعوة، فَرُفِعَ إلیه الذراع وكانت تُعجبه، فَنَهَسَ مِنْها نهسة وقال: أنا سیّد الناس یوم القيامة، ثم ذکر صفة القيامة، وفیه أنّ الناس یأتون نوحاً فیقولون: «یا نوح

= رواه أنس بن مالک فی صحیح البخاری والذي یقول فیه آدم لأهل الموقف... «ولکن اتّوا نوحاً أول نبی بعثه الله إلى أهل الأرض» والإمام الشافعی یقول إذا ثبت الحديث فاضربوا بقولي عُرض الحائط!! [المؤلف]

أنت أول الرُّسل إلى أهل الأرض» وذكر باقي الحديث، قيل له وبالله تعالى التوفيق :
ليس لك في هذا حُجَّةُ لأنَّه لم يقل إلى جميع أهل الأرض، وبعض أهل
الأرض يقع عليه اسم الأرض وما كنَّا لنستجيز تخصيص هذا العموم لولا ما ذكرنا
قبل من رواية جابر وأبي هريرة وشهادتهما على رسول الله بأنَّ كل شيء قبله إنما
بُعِثَ إلى قومه خاصَّة، حاشاه عليه السلام، فإنه بُعِثَ إلى الناس كافَّة وفضل
على جميع الأنبياء بذلك.

وقد قال قوم: إنَّ آدم عليه السلام بُعِثَ إلى وَلَدِهِ، وهم أهل الأرض قاطبة
في وقتهم بلا شك قال أبو محمد: وهذا شغب لا يصحَّ، لأن الحديث الذي
ذكرنا يبطل هذه الدعوى، وقد أخبر عليه السلام في هذا الحديث أنَّ نوحاً أول
مَنْ بُعِثَ إلى أهل الأرض، وقد روي أنَّ شيئاً كان نبياً، وإذا كان ذلك فليس آدم
مبعوثاً إليه.

فإن قال قائل: ومن أين استجزت الاحتجاج في دفع بعث آدم إلى أهل
الأرض بنبوة شيء، ولم يأت في نصِّ صحيح ولا في إجماع، وأنت تنكر هذا
على غيرك؟

قال أبو محمد: فنقول وبالله تعالى التوفيق:

إنما قلنا ذلك، لأنه قد صحَّ بيقين أنه لم يُبعث قطَّ نبيٌّ إلى جميع الناس
حاشا محمداً ﷺ فَمَنْ قال إن آدم ونوحاً أو غيرهما بُعث إلى جميع الناس في
زمانه فهو كاذب ولا شك، مخالف لمحمد، مبطل لفضيلته، فلما صحَّ ذلك
عندنا، علمنا أن آدم لا يخلو من أحد وجهين ضرورة لا ثالث لهما: إمَّا أن
يكون معه نبيٌّ آخر لم يُبعث آدم إليه، أو يكون ولده لم يلزموا شريعة أبيهم آدم،
وقد يُنبأ المرء في مهده. كما نبَّى عيسى عليه السلام، فلعلَّه وَلَدَ لآدم ولدُ نبيٍّ
في حين خروجه إلى الدنيا، فلا يكون آدم مبعوثاً إليه والله أعلم.

إلا أن اليقين الذي لا شك فيه أن آدم لم يُبعث إلى جميع ناس عصره،
ولا ناس هنالك إلا امرأته وولده فقط، وبالله تعالى التوفيق.

وأما قوله ﷺ في الحديث الذي ذكرنا آنفاً «إن نوحاً أول الرُّسل إلى أهل الأرض» ولا شك في أن آدم رسول الله عز وجل، فإنَّ معناه عندنا والله أعلم!! أن رسالة آدم عليه السلام إنما كانت لأهل السماء قائلاً لهم عن الله عز وجل: ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ ومنبئاً لهم بأسمائهم، ومسلماً عليهم على ما جاء في القرآن والحديث الصحيح، وإنَّه لم يُبعث إلى أهل الأرض أصلاً!! وأن أولاده وامرأته أُوحي إليهم التوحيد، ثم بعث إلى كل طائفة نبيٍّ منها، ثم بعث نوح إلى قومه خاصة بشريعة، كما أخبر رسول الله ﷺ وأرسل إلى أهل الأرض بالعذاب العام لهم ولجميع الحيوان بلا شك، لا شريعة الزموها، فهذا موافق لما صحَّ في القرآن من خبره عليه السلام.

وكل ما أرسله تعالى فبلا شك أنه إنما أرسله بأمرٍ ما، هذا ما لا بدَّ منه، فوجب أن يُعرف بماذا أرسل إلى أهل الأرض؟ فلم نجده إلاَّ العذاب العام لكل من في الأرض ووجدنا النصَّ قد جاء بإرساله إلى قومه خاصَّة بشريعته، فصحَّ الأمر، والله الحمد.

وبهذا تتألف الأحاديث كلها والقرآن، وقد رويناه في هذا الحديث تأويلاً آخر:

عن قتادة والحكم، وهو ما حدَّثناه أحمد بن عمر العذري، ثنا أبو ذر عبد بن السرخسي قال: حدَّثنا إبراهيم بن خزيم، قال: ثنا عبد بن حميد، قال: حدَّثني يونس عن شيبان عن قتادة:

بُعِثَ نوح حين بُعِثَ الشريعة بتحليل الحلال وتحريم الحرام.

وبه إلى عبد قال: حدَّثنا أبو نعيم، حدَّثنا ابن أبي غنية عن الحكم: جاء نوح بالشريعة بتحريم الأخوات والأمهات والبنات.

قال أبو محمد:

فتأول هذان الإمامان أن نوحاً أول من بُعِثَ بالتحريم والتحليل، والذي يظهر إلينا، فالذي قدّمنا أولى.

٣- رأي الإمام الماوردي:

وقال الإمام الماوردي في كتابه (أعلام النبوة) ^(١) تحت عنوان: هبوط آدم إلى الأرض:

ولما هبط آدم إلى الأرض، قيل إنه أهبط إلى شرقي أرض الهند، وحواء بجدة، وإبليس على ساحل نهر الأبله،(*) والحيّة في البرية.

ثم قال:

« وكانت نبوة آدم مقصورة عليه، وما نزل عليه من الوحي متوجهاً إليه فكان من المصطفين دون المرسلين » [صفحة ٦١].

وأضاف:

« ثم قام بالأمر بعده شيث بن آدم، فبرع في الحكمة وفاق في علم النجوم بما أخذه عن أبيه آدم وبما استفاده بالتجربة بمرور الزمان ».

ثم تحدّث عن أولاد آدم فقال:

أولاد آدم: واختلف أهل الكتاب في نبوة شيث، فادّعاها بعضهم، وأنكرها آخرون منهم، وولد بعد مائتين وثلاثين سنة من عمر أبيه آدم، ومات وله تسعمائة واثنان عشرة سنة، فكان قيامه بالأمر بعد موت آدم مائتين واثنان عشرة سنة.

(١) أعلام النبوة، تأليف أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، الناشر دار إحياء العلوم - بيروت.

(*) نهر الأبله، يقع قرب البصرة في العراق.

واتفق أهل الكتاب أنه لم يكن بين شيث وإدريس نبيّ غير إدريس
... ثم قام بالأمر بعد يارد أخنوخ بن يارد وهو إدريس، وولد بعد مائتين
واثنتين وستين سنة من عمر يارد، وهو نبيّ على قول جميع أهل الملل.
واختلف أهل الكتاب هل هو أول الأنبياء، أو ثانيهم، فقال من زعم أن
شيثاً نبيّ هو ثاني الأنبياء.

وقال من زعم أن شيثاً ليس بنبيّ أن إدريس أول الأنبياء، وهو أول من
شرع الأحكام، وأول من اتخذ السلاح وجاهد في سبيل الله تعالى وسبى وقتل
بني قابيل ولبس الثياب، وكانوا يلبسون الجلود وأول من كتب الخطّ في قول
الأكثرين، وأول من وضع الأوزان والكُيول، ثم رفعه الله تعالى إليه حيّاً بعد
سبعمئة وخمس وثمانين سنة من عمره، أقام فيها داعياً وأبوه حيّ على ما يقتضيه
تاريخ هذه المواليد والأعمار المأخوذة من التوراة المنزلة!!

وقال ابن قتيبة: وسمي إدريس لكثرة ما كان يدرس من كتب الله تعالى
وسُنن الإسلام!!

ثم تحدّث عن نوح فقال:

نوح عليه السلام:

ثم كثر الناس فافترقوا بعد إدريس، وزادوا إلى زمن نوح بن لَمَك بن
متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس! وهو آخر نبيّ بُعث قبل الطوفان على قول من
زعم أن شيثاً نبيّ!! ثم قال في صفحة ٧٠:

«وذكر وهب بن منبه أن الأنبياء كلهم مائة ألف نبيّ، وأربعة وعشرون ألف
نبيّ: الرُّسل منهم ثلاثمائة نبيّ وخمسة عشر نبياً، منهم خمسة عبرانيون: آدم
وشيث وإدريس ونوح وإبراهيم، وخمسة من العرب: هود وصالح وإسماعيل
وشعيب ومحمد صلوات الله عليهم.

٤ - رأي الإمام ابن كثير:

تحدث الإمام إسماعيل بن كثير في كتابه^(١) تحت عنوان: ذكر الأحاديث الواردة في خلق آدم عليه السلام، فقال:

... وقد ذكر السُّدِّي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: فبعث الله عز وجل جبريل في الأرض ليأتيه بطين منها، فقالت الأرض: أعوذ بالله منك أن تنقص مني أو تشينني، فرجع ولم يأخذ، وقال: رب إنها عادت بك فأعذتها!

فبعث ميكائيل، فعادت منه، فأعادها، فرجع فقال كما قال جبريل. فبعث ملك الموت، فعادت منه، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره، فأخذ من وجه الأرض وخلطه، ولم يأخذ من مكان واحد، وأخذ من تربة بيضاء، وحمراء، وسوداء، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين! فصعد به، فبلّ التراب حتى عاد طيناً لازباً. واللازب: هو الذي يلزق بعضه ببعض، ثم قال للملائكة: ﴿إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي، فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾.

(١) قصص الأنبياء - لابن كثير - تحقيق وتعليق عبد القادر أحمد عطا - الناشر: المكتبة الإسلامية - بيروت - الطبعة الثانية: ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ (الجزء الأول).

فخلقه الله بيده لئلا يتكبر إبليس عنه، فخلقه بشراً، فكان جسداً من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة، فمرت به الملائكة ففرعوا منه لما رأوه، وكان أشدهم منه فرعاً إبليس، فكان يمرُّ به فيضربه، فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة، فذلك حين يقول: ﴿من صلصال كالفخار﴾، وقال للملائكة: لا ترهبوا من هذا، فإن ربكم صمد، وهذا أجوف، لئن سلطت عليه لأهلكته.

فلما بلغ الحين الذي يريد الله عز وجل أن ينفخ فيه الروح، قال للملائكة: إذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس، فقالت الملائكة: قل: الحمد لله، فقال: الحمد لله، فقال له الله: رحمك ربك، فلما دخلت الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخلت الروح في جوفه اشتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح إلى رجله عجلان إلى ثمار الجنة، وذلك حين يقول الله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ﴾ ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون. إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾، وذكر تمام القصة.

ثم قال المؤلف: «ولبعض هذا السياق شاهد من الأحاديث، وإن كان كثير منه متلقى من الإسرائيليات!!» [ص ٦٩ - ٧١].

وذكر المؤلف حديثاً عن الترمذي عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً^(١) من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال: أي رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلاً فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال:

(١) بريقاً.

أي ربّ من هؤلاء؟

قال: هؤلاء ذرّيتك.

فقال: أي ربّ: من هذا؟

قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذرّيتك يقال له داود.

قال: ربّ، وكم جعلت عمره؟

قال: ستّون سنة.

قال: أي ربّ زده من عمري أربعين سنة.

فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت، قال: أو لم يبق من عمري أربعون سنة؟

قال: أو لم تُعْطِها ابنك داود؟

قال: فجحد آدم، فجحدت ذرّيته، ونسي آدم، فنسيت ذرّيته، وخطيء آدم فخطئت ذرّيته!!

ثم قال الترمذي: حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ. ورواه الحاكم في مستدركه من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. [ص ٧٣].

وقال ابن كثير عن أولاد آدم:

وقد ذكر الإمام أبو جعفر بن جرير في تاريخه عن بعضهم: أن حواء ولدت لآدم أربعين ولداً في عشرين بطناً. قاله ابن إسحاق وسماههم. والله تعالى أعلم. وقيل: مائة وعشرين بطناً في كل واحد ذكر وأنثى، أولهم قابيل وأخته إقليما، وآخرهم عبد المغيث وأخته أم المغيث.

ثم قال:

وقد ذكر أهل التاريخ أن آدم عليه السلام لم يمت حتى رأى من ذرّيته

من أولاده وأولاد أولاده أربعمئة ألف نسمة^(*) والله أعلم. [ص ٩٢].

وقال تحت عنوان:

ذكر وفاة آدم ووصيته إلى ابنه شيث عليه السلام:

ومعنى شيث: هبة الله، وسمّياه بذلك لأنهما رزقاه بعد أن قتل هابيل.

قال أبو ذرّ في حديثه عن رسول الله: إن الله أنزل مائة صحيفة وأربع

صحف، على شيث خمسين صحيفة!

قال محمد بن إسحاق:

ولما حضرت آدم الوفاة عهد إلى ابنه شيث، وعلمه ساعات الليل

والنهار، وعلمه عبادات تلك الساعات وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك!

ولما توفي آدم عليه السلام - وكان ذلك يوم الجمعة - جاءته الملائكة

بحنوط، وكفن من عند الله عزّ وجل من الجنة، وعزّوا فيه ابنه ووصّيه شيثاً

عليه السلام، قال ابن إسحاق: وكسفت الشمس والقمر سبعة أيام

بلياليهنّ^(**)!!

وقد قال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثنا... عن يحيى - هو ابن

حمزة السعدي - قال: رأيت شيخاً بالمدينة يتكلم، فسألت عنه فقالوا: هذا

أبي بن كعب، فقال: إن آدم لما حضره الموت قال لبنيه: أي بني، إني

أشتهي من ثمار الجنة، قال: فذهبوا يطلبون له، فاستقبلتهم الملائكة،

ومعهم أكفانه وحنوطه، ومعهم الفؤوس والمساحي والمكاتل، فقالوا لهم:

(*) لاحظ الفرق بين عدد أولاد آدم حسب رأي ابن جرير الطبري ورأي ابن اسحاق ثم

رأي أهل التاريخ أن عدد أولاد آدم وأولاد أولاده أربعمئة ألف نسمة!! [المؤلف].

(**) ورد في الصحيحين عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال:

كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ يوم مات إبراهيم؛ فقال الناس: كسفت الشمس

لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: «إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا

لحياته، فإذا رأيتم فصلوا وادعوا الله». [المؤلف].

يا بني آدم ما تريدون وما تطلبون؟ أو ما تريدون وأين تطلبون؟

قالوا: أبونا مريض، واشتهى من ثمار الجنة.

فقالوا لهم: ارجعوا، فقد قضي أبوكم.

فجاءوا، فلما رأتهم حواء عرفتهم، فلاذت بآدم، فقال: إليك عني،
فإني إنما أتيت من قبلك، فخلني بيني وبين ملائكة ربي عز وجل. فقبضوه،
وغسلوه، وكفّنوه، وحنطوه، وحفروا له، ولحدوه، وصلّوا عليه، ثم أدخلوه
قبره، فوضعوه في قبره، ثم حثوا عليه، ثم قالوا: يا بني آدم، هذه ستّكم.
(إسناد صحيح إليه).

وروى ابن عساكر عن بعضهم أنه قال: رأسه عند مسجد إبراهيم
ورجله عند صخرة بيت المقدس!!

وقد ماتت بعده حواء بسنة واحدة! [ص ٩٧ - ٩٨].

وقال ابن كثير في الجزء الثاني [ص ٢٢٦] ناقلاً عن ابن سعد صاحب
الطبقات: وقال محمد بن سعد كاتب الواقدي:

أنبأنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قال:

أول نبيّ بعث إدريس، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم إسماعيل،
وإسحاق، ثم يعقوب، ثم يوسف، ثم لوط، ثم هود، ثم صالح، ثم
شعيب، ثم موسى، وهارون ابنا عمران، ثم إلياس النشبي بن العازر بن
هارون بن عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم هكذا
قال. وفي هذا الترتيب نظر(*).

ويتحدث الإمام ابن كثير عن قصّة نوح عليه السلام فيقول:

هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ - وهو إدريس - بن يارد بن

(*) لأن الله أرسل هوداً ثم صالح قبل إبراهيم عليه السلام [المؤلف].

مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام.
وكان مولده بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة، فيما ذكره
ابن جرير وغيره.

وعلى تاريخ أهل الكتاب المتقدم يكون بين مولد نوح وموت آدم مائة
وست وأربعون سنة، وكان بينهما عشرة قرون كما قال الحافظ ابن حبان في
صحيحه: حدثنا محمد بن عمر بن يوسف حدثنا محمد بن عبد الملك بن
زنجويه، حدثنا أبو توبة، حدثنا معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام،
سمعت أبا سلام، سمعت أبا أمامة: أن رجلاً قال يا رسول الله: أنبيى كان
آدم؟ قال: «نعم مكلم». قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: «عشرة
قرون». قلت: وهذا على شرط مسلم ولم يخرجه. وفي صحيح البخاري
عن ابن عباس، قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الإسلام.
ثم قال: وبالجمله فنوح عليه السلام، إنما بعثه الله تعالى لما عُبِدَت
الأصنام، والطواغيت، وشرع الناس في الضلالة والكفر، فبعثه الله رحمة
للعباد، فكان أول رسول بُعث إلى أهل الأرض، كما يقول أهل الموقف
يوم القيامة! [١٠٤ - ١٠٥].

ثم قال:

والمقصود أن الفساد لما انتشر في الأرض، وعمّ البلاد بعبادة
الأصنام فيها، بعث الله عبده ورسوله نوحاً عليه السلام، يدعو إلى عبادة الله
وحده لا شريك له، وينهى عن عبادة ما سواه.

فكان أول رسول بعثه إلى أهل الأرض، كما ثبت في الصحيحين من
حديث أبي حيان، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن أبي هريرة عن
النبي ﷺ في حديث الشفاعة، قال: «فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو
البشر، خلقتك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك،
وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى إلى ما نحن فيه وما بلغنا؟

فيقول: ربّي قد غضب غضباً شديداً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، ونهاني عن شجرة، فعصيت، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرُّسل إلى أهل الأرض، وسمّاك الله عبداً شكوراً، ألا ترى إلى ما نحن فيه... إلخ.

٥ - رأي أبي إسحاق الثعلبي النيسابوري :

في نبوة آدم وإدريس ونوح :

وقال العالم أبي إسحاق النيسابوري الثعلبي في كتابه^(١) الباب الثاني :
في خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته :

قال المفسرون بألفاظ مختلفة ومعانٍ متفقة :

... ثم أمر جبريل عليه السلام أن يأتيه بالقبضة البيضاء التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها ليخلق منها محمداً ﷺ، فهبط جبريل عليه السلام في ملائكة الفردوس المقربين الكروبيين وملائكة الصفح الأعلى، فقبض قبضة من موضع قبر النبي ﷺ! وهي يومئذ بيضاء نقيّة، فعجنت بماء التسليم ورعرت حتى صارت كالدرّة البيضاء، ثم غُمست في أنهار الجنة كلها، فلما خرجت من الأنهار نظر الحق سبحانه وتعالى إلى تلك الدرة الطاهرة، فانتفضت من خشية الله تعالى، فقطر منها مائة ألف قطرة وأربعة وعشرون ألف قطرة، فخلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة نبياً، فكل الأنبياء صلوات الله على نبينا وعليهم من نوره خلقوا ﷺ، ثم طيف بها في السماوات والأرض، فعرفت الملائكة حينئذ محمداً ﷺ قبل أن تعرف آدم، ثم عجنها بطينة آدم عليه السلام، ثم تركها أربعين سنة حتى صارت طيناً

(١) قصص الأنبياء المسمّى عرائس المجالس - تأليف أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري المعروف بالثعلبي، الطبعة الرابعة - دار الرائد العربي - بيروت - بدون تاريخ، [ص ٢٦ - ٢٧].

لازباً لينا، ثم تركها أربعين عاماً حتى صارت صلصالاً كالفخار، وهو الطين اليابس الذي إذا ضربته بيدك صلصل؛ أي صوت يُعلم أن أمره بالصنع والقدرة لا بالطبع والحيلة، فإن الطين اليابس لا ينقاد ولا يتأتى تصويره، ثم جعله جسداً وألقاه على طريق الملائكة التي تهبط إلى السماء وتصعد منه أربعين سنة، فذلك قوله ﴿هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ [الآية...]. قال ابن عباس: الإنسان آدم، والحين أربعون سنة، كان آدم جسداً ملقى على باب الجنة!

وتحت عنوان: [مجلس في ذكر نبي الله إدريس عليه السلام].
قال الله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً﴾.
قال أهل العلم بأخبار الماضين وقصص النبيين: هو إدريس بن يرد وقيل - ياريد - بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم، واسمه أخنوخ! وسمي إدريس لكثرة درسه الكتب، وصحف آدم و شيث... [ص ٤٩].

وتحت عنوان: [مجلس في قصة نوح عليه السلام]:
قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه﴾ [الآية...].

وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ بن قينان بن أنوش بن شيث عليه السلام وأمه قينوش بنت راكميل، وقيل بنت كابيل بن مخوئيل بن أخنوخ أرسله الله تعالى إلى ولد قابيل ومن تابعهم من ولد شيث. [ص ٥٤].

وتحت عنوان [ذكر فضائل نوح عليه السلام] قال المؤلف:
وهي خمس عشرة خصلة: لم يسم أحد من الأنبياء باسمه، وسمي بذلك لكثرة نوحه على نفسه، وكان أول نبي من أنبياء الشريعة، وأول داعٍ

من الله تعالى ، وأول نذير عن الشرك ، وأول من عذبت أمته لردّهم دعوته ، وأهلك أهل الأرض كلهم بدعائه . . . وكان عليه السلام أطول الأنبياء عمراً . وقيل له أكبر الأنبياء وشيخ المرسلين . وجعل معجزته في نفسه ، لأنه عمّر ألف سنة ، ولم ينقص له سنّ ، ولم ينقص له قوّة ، ولم يبلغ أحد من الرُّسل في الدعوة مثل ما بلغ ، وكان يدعو قومه ليلاً ونهاراً وإعلاناً وإسراراً ، ولم يلقَ نبيّ من أمته من الضرب والشتم وأنواع الأذى والجفاء ما لقي . . . وجعل ثاني المصطفى ﷺ في الميثاق والوحي قال الله تعالى : ﴿ وإذ أخذنا من النبيّين ميثاقهم ومنك ومن نوح ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيّين من بعده ، وفي البعث هو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة بعد محمد ﷺ ﴾ [ص ٦٠] .

*** . . ***

٦ - رأي السيد نعمة الله الجزائري الإمامي :

وتحدّث السيد نعمة الله الجزائري في كتابه^(١) عن آدم والأنبياء فيقول :

(الاختصاص للمفيد) عن عمر بن أبان عن بعضهم، قال :

كان خمسة من الأنبياء سريانيين : آدم، وشيث، وإدريس، ونوح، وإبراهيم. وكان لسان آدم العربية، وهو لسان أهل الجنة، فلما عصى ربّه أبدله السريانية، قال : وكان خمسة عبرانيين : إسحاق، ويعقوب، وموسى، وداود، وعيسى، وخمسة من العرب : هود، وصالح، وشعيب، وإسماعيل، ومحمد ﷺ، وملك الدنيا مؤمنان وكافران، فالمؤمنان : ذو القرنين وسليمان عليه السلام. وأما الكافران فنمرود بن كوش بن كنعان، وبخت نصر. ثم قال :

(أقول) نصر بوزن بقم، اسم صنم، وبخت يعني أولد لأنه وجد مطروحاً عنده فكأنه ابنه.

وروى الصدوق طاب ثراه في (إكمال الدين) حديثاً طويلاً، يسنده إلى الباقر عليه السلام وفيه :

أنّ آدم لما استكملت أيام نبوّته، أوحى الله سبحانه إليه أن يجعل العلم وميراث النبوة في ابنه هبة الله، وبشّر آدم بنوح، وكان بينهما عشرة

(١) النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين - نعمة الله الجزائري - الطبعة الثامنة - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م - منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان.

آباء، كلهم أنبياء! فلما مضت نبوة نوح عليه السلام، دَفَعَ ميراث العلم والنبوة إلى ابنه سام، وليس بعد سام إلا هود، فكان بين نوح وهود من الأنبياء مستخفون وغير مستخفين، ومن بعد هود انتهت النبوة إلى إبراهيم، وكان بين هود وإبراهيم من الأنبياء عشرة، - وذكر كلاماً طويلاً - ثم قال: فأرسل الله موسى وهارون إلى فرعون وهامان وقارون، وكان يُقتل في اليوم نبيان وثلاثة وأربعة، حتى أنه كان يُقتل في اليوم الواحد سبعون نبياً!! ويقوم سوق بقلهم آخر النهار!! [ص ٩ - ١٠].

وقال في بيان عصمة الأنبياء، وتأويل ما يوهم خلافه:

... وأما قوله عز وجل: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ فَإِنَّ الله عز وجل خلق آدم حجة في أرضه، وخليفة في بلاده، ولم يخلقه للجنة، وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض، لتتم مقادير أمر الله عز وجل. فلما أهبط إلى الأرض جعله حجة وخليفة، عُصِمَ بقوله: ﴿إِنَّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾.

ثم قال: «عيون الأخبار» مسنداً إلى علي بن الجهم، قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى عليه السلام، فقال له المأمون: يا ابن رسول الله: أليس من قولك إن الأنبياء معصومون؟ قال: بلى.

قال: فما معنى قول الله عز وجل: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾. فقال عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى قال لآدم عليه السلام: ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة، وكُلا منها رغداً حيث شئتما، ولا تقربا هذه الشجرة﴾، وأشار لهما إلى شجرة الحنطة، ﴿فتكونا من الظالمين﴾، ولم يقل لهما: لا تأكلا من هذه الشجرة، ولا مما كان من جنسها، فلم يقربا تلك الشجرة وإنما أكلا من غيرها لما أن وسوس الشيطان إليهما وأقسم لهما

﴿إني لكما لمن الناصحين﴾، ولم يكن آدم وحواء شاهداً قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً ﴿فدلاًهما بغرور﴾ فأكلا منها ثقة بيمينه بالله، وكان ذلك من آدم قبل النبوة، ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق به النار، وإنما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم. فلما اجتباه الله عز وجل وجعله نبياً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة، قال الله عز وجل: ﴿وعصى آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾، وقال تعالى: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾ [ص ١٧].

وقال في قصة آدم:

(وروي) أنه قيل لأبي عبد الله عليه السلام: لِمَ صار الطواف سبعة أشواط؟

قال: لأن الله تبارك وتعالى قال للملائكة: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾، فردوا على الله تبارك وتعالى وقالوا: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ وكان لا يحجبهم عن نوره، فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام، فلاذوا بالعرش سبعة آلاف فتاب عليهم، وجعل لهم البيت المعمور الذي في السماء الرابعة، ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور، فصار الطواف سبعة أشواط واجباً على العباد لكل ألف سنة شوطاً واحداً!! [ص ٣١ - ٣٢].

وقال:

(وروي الثقة علي بن إبراهيم) بإسناده إلى جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل، فنسي، ولم نجد له عزماً﴾، قال: عهد إليه في محمد والأئمة من بعده صلوات الله عليهم، فترك، ولم يكن له عزم فيهم أنهم هكذا، وإنما سموا أولي العزم لأنه عهد إليهم في محمد

وأوصيائه من بعده، والقائم عليه السلام وسيرته فأجمع عزمهم على ذلك والإقرار به!! [ص ٣٢].

ونقل عن أبي عبد الله قوله:

«لما بكى آدم صلوات الله عليه في الجنة، وكان رأسه في باب من أبواب السماء وكان يتأذى بالشمس، فحطّ من قامته»!!.

ونقل المؤلف من كتاب قصص الراوندي:

عن مقاتل بن سليمان قال: سألنا أبا عبد الله عليه السلام: كم كان طول آدم عليه السلام حين هبط به إلى الأرض؟ وكم كان طول حواء؟

قال: وجدنا في كتاب علي بن أبي طالب أن الله عزّ وجلّ لمّا أهبط آدم وزوجته حواء إلى الأرض، وكانت رجلاه على ثنية الصفا، ورأسه دون أفق السماء وأنه شكّا إلى الله ما يصيبه من حرّ الشمس، فصيرّ طوله سبعين ذراعاً بذراعه، وجعل طول حواء خمسة وثلاثين ذراعاً بذراعتها!! [ص ٣٥].

ونقل المؤلف عن الصوفية رأيهم في رفض سجود إبليس لآدم فقال:

واعلم أن جماعة من الصوفية قد شكروا لإبليس إباه عن السجود لادم، قالوا: إنه أراد اختصاص السجود بالله تعالى، فسّمّوه من أجل هذا سيّد الموحدين!! ثم قال: عليه وعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين! [ص ٤١].

ونقل المؤلف عن كتاب (معاني الآثار) بإسناده إلى الصادق عليه السلام قوله:

«لقد طاف آدم عليه السلام بالبيت مائة عام ما ينظر إلى وجه حواء، ولقد بكى على الجنة حتّى صار على خديّه مثل النهرين العظيمين من الدموع»!! [ص ٥١].

ثم قال: (وعنه) عليه السلام: البكاؤون خمسة:

آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد، وعلي بن الحسين عليهما السلام.

فأما آدم، فبكى للجنة حتى صار في خديه مثل الأودية. (وفي حديث آخر) «أنه بكى حتى خرج من إحدى عينيه من الدموع، مثل ماء دجلة ومن الأخرى ماء الفرات»!! [ص ٥٦].

ونقل المؤلف عن (العباشي) عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: «ما بكى أحد بكاء ثلاثة: آدم، ويوسف، وداود.

فقلت: ما بلغ بكاءهم؟

فقال: أما آدم عليه السلام، فبكى حين أُخرج من الجنة، وكان رأسه في باب من أبواب السماء، فبكى حتى تأذى به أهل السماء، فشكوا ذلك إلى الله فحطّ من قامته.

وأما داود، فإنه بكى حتى هاج العشب من دموعه، وكان ليُزفر فيحرق ما ينبت من دموعه.

وأما يوسف، فإنه كان يبكي على أبيه يعقوب وهو في السجن، فتأذى أهل السجن، فصالحهم على أن يبكي يوماً ويسكت يوماً»!! [ص ٥٩].

وتحدّث المؤلف في الفصل الرابع في تزويج آدم وحواء، وكيفية ابتداء النسل، وقصة قابيل وهابيل، فقال:

... عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام... ثم أنشأ يحدثنا كيف كان بدء النسل من آدم وذريته فقال: إن آدم صلوات الله عليه ولد له سبعون بطناً، في كل بطن غلام وجارية، إلى أن قُتل هابيل، فجزع آدم عليه جزعاً قطعته عن إتيان النساء خمسمائة عام!، ثم تخلّى عمّا به من الجزع عليه، فغشي حواء فوهب الله له شيئاً، وليس معه ثانٍ، فلما أدرك وأراد الله أن يبلغ بالنسل ما ترون، وأن يكون ما جرى به القلم تحريم ما

حرّم الله عزّ وجلّ من الأخوات على الإخوة أنزل بعد العصر في يوم الخميس حوراء من الجنة اسمها (نزلة) فأمر الله عزّ وجلّ أن يزوّجها من (شيث) فزوّجها منه، ثم أنزل بعد العصر من الغد حوراء من الجنة، اسمها (منزلة) فأمر الله عزّ وجلّ آدم أن يزوّجها من يافث، فزوّجها منه، فولد لشيث غلام، وولد ليافث جارية، فأمر الله عزّ وجلّ آدم حين أدركا أن يزوج بنت يافث من ابن شيث، ففعل ذلك، فولد الصفوة من النبيين والمرسلين، ومعاذ الله أن ذلك على ما قالوا من الإخوة والأخوات!

... ** ...

٧- رأي الأستاذ أحمد الصباحي في نبوة آدم:

ويقول الأستاذ أحمد الصباحي عوض الله في كتابه^(١) بعد أن أشار إلى شجرة الأنبياء: «والشجرة الطيبة - هي شجرة الأنبياء، أصلها: آدم أبو البشر، والنبي الأول، وقمّتها محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين» [ص ١٢ - ١٣].

ثم قال:

حينما أراد الله سبحانه خلق هذه الدنيا..
قبض قبضة من نوره، وقال لها: كوني محمداً.. فكانت.. ثم خلق
من نور محمد ﷺ أرواح الملائكة والنبیین وأرواح الخلق!
ثم خلق الأرض والسموات!

[ص ١٩].

وقال تحت عنوان (أخلاق الأنبياء):

«... والأنبياء جميعاً من آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام، كان دينهم لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، وكانت أخلاقهم مستمدة من روح الله وصفاته» [ص ٢٢].

وتحت عنوان: كيف خلق آدم، قال:

(١) حياة وأخلاق الأنبياء - أحمد الصباحي عوض الله - الناشر: دار اقرأ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

«في صحيح الترمذي بإسناد عن سيدنا رسول الله ﷺ في تفسير أول سورة البقرة: «أن الله خلق آدم بيده من قبضة قبضها من جميع الأرض من السهل والجبل والأسود والأبيض والأحمر، فجاءت الأولاد على ألوان الأرض».

وسأل عبد الله بن سلام رسول الله ﷺ كيف خُلِقَ آدم عليه السلام؟ فقال: خلق الله رأس آدم وجبهته من تراب الكعبة، وصدره وظهره من بيت المقدس، وفخذه من أرض اليمن، وساقيه من أرض مصر، وقدميه من أرض الحجاز، ويده اليمنى من أرض المشرق، ويده اليسرى من المغرب، ثم ألقاه على باب الجنة!! [ص ٥١].

وقال تحت عنوان «نزول آدم من الجنة»:

نزل آدم من الجنة عملاقاً كبيراً طوله ستون ذراعاً، وعرضه سبعة أذرع، بيده عصا، وعلى رأسه تاج من الجنة، وعندما هبط إلى الأرض جفّ التاج بعد نضارته، وقيل رواية عن النبي ﷺ: «حين نزل آدم من الجنة وهو مستور بورق الجنة، يبس هذا الورق، وتطايّر بأرض الهند، فامتلأت بالرائحة أشجار العود والصندل والمسك والعنبر والكافور»!! [ص ٥٣].

ثم قال تحت عنوان «ندم آدم»:

عندما هبط آدم إلى الأرض، ورأى التاج الذي نزل معه من الجنة على رأسه قد جفّ، ورأى ورق الجنة الرطب الذي كان يستره قد يبس وسقط عن جسده، وأنه أصبح عرياناً يتأذى من حرارة الطبيعة وبرودتها حزن حزناً شديداً وبكى.. قال شهر بن حوشب: بلغني أن آدم عليه السلام لما هبط إلى الأرض مكث ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه حياءً من الله تعالى!! وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة! ولم يأكلا ولم يشربا أربعين سنة!! ولم يقرب آدم حواء

مائة سنة!! فلما أراد الله أن يرحم عبده لقَّنه كلمات، قال بعض العلماء:
ألهمه الله أن يقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا، وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ
مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فتاب الله عليه وهداه، وأنزل عليه ثمانية أزواج: من الضَّانِّ
اثنين، ومن المَعِزِّ اثنين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، وأرسل إليه
جبريل ليعلمه شؤون الحياة، فأمره أن يذبح كبشاً، فذبحه، ثم أخذ صوفه،
فغزلته حوَّاء، ونسجه آدم، ثم صنع لنفسه منه جُبَّةً، ولحوَّاء خماراً!!
[٥٣ - ٥٤].

وقال المؤلف تحت عنوان (حياة آدم):

«منح الله آدم بسطة في الجسم والعلم والخلق ليتمكن من إقامة
الخلافة في الأرض، ومن عمارتها. فكان طوله ستين ذراعاً، وعرضه سبعة
أذرع، وكانت خطوة سيره واسعة وكبيرة مقدار مسيرة ثلاثة أيام!! فكان لا
يضع قدمه على أرض إلا أخصبت وزُرعت وأينعت وَرَخَتْ. ثم أنزل عليه
عشر صحف تحتوي على الدين والعلم والخير والخلق!!

ثم قال: عاش آدم ألف عام، ولم يمت حتَّى ولد له أربعون ألفاً من
البنين والبنات - كان أولهم قابيل وتوأمته إقليمان، وآخرهم عبد المغيث!
فكانت حوَّاء تلد في كل بطن ولداً وبنثاً ما عدا شيث، فجاء وحده ذكراً،
وقد منحه الله النبوة بعد أبيه آدم. ولتكاثر النسل أوحى الله إلى آدم أن يزوّج
كل فتى من فتيانه بتوامة أخيه - وبهذا أوعز آدم إلى أبنائه، فكان التزواج في
عصر آدم أن يتزوج الولد غير توأمته كأنهما من بطنين مختلفين، وإن كانت
الأم واحدة. [ص ٥٥].

وأخيراً قال المؤلف تحت عنوان (آدم والحكم الخلقى):

«ومن فضل الله ورحمته على الدنيا أن خلف الله آدم (الإنسان) وجعله
نبيّاً ورسولاً إلى زوجه وأولاده - فكانت دنيا فاضلة - حيث بدأ نهارها بأول
رسالة إلهية إلى الإنسان على يد أبي الإنسان آدم عليه السلام!

٨ - رأي فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود

في نبوة آدم عليه السلام:

يقول المؤلف في كتابه^(١) بعد أن ناقش حديث أبي ذر الطويل المعروف في عدد الرُّسل وعدد الأنبياء والذي يفرّق بين الرُّسل والأنبياء:

فهذا العدد بهذه الصفة، وبهذا التفريق يُبطله صريح القرآن الكريم في قوله سبحانه: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ، وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]، وهي سورة مدنية، فلا يمكن أن تُنسخ بمثل هذا الحديث الضعيف..

ثم قال: فالاشتغال بعدد الأنبياء، هو ما يشغل الأذهان ولا يزيد في الإيمان، وهو صريح لمخالفة ما أبهمه القرآن.

فلو طلبنا من المُجادلين بصحة ذلك تسمية ثلاثة أشخاص من الأنبياء، هم أنبياء، وليسوا برُّسل، لم يحيطوا علماً بمعرفتهم.

ثانياً: قوله في الحديث: «قلت يا رسول الله: مَنْ أول الرُّسل؟

قال: آدم. قلت: أنبيّ مُرسل؟ قال: نعم».

فهذا أيضاً مما يدل على عدم صحة الحديث: لأن القرآن لا يثبت

(١) الإيمان بالأنبياء بجملتهم وضعف حديث أبي ذر في عددهم - عبد الله بن زيد آل محمود - رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر - الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م - منشورات المكتب الإسلامي.

لآدم نبوة ولا رسالة، وما كان ربك نسياً. وإنما هو أبو البشر، يذنب فيتوب، يقول الله: ﴿وعصى آدم ربه فغوى. ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾^(١).

وأصح، وأصرح ما ورد في فضله هو قوله سبحانه: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾^(٢)، وليس فيها ما يدل على نبوته بالصرحة، لكون الاصطفاء افتعال من الصفوة، ولا يلزم أن تكون نبوة. يقول الله تعالى: ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾^(٣).

ومن المعلوم أن مريم ليست بنبيّة، وإنما هي امرأة صالحة من صفوة نساء العالمين. والصحيح أن أول الرسل نوح، وآخرهم محمد ﷺ وحتى آدم نفسه يعترف بأن أول الرسل نوح، كما في حديث الشفاعة الذي رواه أنس، وأنه يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيلهمون ذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، فأراحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم. أنت أبو البشر، خلقتك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا إلى ربك، حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول لهم آدم: لست هناك، ويذكر ذنبه الذي أصاب، فيستحي من ربه - عز وجل - ويقول: ولكن اتوا نوحاً، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض. رواه البخاري. وهذا الحديث قاطع للنزاع، ويُعيد الخلاف إلى مواقع الإجماع ثم إن القائلين بنبوة آدم، ليس عندهم دليل سوى محض الظن والتخمين، يقولون: إنه لا يمكن أن يبقى آدم وذريته في حياتهم بدون وحي

(١) سورة طه: ١٢١ - ١٢٢.

(٢) سورة آل عمران: ٣٣.

(٣) سورة آل عمران: ٤٢.

ينظم أحوالهم ويبيّن لهم فرائضهم، وأحكامهم، ويستدلّون بقوله سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾^(١). وهذا التعليم، وهذا العرض، إنما هو للأرواح قبل خلق آدم، فلا حجة فيه، ولن ننسى في هذا الحديث الوارد في عرض الأرواح على ضعفه، وهو أن الله سبحانه عرض على آدم ذريته كالذرّ، فرأى رجلاً هو أضوأهم، قال: يا رب، من هذا؟ قال: هذا ابنك داود. قال: يا رب، كم عمره؟ قال: ستون سنة. قال: يا رب، زده من عمري أربعين سنة. ثم إنها مضت الأيام والليالي، فلما انتهى عمر آدم، وحان الحين لقبض أجله، جاءه ملك الموت لقبض روحه، فقال له آدم: إنك استعجلت عليّ وإنني أعدّ الأيام والليالي، وقد بقي من عمري أربعون سنة. فقال: إنك وهبتها لابنك داود، فجحد أن يكون وهبها له. قال: فجحد آدم، وجحدت ذريته، ونسي، فنسيت ذريته، فمن ثم أمر الله بالكتابة والشهود، ثم إن الناس من لدن خلق آدم وهم يولدون على الفطرة التي هي معرفة الخير ومحبة. فيلهمون فعل ما ينفعهم، واجتناب ما يضرهم، وقد يذنبون، فيتوبون وقد لا يتوبون. كما في حادثة ابني آدم، حين قتل أحدهما أخاه ولم يهتد إلى كيفية دفنه، حتى دلّه غراب يبحث في الأرض، ليريه كيف يواري سوءة أخيه، وكان هذا أول قتيل دفن في الأرض، ولهذا ورد: «ما قتل قتيل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سنّ القتل».

[رواه الإمام أحمد]

وكما يوجد في زماننا هذا أمم من الناس لم تبلغهم الدعوة، ولا الشريعة، فيعيشون متعاشرين متعاملين، ويوصفون بأنهم ممّن لم تبلغهم الدعوة، كحالة زمان الفترة. والله سبحانه، بحكمته وعدله، لا يعذب أمة حتى يبعث إليها رسولاً فيعصون أمره. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾^(٢).

(١) سورة البقرة: ٣١٠.

(٢) سورة الإسراء: ١٥.

وأما قول بعضهم: إن نبيّ الله إدريس، كان قبل نوح، كما أشار إليه العلامة ابن كثير في التفسير، فهذا قول لا حظّ له من الدليل، ويخالف نصوص القرآن والسنة.

وقد قال بعض العلماء: إن إدريس من أنبياء بني إسرائيل، وهذا أقرب إلى المعقول والمنقول.

ويقول الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود في رسالته (عقيدة الإسلام والمسلمين)^(١)، يقول الله سبحانه:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٢)، وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣)، وقال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٤)، وهو دين سائر الأنبياء، أولهم نوح وخاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام يقول الله:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ (أي يا محمد) وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ، كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾^(٥).

(١) عقيدة الإسلام والمسلمين، رسالة منشورة في الجزء الثاني (من مجموعة رسائل) للمؤلف، نشرها المكتب الإسلامي في بيروت [ص ١٩١ - ٢١٤].

(٢) آل عمران : ١٩ .

(٣) آل عمران : ٨٥ .

(٤) المائدة : ٣ .

(٥) الشورى : ١٣ .

٩- رأي الدكتورة بنت الشاطيء:

تحدثت الكاتبة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) أستاذة التفسير والدراسات العليا بكلية الشريعة بفاس - جامعة القرويين عن (القرآن والتاريخ)^(١) وعن آدم وحواء وأول رسول بعثه الله تعالى في الناس (نوح عليه السلام) فقالت:

إيماننا بما في القرآن عن الرُّسلِ وأقوامهم هو التصديق بهم وبما أنزل إليهم من ربهم ﴿ لا نفرّق بين أحد من رُسُلِهِ ﴾ وذلك من أصول العقيدة الإسلامية، مع المقرر من اختصاص كل أمة برسولها وكتابها وشرعتها ومنهاجها. قال عزّ وجل: ﴿ لكلّ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً، ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدة... ﴾ [الآية...]. ثم قالت:

من أقدم تاريخ البشرية، نتلو الآيات في أبينا آدم عليه السلام، الإنسان الأول، قال تعالى: ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً. وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى. فقلنا يا آدم إن هذا عدوّ لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى. إن لك ألاّ تجوع فيها ولا تعرى. وأنت لا تظمأ فيها ولا تضحى. فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى. فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، وعصى آدم

(١) مقال نشر بجريدة الاتحاد الظبانية - دولة الإمارات العربية المتحدة - ١٩٨٨/٤/١٩.

ربه فغوى. ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى. قال اهبطا منها جميعاً. ﴿[الآيات...]

ليس فيها ذكر لعمر أبويننا، وزمن خلقهما، وتعيين شجرة الخلد، وشجر الجنة، وطريقة الهبوط وزمانه ومكانه..

التركيز على العبرة بما جاز على الإنسان الأول، أبي البشر، من فتنة وغواية بما وسوس إبليس إليه، وليس إلى حواء التي اشتهر فينا وذاع وملاً الأسماع، أن إبليس تذرّع بها إلى إغواء آدم، فما زالت به حتى أغرته بالمعصية وكانت هي السبب في إخراجهم من الجنة!

والعبرة في أن (أكلا منها) كلاهما، فحق على كلّ منهما جزاء فعله. فهبطا من الجنة جميعاً لتبدأ حياة البشر على الأرض. مستخلفاً فيها كما تقرر في قديم علمه عزّ وجل وبمشيئته، قال عزّ وجل: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾.

ولنعبر، نحن بني آدم، بما كان، لتتقي مثل ما جاز على أبويننا من تعرّض لوسوسة الشيطان وفتنة الغواية والاستهواء.

﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة...﴾ [الآية...]

وأول رسول بعثه الله تعالى في الناس «نوح عليه السلام» نتلو الآيات البيّنات فيه وفي قومه وابنه وامراته، وفي السفينة والطوفان... لا تتعلق من الأزمنة إلا بطول مكثه عليه السلام فيهم، دون توقيت لأزمة مولده وظهوره ومبعثه، أو تعيين الأمكنة وتحديد الأعمار... ونحو ذلك مسمّاه لا يدخل في عموم قوله تعالى، عبرة للعالمين في كل زمان ومكان: ﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين﴾.

١٠ - رأي الأستاذ آدم عبد الله الألوري في نبوة آدم:

تحدث المؤلف في كتابه^(١) تحت عنوان: نبوة آدم ورسالته، فقال: «يقول الأستاذ عبد الوهاب النجار في كتابه (قصص الأنبياء): إن القرآن لم يذكر لفظ النبوة بإزاء آدم كما ذكر ذلك بإزاء غيره من الأنبياء، ولكن ذكر أنه خاطبه بلا واسطة، وشرع له في ذلك الخطاب، فأمره ونهاه وأحل له وحرم عليه دون أن يرسل له رسولاً، وهذا كل معاني النبوة، أما رسالته فالأمر فيها مختلف فيه.

(قلت): إن القرآن نظم آدم في سلك الرُّسل إذ أطلق عليه كلمة اصطفي في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾ ولا يُطلق القرآن هذه الكلمة إلا على المرسلين!

ثم إن الله أرسله بشرع لأبنائه، من ذلك نظام التزويج والقربان، فقرأ قوله تعالى: ﴿وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾... إلخ. فإذا لم يكن له شرع فمن أين وجدوا القربان؟ وإذا لم يكن نبياً رسولاً، فكيف كان له شرع وقد نزلت عليه الصحف؟!.

وفي الحديث أن الله أنزل عليه عشر صحائف. أمّا حديث الشفاعة فلا ينهض دليلاً لردّ رسالته وبدء الرسالة من نوح! فقد أرسل الله آدم وشيثاً وإدريس قبل نوح.. إنما يكون نوح أول الرُّسل بعد الطوفان!! [ص ٩٩ - ١٠٠].

(١) فلسفة النبوة والأنبياء في ضوء القرآن والسنة - آدم عبد الله الألوري - الطبعة الأولى - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، توزيع مكتبة وهبة - القاهرة.

١١ - رأي الشيخ عبد الرحمن حسن حنكة الميداني :

وتحدّث الشيخ عبد الرحمن حسن حنكة الميداني في كتابه^(١) (عن عصمة الأنبياء) قال تحت عنوان :

عصمة الأنبياء قبل النبوة :

إنَّ النبيَّ قبل اصطِفائه بالنبوة على وجهين، فهو :

- إما أن يكون لم يكلف بعد مطلقاً بشرع ما، فالعصمة في حقّه غير ذات موضوع، لأنَّ المعاصي والمخالفات إنما تُتصوّر بعد ورود الشرع والتكليف به، والمفروض أنه لم يكلف، فلا مجال لبحث العصمة أو عدمها، لأنَّ الدّمة خالية من التكليف!

لكن علو نظرة الرسول وصفاء نفسه، وسموّ روحه وصحّة عقله، تقتضي أن يكون أنموذجاً رفيعاً بين قومه، في أخلاقه ومعاملاته وأمانته، وفي بعده عن ارتكاب القبائح التي تنفر منها العقول السليمة والطباع المستقيمة.

٢ - وإما أن يكون قد كلف بشرع رسول سابق، كسيدنا لوط عليه السلام حينما كان تابِعاً قبل نبوّته لعمّه إبراهيم عليه السلام، وكأنبياء بني إسرائيل من بعد موسى قبل أن يوحى إليهم بالنبوة.

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها: عبد الرحمن حسن حنكة الميداني، الطبعة الثانية: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - الناشر: دار القلم، دمشق - بيروت.

ما جاء في النصوص الشرعية من معاصي الأنبياء:

وأما ما جاء في النصوص الشرعية القاطعة من معاصي الأنبياء ومخالفاتهم، فهو محمول على أحد وجهين:

الوجه الأول: أن المعصية الثابتة في حق النبي قد وقعت منه قبل نبوته. وذلك كمعصية آدم بأكله من الشجرة التي نهاه الله عن أن يأكل منها، وقد أثبت الله عصيانه بقوله تعالى في سورة طه: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴿﴾.

قال الشيخ أبو بكر بن فورك وغيره: إن الله تعالى ذكر أن الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان، وهذا يدل على أن المعصية كانت قبل النبوة^(١)!

الوجه الثاني: أن المعصية التي يوهم ظاهر النص نسبتها إلى الرسول ليست هي في واقع الحال معصية، وإنما هي:

أ - إما خطأ في اجتهاد مأذون به، ثم أرشد الله رسوله إلى ما هو أتم وأكمل، وذلك كقصة فداء أسرى بدر بالنسبة إلى سيدنا محمد صلوات الله عليه.

ب - وإما اختيار للمفضول من أمرين مباحين، ثم جاء الإرشاد الإلهي إلى أن الأمر الثاني أفضل، وأكثر تحقيقاً للمصلحة. [ص ٣٨٤ - ٣٨٦].

وتحدث فضيلة الشيخ عبد الرحمن حبنكة عن نبوة آدم ورسالته^(٢) فقال:

... ولما كان البشر بحسب تكوينهم عرضة للتأثر بشهوات النفس ووساوس الشياطين، الأمر الذي يُفضي بهم إلى الشر والضرر والظلم، فيكونون مفسدين ظالمين في الأرض.

(١) انظر «الشفاء» للقاضي عياض، الجزء الثاني: [ص ١٦٢].

(٢) تحت عنوان (موجز تاريخ الرسل عليهم الصلاة والسلام) [ص ٤١٢].

ولما كانت حكمة الله ورحمته، تقتضي تدارك هذا النوع الإنساني بتنبيهه إلى الخير والشر، وتعريفه بالحق والباطل، كما تقتضي أن تحبب إليه الفضيلة، وتكره إليه الرذيلة، وأن تهديه إلى سلوك سبيل الحق والخير والكمال. ليتم بذلك ابتلاؤه واختباره، ووضعه في ظروف الامتحان الملائمة للمنح التي وهبه الله إياها..

من أجل كل ذلك... فقد تدارك الله سبحانه هذا النوع منذ نشأته الأولى إلى الأرض بأن جعل أباه آدم رسولاً!! فأتاه الهدى والحكمة، وأنزل عليه أسس شريعة الله للبشر من عقيدة وعبادة وتعامل بين الناس.

ومنذ أخرج الله آدم وزوجه من الجنة، نبهه إلى مهمة الرسالة التي سيحتبئها لها، ويأمره بتبليغها إلى ذريته، قال تعالى في حكاية ذلك في سورة البقرة:

﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً، فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة: ٣٨].
وأضاف:

وقضى آدم في الأرض فترة استغفار وإنابة، فتاب الله عليه، ثم اجتباها بالرسالة وهداه، قال الله تعالى في سورة طه: ﴿ ثم اجتباها ربُّه فتاب عليه وهدى ﴾، وكان آدم عليه السلام رسولاً إلى ذريته!!

ثم قال:

ثم إنه لم يرد نصّ قاطع عن الرسول ﷺ في حصر عدد الرُّسل الذين أرسلهم الله إلى البشر، ولا في حصر عدد الأنبياء، ولذلك فنحن أتباعاً للنصوص القاطعة من قرآن وسنة، يجب علينا أن نؤمن إجمالاً بجميع الأنبياء والرُّسل عليهم السلام، مَنْ عرفنا منهم وَمَنْ لم نعرف، ولكن الحقيقة المعلن عنها في القرآن الكريم.

وقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ أن عدد الرُّسل (٣١٥) رسولاً،
وأن مجموع الأنبياء والرُّسل (١٢٤) ألفاً.

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال:
يا رسول الله: أيّ الأنبياء كان أوّل؟
قال: «آدم».

قلت: يا رسول الله: ونبيّاً كان؟
قال: «نعم، نبيّ مكّلم».

قلت: يا رسول الله: كم المرسلون؟
قال: «ثلاثمائة وبضعة عشر جمّاً غفيراً».

وفي رواية عن أبي أمامة: قال أبو ذر:
«قلت يا رسول الله: كم وفاء عدّة الأنبياء؟»
قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً..
الرُّسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمّاً غفيراً».

وقال المؤلف تحت عنوان:

مَنْ يجب علينا الإيمان بهم من الرُّسل تفصيلاً:
ويجب علينا أن نؤمن تفصيلاً بخمسة وعشرين رسولاً، سمّاهم الله
في قرآنه، وقصّ علينا قصصهم. أولهم آدم عليه السلام، وآخرهم
محمد ﷺ.

ثم ذكر الآيات الدالّة على رسالة هؤلاء الرُّسل فذكر آيات [الأنعام:
٨٣-٨٦].

﴿وتلك حجّتنا آتينها إبراهيم على قومه، نرفع درجاتٍ مَنْ نشاء، إِنَّ
رَبَّكَ حكيمٌ عليمٌ * ووهبنا له إسحاق ويعقوب، كلّاً هدينا، ونوحاً هدينا من

قبل، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون، وكذلك
نجزي المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس، كلٌ من الصالحين *
وإسماعيل وإليسع ويونس ولوطاً، وكلّاً فضّلنا على العالمين * .
وقال في سورة هود:

﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً ﴾ [هود: ٥٠].

﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً ﴾ [هود: ٦١].

﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً ﴾ [هود: ٨٤].

وقال في سورة الأنبياء ٨٥ :

﴿ وإسماعيل وإدريس وذا الكفل، كلٌ من الصابرين ﴾^(١).

ثم قال:

وفيما يلي إيضاح لرسالاتهم، وعرض لموجز حياتهم عليهم الصلاة
والسلام:

١ - آدم أبو البشر عليه السلام:

وهو أول الرُّسل عليهم السلام، ودليل رسالته من القرآن الكريم ما
جاء في الآيتين السابقتين:

أ - قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ فَإِذَا يَأْتِيَكُم مِّنِّي هَدًى ﴾ .

ففي هذا وعد بالهدى من الله تعالى، وإشعار بالرسالة! (*) .

ب - وقوله تعالى في آية طه: ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ ﴾ .

(١) وفي هذه الآيات يكون مجموع الرُّسل: ٢٣، يضاف إليهم رسول الله وخاتم النبيين
﴿إِنَّكَ لَمِنَ المرسلين﴾، أما آدم فلم يذكر المؤلف الآية التي تدل على نبوته ورسالته،
ولم يذكر آية الاصطفاء ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا﴾ [المؤلف] .

(*) استند الشيخ عبد الرحمن حسن حبّكة إلى أولية رسالة آدم عليه السلام، وإلى دليل هذه =

والظاهر أن اجتباء الله بعد المعصية وتوبة الله عليه، إنما هو اصطفاء الله إياه بالرسالة!! وأضاف: كما يدلُّ على رسالته عموم قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾.

= الرسالة من قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ وشرحه لهذه الآية: «... ففي هذا وعدٌ بالهدى من الله تعالى وإشعار بالرسالة!!».

والمتمائل إلى قصة آدم عليه السلام التي تكررت في عدة سور من القرآن الكريم بالإضافة إلى سورة البقرة كسورة الأعراف... والحجر... والكهف... وطه... وسورة ص، يلاحظ ختام قصة آدم بالوصية لآدم وزوجه ولذريتهما أي أن الخطاب ليس قاصراً على آدم فقط حتى يقول الشيخ حبنكة: ففي هذا وعد بالهدى من الله وإشعار بالرسالة وإنما الخطاب لآدم وزوجه ولذريتهما، ولنتأمل معاً نهاية قصة آدم عليه السلام كما جاءت في سورة البقرة... وطه... والأعراف...

ففي سورة البقرة:

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا،

فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى،

— فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ *

— وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿

وفي سورة طه:

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ،

فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى،

— فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ... فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى *

— وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي (هدايتي) فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا، ونحشره يوم القيامة أعمى * قال:

رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا؟ (أي في الدنيا).

قال: كذلك أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا (أي أهملتها) وكذلك اليوم تُنْسَى ﴿

أما في سورة الأعراف، فكان ختام قصة آدم قوله تعالى:

﴿قَالَ: اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ،

وقد كان أولاد آدم أمة!! تتطلب رسالة ربّانية، وأخرى الناس بأن يكون رسولا لأول أمة إنسانية إنما هو آدم أبو البشر المكلّم من قبل الله تعالى.

ولذلك نرى اتفاق علماء المسلمين على نبوته ورسالته!!

= ولكم في الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين *
قال : فيها تحيون، وفيها تموتون، ومنها تُخرجون * .
والى هنا انتهت قصة آدم وزوجه، وبدأت التوجيهات الربانية لبني آدم :
﴿ يا بني آدم : قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم، وريشاً، ولباس التقوى ذلك خير،
ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون *
يا بني آدم : لا يفتننكُم الشيطانُ كما أخرج أبويكم من الجنة،
ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما،
إنه يراكم هو وقبيله، من حيث لا ترونهم، إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون * ﴾ .
[الأعراف : ١٩ - ٢٧]
﴿ يا بني آدم : خذوا زينتكم عند كل مسجد، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا، إنه لا يحب
المُسرفين ﴾ .
[الأعراف : ٣١]
وكانت خاتمة الوصايا لبني آدم مشابهة للوصايا التي كانت لآدم وزوجه ولذرّيتهما، مع
الإشارة إلى أن الرسل سيكونون من ذرية آدم دون الإشارة إلى آدم :
﴿ يا بني آدم : إنا يأتينكم رُسُل منكم، يقصّون عليكم آياتي،
— فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون *
— والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾
[الأعراف : ٣٥ - ٣٦]

*** . . . ***

١٢ - رأي الأستاذ محمد علي الصابوني :

وقال الأستاذ محمد علي الصابوني في كتابه^(١) تحت عنوان :

النبوة خاصة بالرجال ولا تكون للنساء أبداً^(٢) :

والحكمة من تخصيص الرجال بالنبوة دون النساء أن النبوة عبء ثقل، وتكليف شاق لا تتحمله طبيعة المرأة الضعيفة، لأنه يحتاج إلى مجاهدة ومصابرة، ولهذا كان جميع الرُّسل في محنة قاسية مع أقوامهم، وابتلوا ابتلاءً شديداً في سبيل تبليغ دعوة الله ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرُّسل﴾، والدليل على أن النبوة خاصة بالرجال قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾. قال في الجوهرة:

«وما كانت نبياً قطُّ أنثى ولا عبداً قبيحاً في الفعال»

ثم قال:

النبوة لها ميدان واسع، وغرض نبيل، وهدف من أسمى الأهداف

(١) النبوة والأنبياء - محمد علي الصابوني - الطبعة الثانية، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
(٢) ما يقوله بعضهم أن النبوة قد تكون في النساء مستندلاً بقوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾ الآية، فإنه استدلال خاطيء، لأن الوحي ليس بإنزال ملك، وإنما هو بطريق (الإلهام) فقد أخبر تعالى أنه أوحى إلى النحل ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً﴾ فهل يصح أن نقول أن النحل قد نبأه الله تعالى؟.

ودعوتها الأساسية إنما هي الدعوة إلى (الإيمان بالله) والدعوة إلى (الإيمان بالآخرة).

ثم تحدّث عن بعثة الأنبياء، فقال:

بعثة الأنبياء: من رحمة الله تبارك وتعالى بعباده.. ومن جميل لطفه بهم وإحسانه إليهم أن بعث إليهم الأنبياء والمرسلين مبشرين ومنذرين، ليكونوا منارات للهدى، وأعلاماً للفضيلة ونجوماً زاهرة في سماء الإنسانية... [ص ١٨].

ثم تحدّث عن تعريف (العصمة) لغةً وشرعاً فقال:

تعريف العصمة:

العصمة في اللغة معناها: المنع، يقال عصمته عن الطعام أي منعه عن تناوله، وعصمته عن الكذب أي منعه منه، ومنه قوله تعالى: ﴿قال: سأوي إلى جبل يعصمني من الماء﴾، أي يمنعي من الغرق. وقوله تعالى: ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾، أي امتنع امتناعاً شديداً.

قال القرطبي: وسمّيت العصمة عصمة لأنها تمنع من ارتكاب المعصية.

وأما في الشرع: فالعصمة هي: حفظ الله لأنبيائه ورُسُلِهِ عن الوقوع في الذنوب والمعاصي. [ص ٤٩ - ٥٠].

ثم تحدّث عن عصمة الأنبياء فقال:

هل العصمة قبل النبوة أم بعدها؟ وقد اختلف العلماء في (عصمة الأنبياء)، هل هي قبل النبوة أم بعدها؟ وهل تكون العصمة عن الكبائر فقط أم عن الكبائر والصغائر من الذنوب؟

فذهب بعضهم إلى أن العصمة ثابتة لهم قبل النبوة، وبعدها، وذلك لأن السلوك الشخصي - ولو قبل النبوة - يؤثر على مستقبل الدعوة للنبي، فلا بدّ إلا وأن يكون إذاً من ذوي السيرة العطرة، والصفاء النفسي حتى لا يكون ثمة مطعن في رسالته ودعوته... فلا بدّ إذاً أن يكونوا معصومين ومحفوظين قبل النبوة وبعدها.

وأما الفريق الآخر: فقد ذهبوا إلى أن (عصمة الأنبياء) إنما تكون بعد النبوة، وتكون من الصغائر والكبائر معاً، لأن البشر ليسوا مأمورين باتباعهم قبل النبوة. [ص ٥٣]:

فالاتّباع والاقتداء إنما يكون بعد نزول الوحي عليهم. وبعد تشریفهم بحمل الرسالة والأمانة، وإنما قبلها فإنما هم كسائر البشر، ومع ذلك فإن سيرتهم تأبى عليهم الوقوع في المعاصي والآثام، أو الانجراف في طريق الفاحشة والرذيلة، فإنهم ولو كانوا قبل النبوة غير معصومين، لكنهم محفوظون بالعناية والفطرة.

جاء في كتاب (العقيدة الإسلامية وأسسها) ما نصّه: إن النبي قبل اصطفاؤه بالنبوة على وجهين:

١ - فهو إما أن يكون لم يكلف بعد مطلقاً بشرع، فالعصمة في حقّه غير ذات موضوع، لأن المعاصي والمخالفات بعد ورود الشرع والتكليف به، والمفروض أنه لم يكلف، فلا مجال لبحث العصمة أو عدمها، لأن الدّمة خالية من التكليف.

لكن علوّ فطرة الرسول، وصفاء نفسه، وسموّ روحه، وصحة عقله تقتضي أن يكون أنموذجاً رفيعاً بين قومه، في أخلاقه، ومعاملاته، وأمانته، وفي بُعده عن ارتكاب القبائح، التي تنفر منها العقول السليمة والطباع المستقيمة.

٢ - وإما أن يكون قد كلف بشرع رسول سابق، كسيدنا لوط عليه السلام حينما كان تابعاً - قبل نبوته - لعمّه إبراهيم عليه السلام أو كأنبيا بني إسرائيل من بعد موسى قبل أن يوحى إليهم بالنبوة، وفي هذه الحالة لم يثبت في عصمة النبي فيها دليل قاطع، لا عن الكبائر، ولا عن الصغائر، لكن سيرة الأنبياء التي أثرت عنهم قبل نبوتهم تشهد بأنهم من أبعد الناس عن المعاصي كبائرهم وصغائرهم.

... والصحيح الذي عليه المعول من أقوال العلماء هو: أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون عن المعاصي (الصغائر والكبائر) بعد النبوة باتفاق. وأما قبل النبوة فيحتمل أن تقع منهم بعض المخالفات اليسيرة التي لا تخل بالمروءة ولا تقدح بالكرامة والشرف.

وأما الدليل على أن الرسل الكرام مأمورون بتبليغ الرسالة، وأنهم يختلفون عن الأنبياء في هذه النقطة بالذات، فهو النص القرآني الكريم وهو قوله تعالى: ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه، ولا يخشون أحداً إلا الله، وكفى بالله حسيباً﴾، وقوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس، إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾.

ثم تحدث عن نبوة آدم فقال تحت عنوان:

هل آدم من الأنبياء؟

من المقطوع به أن (آدم) عليه السلام من الأنبياء، وهو رأي جمهور العلماء لم يخالف فيه أحد! وإنما الخلاف هل هو رسول أم لا؟ ولمن أرسل؟ أما الأدلة على نبوته فقد وردت في الكتاب والسنة... ولكنها في القرآن الكريم لم تكن صريحة، فلم يذكر لفظ النبوة بإزاء آدم كما ذكر ذلك

بإزاء غيره من الأنبياء الكرام كإبراهيم، وإسماعيل، وموسى، وعيسى، وغيرهم من الأنبياء، ولكن ذكر أنه خاطبه بلا واسطة، وشرع له في ذلك الخطاب فأمره ونهاه، وأحلّ له وحرّم عليه بدون أن يرسل إليه رسولاً، وهذا هو معنى النبوة، كما أسلفنا.

وأما رسالته، فالأمر فيها مختلف فيه، فيرى بعض العلماء أنه رسول، وأنه أرسل إلى ذريته، ويرى الآخرون أنه لم يكن رسولاً وإنما كان نبياً، ويستدل هؤلاء بحديث الشفاعة الوارد في صحيح مسلم أن الناس يذهبون إلى نوح ويقولون له: (أنت أول رُسُل الله إلى الأرض) فلو كان آدم رسولاً لما ساغ هذا القول. والقائلون برسالة آدم يؤولون ذلك بأنه أول رسول بعد الطوفان، والله أعلم بحقيقة الأمر، والرأي الأرجح أنه من الرُسُل!

أما الأدلة على نبوته فهي:

١ - آية الاصطفاء.

٢ - قوله تعالى: ﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً، فإما يأتينكم مني

هدى﴾.

٣ - قوله تعالى: ﴿ثم اجتباه ربّه فتاب عليه وهدى﴾.

ثم قال: والظاهر أن اجتباء الله له وتوبة الله عليه، إنما هو اصطفاء الله إياه بالنبوة والرسالة!

وقد ورد في السنة النبوية ما يدلّ على نبوته صراحة وذلك في حديثين:

الأول: عن أبي سعيد الخدري (. . . أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وببيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبيّ يومئذ آدم فمّن سواه إلاّ تحت لوائي . . .).

الثاني: عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال:

قلت: يا رسول الله: أي الأنبياء كان أول؟

قال: «آدم».

قلت: يا رسول الله: ونبياً كان؟

قال: «نعم نبيٌّ مكلّم...» إلخ.

وأضاف:

لهذه الأدلة نرى علماء المسلمين متفقين على نبوّته، لم يخالف في ذلك أحد، والله أعلم!!

ثم قال تحت عنوان:

شبهة حول نبوة آدم:

وقد يقال: إذا كان آدم من الأنبياء فكيف عصى أمر الله، والأنبياء معصومون عن المعصية؟

والجواب: أن هذا البحث قد تقدّم معنا مفصّلاً في باب (عصمة الأنبياء) ونحن نوجزه الآن في كلمات.

أولاً: أن ذلك حصل نسياناً منه، لا قصداً وعمداً بدليل قوله تعالى: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾، هذا ما اختاره القرطبي.

ثانياً: أن آدم عليه السلام قد تأوّل في أكله من الشجرة، لأنّه ظنّ أن المراد من قوله تعالى: ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ عين تلك الشجرة، فأكل من شجرة أخرى من جنسها فوقع في المخالفة.

ثالثاً: أن أكله من الشجرة كان قبل النبوة المستلزمة للعصمة من المعصية، فلم يكن نبياً حين أكل منها بدليل قوله تعالى: ﴿ثم اجتباه ربّه﴾ فتاب عليه وهدى ﴿ص [١٢٤ - ١٢٦].

وتحدّث عن نوح عليه السلام فقال:

نسبه: هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ، أي «إدريس». فإدريس جدّه الأكبر. وينتهي نسبه إلى «شيث» عليه السلام ابن آدم أبي البشر، وبينه وبين آدم ما يزيد على ألف عام، ورواية التوراة تذكر أن بينهما (١٠٥٦) عاماً. [ص ١٣٣].

وقال تحت عنوان:

نوح أول رسول إلى الأرض:

يذكر المؤرخون أن نوحاً عليه السلام هو أول رسول بعثه الله سبحانه إلى أهل الأرض، وقد أمره ربّه أن ينذر قومه ويحذرهم عذاب الله، فكان نوح أول نذير وأول رسول كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ويستدلّون على ذلك بالحديث المروي في الصحيحين وهو حديث الشفاعة..

وقال بعد أن أورد حديث الشفاعة (قول أهل الموقف لنوح: يا نوح أنت أول الرُّسل إلى أهل الأرض وقد سمّاك الله عبداً شكوراً...).

[وهذا الذي ذكروا من أن نوحاً عليه السلام هو أوّل الرُّسل إلى أهل الأرض هو الصحيح الذي عليه الأكثرون، ولكن ليس معنى ذلك أنه لم يسبقه بعثة أحد من الأنبياء قبله، فشيث وإدريس وآدم أنبياء، وكلهم قد بُعثوا قبله، ولكنهم لم يكونوا رُسلًا، فهو بهذا الاعتبار أول رسول وليس أول نبيٍّ، ومعلوم أن هناك فرقاً بين النبوة والرسالة،

فالرسول هو الذي أُوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه،

وأما النبيّ فهو الذي أُوحى إليه بشرع ولكن لم يؤمر بتبليغه، والله

أعلم!]. [ص ١٣٤ - ١٣٥].

١٣ - رأي الأستاذ عبد السلام محمد بدوي:

يقول المؤلف في كتابه^(١) تحت عنوان: [مِنْ نَبَأِ آدَمَ نَبِيُّ الْمَلَائِكَةِ]:
«بعد أن خلق الله آدم - عليه السلام - ونفخ فيه من روحه . . وأسجد
له ملائكته . . علّمه الأسماء كلها ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، ثُمَّ عَرَضَهُمْ
عَلَى الْمَلَائِكَةِ، فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾
[البقرة: ٣٠].

ونقل عن صاحب تفسير البيضاوي قوله في تفسير هذه الآية:
[إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ أَجْزَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ . . وَقَوَى مُتَبَايِنَةٍ، مُسْتَعِدًّا
لِإِدْرَاكِ أَنْوَاعِ الْمَدْرَكَاتِ مِنَ الْمَعْقُولَاتِ وَالْمَحْسَّاتِ وَالْمُتَخِيلَاتِ
وَالْمَوْهُومَاتِ، وَأَلْهَمَهُ مَعْرِفَةَ ذَوَاتِ الْأَشْيَاءِ وَخَوَاصِّهَا . . وَأَسْمَائِهَا . . وَأَصُولِ
الْعُلُومِ . . وَقَوَانِينِ الصَّنَاعَاتِ وَكَيْفِيَةِ آلَاتِهَا].
ثم قال: [عرف آدم عليه السلام كُلَّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا . . بِفَطْرَتِهِ الَّتِي
فَطَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا . . وَكَأَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْهِ «فَلَم» الدُّنْيَا بِمَا عَلَيْهَا . .
مِنْ حَيَوَانَ . . وَنَبَاتٍ . . وَجَمَادٍ . . وَعُلُومٍ . . وَآلَاتٍ . . وَمَكْتَشَفَاتٍ.

(١) كتاب من أنباء الرُّسل: (كتاب الشعب) - تأليف عبد السلام محمد بدوي، الطبعة
الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م.
الجزء الأول بين آدم الأول وآدم الثاني، وقد جعل ترتيب الأنبياء هكذا آدم -
وإدريس - نوح.

عَرَفَ كُلَّ شَيْءٍ بِاسْمِهِ .. وَتَرْكِيْبِهِ .. وَفَائِدَتِهِ .. وَخَوَاصِّهِ .. ثُمَّ عَرَضَ
جَلَّ شَأْنُهُ تِلْكَ الْمَسْمِيَّاتِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ .. قَائِلًا لَهُمْ : ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ
هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فِي دَعْوَاكُمْ .. بِأَنَّكُمْ أَحَقُّ مِنْهُ .. بِالْاِسْتِخْلَافِ فِي
الْأَرْضِ .

فَرَأَى الْمَلَائِكَةُ أَشْيَاءَ لَمْ يَأْلَفُوهَا .. وَمَسْمِيَّاتٍ لَمْ يَعْرِفُوهَا .. فَقَالُوا
- مُقَرِّينَ بَعْجَازَهُمْ - : ﴿ قَالُوا : سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ .

قَالَ لِيُثَبِّتَ لَهُمْ .. قُدْرَةَ آدَمَ .. وَامْتِيَازَهُ عَلَيْهِمْ ﴿ قَالَ : أَنْبِئْهُمْ
بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ .

وَهُنَا يَجْلِسُ آدَمُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَجْلِسَ النُّبُوَّةِ وَالْإِنْبَاءِ لِيُنْبِئَهُمْ بِأَسْمَاءِ
تِلْكَ الْمَشْهُودَاتِ .. ﴿ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُمْ :
﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ
تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٣] .

ثُمَّ قَالَ : فَأَرَادَ - سُبْحَانَهُ - أَنْ يَجْعَلَ آدَمَ وَسِيلَةَ عِلْمِهِمْ بِالنَّشْأَةِ
الْجَدِيدَةِ .. فَتَفَضَّلَ .. وَوَجَّهَ الْأَمْرَ .. إِلَى آدَمَ ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ
بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ وَنَهَضَ آدَمُ عَلَى مَنْصَةِ الْإِنْبَاءِ فَأَنْبَأَ الْمَلَائِكَةَ .. وَنَجَحَ فِي ذَلِكَ [ص ٢٠ - ٢١] .

وَتَحَدَّثَ عَنْ وَفَاةِ آدَمَ فَقَالَ :

وفاة آدم :

مَرَضَ آدَمُ .. قَبْلَ مَوْتِهِ .. فَأَوْصَى إِلَى ابْنِهِ شِيثَ .. وَكَانَ شِيثَ هُوَ
وَارِثُ النُّبُوَّةِ عَنْ أَبِيهِ آدَمَ .. حَتَّى وَرَّثَهَا إِلَى إِدْرِيسَ .. الَّذِي وَرَّثَهَا ابْنُهُ
مَتَوْشَالِحَ .. ثُمَّ لَامَكَ .. وَمِنْهُ إِلَى نُوحٍ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

مات آدم - عليه السلام - في سنّ تسعمائة وثلاثين عاماً على ما جاء في التوراة.

«وقيل لما كان الطوفان.. حمل نوح تابوت جدّه آدم معه في السفينة.. وبعد الطوفان، دفنه في مكان بيت المقدس».

* . * . *

ثم قال:

«ومن حقنا الآن.. أن نتقل إلى أول رسول قبل نوح.. وهو نبيّ الله إدريس.. لنحلّق معه في عالم الفضاء!».

١٤ - رأي فضيلة الشيخ علي الطنطاوي:

ويقول العالم الفاضل الشيخ علي الطنطاوي في كتابه^(١) تحت عنوان: حقيقة الرسول:

الرسول بشر يمتاز بالوحي، وقد قال تعالى لمحمد:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ [الكهف: ١١٠].

ثم تحدّث عن «عصمة الرسول» قائلاً:

ويستحيل أن تقع من الرسول (بعد رسالته) معصية، أو يأتي ما يجرح العدالة، أو يخلّ بالمروءة، أو ينافي الكمال، لأنّ الله جعله قدوة، وأمر المسلمين أن يتأسّوا به، وأن يتبعوه في فعله: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ [الأحزاب: ٢١].

وهذه الأسوة ثابتة للرسل جميعاً:

﴿لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة﴾ [المتحنة: ٦].

وذلك يقتضي العصمة من ارتكاب المعاصي وإتيان النقائص.

ثم قال تحت عنوان (الرسل في القرآن)^(٢):

المسلم يعتقد أن القرآن كلام الله، نزل به جبريل على محمد، وبلغه

(١) تعريف عام بدين الإسلام - علي الطنطاوي - مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة السادسة، الجزء الأول: في العقيدة، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م، [ص ١٩١ - ١٩٢].

(٢) [ص ١٩٧ - ١٩٨].

كما سمعه من جبريل، وأن ما بين دفتي المصحف هو القرآن كله، كما نزل به جبريل، فمن أنكر شيئاً منه أو شك فيه، خرج من الإسلام.

وقد ورد في القرآن ذكر خمسة وعشرين نبياً، جمعت أسماؤهم في خمس آيات هي قوله تعالى:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ، نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، كُلًّا هَدَيْنَا، وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ، كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا، وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ ذَكَرْنَا فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ، إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَّبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٦-٥٧].

وقوله: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [هود: ٥٠].

وقوله: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [هود: ٦١].

وقوله: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [هود: ٨٤].

وقوله: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ، وَذَا الْكِفْلِ، كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥].

ثم قال:

«وَذِكْرَ آدَمَ وَلَمْ يَصْرَحْ بِأَنَّهُ كَانَ رَسُولًا، وَلَكِنْ تَدُلُّ الْآيَاتُ الَّتِي ذُكِرَ فِيهَا عَلَى تَرْجِيحِ الْقَوْلِ بِرِسَالَتِهِ».

١٥ - رأي الأستاذ أبو بكر جابر الجزائري :

عرّف المؤلف في كتابه^(١) العقيدة، فقال :

ما هي العقيدة؟

«العقيدة هي مجموعة من قضايا الحق البديهية المسلّمة بالعقل والسمع والفطرة، يعقّد عليها الإنسان قلبه، ويشني عليها صدره، جازماً بصحّتها، قاطعاً بوجودها، لا يرى خلافها أنه يصحّ أو يكون أبداً».

ثم تحدّث عن تاريخ الرُّسل وعن نبوة آدم فقال :

إن تاريخ الرُّسل عليهم السلام يبتدىء بآدم أبي البشر عليه السلام، ووجوده في الأرض، وتكاثر أبنائه فيها مقتضى للوحي الإلهي، إذ به يشكّل آدمية الإنسان، وبه يتم شرفه، وعليه تزكو نفسه، ويتأهل للسعادة في الحياتين الأولى والآخرة.

ولم يعرف الناس نبياً من أولاد آدم لصلبه، اللهمّ إلا ما كان من شيث عليه السلام، فإنه روي أنه كان حفيداً لآدم أبي البشر عليه السلام، وقد أنزل عليه عدّة صحف تُعرف بصحف شيث عليه السلام. وجاء بعد شيث نبيّ الله ورسوله إدريس عليه السلام وهو مذكور في الكتاب الكريم، وتقول الأخبار انه من ذرية شيث عليه السلام.

(١) عقيدة المؤمن - أبو بكر جابر الجزائري - الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، الناشر: دار الكتب السلفية بالقاهرة.

ثم جاء نوح عليه السلام، وهو أول رسول كما صرح بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾.

ثم جاء بعده هود، فصالح، إبراهيم، فلوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف ثم شعيب، موسى وهارون، داود، سليمان ثم إلياس فأيوب واليسع وذو الكفل ويونس، وزكريا يحيى، وعيسى، ثم خاتمهم محمد ﷺ.

وهذا الترتيب الزمني صحيح إلى حدٍّ ما، ولولا الخفاء في زمن كلٍّ من يونس، وأيوب، وذو الكفل، واليسع لكان إلى الصحة أقرب منه إلى غيرها. والحقيقة في هذا أنه من باب علم لا ينفع، وجهالة لا تضر، إذ المطلوب الإيمان بالرُّسل وتوقيدهم وتعزيزهم واتباعهم، والافتداء بهديهم في أيِّ زمان كانوا وفي أيِّ أرض وجدوا. [ص ٢١٤]

وتحدّث عن أولي العزم من الرُّسل فقال:

مما يعتبر جزءاً من العقيدة الإسلامية معرفة أولي العزم من الرُّسل عليهم السلام إذ جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرُّسل﴾ فتعينت معرفتهم لذلك!

كما جاء في القرآن بيان عددهم، وأسمائهم معاً، وذلك في آية من سورة الأحزاب وهي قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم﴾. [ص ٢١٦]:

ثم تحدّث عن وجوب الإيمان بالرُّسل عليهم السلام، فقال:

بعد أن عرفنا إمكان الوحي، وعرفنا الوحي وطرقه الخاصة به، وعرفنا

ضرورته وحاجة الناس إليه، كما عرّفنا النبوة، ومؤهلاتها، وعرفنا صفات الأنبياء والرسل، وتاريخهم العام، نذكر إتماماً للبحث في هذا المعتقد أن الإيمان بالرسل إجمالاً وتفصيلاً جزء من عقيدة المؤمن لا يتجزأ بحيث لا تصح عقيدة المؤمن ولا تكمل إلا به!

ومعنى الإيمان بالرسل إجمالاً: أن يؤمن المرء بكل نبي ورسول عرف نبوته ورسالته عن طريق الوحي إيماناً تفصيلاً، فمن عرفهم من طريق الوحي الإلهي بأسمائهم آمن بهم واحداً واحداً على التفصيل، ولا يؤمن برسالة بعض ويكفر برسالة البعض الآخر، إذ الكفر بواحد منهم يعتبر كفراً بجميعهم، وقد تقدم آنفاً بيان الرسل الذين ذكروا في القرآن الكريم وهم خمسة وعشرون نبياً ورسولاً. [ص ٢١٧]

١٦ - رأي فضيلة الشيخ سيد سابق في نبوة آدم:

يقول المؤلف في كتابه^(١) تحت عنوان (عصمة الأنبياء):
آدم عليه السلام:

﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ [طه: ١٢١].

فظاهر هذه الآية أن آدم عصى ربه وغوى، بمخالفة أمر الله واستجابته لدعوة الشيطان، وأن ذلك كان زلة وقع فيها: ﴿فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه﴾ [البقرة: ٣٦]، ولكن إذا أمعنا النظر رأينا أن هذه المعصية إنما وقعت من آدم نسياناً منه لعهد الله!! ولم يصدر عنه هذا الفعل عن إرادة وقصد! والله سبحانه لا يؤاخذ على الخطأ ولا على النسيان لأن ذلك تكليف بما لا يُطاق، والله لا يكلف نفساً إلّا وسعها، والأصل في هذه القاعدة قول الله سبحانه:

﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به، ولكن ما تعمّدت قلوبكم﴾
[الأحزاب: ٥].

وقوله: ﴿ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ [البقرة: ٢٨٦].
والدليل على أن ما وقع من آدم كان نسياناً ومن غير عمد، قول الله سبحانه:

(١) العقائد الإسلامية - سيد سابق - الطبعة الثالثة - الناشر: دار الكتب الحديث -
بالقاهرة.

﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي، ولم نجد له عزماً ﴾، أي أن آدم نسي عهد الله الذي وصّاه به حين ارتكب ما نهاه عنه من الأكل من الشجرة، ولم يوجد له عزم على فعل ما نُهي عنه...! وحيث لم يوجد العزم على المعصية، فلا توجد المؤاخظة!

وإنما اعتبر القرآن ذلك النسيان عصيانياً نظراً لمقام آدم الذي خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأسكنه جنته، وعلمه الأسماء كلها، والذي شأنه هكذا يجب أن يكون يقظاً كأقوى ما تكون اليقظة بحيث لا ينسى وصية الله وعهده إليه، فهذا: من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين! [ص ١٦١ - ١٦٢].

١٧- رأي الأستاذ عفيف طيارة عن نبوة آدم وإدريس ونوح:

تحدث المؤلف في كتابه^(١) في الفصل الأول - تكوين آدم وتكريمه:

«ملاحظة: لم يذكر القرآن لفظ النبوة بإزاء آدم كما ذكر ذلك بإزاء غيره من الأنبياء، ولكن ذكر أن الله خاطبه بلا واسطة فأمره ونهاه وأحلّ له وحرّم عليه، وهذا هو معنى النبوة، وعلى هذا الأساس نستعرض قصة آدم كما جاءت في القرآن ضمن عرضنا قصص الأنبياء عبر تاريخ الإنسان. ويقول المؤلف في الفصل الخامس: (نبوة إدريس)»^(*)

وخلاصة أقوال العلماء فيه أنه أول من نزل عليه الملك جبريل بالوحي لهداية نسل (قابيل) ليرجعوا عن غيهم وكفرهم، ويتوبوا إلى الله، ويسيروا حسب شريعته.

والقرآن لم يذكر شيئاً مفصلاً عن حياته وتعاليمه، كما أنه ليس هناك سند تاريخي ثابت عن حياته.

وتحدث في الباب الثالث - الفصل الأول عن قصة نوح فقال:

نوح عليه السلام أول رسول^(٢) أرسله الله بالرسالة الإلهية إلى قومه عندما تحولوا إلى عبادة الأصنام وأمعنوا في الضلالة والكفر. [ص ٦١].

(١) مع الأنبياء في القرآن الكريم: عفيف عبد الفتاح طيارة - الطبعة السابعة، أيار ١٩٧٧ - توزيع دار العلم للملايين - بيروت.

(*) جاء ترتيبه بعد آدم.

(٢) هذا ما ثبت في الصحيحين عن النبي في حديث الشفاعة أن نوحاً أول الرسل إلى أهل الأرض، وبعض العلماء يؤول هذا الحديث ويقول برسالة آدم وإدريس فيكون نوح هو النبي الثالث.

١٨ - رأي الأستاذ محمد خليل رفاعي

قال المؤلف في كتابه (١):

ويجب على كل مكلف معرفة خمسة وعشرين نبياً، أولهم آدم،
وآخرهم محمد ﷺ، وقد نظمها بعضهم فقال:

حتم على كل ذي التكليف معرفة بأنبياء على التفصيل قد عُلِمُوا
في تلك حجتنا منهم ثمانية من بعد عشرٍ ويبقى سبعة وَهُمْ
إدريس هود شعيب صالح وكذا ذو الكفل آدم بالمختار قد خُتِمُوا

*** . . ***

(١) عقيدة المسلم من الكتاب والسنة - محمد خليل الرفاعي - دار الاعتصام - القاهرة -
١٩٧٦، [ص ٥٧ - ٥٨].

١٩ - رأي الشيخ عبد الله الحبشي :

يقول المؤلف في كتابه (الصراط المستقيم)^(١) :

[فقد يماً، كان البشر جميعهم على دين واحد، هو الإسلام. وإنما حدث الشرك والكفر بالله تعالى بعد النبي إدريس عليه السلام. فكان نوح^(٢) أول نبي أرسل إلى الكفار يدعو إلى عبادة الله الواحد الذي لا شريك له، وقد حذر الله جميع الرسل من بعده من الشرك]^(*).

وتحدث في الصفحة ١٦ من كتابه المذكور عن الجنة والنار وعن مكانهما فقال :

[وليست الجنة في السماوات السبع، بل هي فوق السماوات وتحت العرش...]

وليست النار في الأرض، بل هي تحت الأرض السابعة منفصلة!]^(**).

(١) الصراط المستقيم - عبد الله بن محمد الشيباني المعروف بالحبشي - الطبعة السادسة، ١٤٠٣ هـ - يطلب من مسجد برج أبي حيدر - بيروت - [ص ٧].
(٢) يقول المؤلف في الحاشية: بين نوح وإدريس عليهما السلام ألف سنة، وتلك الفترة تسمى الجاهلية الأولى، التي عاها الله بقوله: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾.

(*) يفهم من كلام المؤلف أنه يؤمن بنبوة آدم وربما يؤمن بنبوة شيث ولكن لم يذكر الدليل. كما أنه يؤمن بإرسال إدريس قبل نوح [المؤلف].

(**) لا أدري ما هو دليله من الكتاب والسنة [المؤلف]

ويقول في كتابه (مختصر عبد الله الهرري الكافل بعلم الدين
الضروري) (١) في فصل (ضروريات الاعتقاد).

«... ويجب اعتقاد أن كل نبي من أنبياء الله، يجب أن يكون متصفاً
بالصدق، والأمانة، والفظانة، فيستحيل عليهم الكذب والخيانة والردالة
والسفاهة والبلادة، وتجب لهم العصمة من الكفر والكبائر وصغائر الخسة
قبل النبوة وبعدها، ويجوز عليهم ما سوى ذلك من المعاصي(*)، لكن
ينبّهون فوراً للتوبة قبل أن يقتدي بهم فيها غيرهم».

(١) مختصر عبد الله الهرري الكافل بعلم الدين الضروري - للشيخ عبد الله الحبشي -
الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ - يطلب من مسجد أبي حيدر في بيروت - [ص ٧].

(*) ولكن القرآن أثبت أن آدم عصى بقوله: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ والشيخ
عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء تساءل: إذا كان آدم نبياً فكيف عصى،
والأنبياء معصومون من المعصية؟ ثم ردّ على من قال:

إن ذلك كان قبل النبوة المستلزمة للعصمة من المعصية، بقوله: وهو جواب
حسن لولا أنه وقع بعد صدور الأمر والنهي إليه بلا واسطة، وهو ما جعلناه من
أمارات نبوته! [المؤلف]

٢٠ - رأي فضيلة الشيخ الدكتور صبحي الصالح رحمه الله:

- وجهت مجلة الرسالة الإسلامية اللبنانية سؤالاً إلى فضيلته يقول:

* هل آدم عليه السلام نبي من الأنبياء؟ وما الدليل على نبوته من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؟

وقد ردّ فضيلته على هذا السؤال قبل اغتياله بيوم واحد بحديث عنوانه: [نعم.. آدم نبي] نشرته المجلة في عددها رقم ٧٧ - السنة التاسعة - تشرين الثاني ١٩٨٦، وقال فيه:

«عندما نفهم المراد من النبوة بمفهومها الديني، نميل إلى تصويب الرأي القائل إن آدم أبا البشر، كان نبياً، لأن حصر النبوة في معاني الوحي المقترن بالتبليغ لم يرد في مجاله الديني الخالص، إلا عند تفرقة العلماء بين العاديين من البشر والأشخاص المميزين الذين اختصهم الله بضرب من الإلهام لم يمنح مثلهم سواهم، بيد أن هذا المفهوم الاصطلاحي لم يخطر ببال أئمتنا عندما وصفوا آدم أبا البشر بوصف النبوة، وإنما كان كل الذي تصوّروه مرتدّاً إلى استنتاجات بعضها وردت به ألفاظ من القرآن الكريم، وبعضها الآخر أوحى به جملة من الأنباء الموثقة في القصص الديني، سواء أصحّت رواياته وأسانيده، أم كانت من قبيل الإسرائيليات، أو من الأخبار والأساطير المروية عمّن أسلم أو تظاهر بالإسلام من أهل الكتاب، ولا سيما اليهود! لذلك أجمع العلماء من سلفنا الصالح على أمرين يتعلقان برمز الجنس الآدمي المكرّم آدم عليه السلام، أمّا أحدهما فكونه أباً لهذا

الجنس، وأمّا الثاني فكونه نبياً بالمعنى الأصلي لهذا اللفظ في العربية.

ثمّ يضيف قائلاً:

«وبرغم اتّفاق العلماء على نُبوّة آدم فوق كونه أبا البشر، أوردت طائفة من المتكلّمين شُبهاً حول هذه القضية، عندما استغربوا أن تقع معصية مِمَّن وُصِفَ بالنُّبوّة، ومن ذلك ما ورد في حقّ آدم: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾^(١)، وقالوا: كيف يمكن أن يكون نبياً مَنْ عَصَى وَغَوَى، مع أن من أهمّ أوصاف النُّبوّة العصمة من الوقوع في المعاصي، ولا سيما إذا كانت من الكبائر». ثمّ فسّر فضيلة الدكتور الشيخ صبحي الصالح قوله سبحانه: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾، بقوله: فالمراد أن بني آدم مستعدّون استعداداً فطرياً للوقوع في المعاصي!!

* . * . *

هذه مقتطفات من مقاله، ومَن قرأ المقال قراءة متأنّية يدرك بأنّ الكاتب لم يردّ على سؤال المجلة: (.. وما الدليل على نُبوّته مِنَ القرآن الكريم والسُّنة النَّبويّة الشريفة).

(١) طه: ١٢١

٢١ - رأي فضيلة الشيخ حسن خالد^(١) في نبوة آدم ورسالته:

وقد جاء في فتواه ردّاً على سؤال:

[ما هو حكم الإسلام فيمن اعتقد بأنّ نوحاً عليه السلام هو أول رُسل الله إلى الأرض استناداً إلى قوله تعالى في [سورة النساء الآية: ١٦٣]: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾، واستناداً إلى حديث الشفاعة الذي ورد في صحيح البخاري ومسلم وفيه «... فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرُّسل إلى أهل الأرض، وقد سمّاك الله عبداً شكوراً...».

هل يعتبر من اعتقد ذلك أنه كافر يجب تطليق زوجته منه؟؟

فقال في جوابه:

إن استدلال السائل في سؤاله على أن نوحاً عليه السلام هو أول رُسل الله بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ لا يصحّ!!... ثم قال: بل الإنصاف ليقضي أن ننسى أن آدم قد ذكره الله مع نوح عليهما السلام في [الآية ٣٣ من سورة آل عمران] بقوله: ﴿إِن اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

ثم استشهد بما ذكره بعض المفسرين الذين قالوا إن معنى الاصطفاء هو النبوة.

(١) مفتي الجمهورية اللبنانية - راجع فتوى رقم ٨٨/٨٥٩ - تاريخ ١٩٨٨/٦/٢٢.

ثم قال:

وأما استدلال السائل على أولية نبوة نوح ورسالته مطلقاً بما ورد في حديث الشفاعة عند البخاري ومسلم فيأتون نوحاً فيقولون: «يا نوح أنت أول الرُّسل إلى أهل الأرض»، فلا يفيد في إثبات أولية نبوة نوح ورسالته مطلقاً!!

وأضاف: ويحتمل أن تكون الأولية في قول أهل الموقف لنوح: أنت أول الرُّسل إلى أهل الأرض، لأنه في زمن آدم لم يكن للأرض أهل!! أو لأن رسالة آدم إلى بنيه كانت كالتربية للأولاد.. ويحتمل أن يكون المراد أن نوحاً أول رسول أرسل إلى بنيه وغيرهم من الأمم الذين أرسل إليهم مع تفرقهم في عدة بلاد.. وآدم إنما أرسل إلى بنيه فقط!! وكانوا مجتمعين في بلدة واحدة [فتح الباري لابن حجر: ٢٨٧/٦] أو أن نوحاً عليه السلام كان أول الرُّسل للبشرية بعد الطوفان الذي أفنى الناس كلهم إلا من كانوا معه في الفلك!.

ثم قال:

هذا وقد أجاب الإمام النووي أيضاً عن أولية رسالة نوح إلى أهل الأرض كما وردت في قول أهل الموقف في حديث الشفاعة فقال:
«فإنَّ آدم وإن كان رسولاً فإنما أرسل لبنيه ولم يكونوا كفّاراً، بل أمر بتعليمهم الإيمان وطاعة الله تعالى، بخلاف رسالة نوح فإنها إلى كفّار أهل الأرض» [شرح النووي على صحيح مسلم].

ثم قال:

وأجاب الإمام بدرالدين محمود العيني أيضاً عن أولية رسالة نوح المذكورة في حديث الشفاعة فقال:

قولهم لنوح: «أنت أول الرُّسل إلى أهل الأرض» إنما قالوا له ذلك لأنه آدم الثاني، أو لأنه أول رسول هلك قومه، أو لأنَّ آدم خرج بقولهم: «إلى أهل الأرض» لأنَّ الأرض لم يكن لها أهل حينئذ في عهد آدم، أو لأن رسالته كانت بمنزلة التربية للأولاد.. وفي التوضيح:

«قولهم: أنت أول الرُّسل إلى أهل الأرض هو الصحيح، قاله الداودي. وروي أنَّ آدم عليه السلام نبيٌّ ومرسل... وقيل هو نبيٌّ وليس برسول.. وقيل رسول وليس نبيًّا!! انتهى!!

وقال ابن بطال: آدم ليس برسول.. نقله عنه الكرمانى..

قلت (والكلام للعيني):

الصحيح أنه نبيٌّ ورسول.. وقد نزل عليه جبريل.. وأنزل عليه صحفًا وعلم أولاده الشرائع.. وقول ابن بطال غير صحيح.

[عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني: ٢٢١/١٥].

ثم قال الشيخ حسن خالد:

وبذلك يتبين أن استدلال السائل على أولية نبوة نوح ورسالته بما ورد في قول أهل الموقف في حديث الشفاعة قد استدركه العلماء وعرفوه قبله، وأجابوا عنه بتلك الأجوبة، فبقي الحكم بأولية نبوة آدم ورسالته ثابتاً مطلقاً، وبقيت أولية رسالة نوح في حديث الشفاعة محمولة على المعاني والوجوه التي ذكرها العلماء وأوردناها آنفاً، ولا تعارض بين النصوص مطلقاً!!

ثم قال:

ولما كانت نصوص القرآن الكريم - وإن لم تذكر صراحة رسالة أو نبوة آدم عليه السلام - إلا أنها في الحقيقة والمضمون تدلُّ عليها دلالة واضحة، دون أن يكون فيها ما ينفيها.. وهذا لا يخفى على كل مدقق وعالم!!

ولمّا كانت تلك النصوص أيضاً لا تدلّ على أوليّة رسالة نوح، وذلك لتعارضها مع مفهوم حديث المعراج الوارد في صحيح البخاري، والمفيد إفادة واضحة برسالة آدم عليه السلام!!
لذلك كله..

فإننا ننتهي إلى القول:

أولاً: إننا نؤمن بأن آدم عليه السلام هو نبيّ ورسولٌ، وأنه أول الأنبياء والرُّسل عليهم السلام.. وهو ما ذهب إليه جمهور علماء المسلمين من الصحابة والتابعين وأتباعهم والسلف الصالح، ولا يُعتدُّ بما ذهب إليه المخالفون!!

وأضاف: هذا ما رجح لدينا.. والله أعلم^(١)!!

كما أنه لم يُجب السائل على سؤاله: هل يعتبر من اعتقد بأوليّة نبوة نوح ورسالته أنه كافر يجب تطليق زوجته منه!!

*** . . . ***

(١) من الملاحظ أن سماحة المفتي لم يُشير إلى آراء العلماء والمفسرين الذين يرون أوليّة نبوة نوح ورسالته ويرون أن آية الاصطفاء لا تعني النبوة كما قال الألوسي وغيره.. وردّ عليهم بقوله: (ولا يعتدُّ بما ذهب إليه المخالفون) !! وليس هذا من الأمانة العلمية في شيء!.

٢٢ - رأي الشيخ محمد كنعان:

في نبوة آدم ورسالته ، وفي سابقة إرسال إدريس قبل نوح عليه السلام

كتب الشيخ محمد كنعان قاضي بيروت الشرعي مقالاً في مجلة الفكر الإسلامي الصادرة عن دار الفتوى في بيروت - العدد السابع - السنة السادسة عشرة: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧. [ص ١٢ - ١٤] بعنوان [معذرة أبا البشرية] ردّ فيه على من يرى ويقول بأولية نبوة نوح ورسالته استناداً إلى نصّ القرآن الكريم في [سورة النساء: ١٦٣]: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ ، وهذه إشارة إلى أوليّة الوحي بالنبوة والرسالة إلى نوح والنبيين من بعده، وقد عزّز فهمه بأولية هذه النبوة والرسالة بحديث الرسول ﷺ في صحيح البخاري على لسان آدم لأهل الموقف: «اثتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض» والرسول ﷺ يقول:

«تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا أبداً: كتاب الله وسنة رسوله»، ردّ الشيخ محمد كنعان على من يرى أوليّة نبوة نوح ورسالته بقوله: «أيّ عالم هذا الذي يفهم هذا الفهم؟ هكذا اعتباطياً يفهم ويحكم. فلو كان عنده أدنى مستوى من العلم، بل لو كان من العامة الذين يقرأون القرآن مجرد قراءة، لقرأ قول الله تعالى في سورة مريم:

﴿واذكر في الكتاب إدريس، إنه كان صديقاً نبياً، ورفعناه مكاناً علياً﴾،

وأضاف:

وإدريس عليه السلام كان قبل نوح عليه السلام قطعاً!!
ثم ادّعى أن نبوة آدم... وإرسال إدريس عليه السلام قبل نوح عليه
السلام من المسائل القطعية المبتوتة منذ قرون!!

ثم قال:

«إن آدم عليه السلام نبيّ ورسول بلا خلاف بين العلماء»!!

وأضاف:

فالقضية ليست هيّة كما يتوهم البعض، بل فيها أحد أمرين لا ثالث
لهما:

إمّا إيمان بنبوة آدم فنجاة...!!

وإما إنكار لها فوقع في الكفر البواح!!.

*** . . ***

٢٣ - رأي الشيخ نزار الحلبي في نبوة آدم:

كتب الشيخ نزار الحلبي مقالاً^(١) بعنوان [آدم عليه السلام نبي بالقطع واليقين] جاء فيه:

وبما أنَّ الفتنة في الدين أشدَّ من القتل!
وبما أنَّ إنكار نبوة آدم فتنة في الدين!
لذلك صار لزاماً علينا أن ننصر دين الله، فنعظم أنبياءه، وأولهم آدم عليه السلام!

ثم استشهد للدلالة على نبوة آدم بقوله تعالى:
﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾.
وقوله سبحانه: ﴿ولكل أمة رسول﴾.
ثم قال: وبما أنَّ آدم أول البشر، وأولاده أول أمة، فلا بدَّ أن يكون فيها رسول ألا وهو آدم عليه السلام لما سيأتي ذكره.

وهو أن قصة ابني آدم الواردة في القرآن الكريم... تدلُّ على أن قابيل الذي قتل هابيل قد استحقَّ العقوبة بقتله أخيه لأنه تعالى قال:
﴿فأصبح من الخاسرين﴾ كما فسَّرها بذلك ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(١) مجلة الفكر الإسلامي - تصدر عن دار الفتوى في بيروت - العدد السابع - السنة السادسة عشرة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، [ص ١٧ - ١٩].

وأضاف:

ومعلوم أن التحريم والعقوبة لا يكونان إلا بالوحي . . وقطعاً لم ينزل على غير أبيهما عليه السلام . . وإلا بِمَ استحقَّ قابيل العقوبة، وقد قال الله تعالى: ﴿ وما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولاً ﴾ .

ثم إنَّ قول الله تعالى: ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ دالٌّ على نبوة آدم عليه السلام على ما ذكره أهل التفسير نقلاً عن الحسن ومجاهد ومقاتل هو أنه تعالى اصطفاه ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران بالنبوة!!

ثم قال:

ومما يدلّ على نبوة آدم عليه السلام أيضاً أن الله أسجد له الملائكة كلهم وهذا دليل على أنه أفضل منهم . ومن يكون أفضل من الملائكة إلا الأنبياء؟ . . وقد قال الله تعالى في حقهم:

﴿ وكلاًّ فضّلنا على العالمين ﴾ (*) ، والعالمين هنا الإنس والجن والملائكة!!

وأضاف:

ومما يؤيده أيضاً قوله تعالى: ﴿ فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ﴾ ، لأنه تعالى أراد أن يُري الملائكة آية عجيبة تدلّ على نبوة آدم عليه السلام!! ومما يؤيده أيضاً قوله تعالى:

﴿ واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً ﴾ .

(*) على رأي كاتب المقال، فإنَّ بني إسرائيل فضّلهم الله على الإنس والجنّ والملائكة لأنه قال في حقهم ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضّلتكم على العالمين ﴾ !! [البقرة: ٤٧] . [المؤلف]

وذلك لأنه لا شك في أن إدريس كان قبل نوح عليهما السلام،
ثم قال :

وعليه فلا يكون حديث الشفاعة الذي رواه الإمام مسلم دالاً على
أولية نبوة نوح على الإطلاق! أي ونفي نبوة آدم!!
ولفظ هذا الحديث هو: أن الناس يذهبون إلى نوح ويقولون له: «أنت
أول رسل الله إلى الأرض».

وأضاف:

ثم إن الأولية المذكورة في هذا الحديث لو كانت أولية مطلقة لكان
تكذيباً لنبوة إدريس المنصوص عليها في القرآن!! ولسقط احتجاج من
احتج به على هذا الوجه المردود في أولية نبوة نوح على الإطلاق وإنكار
نبوة من قبله حتى آدم.. فهذه الأولية التي في هذا الحديث أولية نسبية
وليست مطلقة كما في قوله تعالى حكاية عن نبيه محمد ﷺ: ﴿وأمرت لأن
أكون أول المسلمين﴾(*) .

ثم استند في الدلالة على نبوة آدم من حديث أبي ذر المعروف الذي
ادّعى كاتب المقال بأنه حديث صحيح لم يطعن فيه واحد من الحفاظ
والمحدثين بل صحّحه ابن حبان وسلم له الحافظ ابن حجر في شرح
البخاري!!

والمستند الثالث في نبوة آدم حكاية الإجماع الذي أورده البغدادى في
كتابه (أصول الدين) بلفظ:

أجمع المسلمون وأهل الكتاب على أن أول من أرسل من الناس آدم
عليه السلام!!

(*) مع أن هذه الآية لا يضلّ في فهمها حتى العامي بأن خاتم النبيين أمر أن يكون أول
المسلمين من هذه الأمة.. وإلا حكمنا بعدم إسلام أي إنسان على وجه الأرض من
آدم عليه السلام حتى محمد عليه السلام!! [المؤلف].

٢٤ - رأي الشيخ أحمد العجوز:

قال الشيخ أحمد العجوز في كتابه^(١) تحت عنوان (الإيمان بالرُّسل):

الرُّسل: أناس اختارهم الله من صفوة البشر، وأمدَّهم بوحيه، وأرسلهم إلى الناس بشرائعه، ليهدوهم إلى الإيمان برَّبِّهم، وليوجِّهوهم إلى طاعته، والعمل بأحكامه، فيفوزوا بسعادة الدنيا وفلاح الآخرة. أولهم آدم أبو البشر، وآخرهم سيّدنا محمد ﷺ.

** . . **

(١) مناهج الشريعة الإسلامية - الجزء الأول - الشيخ أحمد العجوز - الطبعة الأولى - ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٩ م - منشورات مؤسسة المعارف ، بيروت ، [ص ٣٢].

٢٥ - رأي الأستاذ محمد خضر في عدد الرُّسل :

تحدّث المؤلف في كتابه^(١) تحت عنوان الإيمان بالرُّسل :

عددهم : وقد ذكر القرآن الكريم أسماء خمسة وعشرين رسولاً،
موضحاً بأن أنبياء غيرهم لم يذكرهم، قال الله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا رُسلًا
من قبلك، منهم مَنْ قصصنا عليك ومنهم مَنْ لم نقصص عليك ﴾، ومن
رُسل الله الذين ذكرت أسماؤهم في كتاب الله آدم، صالح، إبراهيم، نوح،
داود، موسى، وعيسى، وخاتم الرُّسل محمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

[ص ١٥ - ١٦]

*** . . . ***

(١) الهداية الإسلامية الجزء الأول للصفوف الثانوية، تأليف الدكتور محمد حمد خضر،
(الطبعة الخامسة) ١٩٧٥، قررت المديرية العامة للأوقاف الإسلامية وكثير من
المدارس تدريس هذه السلسلة.

٢٦ - وجاء في كتاب المبادئ الإسلامية^(١) (الأصدقاء الأربعة):

تحت عنوان أركان الإيمان ما يلي: أركان الإيمان ستة:

- ١ - الإيمان بالله، خالق السماوات والأرض.
- ٢ - الإيمان بالملائكة.
- ٣ - الإيمان بالكتب السماوية التي أنزلها الله على رُسُلِهِ لهداية الناس وإرشادهم إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم، وهي بترتيب النزول:
 - أ - التوراة التي أنزلت على سيدنا موسى عليه السلام^(*).
 - ب - الزبور الذي أنزل على سيدنا داود عليه السلام.
 - ج - الإنجيل الذي أنزل على سيدنا عيسى عليه السلام.
 - د - القرآن الكريم الذي أنزل على سيدنا محمد عليه السلام.
- ٤ - الإيمان بالرُّسل، وهم كُثُرٌ، لا يعلم عَدَدَهُمْ إِلَّا اللهُ، وأوَّلُهُمْ أبو البشر سيدنا آدم عليه السلام، وآخرهم نبيُّنا محمد ﷺ.
- ٥ - الإيمان باليوم الآخر الذي يُحَاسِبُ اللهُ فيه النَّاسَ على أعمالهم بالعدل.

٦ - الإيمان بالقضاء والقدر.

(١) المبادئ الإسلامية (الأصدقاء الأربعة) السنة الرابعة الابتدائية - منشورات دار

المقاصد الإسلامية - بيروت - الطبعة الأولى، ١٩٨٩ م - ١٤٠٩ هـ.

(*) كان من المستحسن الإشارة إلى صحف إبراهيم التي وردت في القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصَّحَفِ الْأُولَى، صَاحِفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [سورة الأعلى: ١٨-١٩].

٢٧ - وجاء في كتاب (جمعية التعليم الديني الاسلامي)^(١):

- مَنْ هم الأنبياء؟

الأنبياء: جمع نبيّ، والنبيّ إنسان.. اختاره الله ليكون سفيره إلى الناس.. والنبيُّ هو السفير الإلهي الذي ينقل إلى الناس تعاليم الله وأحكامه من أجل أن يعمّ الخير والعدل، ويسود الأمن الاستقرار. [ص ١٥ - ١٦].

- الأنبياء عبر التاريخ: قال الله تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [النحل: ٣٦].

فمسيرة الأنبياء رافقت تاريخ البشرية منذ آدم عليه السلام، أول إنسان على الأرض وحتى وفاة سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء.

وقد حدّد الله لكل نبيّ وظيفة خاصة ومحددة، تتناسب واحتياجات الناس ومستوياتهم، فكان هناك قسمان من الأنبياء:

أ- أنبياء أرسلوا إلى مناطق معينة أو قرى محدّدة.. فكانت وظيفتهم هداية هؤلاء الناس فقط، أمثال:

- هود.

(١) من سلسلة (الإسلام رسالتنا)، هيئة التأليف في (جمعية التعليم الديني الإسلامي) الجزء الأول - الطبعة السابعة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م - نشر الشركة العالمية للكتاب [دار الكتاب اللبناني - مكتبة المدرسة].

- صالح .

- لوط .

- شعيب .

ب - أنبياء عالميون أرسلوا إلى البشر كافة، فكانوا يحملون كتباً سماوية (كالتوراة والإنجيل والقرآن) وشرائع ورسالات لجميع الناس . وهؤلاء الأنبياء يدعون بـ «أولي العزم» وهم خمسة :

١ - نوح . ٤ - عيسى .

٢ - إبراهيم . ٥ - محمد ﷺ .

٣ - موسى .

أسئلة حول الدرس :

١ - لماذا أرسل الله الأنبياء إلى البشر؟ .

٢ - ما الفرق بين الرسول والنبي؟

وهل نعتبر أولي العزم من الرسل؟ لماذا؟

*** . . ***

٢٨ - رأي فضيلة الشيخ عبد الله العلايلي :

أجاب فضيلته مندوبة مجلة «الشراع» اللبنانية ردّاً على سؤالها :

هل آدم نبي ورسول؟ فقال :

«إن الله عز وجل اصطفى آدم على الناس أجمعين . .

والنبي أو الرسول مهمته تبليغ الدعوة الموكلة إليه . . فيما لم يكن هناك من

يجب تبليغ الدعوة إليهم . إذاً، هنالك سؤال يطرح نفسه : نبي على من؟ .

ورسول لمن؟ (*)» .

(*) راجع مجلة الشراع اللبنانية، عدد ٣٥٤، كانون الثاني - يناير ١٩٨٩، ص ١٤،

مقال : «علماء المسلمين ينقسمون حول آدم» .

ملخص آراء العلماء حول نبوة آدم مع بعض الملاحظات

والآن.. وبعد أن استعرضنا آراء العلماء قديماً وحديثاً حول آدم وحول الحديث عن نبوة آدم ورسالته، يُحسن بنا أن نلخص آراءهم قبل أن نُبدي رأينا في ذلك:

١ - فبعض العلماء يرى نبوة آدم دون رسالته، كالشيخ عبد الوهاب النجار، لأنّ حديث الشفاعة الذي رواه مسلم أثبت أوليّة رسالة نوح على لسان أهل الموقف: «أنت أوّل رُسُل الله إلى الأرض» في حين أن الشيخ آدم عبد الله الألوري يقول: أمّا حديث الشفاعة فلا ينهض دليلاً لردّ رسالة آدم، وبدء الرسالة بنوح!!.

٢ - وبعضهم يرى أنّ آدم كان رسولاً في الأرض.. وبعضهم يرى أنّ آدم كان رسولاً لأهل السماء.. والأغرب من ذلك أن عالماً جليلاً جمع بين هذين القولين في كتابه [الإحكام في أصول الأحكام] حيث أثبت رأيه الأول في الجزء الأول من كتابه.. ثم أثبت رأيه الثاني في الجزء الخامس من كتابه!! في حين أن الأستاذ عبد السلام محمد بدوي يقول: إن آدم نبيّ الملائكة! ولكن الشيخ أحمد الصباحي عوض الله يرى أن الله جعل آدم نبياً ورسولاً إلى زوجته وأولاده...

٣ - وبعض العلماء يرى أن نبوة آدم مقصورة عليه، وما نزل عليه من الوحي متوجّهاً إليه، فكان من المصطفين دون المرسلين، كما يقول الإمام

الماوردي، في حين أن الأستاذ آدم عبد الله الألوري يرى أن القرآن نظم آدم في سلك الرُّسل إذ أطلق عليه كلمة اصطفى.. وأضاف: ولا يطلق القرآن هذه الكلمة إلا على المرسلين!!

٤ - وبعض العلماء يرى أن آدم أول الأنبياء.. وأن نوحاً أول الرُّسل كما يقول الإمام ابن كثير وغيره.. في حين رجّح بعضهم رسالة آدم كما قال الشيخ علي الطنطاوي: «وذكر آدم، ولم يصرّح بأنه كان رسولاً، ولكن تدلُّ الآيات التي ذكرَ فيها على ترجيح القول برسالته.

٥ - ويرى بعض العلماء أن آدم عصى قبل النبوة كما يقول الإمام الرضا علي بن موسى.. في حين يرى بعضهم أن آدم عصى بعد النبوة كما أشار إلى ذلك الشيخ عبد الوهاب النجار، ويرى البعض الثالث أن ظاهر آية ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ أن آدم عصى ربه وغوى بمخالفته أمر الله، واستجابته لدعوة الشيطان، وأن ذلك كان زلة وقع فيها كما يقول الشيخ سيد سابق.. وأضاف: ولكن إذا أمعنا النظر رأينا أن هذه المعصية إنما وقعت من آدم نسياناً منه لعهد الله، ولم يصدر عنه هذا الفعل عن إرادة وقصد.. ولم يوجد له عزم على فعل ما نُهي عنه!! وحيث لم يوجد العزم على المعصية، فلا توجد المؤاخذه!! والبعض الرابع يقول: والصحيح الذي عليه المعول من أقوال العلماء هو: أن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون عن المعاصي (الصغائر والكبائر) بعد النبوة باتفاق.. كما يقول الأستاذ محمد علي الصابوني.. نقلاً عن الشيخ حبنكة ويؤكد الأستاذ علي الطنطاوي استحالة وقوع المعصية من الرسول بعد الرسالة بقوله: «ويستحيل أن تقع من الرسول (بعد رسالته) معصية»!!

٦ - من الملاحظ أن أكثر كتب قصص الأنبياء وبعض كتب العقيدة الإسلامية جعلت ترتيب الأنبياء هكذا: [آدم - إدريس - نوح] كالإمام الماوردي، وابن كثير، والنيسابوري الثعلبي، وعبد الوهاب النجار،

وعفيف طbare، ومحمد علي الصابوني، وعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.

في حين أن البعض الآخر جعل ترتيب الأنبياء هكذا: [آدم - شيث - إدريس - نوح] كالإمام ابن تيمية، وأحمد الصباحي عوض الله، ونعمة الله الجزائري الإمامي، وأبو بكر جابر الجزائري.

وبعض العلماء يؤكد سابقة إدريس على نوح كالشيخ عبد الله الحبشي ونزار الحلبي ومحمد كنعان في حين أن غيرهم من العلماء كالشيخ البهي الخولي وسيد قطب لا يرون هذا الرأي كما سيأتي فيما بعد.

٧ - ومن الملاحظ أن بعض كتب قصص الأنبياء، اشتملت على بعض الخرافات والأساطير منها أن الله عز وجل لما أهبط آدم وزوجته حواء إلى الأرض، كانت رجلاه على ثنية الصفا، ورأسه دون أفق السماء، وأنه شكى إلى الله ما يصيبه من حر الشمس، فصير طوله سبعين ذراعاً بذراعه، وجعل طول حواء خمسة وثلاثين ذراعاً بذراعها!! كما حدث ذلك السيد نعمة الله الجزائري. وأن آدم بكى على الجنة حتى صار على خديه مثل النهرين العظيمين من الدموع! وقال الشيخ أحمد الصباحي عوض الله - نقلاً عن ابن عباس -: «بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة، ولم يأكلا ويشربا أربعين سنة، ولم يقرب آدم حواء مائة سنة!!»

٨ - بعض كتاب قصص الأنبياء يرى أن حواء ولدت لآدم أربعين ولداً في عشرين بطناً، كما نقل ذلك ابن كثير عن ابن جرير الطبري في تاريخه، وقيل مائة وعشرين بطناً كما ذكر ابن كثير، أولهم قابيل وأخته إقليما.. وآخرهم عبد المغيث وأخته أم المغيث.. ويرى بعضهم أن آدم لم يمت حتى ولد له أربعون ألفاً من البنين والبنات كما يقول الأستاذ أحمد الصباحي عوض الله، في حين ذكر أهل التاريخ أن آدم عليه السلام لم يمت

حتّى رأى من ذريته من أولاده وأولاد أولاده أربعمئة ألف نسمة فقط لا غير!! فالفرق بسيط جداً ما بين أربعين ولداً إلى أربعمئة ألف ولداً!!

٩ - بعض العلماء يرى أن آدم نزل عليه عشر صحف، وأن شيئاً نزل عليه خمسون صحيفة، وأن خنوخ نزل عليه ثلاثون صحيفة، وأن نوحاً نزل عليه عشر صحف!!

١٠ - ويرى بعض العلماء أن الإيمان بالرُّسل إجمالاً وتفصيلاً جزء من عقيدة المؤمن لا يتجزأ بحيث لا تصحُّ عقيدة المؤمن ولا تكمل إلا به كما يقول أبو بكر جابر الجزائري في كتابه (عقيدة المؤمن) في حين أن الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود يرى وجوب الإيمان بالأنبياء جملة وضعف حديث أبي ذر في عددهم، ويؤيد هذا الرأي الأستاذ عبد الكريم التّان بقوله: «ولا نعين عدداً لثلا يدخل فيهم من ليس منهم أو يخرج منهم من هو منهم». في حين يغالي بعضهم فيرى أن معرفة أولي العزم من الرُّسل بأسمائهم مما يعتبر جزءاً من العقيدة الإسلامية!

١١ - إن كثيراً من كتب العقائد وكتب الدين المدرسية أوجبت الإيمان بخمسة وعشرين نبياً أو رسولاً أولهم آدم وآخرهم محمد ﷺ.

١٢ - ثم غالى بعض العلماء في نبوة آدم فادّعى أن آدم عليه السلام نبيّ ورسول بلا خلاف بين العلماء!! وأن إدريس عليه السلام كان قبل نوح عليه السلام قطعاً!

وأضاف: فالقضية ليست هيّة كما يتوهم البعض، بل فيها أحد أمرين لا ثالث لهما:

إما إيمان بنبوة آدم فنجاة!!

وإما إنكار لها فوقع في الكفر البواح!! (كما يقول الشيخ محمد كنعان).

ويؤيده في هذا الكلام الشيخ نزار الحلبي بقوله: (آدم عليه السلام نبي بالقطع واليقين).

ويقول: إن إنكار نبوة آدم فتنة في الدين!! مدّعياً أن إدريس كان قبل نوح عليهما السلام بلا شك! وأن حديث الشفاعة ليس دالاً على أولية نبوة نوح على الإطلاق.. وأن هناك أولية نسبية وأولية مطلقة!! وأولية نبوة نوح ليست أولية مطلقة بل هي أولية نسبية!!

أما سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد رحمه الله فقد قال في فتواه:

فإننا ننتهي إلى القول:

[إننا نؤمن بأن آدم عليه السلام هو نبي ورسول، وأنه أول الأنبياء والرسل عليهم السلام.. وهو ما ذهب إليه جمهور علماء المسلمين من الصحابة والتابعين وأتباعهم والسلف الصالح، ولا يعتد بما ذهب إليه المخالفون!! ولم يتحدث عن كفر أو ردة المسلم الذي يؤمن بأولية نبوة نوح ورسالته، مختتماً فتواه:

هذا ما رجح لدينا.. والله أعلم].

في حين أن فضيلة الشيخ عبد الله العلايلي يقول:

النبي والرسول مهمته تبليغ الدعوة الموكلة إليه.. فيما لم يكن هناك من يجب تبليغ الدعوة إليهم، إذاً هنالك سؤال يطرح نفسه: نبي على من؟ ورسول لمن؟

* * *

فهل كانت نبوة آدم ورسالته ظنية.. أم يقينية؟

وهل كانت الأولية بالنبوة والرسالة لنوح عليه السلام أم كانت لآدم من قبله.

وهل كانت أولية نبوة نوح نسبية أم مطلقة؟

هذا ما سنحاول الإجابة عليه فيما بعد..

الفصل الثالث

العقائد الأساسية في الإسلام
والقرآن والسنة . . وثبوت العقيدة

العقائد الأساسية في الإسلام

يقول الأستاذ محمود شلتوت في كتابه [الإسلام عقيدة وشرعة]:
- والعقائد الأساسية التي طلب الإسلام الإيمان بها، وكانت العنصر
الأول من عناصره هي:

أولاً: وجود الله ووحدانيته، وتفردّه بالخلق والتدبير والتصرف، وتنزّهه
عن المشاركة في العزّة والسلطان، والمماثلة في الذات والصفات، وتفردّه
باستحقاق العبادة والتقديس، والاتجاه إليه بالاستعانة والخضوع، فلا خالق
غيره، ولا مدبّر غيره، ولا يماثله مما سواه شيء، ولا يشاركه في سلطانه
وعزّته شيء، ولا تخضع القلوب وتتجه إلى شيء سواه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ
أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(١)، ﴿قُلْ
أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذْ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ؟ قُلْ إِنِّي
أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢)، ﴿قُلْ إِنْ
صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ
أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ
شَيْءٍ؟﴾^(٣).

(١) سورة الإخلاص.

(٢) الآية ١٤ من سورة الأنعام.

(٣) الآيات ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، من سورة الأنعام.

ثانياً: أن الله يصطفي من عباده مَنْ يشاء، ويحمّله رسالته - عن طريق ملائكته ووحيه إلى خلقه - ثم يبعثه إليهم رسولاً يبلغهم، ويدعوهم إلى الإيمان والعمل الصالح. ومن هنا وجب الإيمان بجميع رُسُلِهِ الذين قصّهم علينا من نوح عليه السلام إلى محمد عليه السلام.

ثالثاً: الإيمان بالملائكة «سفراء الوحي بين الله ورُسُلِهِ» وبالكُتُب «رسالات الله إلى خلقه».

رابعاً: الإيمان بما تضمنته هذه الرسالات من يوم البعث والجزاء «الدار الآخرة» ومن أصول الشرائع والنظم التي ارتضاها الله لعباده، مما يناسب استعدادهم، وتقضي به مصالحهم، على الوجه الذي يكونون به مظهرًا حقًا لعدله ورحمته، وجلاله وحكمته.

كلمة الشهادة تجمع عقائد الإسلام وأصول شرائعه:

٢ - وقد جعل الإسلام عنوان تحقق هذه العقائد عند الإنسان الشهادة بأن الله واحد، وأن محمداً رسوله «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» وكانت تلك الشهادة هي المفتاح الذي يدخل به الإنسان في الإسلام، وتجري عليه أحكامه.

فالشهادة بوحداية الله تتضمن كمال العقيدة في الله من جهتي الربوبية «الخلق والتربية» والألوهية «العبادة».

والشهادة برسالة محمد تتضمن التصديق بكمال العقيدة في الملائكة، والكتب، والرُّسل، واليوم الآخر، وأصول الشريعة والأحكام ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ، كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ (٤).

(٤) الآية ٢٨٥ من سورة البقرة.

﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ
آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ (٥).

الحَدِّ الفاصل بين الإسلام والكفر:

٣ - وعليه؛ فَمَنْ لم يؤمن بوجود الله؛ أو لم يؤمن بوحدانيته وتنزّهه
عن المشابهة والحلول والاتحاد؛ أو لم يؤمن بتفردّه بتدبير الكون والتصرف
فيه، واستحقاق العبادة والتقديس، واستباح عبادة مخلوق ما من
المخلوقات؛ أو لم يؤمن بأن الله رسالات إلى خلقه، بعث بها رُسُلَه، وأنزل
بها كتبه عن طريق ملائكته؛ أو لم يؤمن بما تضمنته الكتب من الرُّسل؛ أو
فرّق بين الرُّسل الذين قصّ علينا فأمن بالبعض وكفر بالبعض؛ أو لم يؤمن
بأن الحياة الدُّنيا تَفْنَى ويعقبها دار أخرى هي دار الجزاء ودار الإقامة
الأبدية، بل اعتقد أن الحياة الدُّنيا حياة دائمة لا تنقطع، أو اعتقد أنها تَفْنَى
فناءً دائماً لا بَعَث بعده، ولا حساب ولا جزاء؛ أو لم يؤمن بأن أصول شرع
الله فيما حرّم وفيما أوجب، هي دينه الذي يجب أن يتّبع، فحرّم من تلقاء
نفسه ما رأى تحريمه، وأوجب من تلقاء نفسه ما رأى وجوبه... مَنْ لم
يؤمن بجانب من هذه الجوانب أو حلقة من هذه الحلقات لا يكون مسلماً،
ولا تجري عليه أحكام المسلمين فيما بينهم وبين الله، وفيما بينهم بعضهم
وبعض، وليس معنى هذا أن مَنْ لم يؤمن بشيء من ذلك يكون كافراً عند
الله، يخلد في النار، وإنما معناه أنه لا تجري عليه في الدنيا أحكام
الإسلام، فلا يطالب بما فرضه الله على المسلمين من العبادات، ولا يمنع
مما حرّمه الإسلام كشرب الخمر وأكل الخنزير والإتجار بهما، ولا يغسله
المسلمون إذا مات ولا يصلُّون عليه، ولا يرثه قريبه المسلم في ماله، كما
لا يرث هو قريبه المسلم إذا مات.

(٥) الآية ١٧٧ من سورة البقرة.

أما الحكم بكفره عند الله فهو يتوقف على أن يكون إنكاره لتلك العقائد أو لشيء منها - بعد أن بلغته على وجهها الصحيح ، واقتنع بها فيما بينه وبين نفسه ، ولكنه أبى أن يعتنقها ويشهد بها عناداً واستكباراً ، أو طمعاً في مال زائل أو جاه زائف ، أو خوفاً من لوم فاسد؛ فإذا لم تبلغه تلك العقائد ، أو بلغته بصورة مُنفرة أو صورة صحيحة ولم يكن من أهل النظر ، أو كان من أهل النظر ولكن لم يوفق إليها ، وظل ينظر ويفكر طلباً للحق ، حتى أدركه الموت أثناء نظره - فإنه لا يكون كافراً يستحق الخلود في النار عند الله .

ومن هنا كانت الشعوب النائية التي لم تصل إليها عقيدة الإسلام أو وصلت إليها بصورة سيئة مُنفرة ، أو لم يفقهوا حجته مع اجتهادهم في بحثها - بمنجاة من العقاب الأخروي للكافرين ، ولا يطلق عليهم اسم الكفر .

والشرك الذي جاء في القرآن أن الله لا يغفره ، هو الشرك الناشئ عن العناد والاستكبار . . الذي قال الله في أصحابه : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (٦) .

القرآن . . . وثبوت العقيدة :

٣ - وتطبيقاً للمبادئ التي ذكرناها ، يتبين لنا : أن الطريق الوحيد لثبوت العقائد هو القرآن الكريم ، وذلك فيما كان من آياته قطعيّ الدلالة (لا يحتمل معنيين فأكثر) ، كآيات التي ذكرناها من قبل في إثبات الوحدة والرسالة ، واليوم الآخر .

وأما ما كان غير قطعي في دلالة محتملاً لمعنيين فأكثر ، فهذا لا

(٦) الآية ١٤ من سورة النمل .

يصلح أن يُتخذ دليلاً على عقيدة يحكم على مُنكرها بأنه كافر، وذلك كالآيات التي استدلت بها بعض العلماء على رؤية الله بالأبصار في الدار الآخرة: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (٧). ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ (٨). ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (٩). ولم يسلم لهم آخرون من العلماء فهمهم فيها، بل نفوا الرؤية المذكورة بآية أخرى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٠). وإذن فثبوت العقيدة بالقرآن أو عدمه مبني على قطعية الدلالة أو ظنيته. أما قطعية الورد فهذا لا شك فيه، إذ القرآن كله قد وصل إلينا كما أنزله الله - متواتراً جيلاً عن جيل.

* * *

السنة . . وثبوت العقيدة:

منشأ ظنية السنة:

٤ - وإذا كانت العقيدة لا تثبت إلا بنص قطعي في وروده ودلالته، كان لا بد من تبين المبادئ التي تقوم عليها قطعية السنة أو ظنيته. وأول ما يجب التنبيه له في هذا المقام أن [الظنية] تلحق السنة من جهتي الورد والدلالة: فقد يكون في اتصال الحديث برسول الله ﷺ شبهة فيكون ظني الورد، وقد يلبس دلالته احتمال، فيكون ظني الدلالة، وقد يجتمع فيه الأمران: الشبهة في اتصاله، والاحتمال في دلالته، فيكون ظنياً

(٧) الآية ٢٦ من سورة يونس، وقد فسروا الزيادة بأنها رؤية الله.
(٨) الآيتان ٢٢، ٢٣ من سورة المطففين، وقد قالوا: إن السياق يجعل المنظور إليه هو الله تعالى.

(٩) الآيتان ٢٢، ٢٣ من سورة القيامة.

(١٠) الآية ١٠٣ من سورة الأنعام.

في وروده ودلالته. ومتى لحقت [الظنية] الحديث على أي نحو من هذه الثلاثة فلا يمكن أن تثبت به عقيدة يكفر مُنكرها، وإنما يثبت الحديث العقيدة وينهض حجة عليها إذا كان قطعياً في وروده وفي دلالته.

التواتر والآحاد:

ولكي يتضح مناط [القطعية والظنية] في ورود الحديث، ينبغي أن نبين ما قرره العلماء في (التواتر والآحاد) ليكون مناراً يهتدي به من يريد الوصول إلى الحق:

قسّم العلماء (السنة) إلى قسمين: ما ورد بطريق التواتر، وما ورد بطريق الآحاد. وضابط التواتر أن يبلغ الرواة حداً من الكثرة تحيل العادة معه تواطؤهم على الكذب.. ولا بد أن يكون ذلك متحققاً في جميع طبقاته: أوله ومنتهاه ووسطه، بأن يروي جمع عن النبي ﷺ، ثم يروي عنهم جمع مثلهم، وهكذا حتى يصل إلينا، وهو عند التحقيق رواية الكافة عن الكافة.

ويقول بعض علماء الأصول: (الخبر المتواتر هو الذي اتصل بك من رسول ﷺ اتصالاً بلا شبهة حتى صار كالمُعاین المسموع منه، وذلك أن يرويه قوم لا يُحصى عددهم، ولا يُتوهم تواطؤهم على الكذب لكثرتهم وعدالتهم وتباين أماكنهم، ويدوم هذا في وسطه وآخره كأوله، وذلك مثل: القرآن والصلوات الخمس، وأعداد الركعات، ومقادير الزكوات)^(١١).

الآحاد لا تفيد اليقين:

هذا هو التواتر الذي يوجب اليقين بثبوت الخبر عن رسول الله ﷺ، أما إذا روى الخبر واحد، أو عدد يسير ولو في بعض طبقاته، فإنه لا يكون

(١١) البزدوي:

متواتراً مقطوعاً بنسبته إلى رسول الله ﷺ، وإنما يكون (آحادياً) في اتّصاله بالرسول شبهة، فلا يفيد اليقين (١٢).

إلى هذا ذهب أهل العلم ومنهم الأئمة الأربعة: مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد في إحدى الروايتين عنه، وقد جاء في الرواية الأخرى خلاف ذلك، وفيها يقول شارح مسلم الثبوت: (وهذا بعيد عن مثله فإنه مكابرة ظاهرة) وقال البزدوي: (وأما دعوى علم اليقين - يريد في أحاديث الآحاد - فباطلة بلا شبهة لأنّ العيان يردّه، وهذا لأنّ خبر الواحد محتمل لا محالة، ولا يقين مع الاحتمال، ومن أنكر هذا فقد سفه نفسه وأضلّ عقله).

وقال الغزالي: (خبر الواحد لا يفيد العلم وهو - أي عدم إفادته العلم - معلوم بالضرورة. وما نُقِلَ عن المحدثين من أنّه يوجب العلم، فلعلّهم أرادوا أنه يفيد العلم بوجوب العمل، إذ يسمّى الظنّ علماً، ولذا قال بعضهم: خبر الآحاد يورث العلم الظاهر، والعلم ليس له ظاهر وباطن وإنما هو الظنّ).

وقال الأسنوي: (وأما السُّنة، فالآحاد منها لا يفيد إلا الظنّ).

وقال البزدوي تفريعاً على أن خبر الواحد لا يفيد العلم: (خبر الواحد لمّا لم يُفَدِ اليقين لا يكون حجة فيما رجع إلى الاعتقاد، لأنّه مبنيّ على اليقين، وإنّما كان حجة فيما قصد فيه العمل).

وقال الأسنوي: (إن رواية الآحاد إن أفادت فإنّما تفيد الظنّ، والشارع إنّما أجاز الظنّ في المسائل العملية وهي الفروع دون العلمية كقواعد أصول الدّين).

وهكذا نجد نصوص العلماء من متكلمين وأصوليين مجتمعة على أن

(١٢) ولا فرق في ذلك بين أحاديث الصحيحين وغيرهما: انظر مسلم الثبوت والتحرير.

خبر الأحاد لا يفيد اليقين، فلا تثبت به العقيدة، ونجد المحققين من العلماء يصفون ذلك بأنه ضروري لا يصح أن ينازع أحد في شيء منه، ويحملون قول من قال (١٣): (إن خبر الواحد يفيد العلم) على أن مراده العلم بمعنى الظن كما ورد، أو العلم بوجوب العمل. على أن الكلام إنما هو في إفادته العلم على وجه تثبت به العقيدة، وليس معنى هذا أنه لا يحدث علماً لإنسان ما، فإن من الناس من يحدث العلم في نفسه بما هو أقل من خبر الواحد الذي نتحدث عنه، ولكن لا يكون ذلك حجة على أحد، ولا تثبت به عقيدة يكفر جاحدها، فإن الله تعالى لم يكلف عباده عقيدة من العقائد عن طريق من شأنه ألا يفيد إلا الظن، ومن هنا يتأكد أن ما قررنا من أن أحاديث الأحاد لا تفيد عقيدة، ولا يصح الاعتماد عليها في شأن المغيبات قول مجمع عليه وثابت بحكم الضرورة العقلية التي لا مجال للخلاف فيها عند العقلاء!

نُدرة المتواتر:

وإذ قد عرفنا الفرق بين مناط القطعية في الورد وهو التواتر، ومناط الظنية وهو الأحادية، فهناك بحث آخر يتصل بالتواتر ولا بد من النظر فيه، هذا البحث هو: هل يوجد المتواتر في الأحاديث المروية في الكتب المدونة؟ وقد اختلف العلماء في الجواب عن ذلك: فذهب قوم إلى أنه لا يوجد حديث متواتر فيما روي لنا من الأحاديث ودون في الكتب، ولعل هؤلاء بنوا رأيهم هذا على اشتراط عدم الإحصاء في رواية المتواتر، وهو مذهب لطائفة من العلماء، كما تبين مما نقلناه في تعريف المتواتر. وقال ابن الصلاح: (لا يكاد يوجد المتواتر في رواياتهم، من سئل عن إبراز مثال له فيما يروي من أهل الحديث أعياه تطلبه، وحديث «إنما الأعمال بالنيات»

(١٣) ابن حزم في كتابه «الإحكام».

ليس من ذلك السبيل، وإن نقله عدد التواتر وزيادة، لأن ذلك طرأ في وسط إسناده ولم يوجد في أوله.. نعم حديث «من كذب عليّ» نراه مثلاً لذلك، فإن رواه أزيد من مائة صحابي، وفيهم العشرة المبشرون بالجنة، ولا يُعرف حديث يروى عن أكثر من ستين صحابياً إلا هذا الحديث الواحد).

وذهب آخرون إلى أن المتواتر كثير في هذه الكتب. قالوا: (إن هذه الكتب المشهورة المتداولة بأيدي أهل العلم شرقاً وغرباً مقطوع بصحة نسبتها إلى مصنفها، فإذا اجتمعت على إخراج حديث، وتعددت طرقه تعددت استحيل العادة معه تواطؤهم على الكذب إلى آخر الشروط، أفاد ذلك العلم اليقيني بصحة نسبته إلى قائله، ومثل ذلك في الكتب كثير)^(١٤).

وليس بنا حاجة إلى أن نعرف مدى هذه الكثرة التي يراها هؤلاء ويذكرونها في مقابلة القول بالعدم، أو في مقابلة القول بالندرة وإعفاء تطلب المثال، وإنما يهمنا أن نلفت النظر إلى أنه لا يحكم لحديث بالتواتر - حتى على أكثر هذه المذاهب توسعاً - إلا إذا اجتمعت فيه الشروط الآتية:

- ١ - أن تخرجه جميع كتب الحديث المشهورة المتداولة.
 - ٢ - أن تتعدّد طرق إخرجه تعدّداً تستحيل العادة معه التواطؤ على الكذب.
 - ٣ - أن يثبت هذا التعدّد في جميع طبقاته: أوله وآخره ووسطه.
- إذن: فالحديث الذي لم تخرجه جميع الكتب المتداولة المشهورة، أو أخرجته جميعها ولكن لا بطرق متعدّدة، أو أخرجته بطرق متعدّدة ولكن لا في جميع الطبقات، بل في بعضها دون بعض - لا يكون متواتراً باتفاق العلماء أجمعين!

(١٤) انظر مسلم الثبوت، والتحرير، ومقدمة ابن الصلاح.

الإسراف في وصف الأحاديث بالتواتر وأسبابه:

ويجدر بنا بعد هذا أن نعرض لظاهرة غريبة شاعت في الناس، وإن الحق ليتقاضى فيها واجبه من العلماء المسؤولين أمام الله وأمام الرسول: تلك الظاهرة هي أنه على الرغم مما قرره العلماء في شأن المتواتر تحديداً ووجوداً، وعلى الرغم من هذا التحفظ الشديد في الحكم لحديث مما دُون في الكتب بالتواتر - نرى بعض المؤلفين قديماً وحديثاً يُسرفون في وصف الأحاديث بالتواتر، وقد يقتصدون فيخلعون عليها أوصافاً أخرى كالشُهرة والاستفاضة والذيعوع على ألسنة العلماء، وتلقي الأمة إياها بالقبول والثبوت في كتب التفسير وشرح الحديث، أو في كتب التاريخ والمناقب... إلخ. وقد يشتط أناس في سلوك هذا السبيل، فنراهم يتبعون مع هذا أسماء الصحابة والتابعين والأئمة والمؤلفين الذين جرى ذكرهم على ألسنة النقلة في رواية الحديث، وهم يعلمون أنها روايات ضعيفة لا تصبر على النقد، وأن هذه الأسماء التي يحرصون على جمعها توجد في كل حديث، حتى في الأحاديث الموضوعة، ولكنهم مع ذلك يجمعونها، ويجتهدون في عدّها وإحصائها وذكّر الكتب التي اشتملت عليها، لأنهم يريدون أن يخطفوا أبصار العامة، ويستغلّوا عاطفتهم الدينية، ويزعموا لهم أن هذا الحديث أو تلك الأحاديث قد وردت عن نبيكم في هذه الكتب الكثيرة، وعلى لسان هذا الجُم الغفير من الرواة بين صحابة وتابعين، فهي متواترة لا شك في تواترها، وهي متصلة بالرسول لا شك في اتصالها، ومن حاول الطعن فيها؛ أو الحطّ من درجتها، فقد ضلّ ضلالاً بعيداً، وحادّ عن سبيل المؤمنين!

ولهذه الظاهرة أسباب:

منها: - وقد يكون أقلّها خطراً - اشتهار الحديث في طبقة أو طبقتين فتسحب الشُهرة على جميع طبقاته، ويُحكم عليه حكماً عاماً بالتواتر أو الشُهرة من غير تحقيق ولا تمحيص؛ وقد لا يصل الحديث إلى حدّ الشُهرة

في طبقة ما، ولكنه جاء في (الخلافيات) فقهية أو كلامية، فتعصب له أتباع المذاهب وخلعوا عليه وصف الشهرة أو التواتر تأييداً لمذهبهم، وتناقلته الكتب، موصوفاً بذلك منسوباً إلى جمع من رجال الرأي والمذهب، فيخاله الناس مشهوراً أو متواتراً، وهو ليس بمتواتر ولا مشهور!

ولقد كان للقائمين (بالترغيب والترهيب) ونقل الملاحم والفتن وغرائب الأخبار التي تميل النفوس إلى التحدث بها والاستماع إليها، أثر عظيم في خلع أوصاف الشهرة والتواتر على أنواع خاصة من الأحاديث التي ليست بمشهورة ولا متواترة، بل ربّما كانت غير صحيحة^(١٥)، وقد تأثرت بذلك طبقة من الخاصة لم تُعَنّ بتحقيق الرواية، ولا بمعرفة درجة الحديث، واكتفت بنقل ما يقوله هؤلاء وإجرائه على ألسنتهم وفي كتبهم حتى شاع واشتهر.

وإنما استباحوا ذلك معتمدين على ما قرّره بعض علماء المصطلح من (جواز التساهل في الأسانيد، ورواية ما سوى الموضوع)^(١٦) من أنواع الأحاديث الضعيفة من غير اهتمام ببيان ضعفها فيما سوى صفات الله تعالى وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما، وذلك كالمواعظ والقصص وفضائل الأعمال وسائر فنون الترغيب والترهيب مما لا تعلق له بالأحكام والعقائد^(١٧).

وبذلك رويوا الأحاديث الضعيفة بل الموضوعية، ثم توسّعوا، فوصفوا الأحاد بالتواتر، والضعيف بالصحيح، وتناسوا مقاييس التواتر والآحادية،

(١٥) وقد روي عن الإمام أحمد أنه قال: أربعة أحاديث تدور بين الناس في الأسواق ولا أصل لها.. إلخ.

(١٦) وفي نخبة الفكر عن بعض الكرامية والمتصوفة: «إباحة الوضع في الترغيب والترهيب»، انظر مسلم الشبوت.

(١٧) انظر مقدمة ابن الصلاح.

ومقاييس الصِّحة والضعف، ومن هنا رأينا مَنْ يصف (المعجزات الحسية) كانشقاق القمر، وتسبيح الحصى، وكلام الغزالة، وحنين الجذع بالتواتر، مع أنَّها غير متواترة، وإنما هي آحادية كما قرَّره علماء الأصول. وكذلك رأينا مَنْ يصف أخبار المهدي، والدَّجَّال، ويأجوج ومأجوج، وما إلى ذلك مما يذكر باسم (أشراط الساعة) بالشُّهرة أو التواتر.

بقي بعد هذا أمرٌ لا بدُّ من تقريره: وهو أنَّ تلك الأحاديث كيفما كانت، ليست من قبيل المحكم الذي لا يحتمل التأويل حتى تكون قطعية الدلالة، فقد تناولتها أفهام العلماء قديماً وحديثاً، ولم يجدوا مانعاً من تأويلها. وقد جاء في شرح المقاصد - بعد أن قرَّر مؤلفها أنَّ جميع أحاديث أشراط الساعة آحادية - ما نصّه: (ولا يمتنع حملها على ظواهرها عند أهل الشريعة... وأوَّل بعض العلماء النار الخارجة من الحجاز بالعلم والهداية سيما الفقه الحجازي، والنار الحاشرة للناس بفتنة الأتراك، وفتنة الدَّجَّال بظهور الشرِّ والفساد، ونزول عيسى عليه السلام باندفاع ذلك وبدو الخير والصالح... إلخ).

ومن ذلك نرى أنَّ السعد(*) لا يقرِّر وجوب حملها على ظواهرها حتى تكون من قطعيِّ الدَّلالة الذي يمتنع تأويله، وإنَّما يقرِّر بصريح العبارة (أنَّه لا مانع من حملها على ظواهرها) فيعطي بذلك حقَّ التأويل لمن انقذ في قلبه سبب للتأويل، ثمَّ يحدث عن بعض العلماء أنَّهم سلكوا سبيل التأويل في هذه الأحاديث فعلاً، ويبين المعنى الذي حملوها عليه، ولا شكَّ أنَّ هذا لم يكن منه إلاَّ لأنَّه يعتقد - كما يعتقد سائر العلماء الذين يعرفون الفرق بين ما يقبل التأويل وما لا يقبله - أنَّ ما تدلُّ عليه ألفاظ تلك الأحاديث ليس عقيدة يجب الإيمان بها، فمَنْ أدَّاه نظره إلى أن يؤمن بظواهرها فله ذلك، ومَنْ أدَّاه نظره إلى تأويلها فله ذلك، شأن كلِّ ظنيٍّ في دلَّالته..

(*) سعد الدين التفتازاني.

الفصل الرابع

تعريفات وقواعد أصولية وفقهية وتفسيرية

- ١ - تعريفات: الألفاظ الدائرة بين أهل النظر.
- ٢ - الأدلة الشرعية والقواعد الأصولية.
- ٣ - قواعد فقهية من مجلة الأحكام العدلية.
- ٤ - تحريم القول على الله بغير علم.
- ٥ - دلالة آيات القرآن إما قطعية.. وإما ظنية.
- ٦ - السنة النبوية قسمان: سنة متواترة، وأحاديث آحاد.
- ٧ - السنة النبوية قطعيها.. وظنيها.
- ٨ - السنة لا تعارض القرآن.
- ٩ - الإجماع في أصول الفقه.
- ١٠ - الظن واليقين في كتاب الله سبحانه.
- ١١ - الظن واليقين في أصول الأحكام.
- ١٢ - قواعد أصولية وتفسيرية اتفق عليها علماء أصول الفقه وعلماء التفسير.

تعريفات

فصل في الألفاظ الدائرة بين أهل النظر (١)

- العلم: هو تيقُّن الشيء على ما هو عليه.
- والاعتقاد: هو استقرار حكم بشيء ما في النفس، إمَّا عن برهان، أو اتِّباع مَنْ صحَّ برهان قوله، فيكون علماً يقيناً ولا بدَّ.
- والبرهان: كلُّ قضية أو قضايا دلت على حقيقة حكم الشيء.
- والدليل: قد يكون برهاناً، وقد يكون اسماً يعرف به المسمَّى.
- والحجَّة: هي الدليل نفسه إذا كان برهاناً أو إقناعاً أو شغباً.
- والاستدلال: طلب الدليل من قِبَل معارف العقل ونتائجه، أو من قِبَل إنسان يعلم.
- والإقناع: قضية أو قضايا أنست النفس بحكم شيء ما، دون أو توقفها على تحقيق حجة ولم يقم عندها برهان بإبطاله.
- والشغب: تمويه بحجة باطل بقضية أو قضايا فاسدة تقود إلى الباطل، وهي السفسطة.
- والتقليد: هو اعتقاد الشيء لأن فلاناً قاله عمَّن لم يقم على صحَّة قوله برهان.

(١) من كتاب (الإحكام في أصول الأحكام) للإمام ابن حزم - الجزء الأول - الباب الخامس.

وأما اتّباع مَنْ أَمَرَ الله باتّباعه فليس تقليداً، بل هو طاعة حقّ لله تعالى .
والبيان : كون الشيء في ذاته ممكناً أن تُعرف حقيقته لِمَنْ أراد علمه .
والصدق : هو الإخبار عن الشيء بما هو عليه .
والحق : هو كون الشيء صحيح الوجود .
والباطل : ما ليس حقّاً .

والكذب : هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه .
والنّص : هو اللفظ الوارد في القرآن أو السُّنة المستدلّ به على حكم الأشياء، وهو الظاهر نفسه . وقد يسمّى كلّ كلام يورد كما قاله المتكلّم به نصّاً .
والتأويل : نقل اللفظ عمّا اقتضاه ظاهره وعمّا وُضِعَ له في اللغة إلى معنى آخر .

والعموم : حمل اللفظ على كلّ ما اقتضاه في اللغة، وكلّ عموم ظاهر، وليس كلّ ظاهر عمومياً، إذ قد يكون الظاهر خبراً عن شخص واحد ولا يكون العموم إلّا على أكثر من واحد .

والخصوص : محل اللفظ على بعض ما يقتضيه في اللغة دون بعض .
والمجمل : لفظ يقتضي تفسيراً فيؤخذ من لفظ آخر .
والمفسّر : لفظ يُفهم منه معنى المجمل المذكور .

والأمر : إلزام الأمر بالمأمور عملاً ما، فإن كان الخالق تعالى أو رسوله ﷺ فالطاعة لهما فرض، وإن كان مِمَّنْ دونهما فلا طاعة له .

والنهي : إلزام الناهي المنهي ترك عمل ما .

والفرض : ما استحقّ تاركه اللوم، واسم المعصية لله تعالى، وهو :
الواجب، واللازم، والحتم .

والحرام : هو ما استحقّ فاعله اللوم واسم المعصية لله تعالى - إلّا أن

يسقط ذلك عنه من الله تعالى عفو أو توبة، وهو المحذور، والذي لا يجوز، والممنوع.

والطاعة: تنفيذ الأمر من المأمور فيما أمر به، والتوقف عن إتيان المنهي عنه، وقد يسمّى كلّ برّ طاعة.

والمعصية: ضد ذلك.

والندب: أمر بتخير في الترك إلا أن فاعله مأجور، وتاركه لا آثم ولا مأجور... وهو كلّ تطوّع ونافلة، غير الفرض.

والكراهة: نهى بتخير في الفعل إلا أن على تركه ثواباً، وليس في فعله أجر ولا إثم.

والإباحة: تسوية بين الفعل والترك، لا ثواب على شيء منهما ولا عقاب.

والنية: قصد العمل بإرادة النفس له دون غيره، واعتقاد النفس ما استقرّ فيها.

والتفسير والشرح: هما التبيين.

والجدل والجدال: إخبار كلّ واحد من المختلفين بحجّته، أو بما يقدر أنه حجّته، وقد يكون كلاهما مبطلاً، وقد يكون أحدهما محقّقاً، والآخر مبطلاً، إمّا في لفظه وإمّا في مراده أو في كليهما، ولا سبيل أن يكونا معاً محقّقين في ألفاظهما ومعانيهما.

والاجتهاد: بلوغ الغاية واستنفاد الجهد في المواضع التي يرجى وجوده فيها في طلب الحقّ، فمصيب موفق أو محروم.

والرأي: ما تخيلته النفس صواباً دون برهان، ولا يجوز الحكم به أصلاً.

والصواب: إصابة الحق.

والخطأ: العدول عنه بغير قصد إلى ذلك.

والعناد: العدول عنه بالقصد إلى ذلك.

ودليل الخطاب: هو ضد القياس، وهو أن يحكم للمسكوت عنه بخلاف حكم المنصوص عليه.

والشريعة: هي ما شرعه الله على لسان نبيه ﷺ في الديانة وعلى السنة الأنبياء عليهم السلام قبله، قال تعالى: ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك، وما وصىنا به إبراهيم وموسى وعيسى ﴾. [الشورى: ١٣]
واللغة: ألفاظ يعبر بها عن المسميات، وعن المعاني المراد إفهامها، ولكل أمة لغتهم، قال الله عز وجل: ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ [إبراهيم: ٤] ولا خلاف في أنه تعالى أراد اللغات.

واللفظ: هو كل ما حرك به اللسان. قال تعالى: ﴿ ما يُلَفِّظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾. [ق: ١٨]

والخلاف: هو التنازع في أي شيء كان، وهو أن يأخذ الإنسان في مسالك من القول أو الفعل، ويأخذ غيره في مسلك آخر وهو حرام في الديانة، إذ لا يحل خلاف ما أثبتته الله تعالى فيها، وقال تعالى: ﴿ ولا تنازعوا ﴾، [الأنفال: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ [النساء: ٨٢]. وهو التفريق أيضاً، قال تعالى: ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ﴾. [آل عمران: ١٠٥]

والإجماع: هو في اللغة ما اتفق عليه اثنان فصاعداً، وهو الاتفاق، وهو حينئذ مضاف إلى ما أجمع عليه، وأما الإجماع الذي تقوم به الحجة في الشريعة فهو ما اتفق أن جميع الصحابة رضي الله عنهم قالوه ودانوا به عن نبيهم ﷺ ليس الإجماع في الدين شيئاً غير هذا، وأما ما لم يكن إجماعاً في الشريعة، فهو ما اختلفوا فيه باجتهادهم أو سكت بعضهم، ولو واحد منهم عن الكلام فيه.

والسنة: هي الشريعة نفسها.
وأقسام السنة في الشريعة: فرض، أو ندب، أو إباحة، أو كراهة، أو
تحريم، كل ذلك قد سنّه رسول الله ﷺ عن الله عزّ وجل.
والبدعة: كل ما قيل أو فعل مما ليس له أصل فيما نسب إليه ﷺ وهو في
الدين كل ما لم يأت في القرآن، ولا عن رسول الله ﷺ.
والكناية: لفظ يُقام مقام الاسم كالضمائر المعهودة في اللغات،
وكالتعريض بما يفهم منه المراد وإن لم يصرّح بالاسم.
والإشارة: تكون باللفظ وتكون ببعض الجوارح، وهي تنبيه المشار إليه أو
تنبيهه عليه.

والمجاز: هو في اللغة ما سلك عليه من مكان إلى مكان، وهو الطريق
الموصل بين الأماكن، ثم استُعْمِلَ فيما نقل عن موضعه في اللغة إلى معنى آخر.
ولا يُعلم ذلك إلا من دليل من اتفاق أو مشاهدة. وهو في الدين كل ما نقله الله
تعالى أو رسوله ﷺ عن موضعه في اللغة إلى معنى آخر ومعنى ثانٍ، ولا يقبل
من أحد في شيء من النصوص أنه مجاز إلا ببرهان يأتي به من نص آخر، أو
إجماع متيقن، أو ضرورة حسّ، وهو حينئذٍ حقيقياً، لأن التسمية لله عزّ وجل،
فإذا سمّى تعالى شيئاً ما باسم ما فهو اسم ذلك الشيء على الحقيقة في ذلك
المكان، وليس ذلك في الدين لغير الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ
سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ، مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾. [النجم: ٢٣]

والمتشابه: لا يوجد في شيء من الشرائع إلا بالإضافة إلى من جهل دون
من علم وهو في القرآن، وهو الذي نهينا عن اتباع تأويله وعن طلبه، وأمرنا
بالإيمان به جملة، وليس هو في القرآن إلا للإقسام التي في السورة كقوله
تعالى: ﴿وَالضُّحَى﴾، والليل إذا سجي ﴿﴾، ﴿وَالْفَجْرِ﴾ وليالٍ عشر ﴿﴾ والحروف
المقطّعة التي في أوائل السور، وكل ما عدا هذا من القرآن فهو محكم.
والمفصل: هو ما بينت أقسامه.

والاستنباط: إخراج الشيء المعين من شيء آخر كان فيه، وهو في الدين إن كان منصوباً على جملة معناه فهو حق، وإن كان غير منصوب على جملة معناه فهو باطل لا يحل القول به.

والحكم: هو إمضاء قضية في شيء ما، وهو في الدين: تحريم، أو إيجاب، أو إباحة مطلقة، أو بكراهة، أو باختيار.

والإيمان: أصله في اللغة التصديق باللسان والقلب معاً، لا بأحدهما دون الثاني، وهو في الدين التصديق بالقلب بكل ما أمر الله تعالى به على لسان رسوله ﷺ والنطق بذلك باللسان، ولا بد من استعمال الجوارح في جميع الطاعات: واجبها، ونذيتها، واجتناب محرمها، ومكروها.

والكفر: أصله في اللغة التغطية، قال عز وجل: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾^(١) وهو في الدين: صفة من جحد شيئاً مما افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق إليه بقلبه دون لسانه أو بلسانه دون قلبه، أو بهما معاً...

والعقل: هو استعمال الطاعات والفضائل، وهو غير التمييز، لأنه استعمال ما ميز الإنسان فضله، فكل عاقل مميز، وليس كل مميز عاقلاً، وهو في اللغة: المنع: تقول عقلت البعير أعقله عقلاً.

(١) الحديد: ٢٠.

الأدلة الشرعية (١)

تعريف الدليل: الدليل معناه في اللغة العربية: الهادي إلى أي شيء حسي أو معنوي، خير أو شرّ - وأما معناه في اصطلاح الأصوليين فهو: ما يستدلّ بالنظر الصحيح فيه على حكم شرعي عملي على سبيل القطع أو الظنّ. وأدلة الأحكام، وأصول الأحكام، والمصادر التشريعية للأحكام، ألفاظ مترادفة معناها واحد.

وبعض الأصوليين عرّف الدليل بأنه: ما يستفاد منه حكم شرعي عملي على سبيل القطع. وأما ما يستفاد منه حكم شرعي على سبيل الظنّ، فهو أمانة لا دليل. ولكن المشهور في اصطلاح الأصوليين أن الدليل هو ما يستفاد منه حكم شرعي عملي مطلقاً، أي سواء أكان على سبيل القطع أم على سبيل الظنّ. ولهذا قسّموا الدليل إلى قطعي الدلالة، وإلى ظني الدلالة.

الأدلة الشرعية بالإجمال: ثبت بالاستقراء أن الأدلة الشرعية التي تستفاد منها الأحكام العملية ترجع إلى أربعة: القرآن والسنة والإجماع والقياس، وهذه الأدلة الأربعة اتفق جمهور المسلمين على الاستدلال بها، واتفقوا أيضاً على أنها مرتبة في الاستدلال بها هذا الترتيب: القرآن، فالسنة، فالإجماع، فالقياس. أي أنه إذا عرضت واقعة، نظر أولاً في القرآن، فإن وجد فيه حكمها أمضي، وإن لم يوجد فيه حكمها، نظر في السنة، فإن وجد فيها حكمها أمضي، وإن لم يوجد فيها حكمها نظر هل أجمع المجتهدون في عصر من العصور على حكم فيها، فإن وجد أمضي، وإن لم يوجد اجتهد في الوصول إلى حكمها بقياسها على ما ورد النص بحكمه.

(١) (علم أصول الفقه) لعبد الوهاب خلاف - ص ٢٠ - ٢٢.

أما البرهان في الاستدلال بها فهو قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ . فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩] .

فالأمر بإطاعة الله وإطاعة رسوله، أمر باتّباع القرآن والسنة، والأمر بإطاعة أولي الأمر من المسلمين أمر باتّباع ما اتفقت عليه كلمة المجتهدين من الأحكام لأنهم أولو الأمر التشريعي من المسلمين، والأمر برّد الوقائع المتنازع فيها إلى الله والرسول أمر باتّباع القياس حيث لا نص ولا إجماع، لأن القياس في ردّ المتنازع فيه إلى الله وإلى الرسول لأنه إلحاق واقعة لم يرد نص بحكمها بواقعة ورد النص بحكمها في الحكم الذي ورّد به النص لتساوي الواقعتين في علّة الحكم، فالآية تدلّ على اتّباع هذه الأربعة .

وأما الدليل على ترتيبها في الاستدلال بها هذا الترتيب، فهو ما رواه البغوي «عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن قال: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله. قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله. قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو، (أي لا أقصّر في اجتهادي). قال: فضرب رسول الله على صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله». وما رواه البغوي عن ميمون بن مهران قال: «كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصوم نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب وعلم عن رسول الله في ذلك الأمر سنة قضى بها. فإن أعياه أن يجد في سنة رسول الله جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم، فإن أجمع رأيهم على أمر قضى به وكذلك كان يفعل عمر» وأقرهما هذا كبار الصحابة ورؤوس المسلمين ولم يعرف بينهم مخالف في هذا الترتيب.

أقسام الأصول

التي لا يُعرف شيء من الشرائع إلّا منها وأنها أربعة، وهي:

١ - نصّ القرآن.

٢ - ونصّ كلام رسول الله ﷺ الذي إنما هو عن الله تعالى، مما صحّ عنه عليه السلام بنقل الثقات أو التواتر.

٣ - وإجماع جميع علماء الأمة.

٤ - أو دليل منها لا يحتمل إلّا وجهاً واحداً.

[الاحكام في أصول الأحكام لابن حزم : ج ١ ص ٦١].

النّص

قال ابن حزم: «... والنّص إذا صحّ، فالأخذ به واجب، ولا يضرّه مَنْ خالفه»

[الإحكام في أصول الأحكام : ج ٨ ص ٥٢٠].

وقال:

«... وإذا هو كما ذكرنا، فاتّباع النّص فرض، سواء أجمع الناس عليه أو اختلفوا فيه، لا يزيد النّص مرتبة في وجوب الاتّباع أن يُجمع الناس عليه. ولا يوهن وجوب اتّباعه اختلاف الناس فيه.

بل الحقّ حقّ وإن اختلف الناس فيه.

وإن الباطل باطل، وإن كثر القائلون به.

[الاحكام في أصول الأحكام : ج ٤ ص ٥٣٦].

قواعد أصولية

المحكم: ما كان الحكم فيه واضح الدلالة قطعياً.

والمتشابه: ما احتمل أوجهاً من التأويل.

وقال الأصوليون:

الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال.

ومن القواعد الأصولية:

أن اللفظ ما دام غير يقيني الدلالة، أي يحتمل مراداً آخر غير ظاهر اللفظ، ولا قرينة تحدّد المراد، فإنه لا يكون صالحاً للاستدلال به على الفرض والواجب.

وقال المحدثون والأصوليون:

إن من علامة وضع الحديث مخالفته للدليل القاطع عقلياً كان أو نقلياً كأصول الاعتقاد.

ويقول الإمام ابن تيمية في كتابه (النبوات).

«.. وثبوت أحد النقيضين مستلزم لنفي الآخر».

ويقول الإمام ابن حزم:

«.. والحق لا يعارض الحق أبداً، ولا يقوم دليل على صحة ضدين في

معنى واحد أبداً».

[الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ج ٦ ص ١٩٦].

قواعد فقهية من مجلة الأحكام العدلية (١)

القاعدة الثالثة: (المادة الرابعة)

اليقين لا يزول بالشك:

اليقين لغة: العلم الذي لا تردّد معه، وهو في أصل اللغة: الاستقرار، يقال: يقن الماء في الحوض إذا استقرّ، ولا يشترط في تحققّ اليقين الاعتراف والتصديق، بل يتصور مع الجحود، كما قال تعالى: ﴿وَجحدوا بها، واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً﴾ [النمل: ١٤].

واليقين في اصطلاح علماء المعقول: هو: الاعتقاد الجازم المطابق للواقع الثابت، فخرج بالقيد الأول، أعني الجازم، الظن وغلبة الظن، لأنه لا جزم فيهما. وخرج بالقيد الثاني ما ليس مطابقاً للواقع وهو الجهل وإن كان صاحبه جازماً. وخرج بالقيد الثالث اعتقاد المقلّد فيما كان صواباً، لأنّ اعتقاده لمّا لم يكن عن دليل كان عرضة للزوال. فكلّ ذلك ليس من اليقين في شيء. والشكّ: التردّد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر.

القاعدة السابعة: (المادة ٨) (الأصل براءة الذمّة)

(الأصل براءة الذمّة) لأنّ الذمّ خلقت بريئة غير مشغولة بحقّ من الحقوق.

(١) من كتاب شرح القواعد الفقهية، لفضيلة الشيخ أحمد الزرقا - الطبعة الأولى: ١٩٨٣ - الناشر: دار الغرب الإسلامي.

الذمة لغة: العهد، واصطلاحاً: «وصف يصير الشخص أهلاً للإيجاب له أو عليه».

من المعلوم أنه عند تنازع الخصمين تتخالف مزاعمهما نفياً وإثباتاً، فيحتاج في فصل الخصومة إلى مرجح يرجح به في مبدأ الأمر، زعم أحدهما على الآخر، ولدى تتبع المسائل والنظر في وجوه الترجيح الأولية، وفي تقديم أحد المرجحات على الآخر إذا تعارضت، بعد ذلك يظهر أن الترجيح، في مبدأ الأمر يكون بأحد شيئين، هما الأصل، والظاهر:

أما الأصل، فأنواعه كثيرة:

- منها هذه القاعدة، وهي براءة الذمة.
 - ومنها: كون اليقين لا يزول بالشك.
 - وكون الأصل في الكلام الحقيقة.. إلى غير ذلك من الأصول التي يعسر استقصاؤها.
- وأما الظاهر:- وهو الحالة القائمة التي تدلّ على أمر من الأمور فهو قسمان:

- القسم الأول: هو ما لم يصل في الظهور إلى درجة اليقين.
- والقسم الثاني: هو الذي وصل إلى درجة اليقين، وهو غير مراد في هذا التقسيم، لأن الكلام الآن في المرجحات الأولية غير اليقينية.

القاعدة الثالثة عشر: (المادة ١٤)

لا مساع للاجتهاد في مورد النص:

(لا مساع للاجتهاد في مورد النص) لأن الحكم الشرعي حاصل بالنص، ولأن الاجتهاد ظني، والحكم به حاصل ظني، بخلاف الحاصل بالنص فإنه يقيني، ولا يترك اليقيني للظني.

المراد بالنص الذي لا مساغ للاجتهاد معه هو المفسر المُحكّم، وإلا فغيرهما من الظاهر، والنص لا يخلو عن احتمال التأويل.

وبيان ذلك أن أقسام الدليل اللفظي بحسب الإفضاء إلى الأحكام أربعة:

- ظاهر: وهو ما ظهر المراد منه بصيغته، مع احتمال التأويل.
- ونص: وهو ما ازداد وضوحاً على الظاهر بمعنى سيق له الكلام لأجله، لا من نفس الصيغة، مع احتمال التأويل.

- ومفسر: وهو ما ازداد وضوحاً على النص على وجه لا يبقى معه احتمال التأويل.

- ومُحكّم: وهو ما أُحكم المراد منه من غير احتمال ولا نسخ. فحيث كان الأولان لا يخلوان عن احتمال التأويل يكون مساغ للاجتهاد معهما.

المراد بالنص هاهنا: الكتاب والسنة، والإجماع. فلا يجوز الاجتهاد في مقابلة المفسر والمُحكّم منهما. (مع العلم أن الإجماع ليس من مورد النص). ثم قال: فليس للمفتي ولا للقاضي مخالفة ما رجّحوه باجتهاد منه، ولو فعل لا يقبل منه، لأنه اجتهاد في مورد النص، والنص لا مساغ للاجتهاد في موردّه. وإذا صحّ ما ذكرناه يكون المراد هاهنا هو المنقول في كتب المذهب لا ما سبق. [ص ٩٩].

القاعدة ٧١: (المادة: ٧٢)

لا عبرة بالظنّ البينّ خطؤه:

«لا عبرة» أي لا اكتراث ولا مبالاة «بالظنّ البينّ خطؤه» بل يلغى ويُجعل كأن لم يكن

مما فرّع على هذه القاعدة:

أ - ما لو أقرّ بالطلاق بناء على إفتاء المفتي له بالوقوع ، ثم تبين عدمه لم يقع ديانة .

ب - ومنه : ما لو تكلمت زوجته فقال : هذا كفر ، وحرمت عليّ ، ثم تبين أن ذلك اللفظ ليس بكفر لا تحرم . [ص ٢٩٣] .

القاعدة ٧٣ : (المادة ٧٣) (لا عبء للتوهم)

أي لا اكتراث به ولا يبنى عليه حكم شرعي ، بل يعمل بالثابت قطعاً أو ظاهراً دونه .

التوهم : هو إدراك الطرف المرجوح من طرفي أمر متردد فيه .

القاعدة ٧٤ : (المادة ٧٥) (الثابت بالبرهان كالثابت بالعيان)

القاعدة ٧٥ : (المادة ٧٦) (البينة على المدعي ، واليمين على من أنكر)

القاعدة ٧٩ . (المادة ٨٠) (لا حجة مع التناقض)

لا حجة مع التناقض ، ولكن لا يختلّ معه حكم الحاكم ، أي لا تُعتبر الحجة ، ولا يُعمل بها مع قيام التناقض فيها أو في دعوى المدعي .

فصل تحريم القول على الله بغير علم للإمام ابن قيم الجوزية

وقد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ، وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بغير الحقِّ، وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١)، فرتب المحرمات أربع مراتب، وبدأ بأسهلها وهو الفواحش، ثم ثنى بما هو أشدَّ تحريمًا منه وهو الإثم والظلم. ثم ثلث بما هو أعظم تحريمًا منهما وهو الشرك به سبحانه، ثم رابع بما هو أشدَّ تحريمًا من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذْبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ، إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يَفْلَحُونَ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢). فقدّم إليهم سبحانه بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه، وقوله لما لم يحرمه: هذا حرام، ولما لم يحلّه: هذا حلال، وهذا بيان منه سبحانه أنه لا يجوز للعبد أن يقول هذا حلال وهذا حرام إلا بما علم أن الله سبحانه أحلّه وحرّمه.

[إعلام الموقعين - لابن قيم الجوزية - ج ١ ص ٣٨].

(٢) النحل: ١١٦.

(١) الأعراف: ٣٣.

دلالة آيات القرآن إمّا قطعية وإمّا ظنية

يقول العلامة الشيخ عبد الوهاب خلاف في كتابه [علم أصول الفقه] :

نصوص القرآن جميعها قطعية من جهة ورودها وثبوتها ونقلها عن الرسول إلينا، أي نجزم ونقطع بأن كل نص نتلوه من نصوص القرآن، هو نفسه النص الذي أنزله الله على رسوله، وبلغه الرسول المعصوم إلى الأمة من غير تحريف ولا تبديل. لأن الرسول المعصوم كان إذا نزلت عليه سورة أو آيات أو آية بلغها أصحابه وتلاها عليهم وكتبها كتبه وحيه، وكتبها من كتب لنفسه من صحابته، وحفظها منهم عدد كثير وقرأوها في صلواتهم، وتعبدوا بتلاوتها في سائر أوقاتهم، وما توفي الرسول إلا وكل آية من آيات القرآن مدونة فيما اعتاد العرب أن يدونوا فيه، ومحفوظة في صدور كثير من المسلمين، وقد جمع أبو بكر الصديق بواسطة زيد بن ثابت، وبعض الصحابة المعروفين بالحفظ والكتابة هذه المدونات وضم بعضها إلى بعض، مرتبة الترتيب الذي كان الرسول يتلوها به ويتلوها به أصحابه في حياته، وصارت هذه المجموعة وما في صدور الحفاظ هي مرجع المسلمين في تلقي القرآن وروايته، وقام على حفظ هذه المجموعة أبو بكر في حياته، وخلفه في المحافظة عليها عمر. ثم تركها عمر عند بنته حفصة أم المؤمنين. وأخذها من حفصة عثمان في خلافته ونسخ منها بواسطة زيد بن ثابت نفسه، وعدد من كبار المهاجرين والأنصار عدة نسخ أرسلت إلى أمصار المسلمين. فأبو بكر حفظ كل ما دوت فيه آية أو آيات من القرآن حتى لا

يضيع منه شيء، وعثمان جمع المسلمين على مجموعة واحدة من هذا المدون ونشره بين المسلمين حتى لا يختلفوا في لفظ. وتناقل المسلمون القرآن كتابة من المصحف المدون، وتلقياً من الحفاظ أجيالاً عن أجيال في عدة قرون. وما اختلف المكتوب منه والمحفوظ ولا اختلف في لفظة منه صيني ومراكشي ولا بولوني وسوداني. وهذه ملايين المسلمين في مختلف القارات منذ ثلاثة عشر قرناً ونيف وثمانين سنة يقرءونه جميعاً لا يختلف فيه فرد عن فرد ولا أمة عن أمة، لا بزيادة ولا نقص ولا تغيير أو تبديل أو ترتيب تحقيقاً لوعده الله سبحانه إذ قال عزّ شأنه: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾. [الحجر: ٩].

وأما نصوص القرآن من جهة دلالتها على ما تضمنته من الأحكام فتتقسم إلى قسمين: نص قطعي الدلالة على حكمه، ونص ظني الدلالة على حكمه.

فالنص القطعي الدلالة هو ما دلّ على معنى متعين فهمه منه ولا يحتمل تأويلاً ولا مجال لفهم معنى غيره منه، مثل قوله تعالى: ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهنّ ولد﴾^(١). فهذا قطعي الدلالة على أن فرض الزوج في هذه الحال النصف لا غير، ومثل قوله تعالى في شأن الزاني والزانية: ﴿فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾^(٢)، فهذا قطعي الدلالة على أن حدّ الزنا مائة جلدة لا أكثر ولا أقل. وكذا كل نص دلّ على فرض في الإرث مقدّر أو حدّ في العقوبة معيّن أو نصاب محدد. وأما النص الظني الدلالة فهو ما دلّ على معنى ولكن يحتمل أن يؤوّل ويصرف عن هذا المعنى ويراد منه معنى غيره مثل قوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهنّ ثلاثة قروء﴾^(٣). فلفظ القرء في

(١) النساء : ١٢ .

(٢) النور : ٢ .

(٣) البقرة : ٢٢٨ .

اللغة العربية مشترك بين معنيين يطلق لغة على الطُّهر. ويطلق لغة على الحيض. والنص دلّ على أن المطلقات يتربصن ثلاثة قروء، فيحتمل أن يراد ثلاثة أطهار ويحتمل أن يراد ثلاث حيضات، فهو ليس قطعي الدلالة على معنى واحد من المعنيين ولهذا اختلف المجتهدون في أن عدّة المطلقة ثلاث حيضات أو ثلاثة أطهار ومثل قوله تعالى: ﴿حَرَّمْتُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾^(٤)، فلفظ الميتة عام والنص يحتمل الدلالة على تحريم كل ميتة، ويحتمل أن يخصّص التحريم بما عدا ميتة البحر، فالنص الذي فيه نص مشترك أو لفظ عام أو لفظ مطلق أو نحو هذا يكون ظني الدلالة، لأنه يدلّ على معنى ويحتمل الدلالة على غيره^(٥).

*** . . ***

(٤) المائدة : ٣ .

(٥) علم أصول الفقه لخلاف - ص ٣٤ - ٣٥ .

السنة النبوية قسمان سنة متواترة . . . وأحاديث آحاد

يتحدث العلامة الإمام محمد أبو زهرة في كتابه^(١) عن السنة النبوية، فيقول:

«ويلاحظ أن السنة قسمان: سنة متواترة رواها جمع عن جمع حتى تصل الرواية إلى النبي ﷺ، وهذا النوع من السنة يجب الأخذ به في بيان الأحكام، وبيان معاني العقائد التي اشتمل عليها القرآن الكريم لأنها ثابتة عن النبي ﷺ بسند قطعي لا شبهة فيه، والعقائد لا تثبت إلا بدليل قطعي الدلالة وقطعي السند، ولذلك يقول الشافعي لمن يخالف الأحاديث المتواترة، ويسمّيها أحاديث العامة يقال له: «تب».

والقسم الثاني أحاديث الخاصة كما يسمّيها الشافعي رضي الله تعالى عنه، وهي التي لم يبلغ سندها حدّ التواتر، ويسمّيها علماء السنة أحاديث الآحاد، ولو رواها اثنان أو ثلاثة ما دام رواتها لم يبلغوا حدّ التواتر التي يؤمن تواطؤهم على الكذب.

وهذا النوع من الأحاديث يعمل به في تفسير الآيات التي تتعلق بالأحكام، لأنها تفيد غلبة الظن بالنسبة للصدق، وقد ثبت ذلك عن الصحابة رضي الله

(١) (المعجزة الكبرى: القرآن) للإمام محمد أبو زهرة رحمه الله، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة ص ٥٥٩ - ٥٦١.

عنهم، ولأن النبي ﷺ كان يرسل رُسُله إلى الأقاليم آحاداً، ولا يرسلهم جماعات.

ولا يلزم الأخذ بأحاديث الآحاد في تفسير الآيات التي تتعلق بالعقائد من ضرب الأمثال، وذكر أسرار الكون من خلق السماوات والأرض، ومن سير الشمس والقمر، وخلق السماوات والأرض، وتسخير الرياح، والأنهار والبحار، وغير ذلك، فإن ما يتعلق بذلك وكل ما ورد فيه من السنة أخبار آحاد أو رواتها غير ثقات لا يعتبر حجة في تفسير القرآن وفهمه، بحيث يجب الأخذ به، ومخالفته تكون مخالفة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فإنه من الثابت أن ما يجيء في السنة مخالفاً للمقررات العلمية القاطعة، ويكون من أحاديث الآحاد يرد، وتبطل نسبته إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فليس معنى رده تكذيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، إنما معنى رده أنه لم تصح نسبته إلى النبي ﷺ، وهو الصادق، ونقول مقالة الصديق خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التي رددها الشافعي، وهي قوله: (أي أرض تقلني وأي سماء تظلني، إذا قلت في القرآن ما لم أعلم).

وإن دراسة الآيات الكونية للعقل والاستقراء والتتبع، مقامه في إدراكها، ما لم تخالف نصاً قرآنياً أو حديثاً نبوياً متواتراً، وليس في الأحاديث المتواترة ما يعارض هذه الدراسة قط، والله أعلم.

وهنا أمر آخر يتعلق بالقصص القرآني، ونقول فيه إن القرآن يفسر بعضه بعضاً في هذا القصص، وما يجيء من السنة من زيادة على القرآن في هذا يقبل منه ما لا يناهض القرآن، وما يزيد يقبل ما دام السند صحيحاً وليس ثمة ما يردّه سنداً أو متناً، ولا يجب الإيمان بالزيادة بحيث يكفر من ينكرها، ما دامت أحاديثها لم تصل إلى مرتبة التواتر. ولكن ما لم يكن مطعن فيها يؤخذ بها على أساس الاطمئنان إليها.

هذه هي السنّة، وهي تعدّ المرتبة الأولى في تفسير القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ويتحدّث الإمام محمد أبو زهرة في كتابه (أصول الفقه) عن خبر الآحاد، فيقول:

خبر الآحاد:

ويسمّيه الشافعي رضي الله عنه، خبر الخاصة، وهو كل خبر يرويه الواحد أو الاثنان أو الأكثر عن الرسول ﷺ ولا يتوافر فيه شرط المشهور.

وحديث الآحاد يفيد العلم الظنّي الراجح، ولا يفيد العلم القطعي، إذ الاتصال بالنبي ﷺ فيه شبهة، ويقول صاحب (كشف الأسرار) فيه: الاتصال فيه شبهة صورة ومعنى، أمّا ثبوت الشبهة فيه صورة، فلأنّ الاتصال بالرسول لم يثبت قطعاً، وأمّا معنى، فلأنّ الأمة تلقّته بالقبول «أي في الطبقة التي تلي التابعين»^(١).

ولهذه الشبهة في إسناد الحديث إلى الرسول ﷺ قالوا: إنه يجب العمل به إن لم يعارضه معارض، ولكن لا يؤخذ به في الاعتقاد، لأنّ الأمور الاعتقادية تُبنى على الجزم واليقين، ولا تُبنى على الظن، ولو كان راجحاً، لأنّ الظن في الاعتقاد لا يغني عن الحق شيئاً^(٢).

ويقول الإمام الفقيه الأصولي الحنفي فخر الإسلام البزدوي:

[وأما دعوى علم اليقين - يريد في أحاديث الآحاد - فباطلة بلا شبهة، لأنّ العيان يردّه، وهذا لأنّ خبر الواحد محتمل لا محالة، ولا يقين مع الاحتمال، ومن أنكر هذا فقد سفه نفسه وأضلّ عقله]^(٣).

(١) كشف الأسرار ج ٣ ص ٩٩.

(٢) راجع كتاب أصول الفقه للإمام محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي - القاهرة ص ١٠٠.

(٣) كشف الأسرار، ج ٢ ص ٣٧٦.

السنة النبوية قطعيها... وظنيها

ويتحدث العلامة الشيخ عبد الوهاب خلاف في كتابه^(١) عن قطعي السنة وظنيها، فيقول:

قطعيها وظنيها: أما من جهة ورود فالسنة المتواترة قطعية ورود عن الرسول. لأن تواتر النقل يفيد الجزم والقطع بصحة الخبر كما قدمنا. والسنة المشهورة قطعية ورود عن الصحابي أو الصحابة الذين تلقوها عن الرسول لتواتر النقل عنهم. ولكنها ليست قطعية ورود عن الرسول، لأن أول من تلقى عنه ليس جمع التواتر، ولهذا جعلها فقهاء الحنفية في حكم السنة المتواترة، فيخصص بها عام القرآن ويقيد بها مطلقه لأنها مقطوع ورودها عن الصحابي. والصحابي حجة وثقة في نقله عن الرسول. فمن أجل هذا كانت مرتبتها في مذهبهم بين المتواتر وخبر الواحد.

وسنة الأحاد ظنية ورود عن الرسول، لأن سندها لا يفيد القطع. وأما من جهة الدلالة فكل سنة من هذه الأقسام الثلاثة قد تكون قطعية الدلالة، إذا كان نصها لا يحتمل تأويلاً. وقد تكون ظنية الدلالة إذا كان نصها يحتمل التأويل.

(١) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف - الطبعة التاسعة - نشر دار العلم الكويت ص ٤٢.

ومن المقارنة بين نصوص القرآن ونصوص السنة من جهة القطعية والظنية، ينتج أن نصوص القرآن الكريم كلها قطعية الورد ومنها ما هو قطعي الدلالة ومنها ما هو ظني الدلالة، وأما السنة فمنها ما هو قطعي الورد ومنها ما هو ظني الورد. وكل واحد منهما قد يكون قطعي الدلالة وقد يكون ظني الدلالة.

** . . *

ويقول الإمام ابن القيم الجوزية في كتابه (إعلام الموقعين)
[ج ٢ ص ٣٠٧]:

السنة لا تعارض القرآن:

والسنة مع القرآن على ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن تكون موافقة له من كل وجه؛ فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها. الثاني: أن تكون بياناً لما أريد بالقرآن وتفسيراً له. الثالث: أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه أو محرمة لما سكت عن تحريمه، ولا تخرج عن هذه الأقسام. فلا تعارض القرآن بوجه ما. فما كان منها زائداً على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي ﷺ تجب طاعته فيه، ولا تحل معصيته، وليس هذا تقديمها لها على كتاب الله، بل امثال لما أمر الله به من طاعة رسوله.

الإجماع في أصول الفقه

يتحدث العلامة الشيخ عبد الوهاب خلاف في كتابه [علم أصول الفقه] عن الإجماع، فيقول:

تعريفه: الإجماع في اصطلاح الأصوليين: هو اتفاق جميع المجتهدين من المسلمين في عصر من العصور بعد وفاة الرسول على حكم شرعي في واقعة.

فإذا وقعت حادثة وعرضت على جميع المجتهدين من الأمة الإسلامية وقت حدوثها واتفقوا على حكم فيها سمي اتفاقهم إجماعاً، واعتُبر إجماعهم على حكم واحد فيها دليلاً على أن هذا الحكم هو الحكم الشرعي في الواقعة. وإنما قيل في التعريف بعد وفاة الرسول، لأنه في حياة الرسول هو المرجع التشريعي وحده فلا يتصور اختلاف في حكم شرعي ولا اتفاق، إذ الاتفاق لا يتحقق إلا من عدد.

أركانه: ورد في تعريف الإجماع أنه: اتفاق جميع المجتهدين من المسلمين في عصر على حكم شرعي، ومن هذا يؤخذ أن أركان الإجماع التي لا ينعقد شرعاً إلا بتحققها أربعة:

الأول - أن يوجد في عصر وقوع الحادثة عدد من المجتهدين، لأن الاتفاق لا يتصور إلا في عدة آراء يوافق كل رأي منها سائرهما، فلو خلا وقت من وجود عدد من المجتهدين، بأن لم يوجد فيه مجتهد أصلاً أو وجد مجتهد واحد، لا

ينعقد فيه شرعاً إجماع. ومن هذا لا إجماع في عهد الرسول لأنه المجتهد وحده.

الثاني - أن يتفق على الحكم الشرعي في الواقعة، جميع المجتهدين من المسلمين في وقت وقوعها، بصرف النظر عن بلدهم أو جنسهم أو طائفتهم، فلو اتفق على الحكم الشرعي في الواقعة، مجتهدو الحرّمين فقط، أو مجتهدو العراق فقط، أو مجتهدو الحجاز، أو مجتهدو آل البيت، أو مجتهدو أهل السنة دون مجتهدي الشيعة لا ينعقد شرعاً بهذا الاتفاق الخاص إجماع. لأن الإجماع لا ينعقد إلا بالاتفاق العام من جميع مجتهدي العالم الإسلامي في عهد الحادثة. ولا عبرة بغير المجتهدين.

الثالث - أن يكون اتفاقهم بإبداء كل واحد منهم رأيه صريحاً في الواقعة سواء أكان إبداء الواحد منهم رأيه قولاً بأن أفتى في الواقعة بفتوى، أو فعلاً بأن قضى فيها بقضاء. وسواء أبدى كلّ واحد منهم رأيه على انفراد وبعد جمع الآراء تبين اتفاقها، أم أبدوا آراءهم مجتمعين بأن جمع مجتهدو العالم الإسلامي في عصر حدوث الواقعة وعرضت عليهم، وبعد تبادلهم وجهات النظر اتفقوا جميعاً على حكم واحد فيها.

الرابع - أن يتحقّق الاتفاق من جميع المجتهدين على الحكم، فلو اتفق أكثرهم لا ينعقد باتفاق الأكثر إجماعاً مهما قلّ عدد المخالفين وكثر عدد المتفقين لأنه ما دام قد وجد اختلاف وجد احتمال الصواب في جانب والخطأ في جانب، فلا يكون اتفاق الأكثر حجة شرعية قطعية ملزمة.

[علم أصول الفقه لخلاف: ص ٤٥، ٤٦].

والإجماع في رأي الإمام ابن حزم

قال أبو محمد:

ونحن - إن شاء الله - مبينون كيفية الإجماع بياناً ظاهراً يشهد له الحسّ والضرورة، وبالله تعالى التوفيق، فنقول:

إنَّ الإجماع - الذي هو الإجماع المتيقن ولا إجماع غيره - لا يصحّ تفسيره ولا ادعاؤه بالدعوى، لكن ينقسم قسمين:

أحدهما: كل ما لا يشكُّ فيه أحد من أهل الإسلام في أن مَنْ لم يقل به فليس مسلماً، كشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وكوجوب الصلوات الخمس، وكصوم شهر رمضان، وكتحريم الميتة والدم والخنزير، والإقرار بالقرآن، وجملة الزكاة، فهذه أمور من بلغته فلم يقرّ بها فليس مسلماً، فإذا كان ذلك كذلك، فكلّ مَنْ قال بها فهو مسلم، فقد صحّ أنها إجماع من جميع أهل الإسلام.

والقسم الثاني: شيء شهد به جميع الصحابة رضي الله عنهم من فعل رسول الله ﷺ أو تيقن أنه عرفه كلّ مَنْ غاب عنه ﷺ منهم كفعله في خير إذ أعطاهما يهود بنصف ما يخرج منها من زرع أو ثمر، يخرجهم المسلمون إذا شاءوا، فهذا لا شك عند كلّ أحد في أنه لم يبق مسلم في المدينة إلا شهد الأمر أو وصل إليه. [الإحكام في أصول الأحكام ج ٤ ص ٥٤١ - ٥٤٢].

ثم قال: فهذان قسمان للإجماع، ولا سبيل إلى أن يكون الإجماع خارجاً

عنهما ولا أن يعرف إجماع بغير نقل صحيح إليهما، ولا يمكن أحداً إنكارهما، وما عداهما فدعوى كاذبة، وبالله تعالى التوفيق.

وَمَنْ ادَّعى أنه يعرف إجماعاً خارجاً من هذين النوعين، فقد كذب على جميع أهل الإسلام ونعوذ بالله العظيم من هذا. [الإحكام ج ٤ ص ٥٤٢].
وقال أيضاً: «... وَمَنْ ادَّعى إجماعاً فيما عدا ما ذكرنا فهو كاذب آفك مفتر على جميع المسلمين، قاتل عليهم ما لا علم له به.

وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(١)، وقال تعالى ذاماً لقوم قالوا: ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا، وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ، وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ، وَإِنْ الظَّنُّ لَا يَغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾^(٤).

فصح بنص كلام الله تعالى - الذي لا يُعرض عنه مسلم - أن الظن هو غير الحق، وإذا هو غير الحق فهو باطل وكذب بلا شك، إذ لا سبيل إلى قسم ذلك، وقد قال رسول الله ﷺ: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث» [الإحكام في أصول الأحكام ج ٤ ص ٥٦٢].

وقال أيضاً: «... وأيضاً قد تيقن إجماع المسلمين على أنه لا يحل لأحد أن يقطع بظنه اليقين فهذا إجماع آخر». [الإحكام في أصول الأحكام ج ٤ ص ٥٧٠].
وقال الإمام ابن حزم:

«... ونحن نقول: لا إجماع إلا عن نص» [الإحكام ج ٤ ص ٥٣١].
وكذلك لا يجوز الإجماع على قول إنسان دون النبي ﷺ، لأنه لا أحد بعده إلا وقد خالفه طوائف من المسلمين في كثير من قوله [الإحكام ج ٤ ص ٥٣٤].
فصح أنه لا إجماع إلا على نص. ولا اختلاف إلا في نص.

(١) الإسراء : ٣٦.

(٣) النجم : ٢٣.

(٢) الجاثية : ٣٢.

(٤) النجم : ٢٨.

الظن . . . واليقين في كتاب الله سبحانه

جاء محمد رسول الله ﷺ برسالة متممة لرسالات الأنبياء السابقين من الدعوة إلى وحدانية الله والإيمان برسوله، والحث على مكارم الأخلاق:

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾^(١).
﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا، وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى، وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾^(٢).
«إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(٣).

وجاء الإسلام من أول يوم يدعو للعلم والنظر والفكر والعقل:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾^(٤).

(١) النساء: ١٦٣.

(٢) البقرة: ١٣٦.

(٣) رواه الإمام مالك.

(٤) العلق: ١ - ٥.

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (٥) .

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ ، فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ، وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٦) .

ومن هنا تأتي مكانة العلم في الإسلام ، وهو عبادة يُثاب المؤمن على كل ما يناله في سبيله من عناء : «تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ، فَإِنْ تَعَلَّمَهُ اللَّهُ خَشِيَةً ، وَطَلَبَهُ عِبَادَةً» (٧) ، بل هو أفضل من العبادة ، وقليل منه خيرٌ من كثيرها : «فضل العلم خيرٌ من فضل العبادة» (٨) ، ولذلك يلفت القرآن الأنظار إلى علم الطبيعة كثيراً ، يلفت الأنظار إلى السماء وكواكبها ، والأرض والجبال وطبقاتها ، والنبات وأنواعه ، والحيوان وعجائب خلقه ، والإنسان ودقيق صنعه :

﴿ فليَنظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ (٩) .

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (١٠) .

وليس شيء من الخُرافة والوهم والظنّ والتقليد طريقاً موصلاً إلى العلم : ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ، وَإِنْ الظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ﴾ (١١) .

(٥) آل عمران : ١٩٠ .

(٦) البقرة : ١٦٤ .

(٧) رواه ابن عبد البر ، والأرجح أنه موقوف على معاذ بن جبل .

(٨) رواه الطبراني .

(٩) الطارق : ٥ .

(١٠) الذاريات : ٢٠ - ٢١ .

(١١) النجم : ٢٨ .

وإنما طريق العلم أحد ثلاثة:

- ١ - خبر لا يتطرق الشك إلى صدقه.
- ٢ - ومُشاهدة قد استعملت فيها الحواس بأسلوب لا يتسرب إليه الخطأ.
- ٣ - وعقل لا يجد الوهم والتقليد إليه سبيلاً.

هذه هي فقط، الطرق الموصلة إلى العلم في نظر الإسلام، وهو ما تنص عليه الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ، كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (١٢).

والله سبحانه بين أن أكثر الناس يبنون حياتهم وأفكارهم على الأوهام والظنون:

﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا، إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (١٣).

وحذّر رسوله من طاعة الأكثرية الضالة التي تستند إلى الظن لا إلى اليقين:

﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضْلُواكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ، وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (١٤).

كما أخذ الله على المشركين افتراءهم على الله واعتمادهم في سلوكهم وأفكارهم على الظن لا على اليقين:

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا: لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا، وَلَا حَرَمْنَا مِنْ

(١٢) الإسراء: ٣٦.

(١٣) يونس: ٣٦.

(١٤) الأنعام: ١١٦.

شيء، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا؟ إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ﴿١٥﴾.

وأشار إلى عدم إيمانهم بالآخرة والحقائق اليقينية:

﴿ وإذا قيل إن وعد الله حق، والساعة لا ريب فيها، قلتم: ما ندرى ما الساعة، إن نظن إلا ظناً، وما نحن بمستيقنين ﴾ ﴿١٦﴾.

﴿ وقالوا: ما هي إلا حياتنا الدنيا، نموت ونحيا، وما يهلكنا إلا الدهر، وما لهم بذلك من علم، إن هم إلا يظنون ﴾ ﴿١٧﴾.

كما أشار إلى تسميتهم للملائكة تسمية الأنثى:

﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى * وما لهم به من علم، إن يتبعون إلا الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً ﴾ ﴿١٨﴾.

كما أخذ الله سبحانه على أهل الكتاب عكوفهم على الجهالة وبعدهم عن اليقين:

﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني، وإن هم إلا يظنون ﴾ ﴿١٩﴾.

﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله، وما قتلوه وما صلبوه، ولكن شبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن، وما قتلوه يقيناً، بل رفعه الله إليه، وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ ﴿٢٠﴾.

(١٥) الأنعام: ١٤٨.

(١٦) الجاثية: ٣٢.

(١٧) الجاثية: ٢٤.

(١٨) النجم: ٢٧ - ٢٨.

(١٩) البقرة: ٧٨.

(٢٠) النساء: ١٥٧.

ولذلك طلب المولى عز وجل من عباده المؤمنين اجتناب الظن والتخمين
وسلك طريق الحق واليقين:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ، إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (٢١).
وسيج أعراض الناس من الاتِّهَامات الباطلة:

﴿ وَالَّذِينَ يُوْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا، فَقَدْ احْتَمَلُوا بِهْتَانًا
وَإِثْمًا مَّبِينًا ﴾ (٢٢)، ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ، ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ،
فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً، وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا، وَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴾ (٢٣).

واشترط عدالة الشهود حتى لا يظلم بريء ولا تضيع الحقوق:

﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ، فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ، فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ
مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ (٢٤)، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ
فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (٢٥).

(٢١) الحجرات: ١٢.

(٢٢) الأحزاب: ٥٨.

(٢٣) النور: ٤.

(٢٤) البقرة: ٢٨٢.

(٢٥) الحجرات: ٦.

الظن . . واليقين في أصول الأحكام [الظن . . .]

قال ابن حزم:

« . . . وأما الحقيقة فإنَّ الظن باطل بنصِّ حكم النبي ﷺ بأنه أكذب الحديث، وبنص قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الظن لا يُغني من الحق شيئاً ﴾^(١)، فالظن بنص القرآن ليس حقاً، فإذا ليس حقاً فهو باطل».

[الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم - ج ٨ ص ٥٢٢]

وقال ابن حزم:

«والحكم بالتهمة حرام لا يحل، لأنه حكم بالظن، وقد قال تعالى عائياً لقوم قطعوا بظنونهم: ﴿ وَظَنَنْتُمْ ظَنُّ السَّوِّ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾^(٢)».

وقال تعالى عائياً قوماً قالوا: ﴿ إِنَّ نَظْنَ إِلَّا ظَنًّا، وَمَا نَحْنُ بِمُستيقنين ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿ وما لهم به من علم إن يتبعون إِلَّا الظنَّ، وَإِنَّ الظنَّ لا يُغني من الحق شيئاً ﴾^(٤)، وقال رسول الله: «الظن أكذب الحديث».

(١) يونس : ٣٦ .

(٢) الفتح : ١٢ .

(٣) الجاثية : ٣٢ .

(٤) النجم : ٢٨ .

قال أبو محمد: فكلّ مَنْ حكم بتهمة أو باحتياط لم يستيقن أمره أو بشيء خوف ذريعة إلى ما لم يكن بعد، فقد حكم بالظن، وإذا حكم بالظن فقد حكم بالكذب والباطل، وهذا لا يحلّ، وهو حكم بالهوى، وتجنب للحق، نعود بالله من كل مذهب أدّى إلى هذا، مع أن هذا المذهب في ذاته متخاذل متناقض، لأنه ليس أحد أولى بالتهمة من أحد، وإذا حرّم شيئاً حلالاً خوف تذرّع إلى حرام فليُخصّ الرجال خوف أن يزنوا، وليقتل الناس خوف أن يكفروا، وليقطع الأعناب خوف أن يُعمل منها الخمر، وبالجملّة فهذا المذهب أفسد مذهب في الأرض، لأنه يؤدّي إلى إبطال الحقائق كلها، وبالله تعالى التوفيق.

[الإحكام في أصول الأحكام: ج ٦ ص ١٨٩]

[اليقين]

وتحدث الإمام ابن حزم في كتابه [الإحكام في أصول الأحكام] عن اليقين، فقال:

«ولكن الله تعالى لم يجعل لغيراليقين حكماً، فوجب بما ذكرنا أن كل ما ييقن تحريمه فلا ينتقل إلى التحليل إلاّ بيقين آخر من نصّ أو إجماع، وكلّ ما يُيقن تحليله فلا سبيل أن ينتقل إلى التحريم إلاّ بيقين آخر من نصّ أو إجماع وبطل الحكم باحتياط، وصحّ أن لا حكم إلاّ لليقين وحده.

والاحتياط كله هو ألاّ يحرم المرء شيئاً إلاّ ما حرّم الله تعالى، ولا يحلّ شيئاً إلاّ ما أحلّ الله تعالى، وبطل بهذا أن تطلق امرأة على زوجها إذا شكّ أطلّقها أم لا، لأنها زوجة بيقين فلا تُحرّم عليه إلاّ بيقين آخر من نصّ أو إجماع.

[الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم - ج ٦ ص ١٨٨ - ١٨٩]

قواعد أصولية وتفسيرية اتَّفَق عليها علماء أصول الفقه وعلماء التفسير

من المعروف أنَّ علماء أصول الفقه والتفسير اتَّفَقوا على قواعد أصولية وتفسيرية، نذكر منها:

أولاً: أنَّ القرآن الكريم ليس فيه تناقض بين آياته، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ، وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ومعنى ذلك أنَّ القرآن الكريم إذا أشار أو نصَّ في آية إلى أولية نبوة نوح عليه السلام ورسالته، فلا يُعقل أبداً أن يشير أو ينصَّ في آية ثانية على أولية نبوة ورسالة آدم عليه السلام.

ثانياً: أنَّ من مهمَّات خاتم النَّبِيِّين بيان وتفصيل ما أجمله القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، والرسول ﷺ لا يخرج في بيانه عمَّا نزل به القرآن الكريم، لأنَّه ﷺ ﴿لا ينطق عن الهوى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣ - ٤]. ويرى كثير من العلماء المحقِّقين «أنَّ السُّنَّةَ يستفاد منها في بيان القرآن بتخصيص عامِّه، وتقييد مُطلقه، وبيان مُجمله» (الإسلام عقيدة وشريعة ص ٤٩٧).

ومعنى ذلك أنَّ القرآن الكريم إذا أشار إلى أولية نبوة نوح عليه السلام، فلا يمكن للرسول ﷺ أن يتحدث بشيء يُخالف فيه القرآن الكريم،

لأنَّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ، فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٧]. ولذلك فإنَّ علماء الحديث ردُّوا حديثاً نُسِبَ إلى الرسول ﷺ يقول فيه: «إِنَّ وَلَدَ الزَّانَا لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَى سَبْعَةِ أَبْنَاءٍ» لأنَّ الله سبحانه يقول: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [الإسراء: ١٥].

ثالثاً: إنَّ في القرآن الكريم آيات محكمة، قطعية الدلالة، أي أنها واضحة لا تحتمل أكثر من معنى، والبعض الآخر، ظنية الدلالة، تحتمل أكثر من معنى. ويرى العلماء أن قضايا العقيدة نزلت بها آيات محكمة واضحة الدلالة، وأنَّ القرآن الكريم قد تكفَّل بتوضيحها - خاصة في آياته المكية - حتَّى تكون في متناول فهم الناس جميعاً، وليس فقط للعلماء. وقد تحدَّث الإمام محمود شلتوت في كتابه (الإسلام عقيدة وشريعة) [ص ٥٠٣] عن العقائد التي حدَّدها الإسلام في الفرق بين الإيمان والكفر فيما يتعلق بالله وصفاته، وما يتعلَّق بالرُّسل والوحي، وما يتعلَّق باليوم الآخر. ثمَّ قال: «وهذا القسم قد تكفَّل القرآن ببيانه، وكان لتواتره وإفادته القطع هو المصدر الوحيد لتعرُّف هذه العقائد، فما طلب من الناس الإيمان به، فهو عقيدة، وما لم يطلب الإيمان به فليس بعقيدة. ثمَّ قال: «والحديث في هذا القسم ليس إلَّا مردداً لما أثبتته القرآن منه، وليس في العقائد ما انفرد الحديث بإثباته، أو ما يخالف الحديث فيه القرآن».

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قد أشار في حديث الشفاعة الوارد في الصحيحين، أنه قال على لسان أهل الموقف: «يا نوحُ أنت أوَّل رُسُلِ الله إلى أهل الأرض»، وقال على لسان آدم أبي البشر لأهل الموقف في صحيح البخاري: «ولكن ائتوا نوحاً أوَّل نبيٍّ بعثه الله إلى أهل الأرض»، وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [النساء: ١٦٣].

رابعاً: اتفق علماء أصول الفقه على أن الغيبيات والإيجاب والتحريم، لا تثبت إلا بدليل قطعي الثبوت والدلالة، وقطعي الثبوت هو كتاب الله سبحانه، وسنة رسوله المتواترة فيما يرى الحنفية. وقطعي الدلالة هو ما لا يحتمل أكثر من معنى، فلا يثبت شيء من ذلك بدليل ظني من كتاب الله أو من سنة رسوله الأحادية، لأن الظني ما احتمل أكثر من معنى، واختلف فيه علماء الأمة^(١). ويقول فضيلة الإمام الشيخ محمود شلتوت، شيخ الجامع الأزهر الأسبق - رحمه الله - في كتابه (الإسلام عقيدة وشريعة) [ص ٥٠٤]:

«وإنما لا تثبت العقيدة بالحديث، لأن العقيدة ما يطلب الإيمان به، والإيمان معناه اليقين الجازم - إلا ما كان من قطعي الورد والدلالة، وهو المتواتر -، والأحاديث المروية لم تتوفر فيها أركان التواتر، فلا تُفيد بطبيعتها إلا الظن، والظن لا يُثبت العقيدة».

ويقول سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد في كتابه (موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية) [ص ٦٨٥ - ٦٨٩] ما يلي:

«وأحاديث الأحاد - وإن كان يمكن الاستفادة منها بالتعرف إلى الأحكام الشرعية - إلا أنها لا تكون ملزمة إن كانت متعلقة بشأن اعتقادي، لأن الأمور الاعتقادية لا يؤخذ بها إلا إذا كانت واردة بنص قطعي يفيد اليقين، كنص القرآن الكريم أو كنص الحديث المتواتر».

خامساً: من المعلوم أن «من خصائص اللغة العربية، اشتراك اللفظ في الوضع لمعنيين فأكثر وتردده بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، أو بين المعنى الحقيقي والمعنى الشرعي. ومن خصائصها أيضاً اشتراك الجمل المركبة بين معنيين مختلفين بحسب تركيبها بحروف خاصة (كأداة الاستثناء) وكلمتي (أو) و(الفاء) [الإسلام عقيدة وشريعة - ص ٥٠٧].

(١) يراجع فتوى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف في فصل فتاوى العلماء والمفتين حول نبوة آدم في الفصل العاشر من هذا الكتاب.

سادساً: ومن علوم القرآن والتفسير أن بعض كلمات القرآن لها عدة معانٍ، وإنما يُفهم المعنى الحقيقي للكلمة بحسب سياق الآية أو الآيات. ونحن نذكر بعض الأمثلة للإيضاح:

١ - كلمة الظن:

الظن: لفظ مشترك بين معانٍ، يطلق على الشك، كما صرح بذلك أئمة اللغة. في القاموس الظن: التردد والراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم. فهذان إطلاقان. ويطلق على اليقين كما في قوله تعالى: ﴿الذين يظنون أنهم مُلاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون﴾ [البقرة: ٤٦]. وفي قوله سبحانه: ﴿قال الذين يظنون أنهم مُلاقوا الله: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله، والله مع الصابرين﴾ [البقرة: ٢٤٩]. وفي قوله عز وجل: ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم. يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ [المطففين: ٤ - ٦]. وفي قوله تعالى: ﴿إني ظننت أني مُلاقٍ حسابه﴾ [الحاقة: ٢٠]. فالظن هنا في هذه الآيات جاء بمعنى اليقين، ومعنى ذلك أن سياق الآية هو الذي يحدد المعنى الحقيقي للكلمة.

ويقول الإمام ابن حزم في كتابه (الإحكام في أصول الأحكام): «واعلم أن المذموم من الظن، هو ما كان بمعنى الشك، وهو التردد بين طرفي الأمر، فطرفاه مستويان لا راجح بينهما، فهذا يُحرم العمل به اتفاقاً، وهو الذي هو أكذب الحديث، وهو الذي لا يُغني من الحق شيئاً، وهو بعض الإثم الذي أراد الله تعالى ﴿إن بعض الظن إثم﴾».

٢ - كلمة سلطان:

وهذا مثال آخر لكلمة (سلطان).

فقد جاءت كلمة سلطان في القرآن الكريم بعدة معانٍ، منها (الحجة) ففي [سورة هود: ٩٦]: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين﴾ وفي

[سورة يونس : ٦٨ - ٦٩]: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، سُبْحَانَهُ، هُوَ الْغَنِيُّ، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا؟ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ؟ قُلْ: إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلَحُونَ ﴾.

قال الإمام ابن حزم في شرحه لهذه الآيات في كتابه (الإحكام في أصول الأحكام) [ج ١ ص ٢٣ و ٢٥]: «ففي هذه الآية بيان أنه لا يُقبل قول أحدٍ إلا بحجة، والسلطان ههنا بلا اختلاف من أهل العلم واللغة هو الحجة، وأن من لم يأت على قوله بحجة فهو مبطل بنص حكم الله عز وجل، وأنه مُفْتَرٍ عَلَى اللَّهِ تعالى، وكاذب عليه سبحانه، لا تأويل ولا تبديل... وأنه لا يفلح إذا قال قولة لا يقيم على صحتها حجة قاطعة، وأن من أتى ببرهان ظاهر وجب الانصراف إلى قوله.

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١]، فأوجب سبحانه أن من كان صادقاً في دعواه، فعليه أن يأتي بالبرهان، وإن لم يأت بالبرهان فهو كاذب مبطل أو جاهل».

وعودة لمتابعة الآيات التي وردت فيها كلمة (سلطان) بمعنى (الحجة) ففي [سورة الكهف: ١٥]: ﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً، لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ، فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ وفي [سورة الصافات: ١٥١ - ١٥٧]: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكَهْمَ لِيَقُولُونَ: وَلَدَ اللَّهُ، وَإِنَّهُمْ لِكَاذِبُونَ: اصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ؟ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ؟ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ؟ فَاتُّوا بِكُتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾.

وجاءت كلمة (سلطان) بمعنى المعجزة:

ففي [سورة إبراهيم: ١٠ - ١١]: ﴿ قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا، تَرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا، فَاتُّونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ. قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ: إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾.

كما جاءت كلمة (سلطان) بمعنى العلم والقوة المادية:

ففي [سورة الرحمن: ٣٣ - ٣٤]: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنسِ، إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَانْفُذُوا، لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٣ - كلمة أُمَّة:

وهذا مثال ثالث لكلمة (أُمَّة) كما جاءت في القرآن الكريم.

فقد جاءت كلمة (أُمَّة) بمعنى الجماعة من البشر، ففي [سورة المؤمنون: ٩٢]: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾، وفي [سورة النحل: ٣٦]: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

وجاءت كلمة (أُمَّة) بمعنى جزء من الأمة:

﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾
[آل عمران: ١١٣].

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ، وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩].

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ: لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا؟ قَالُوا مَعذْرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾
[القصص: ٢٣].

كما وصف الله عز وجل نبي الله إبراهيم عليه السلام بأنه كان أُمَّةً:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً، قَانِتًا لِلَّهِ، حَنِيفًا، وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

[النحل: ١٢٠]، أي أن إيمان إبراهيم عليه السلام وعقله الراجح يعدلان إيمان وعقل أُمَّة.

ثُمَّ جَاءَتْ كَلِمَةُ (أُمَّة) بِمَعْنَى (فَتْرَةٌ زَمْنِيَّةٌ):
﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ: مَا يَحْبِسُهُ؟﴾
[هود: ٨].

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ: أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾
[يوسف: ٤٥].

كَمَا جَاءَتْ كَلِمَةُ (أُمَّة) بِمَعْنَى الطَّرِيقَةِ أَوْ الْمِلَّةِ:
﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ، وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾
[الزخرف: ٢٢].

وهكذا نرى أنَّ الكلمة الواحدة تحتل أكثر من معنى، ولا يفهم معناها الحقيقي إلا من خلال السياق القرآني.

* * *

٤ - كلمة (آية) ..

كلمة آية في القرآن الكريم لها عدة معانٍ، ولا يفهم المعنى الحقيقي للكلمة إلا من خلال السياق القرآني:

- ١ - فمثلاً كلمة (آية) كقوله تعالى في مطلع [سورة الأنعام]:
﴿الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾، فهذا المقطع من كتاب الله يسمَّى (آية).
- ٢ - وجاءت كلمة (آية) في القرآن بمعنى دلائل القدرة الإلهية في نظام الليل والنهار:

﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين، فمحونا آية الليل، وجعلنا آية النهار مبصرة﴾. [الإسراء: ٢٢].

- ٣ - وجاءت كلمة (آية) في القرآن بمعنى العبرة:

﴿فاليوم ننّجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية﴾ [يونس: ٩٢].

٤ - كما جاءت كلمة (آية) في القرآن بمعنى معجزة:

﴿وقال الذين لا يعلمون: لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية﴾ أي معجزة.
﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية، فذروها تأكل في أرض الله، ولا تمسوها بسوء، فيأخذكم عذاب قريب﴾ [يونس: ٦٤].

﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بيّنات﴾ [الإسراء: ١٠١].

٥ - وجاءت كلمة (الآيات) بمعنى الكشوف العلمية الجديدة:

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾
[فصلت: ٥٣].
﴿وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها، وما ربك بغافل عما تعملون﴾
[النمل: ٩٣].

٦ - ثم جاءت كلمة (آية) بمعنى العلامة:

﴿قال رب اجعل لي آية﴾ [مريم: ١٠].
﴿وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيتكم التابوت فيه سكينة من ربكم، وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة﴾ [البقرة: ٢٤٨].
فهذه ستة معانٍ لكلمة آية وردت في القرآن الكريم، ولا يمكن أن يفهم المعنى الصحيح للكلمة إلا من خلال السياق القرآني.

٥ - كلمة (الوحي):

والمثال الخامس الذي نسوقه هو معنى (الوحي) في القرآن الكريم:
من المعلوم أنّ جمهور العلماء لا يجعلون كلّ وحي نبوة، كما يقول الإمام محمد رشيد رضا عليه رحمة الله، وهذه نماذج من أنواع الوحي كما جاءت في كتاب الله:

- الوحي للأنبياء: ﴿ إِنَّا أَوْحِينَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحِينَا إِلَى نوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [النساء: ١٦٣].

- الوحي للسموات: ﴿ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾ [فصلت: ١٢].
- الوحي لمريم ابنة عمران وأمّ موسى عليهما السلام:
﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا مَرْيَمُ: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٢].

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا مَرْيَمُ: إِنَّ اللَّهَ يَبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٥].
﴿ وَأَوْحِينَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ، فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ، وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصاص: ٧].
- الوحي للحواريين: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي، قَالُوا آمَنَّا، وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [المائدة: ١١١].

ولذلك فقد قال الشهيد سيد قطب في تفسيره لآية [الأعراف: ١٢]:
﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا: أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، وَأَقْل لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾: «وسمعا (آدم وزوجه) هذا العتاب من ربّهما على المعصية، وعلى إغفال النصيحة.. أمّا كيف كان النداء، وكيف سمعاه، فهو كما خاطبهما أول مرة، وكما خاطب الملائكة، وكما خاطب إبليس، كلها غيب لا ندري عنه إلا أنه وقع، وأنّ الله يفعل ما يشاء».

ومعنى ذلك أن استدلال بعضهم على نبوة آدم، بأنّ الله خاطبه بلا واسطة، ليس دليلاً أكيداً على نبوته، وإلا اضطررنا لإثبات النبوة لحواء عليها السلام، بل ولإبليس، وهذا لا يقول به عاقل.

وبما أنّ السياق القرآني هو الذي يحدّد المعنى الحقيقي للكلمة، كان

لا بدّ لفهم كلمة الاصطفاء أن نتبيّن: هل كان الغرض من إيراد قصّة عيسى عليه السلام في سورة آل عمران إثبات نبوّة آدم أم إثبات بشرية عيسى عليه السلام وأنه من آل عمران الذين جاءوا من سلالة آل إبراهيم، مروراً بنوح عليه السلام، وتنتهي هذه السلالة المصطفاة بالمصطفى الأول عليه السلام آدم أبي البشر ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾، ولذلك كان ختام قصة عيسى عليه السلام: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥١].

وبما أن كلمة الاصطفاء جاءت للأنبياء ولغير الأنبياء، بل جاءت لأتباع الأنبياء: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]، فلا يمكن أن يكون معنى اصطفاء آدم من قطعي الدلالة على نبوّة أبي البشر بل من ظني الدلالة، كما أشارت إلى ذلك فتوى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف.

* . * . *

سابعاً: ومن القواعد الأصولية أن الله وحده يملك تشريع الحلال والحرام للناس. والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ، وَهَذَا حَرَامٌ، لِيُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ، إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يفلحون. متاع قليل، ولهم عذاب أليم﴾ [النحل: ١١٦-١١٧].

ثامناً: الفهم الإنساني في الإسلام ليس ديناً يلتزم:

وقد شرح الإمام محمود شلتوت هذه القاعدة الأصولية بقوله:
وقد اتصلت بالقرآن - بعد أن التحق محمد بربه - أفهام العلماء والأئمة فيما لم يكن من آياته نصّاً في معنى واحد^(١)؛ ومن هذا الجانب اتسع

(١) وكان المسلمون في حياة الرسول في غنى عن هذا يرجوعهم إليه وتعرفهم المراد منه ﷺ.

ميدان الفكر الإنساني، وكثرت الآراء والمذاهب في النظريات والعمليات، لا على أنها دين يلتزم، وإنما هي آراء وأفهام فيما هو من القرآن محتمل للآراء والأفهام، يردّ فيها كل ذي رأي منها رأيه إلى الدلالة التي فهمها هو من النص القرآني، بمعونة ما صحّ عنده من أقوال الرسول أو أفعاله، أو من القواعد العامة التي ترمي إليها روح الدين عامة؛ وهذا الصنيع لم يكن من هؤلاء الأئمة وفي معتقدهم إلا اجتهاداً فردياً، لا يوجب واحد منهم على أحد من الناس أن يتبعه؛ بل تركوا لغيرهم ممّن له أهليّة الفهم حرية التفكير والنظر.

أما العقائد الأصلية كالإيمان بالله واليوم الآخر، وأصول الشريعة كوجوب الصلاة والزكاة وحُرمة النفس والعرض والمال، فإن نصوصها جاءت في القرآن بيّنة واضحة لا تحتمل اجتهاداً ولا أفهاماً.

ومن هنا كثرت الآراء والمذاهب فيما يتصل بالفروع التابعة^(١) للعقائد الأصلية وفيما يتصل بالعمليات التابعة^(٢) لأصول الشرائع والأحكام^(٣).

** . . **

(١) مثل زيادة صفات الله عن ذاته، وخلق العبد لأفعاله الاختيارية، ورؤية الله بالبصر في الآخرة، ووجوب الصلاح والأصلح على الله ونحوها.

(٢) مثل الفروع الاجتهادية كمسح ربع الرأس، أو كله في الوضوء.

(٣) الإسلام عقيدة وشريعة : ص ٨ - ٩ .

الفصل الخامس قصة آدم عليه السلام

أ - في العهد القديم - التوراة.

[ملاحظات حول قصة آدم في سفر التكوين].

ب - في دائرة معارف البستاني.

ج - في دائرة المعارف الإسلامية.

[ملاحظات حول «دائرة معارف البستاني» و«دائرة المعارف الإسلامية»].

د - في القرآن الكريم.

** . . ** . . **

آدم في العهد القديم [التوراة]

الفصل الأول

من سفر التكوين

في البدء خلق الله السماوات والأرض. وكانت الأرض خربةً وخالية وعلى وجه الغمر ظلام وروح الله يرفُّ على وجه المياه. وقال الله ليكن نور فكان نور. ورأى الله النور إنه حسن. وفصل الله بين النور والظلام. وسمى الله النور نهراً والظلام سمّاه ليلاً. وكان مساءً وكان صباح يوم واحد. وقال الله ليكن جلدٌ في وسط المياه وليكن فاصلاً بين مياهٍ ومياهٍ. فصنع الله الجلدَ وفصل بين المياه التي تحت الجلدِ والمياه التي فوق الجلدِ فكان كذلك. وسمى الله الجلدَ سماءً. وكان مساءً وكان صباح يومٍ ثانٍ. وقال الله لتجتمع المياه التي تحت السماء إلى موضعٍ واحدٍ وليظهر اليابسُ. فكان كذلك. وسمى الله اليابسَ أرضاً ومُجمَعِ المياه سمّاه بحاراً. ورأى الله ذلك إنه حسنٌ. وقال الله لتنبِت الأرض نباتاً عشباً يُبْزَرُ وبزراً وشجراً مثمراً يُخْرِجُ ثمراً بحسب صنفه بزره فيه على الأرض. فكان كذلك. فأخرجت الأرض نباتاً عشباً يُبْزَرُ وبزراً بحسب صنفه وشجراً يُخرج ثمراً فيه بحسب صنفه. ورأى الله ذلك إنه حسن. وكان مساءً وكان صباح يومٍ ثالثٍ. وقال الله لتكن نيرات في جلدِ السماء لتفصل بين النهار والليل وتكون آياتٍ وأوقاتٍ وأيامٍ وسنين. وتكون نيرات في جلدِ السماء لتضيء على الأرض. فكان كذلك. فصنع الله النيران العظمين النير الأكبر لحكم النهار والنير الأصغر لحكم

الليل والكواكب. وجعلها الله في جلد السماء لتضيء على الأرض. ولتحكم على النهار والليل وتفصل بين النور والظلام. ورأى الله ذلك إنه حسن. وكان مساءً وكان صباح يوم رابع. وقال الله لیتفضر المياه زخافات ذات أنفُس حية وطيوراً تطير فوق الأرض على وجه جلد السماء. فخلق الله الحيتان العظام وكل داب من كل ذي نفس حية فاضت به المياه بحسب أصنافه وكل طائر ذي جناح بحسب أصنافه. ورأى الله ذلك إنه حسن. وباركها الله قائلاً أنمي واكثري واملأي المياه في البحار وليكثر الطير على الأرض. وكان مساءً وكان صباح يوم خامس. وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفُس حية بحسب أصنافها بهائم ودبابات ووحوش أرض بحسب أصنافها. فكان كذلك. فصنع الله وحوش الأرض بحسب أصنافها والبهائم بحسب أصنافها وكل دبابات الأرض بحسب أصنافها. ورأى الله ذلك إنه حسن. وقال الله لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا ولتسلط على سمك البحر وطيور السماء والبهائم وجميع الأرض وكل الدبابات الدابة على الأرض. فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم. وباركهم الله وقال لهم انموا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلبوا على سمك البحر وطيور السماء وجميع الحيوان الداب على الأرض. وقال الله ها قد أعطيتكم كل عشب يبرز بزرّاً على وجه الأرض كلها وكل شجر فيه ثمر يبرز بزرّاً يكون لكم طعاماً. ولجميع وحش الأرض وجميع طير السماء وجميع ما يدب على الأرض ممّا فيه نفس حية جميع بقول العشب جعلتها مأكلاً. فكان كذلك. ورأى الله جميع ما صنعه فإذا هو حسن جداً. وكان مساءً وكان صباح يوم سادس.

الفصل الثاني :

فأكملت السموات والأرض وجميع جيشها. وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، واستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل.

وبارك الله اليوم السابع وقدّسه لأنّه فيه استراح من جميع عمله الذي خلقه الله ليصنعه. هذه مبادئ السّموات والأرض إذ خلّقت يوم صنع الرّبّ الإله الأرض والسّموات. وكلّ شجر البرّيّة لم يكن بعد في الأرض وكلّ عشب البرّيّة لم ينبت بعد لأن الرّبّ الإله لم يكن قد أمطر بعد على الأرض ولم يكن إنسان ليحرث الأرض. وكان يصعد منها بخار فيسقي جميع وجهها. وإنّ الرّبّ الإله جبل الإنسان تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار الإنسان نفساً حيّةً. وغرس الرّبّ الإله جنة في عدن شرقاً وجعل هناك الإنسان الذي جبله. وأنبت الرّبّ الإله من الأرض كلّ شجرة حسنة المنظر وطيبة المأكّل وشجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشرّ. وكان نهر يخرج من عدن فيسقي الجنة ومن ثم ينشعب فيصير أربعة رؤوس. اسم أحدها فيشون وهو المحيط بجميع أرض الحويّلة حيث الذهب. وذهب تلك الأرض جيّد. هناك المقلّ وحجر الجزع. واسم النهر الثاني جيحون وهو المحيط بجميع أرض الحبشة. واسم النهر الثالث حدّاقل وهو الجاري في شرقي آشور. والنهر الرابع هو الفرات. وأخذ الرّبّ الإله الإنسان وجعله في جنة عدن ليفلحها ويحرسها. وأمر الرّبّ الإله الإنسان قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل. وأمّا شجرة معرفة الخير والشرّ فلا تأكل منها فإنك يوم تأكل منها تموت موتاً. وقال الرّبّ الإله لا يحسن أن يكون الإنسان وحده فأصنع له عوناً بإزائه. وجبل الرّبّ الإله من الأرض جميع حيوانات البرّيّة وجميع طير السماء وأتى بها آدم ليرى ماذا يسمّيها فكلّ ما سمّاه به آدم من نفس حيّة فهو اسمه. فدعا آدم جميع البهائم وطير السماء وجميع وحش الصحراء بأسماء. وأمّا آدم فلم يوجد له عون بإزائه. فأوقع الرّبّ الإله سباتاً على آدم فنام فاستلّ إحدى أضلاعه وسدّ مكانها بلحم. وبنى الرّبّ الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة فأتى بها آدم. فقال آدم ها هذه المرأة عظمت من عظامي ولحم من لحمي. وهذه تسمّى امرأة لأنها من امرئ أخذت. ولذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته فيصيران جسداً

واحدًا. وكانا كلاهما عُريانيين آدم وامرأته وهما لا يخبجلان.

الفصل الثالث:

وكانت الحيّة أحيّل جميع حيوان البريّة الذي صنعه الربّ الإله فقالت للمرأة: أيقيناً قال الله لا تأكلا من جميع شجر الجنة. فقالت المرأة للحيّة من ثمر شجر الجنة نأكل. وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسّاه كيلا تموتا. فقالت الحيّة للمرأة لن تموتا. إنّما الله عالم أنكما في يوم تأكلان منه تفتح أعينكما وتصيران كآلهة عارفي الخير والشر. ورأت المرأة أن الشجرة طيبة للمأكل وشهية للعيون وأن الشجرة مُنيّة للعقل فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت بعلها أيضاً معها فأكل. فانفتحت أعينهما فعَلِمَا أَنَّهُمَا عُريَانان فخاطبا من ورق التين وصنعا لهما منه مآزر. فسمعا صوت الربّ الإله وهو مُتمشّ في الجنة عند نسيم النهار فاخبتا آدم وامرأته من وجه الربّ الإله فيما بين شجر الجنة. فنادى الربّ الإله آدم وقال له أين أنت. قال: إنّني سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنني عُريان فاخبتأت. قال فَمَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُريان: هل أكلت من الشجرة التي نهيتك عن أن تأكل منها؟ فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت. فقال الربّ الإله للمرأة: ماذا فعلت؟ فقالت المرأة: الحيّة أغوتني فأكلت. فقال الربّ الإله للحيّة: إذ صنعتِ هذا فأنت ملعونة من بين جميع البهائم وجميع وحش البريّة على صدرك تسلكين وتراباً تأكلين طول أيام حياتك. وأجعلُ عداوةً بينك وبين المرأة وبين نسلِك ونسلِها فهو يسحق رأسك وأنت ترصدين عقبه. وقال للمرأة: لأكثرن مشقات حَمْلِك بالألم تلدين البنين وإلى بعلِك تنقاد أشواقك وهو يسود عليك. وقال لآدم: إذ سمعت لصوت امرأتك فأكلت من الشجرة التي نهيتك قائلاً لا تأكل منها فملعونة الأرض بسببك، بمشقة تأكل منها طول أيام حياتك. وشوكاً وحسكاً تُنبِتُ لك وتأكل عشب الصحراء. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى

الأرض التي أُخِذَتْ مِنْهَا لَأَنَّكَ تَرَابٌ وَإِلَى التُّرَابِ تَعُودُ. وَسَمَّى آدَمَ امْرَأَتَهُ حَوَّاءَ لِأَنَّهَا أُمُّ كُلِّ حَيٍّ. وَصَنَعَ الرَّبُّ إِلَٰهَهُ لَآدَمَ وَامْرَأَتَهُ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَكَسَاهُمَا. وَقَالَ الرَّبُّ إِلَٰهُهُ: هُوَذَا آدَمُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا يَعْرِفُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَالْآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ فَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضاً وَيَأْكُلُ فَيَحْيَا إِلَى الدَّهْرِ. فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ إِلَٰهُهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَحْرَثَ الْأَرْضَ الَّتِي أَخَذَ مِنْهَا. فَطَرَدَ آدَمَ وَأَقَامَ شَرْقِي جَنَّةِ عَدْنٍ الْكَرُوبِينَ وَبَرِيقَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ.

الفصل الرابع :

وَعَرَفَ آدَمَ حَوَّاءَ امْرَأَتَهُ فَحَمَلَتْ وَوَلَدَتْ قَايِنَ فَقَالَتْ قَدْ رُزِقْتُ رَجُلًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ. ثُمَّ عَادَتْ فَوَلَدَتْ أَخَاهُ هَابِيلَ. فَكَانَ هَابِيلُ رَاعِي غَنَمٍ وَقَايِنُ كَانَ يَحْرَثُ الْأَرْضَ. وَكَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ أَنَّ قَايِنَ قَدَّمَ مِنْ ثَمَرِ الْأَرْضِ تَقْدِماً لِلرَّبِّ. وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضاً شَيْئاً مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا. فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَتَقَدَّمَتِهِ. وَإِلَى قَايِنَ وَتَقَدَّمَتِهِ لَمْ يَنْظُرْ. فَشَقَّ عَلَى قَايِنَ جِداً وَسَقَطَ وَجْهَهُ. فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِنَ: لِمَ شَقَّ عَلَيْكَ وَلِمَ سَقَطَ وَجْهُكَ. أَلَا إِنَّكَ إِنْ أَحْسَنْتَ تَنَالُ وَإِنْ لَمْ تُحْسِنْ فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيئَةٌ رَابِضَةٌ وَإِلَيْكَ انْقِيَادُ أَشْوَاقِهَا وَأَنْتَ تَسْوَدُ عَلَيْهَا. وَقَالَ قَايِنُ لِهَابِيلَ أَخِيهِ: لِنَخْرُجْ إِلَى الصَّحَرَاءِ. فَلَمَّا كَانَا فِي الصَّحَرَاءِ وَثَبَ قَايِنُ عَلَى أَخِيهِ فَقَتَلَهُ. فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِنَ: أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ؟ قَالَ لَا أَعْلَمُ أَلَعَلِّي حَارِسٌ لِأَخِي. فَقَالَ مَاذَا صَنَعْتَ، إِنْ صَوْتُ دَمَاءِ أَخِيكَ صَارِخٌ إِلَيَّ مِنَ الْأَرْضِ. وَالْآنَ فَمَلْعُونَ أَنْتَ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي فَتَحْتَ فَاهَا لِتَقْبَلَ دَمَاءَ أَخِيكَ مِنْ يَدِكَ. وَإِذَا حَرَثْتَ الْأَرْضَ فَلَا تَعْطِيكَ قُوَّتُهَا أَيْضاً. تَائِهًا شَارِداً تَكُونُ فِي الْأَرْضِ. فَقَالَ قَايِنُ لِلرَّبِّ: ذَنْبِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُغْفَرَ. إِنَّكَ قَدْ طَرَدْتَنِي الْيَوْمَ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ وَمِنْ وَجْهِكَ أَسْتَرُ وَأَكُونُ تَائِهًا شَارِداً عَلَى الْأَرْضِ فَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ مَنْ وَجَدَنِي يَقْتُلُنِي. فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ لَذَلِكَ كُلُّ مَنْ قَتَلَ قَايِنَ فَسَبْعَةُ أَضْعَافٍ يُقَادُ بِهِ. وَجَعَلَ الرَّبُّ لِقَايِنَ عَلَامةً لئَلَّا

يقتله كُلُّ مَنْ وجدته. وخرج قايِن من أمام الرَّبِّ فأقام بأرض نودٍ شرقيَّ عدنٍ. وعرف قايِنُ امرأته فَحَمَلَتْ وولَدَتْ أَخْنُوخَ. ثم بنى قريةً فسَمَّاها باسم ابنه أَخْنُوخَ. وولَدَ لأخْنُوخَ عِيرَادُ. وعِيرَادُ وَلَدَ مَحْوِيَّائِيلَ. ومَحْوِيَّائِيلُ وَلَدَ مَتُوشَائِيلَ. وَمَتُوشَائِيلُ وَلَدَ لَامَكَ. واتخذ لَامَكُ له امرأتين اسم إحداهما عَادَةُ والأخرى صِلَّةُ. فولدت عَادَةُ يَابَلَ وهو أبو ساكِنِي الخيام ومتَّخِذِي المواشي. واسم أخيه يُوبَلُ وهو أبو كلِّ عازف بالِكِنَارَةِ والمِزْمَارِ. وصِلَّةُ أيضاً وَلَدَتْ تُوبَلَ قايِنَ وهو أولُ صَيِّقِلٍ لجميع المصنوعات النحاسية والحديدية. وأخت تُوبَلَ قايِنَ نَعْمَةُ. وقال لَامَكُ لامرأته عَادَةُ وَصِلَّةُ اسمعا قولي يا امرأتَي لَامَكُ وأصغيا لكلامي. إِنِّي قتلْتُ رجلاً لجرحي وَفَتَى لَشِدْخِي. إنه يُنتَقَمُ لِقايِنَ سبعة أضعاف وأما لِلَامَكُ فسبعة وسبعين. وعرف آدم امرأته أيضاً فولَدَتْ ابناً وسمَّته شِيثاً وقالت قد أقام الله لي نَسْلاً آخر بدل هَابِيلَ إذ قتلته قايِنُ. وَلِشِيثٍ أيضاً وَلَدَ ابْنٌ وسمَّاه أَنُوشَ. حينئذ ابتدأ بالدُّعاء باسمِ الرَّبِّ.

الفصل الخامس :

هذا كتاب مواليد آدم. يوم خلق الله الإنسان على مثال الله عَمِلَهُ. ذَكَراً وَأُنْثَى خلقه وباركه وسمَّاه آدم يوم خُلِقَ. وعاش آدم مئةً وثلاثين سنةً وَلَدَ ولداً على مثاله كصورته وسمَّاه شِيثاً. وعاش آدم بعدما ولد شِيثاً ثمانين مئة سنة وَلَدَ فيها بنين وبنات. فكانت كُلُّ أيام آدم التي عاشها تسع مئة سنة وثلاثين سنة ومات. وعاش شِيثُ مئة وخمس سنين وَلَدَ أَنُوشَ. وعاش شِيثُ بعدما ولد أَنُوشَ ثمانين مئة وسبع سنين وَلَدَ فيها بنين وبنات. فكانت كُلُّ أيام شِيثٍ تسع مئة سنة واثنى عشرة سنة ومات. وعاش أَنُوشُ تسعين سنة وَلَدَ قَيْنَانَ. وعاش أَنُوشُ بعدما وَلَدَ قَيْنَانَ ثمانين مئة سنة وخمس عشرة سنة وَلَدَ فيها بنين وبنات. فكانت كُلُّ أيام أَنُوشَ تسع مئة سنة وخمس سنين

ومات . وعاش قَيْنَانُ سبعين سنةً وَوَلَدَ مَهْلَلِيْلُ . وعاش قَيْنَانُ بعد ما وَلَدَ مَهْلَلِيْلُ ثمانى مئة سنة وأربعين سنة وَلَدَ فيها بَيْنَ وَبنات . فكانت كُلُّ أَيَّامِ قَيْنَانُ تسع مئة وعشر سنين ومات . وعاش مَهْلَلِيْلُ خمساً وستين سنة وَوَلَدَ يَارَدَ . وعاش مَهْلَلِيْلُ بعدما وَلَدَ يَارَدَ ثمانى مئة سنة وثلاثين سنة وَلَدَ فيها بنين وَبنات . فكانت كُلُّ أَيَّامِ مَهْلَلِيْلُ ثمانى مئة سنة وخمساً وتسعين سنة ومات . وعاش يَارَدُ مئة واثنين وستين سنة وَوَلَدَ أَخْنُوخُ . وعاش يَارَدُ بعدما وَلَدَ أَخْنُوخُ ثمانى مئة سنة وَلَدَ فيها بنين وَبنات . فكانت كُلُّ أَيَّامِ يَارَدَ تسع مئة سنة واثنين وستين سنة ومات . وعاش أَخْنُوخُ خمساً وستين سنة وَوَلَدَ مَتُوشَالِحُ . وسلك أَخْنُوخُ مع الله بعدما وَلَدَ مَتُوشَالِحُ ثلاث مئة سنة وَلَدَ فيها بنين وَبنات . فكانت كُلُّ أَيَّامِ أَخْنُوخُ ثلاث مئة سنة وخمساً وستين سنة . وسلك أَخْنُوخُ مع الله ولن يوجد بعدُ لَأَنَّ الله أَخْذَهُ . وعاش مَتُوشَالِحُ مئة سنة وسبعاً وثمانين سنة وَوَلَدَ لَامَكُ . وعاش مَتُوشَالِحُ بعدما وَلَدَ لَامَكُ سبع مئة سنة واثنين وثمانين سنة وَلَدَ فيها بنين وَبنات . فكانت كُلُّ أَيَّامِ مَتُوشَالِحُ تسع مئة سنة وتسعاً وستين سنة ومات . وعاش لَامَكُ مئة سنة واثنين وثمانين سنة وَوَلَدَ ابْنًا . وَسَمَّاهُ نُوحًا قَائِلًا هَذَا يَعْزِيْنَا عَنْ أَعْمَالِنَا وَعَنْ مَشَقَّةِ أَيْدِينَا فِي الْأَرْضِ الَّتِي لَعْنَهَا الرَّبُّ . وعاش لَامَكُ بعدما وَلَدَ نُوحًا خمس مئة سنة وخمساً وتسعين سنة وَلَدَ فيها بنين وَبنات . فكانت كُلُّ أَيَّامِ لَامَكُ سبع مئة سنة وسبعاً وسبعين سنة ومات . وَلَمَّا كَانَ نُوحُ ابْنُ خَمْسٍ مِئَةٍ سَنَةٍ وَلَدَ سَامًا وَحَامًا وَيَافَثَ .

*** . . . ***

ملاحظات المؤلف حول سفر التكوين

١ - جاء في الفصل الأول من سفر التكوين، [الآية: ١٦]:
« فصنع الله النّيرين العظيمين: النّير الأكبر لحكم النهار، والنّير الأصغر لحكم الليل والكواكب » مع العلم أن التعبير القرآني هو الصحيح علمياً كما جاء في [سورة الفرقان: ٦١]:
﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجاً، وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ﴾.

وقوله تعالى في [سورة يونس: ٥]:
﴿ هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً، وقدره منازل ﴾.
وكما جاء في [سورة نوح: ١٥ - ١٦] على لسان نوح عليه السلام:
﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً * وجعل القمر فيهنّ نوراً وجعل الشمس سراجاً ﴾. ومن المعروف - علمياً - أن الشمس نجم ينتج باحتراقه الداخلي حرارة شديدة وضوءاً، على حين أن القمر ليس مضيئاً بذاته، بل هو يعكس الضوء الذي يستقبله من الشمس.

٢ - وجاء في الفصل الأول من سفر التكوين، [الآية: ٣٧]:
« فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم ».

ويظهر أنه من هنا جاء الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة والذي نسب

إلى رسول الله ﷺ أنه قال: «خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ سِتُونَ ذِرَاعاً»، ولعلَّ هذا الحديث من أوهام الرواة أو لعلَّ هذا من مرويات كعب الأحبار لأبي هريرة.

٣ - وجاء في سفر التكوين الفصل الثاني: [الآية: ٢ - ٣]:

«وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، واستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. وبارك الله اليوم السابع وقَدَّسه لأنَّه فيه استراح من جميع عمله الذي خلقه الله!!»

ونحن نقول بأن الله سبحانه نَزَّه نفسه عن التعب كما جاء في [سورة ق: ٣٨] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ وكما جاء في [سورة الأحقاف: ٣٣]:

﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى، بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٤ - وجاء في الفصل الثاني من سفر التكوين: [الآية: ٩]:

«وَأَنْبَتَ الرَّبُّ إِلَهُهُ مِنَ الْأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ حَسَنَةِ الْمَنْظَرِ، وَطَيِّبَةِ الْمَأْكَلِ، وَشَجَرَةَ الْحَيَاةِ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ، وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ».

والقرآن الكريم ما أشار إلَّا إلى شجرة واحدة دون أن يحدّد نوعها وماهيته: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]، والأعراف: ١٩، ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢].

ولكن إبليس سمّاها شجرة الخلد:

﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبُلَى﴾

[طه: ١٢٠].

٥ - كما جاء في الفصل الثاني من سفر التكوين [الآيات: ١٠ -

: [١٤]

« وكان نهرٌ يخرج من عَدْن فيسقي الجنة ومن ثمَّ ينشعبُ فيصير أربعةَ رؤس * اسم أحدها فيشون، وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب * وذهب تلك الأرض جيّد، هناك المُقْل وحجر الجزع * واسم النهر الثاني جيحون، وهو المحيط بجميع أرض الحبشة * واسم النهر الثالث حِداقل، وهو الجاري في شرقي آشور. والنهر الرابع هو الفرات ».

وللأسف تسرّب إلى كتب الحديث ما يشبه هذه الإسرائيليات، كما في الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ «سيحان وجيحان، والنيل والفرات كلٌّ من أنهار الجنة» وفي رواية «سيحون وجيحون».

٦ - وجاء في الفصل الثالث من سفر التكوين: [الآيات: ١ - ٨]:

« وكانت الحيّة أحيَل جميع حيوان البرية الذي صنعه الربُّ الإله، فقالت للمرأة: أيقيناً قال الله لا تأكلا من جميع شجر الجنة * فقالت المرأة للحيّة: من ثمر شجر الجنة نأكل * وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسّاه كيلا تموتا * فقالت الحيّة للمرأة: لن تموتا * إنما الله عالم أنكما في يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتصيران كآلهة عارفي الخير والشر * ورأت المرأة أنَّ الشجرة طيبة للمأكل وشهيّة للعيون، وأنَّ الشجرة مُنية للعقل، فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت بعلها أيضاً معها فأكل ».

ويؤسفنا أن كثيراً من كتاب قصص القرآن، ومفسري القرآن أخذوا هذه الإسرائيليات، واتهموا أمنا الكبرى حواء بأنها هي التي أكلت من الشجرة ثم أعطت آدم بإغراء من الحيّة! مع أن القرآن يقرّر أن التكليف كان لهما معاً: ﴿ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾، والتحذير من الشيطان كان لهما معاً: ﴿فقلنا يا آدم إنّ هذا عدو لك ولزوجك فلا

يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١﴾، وحاول إبليس التأثير على آدم وزوجه ﴿٢﴾ وقال ما نهاكما ربُّكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا مُلْكَيْنِ أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ﴿٣﴾، ونجحت مكيده الشيطان ﴿٤﴾ فدلّاهما بغرور ﴿٥﴾ ثم كان السقوط من آدم وزوجه:

﴿٦﴾ فلما ذاقا الشجرة، بدت لهما سوءاتهما، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴿٧﴾.

ثم كان العتاب والحساب من مالك المُلْك والملكوت لهما معاً: ﴿٨﴾ وناداهما ربُّهما: ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إنَّ الشيطان لكما عدوٌّ مبين ﴿٩﴾.

وكان الندم والتوبة من آدم وزوجه: ﴿١٠﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا، وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١١﴾.

يقول العلامة الشيخ محمد الغزالي في كتابه «قذائف الحق»^(١) بعد أن عَقَّب على قول التوراة في سفر التكوين بأن الله سبحانه استراح في اليوم السادس من عمله... بقوله: لكن الحديث عن عجز الله تبعه حديث آخر عن جهله!!

واسمع إلى وصف العهد القديم لآدم وزوجه بعدما أكلتا من الشجرة: «وسمعا صوت الربِّ الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاخبتا آدم وامرأته من وجه الربِّ الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الربُّ الإله آدَمَ وقال له: أين أنت؟ فقال: سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاخبتُ. فقال مَنْ أعلمك أنك عريان، هل أكلت من الشجرة التي

(١) قذائف الحق لمحمد الغزالي - منشورات دار ذات السلاسل - الكويت - الطبعة الثانية - ١٩٧٦،

أوصيتك أن لا تأكل منها» [سفر التكوين الإصحاح الثالث].

يقول الشيخ الغزالي معقّباً على ذلك:

«ما هذا؟ كان الإله يتمشّى في الجنة خالي البال مما حدث، ثم
تكشّفت له الأمور شيئاً فشيئاً، فعرف أنّ آدم خالف عهده، وأكل من الشجرة
المحرّمة!

تصوير ساذج يبدو فيه ربّ العالمين وكأنه فلاح وقع في حقله ما لم
ينتظر!

ما أبعد الشقّة بين هذا التصوير وبين وصف الله لنفسه في القرآن
العظيم:

﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه، ونحن أقرب إليه
من حبل الوريد﴾ [ق: ١٦].

﴿وما تكون في شأن، وما تتلو من قرآن، ولا تعملون من عمل إلا
كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه﴾ [يونس: ٦١].

وقد أعقب هذا «الجهل الإلهي» قلق غريب، فكأن الله يبدو وكأنّ
ملكه مهدّد بهذا التمرد على الإله:

لقد أكل آدم من الشجرة - شجرة المعرفة - وارتفع بهذا العصيان إلى
مصافّ الآلهة فقد أدرك الخير والشرّ، وكان الربّ عندما خلقه حريصاً على
بقائه جاهلاً بهما.

ومن يدري ربما ازداد تمردّه وأكل من شجرة الخلد وظفر بالخلود،
إنه عندئذ سوف ينازع الله حقّه، إذن فليطرد قبل استفحال أمره!!

جاء في العهد القديم:

«وقال الربّ الإله: هوذا الإنسان قد صار كواحد منّا عارفاً الخير
والشرّ، والآن لعلّه يمدّ يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً، ويأكل ويحيا إلى

الأبد، فأخرجه الربُّ الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها..
وطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكرويين، وبريق سيف متقلب لحراسة
طريق شجرة الحياة» [سفر التكوين: الإصحاح الثالث] انتهى كلام الشيخ
الغزالي.

٨- وجاء في الفصل الرابع من سفر التكوين [الآية: ١٧ - ١٨]:
«وعرف قايين امرأته فحملت وولدت أخنوخ. ثم بنى قرية فسمّاها
باسم ابنه أخنوخ».
وفي الفصل الخامس من سفر التكوين - كتاب مواليد آدم [الآية:
١٨ - ٢٤].

«وعاش يارد مائة واثنين وستين سنة، وولّد أخنوخ * وعاش يارد
بعدهما ولّد أخنوخ ثمانين مئة سنة ولد فيها بنين وبنات * فكانت كل أيام يارد
تسع مائة سنة واثنين وستين سنة ومات * وعاش أخنوخ خمساً وستين سنة
وولد متوشالغ * وسلك أخنوخ مع الله بعدما ولّد متوشالغ ثلاث مئة سنة
ولّد فيها بنين وبنات * فكانت كلّ أيام أخنوخ ثلاث مئة وخمساً
وستين سنة * وسلك أخنوخ مع الله ولم يوجد بعد لأنّ الله أخذه».

ويظهر أن هناك «أخنوخين» لا أخنوخ واحد، فأخنوخ ابن قايين،
وأخنوخ ابن يارد، وكتاب قصص الأنبياء والمفسّرين يقولون إن أخنوخ هو
إدريس! ولا أعلم من أين أتوا بهذه الترجمة، وسفر التكوين يقول بأن آدم
عاش ٩٣٠ سنة، وشيث عاش ٩١٢ سنة، وأخنوخ (إدريس) ٣٦٥ سنة.
وإذا حكمنا بنبوة آدم وشيث بجانب نبوة إدريس التي أثبتتها القرآن الكريم،
فمعنى ذلك أنهم كانوا جميعاً معاصرين في زمن واحد! وأنهم أرسلوا إلى
قوم مؤمنين لا مشركين، كما يقول بعض الذين يفرّقون بين النبي والرسول
وفي خلال أقل من مائة عام عمّ الشرك وعبادة الأوثان حتّى بعث الله سبحانه

(١) راجع فصل [ماذا كان بين آدم ونوح عليهما السلام من أجيال وقرون] في هذا الكتاب.

جاء في كتاب «دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة»^(١).

١ - من آدم إلى إبراهيم

يقدم سفر التكوين، في أنسابه بالإصحاحات ٤ و ٥ و ١١ و ٢١ و ٢٥، معطيات غاية في الدقة عن كل أسلاف إبراهيم من صلب مباشر منذ آدم، ولما كان سفر التكوين يعطي مدة حياة كل منهم وعمر الأب عند ميلاد الابن، فإنه يسمح بيسر بتحديد تواريخ ميلاد ووفاة كل سلف بالنسبة إلى خلق آدم كما هو مشار إليه في الجدول التالي.

ألف هذا الجدول حسب المعطيات الآتية كلها من النص الكهنوتي لسفر التكوين: وهو النص الوحيد في التوراة الذي يعطي تحديدات من هذا النوع. ومنه يستنتج أن إبراهيم، كما تقول التوراة، قد رأى النور في عام ١٩٤٨ بعد آدم.

أنساب إبراهيم

تاريخ الميلاد بعد خلق آدم	مدة العمر	تاريخ الوفاة بعد خلق آدم
٠٠	٩٣٠	٩٣٠
١٣٠	٩١٢	١٠٤٢
٢٣٥	٩٠٥	١١٤٠

(١) تأليف موريس بوكاي ص ٤٨ - ٤٩. الطبعة الرابعة ١٩٧٧ الناشر: دار المعارف - القاهرة.

تاريخ الميلاد بعد خلق آدم	مدة العمر	تاريخ الوفاة بعد خلق آدم	
٣٢٥	٩١٠	١٢٣٥	قينان
٣٩٥	٨٩٥	١٢٩٠	مهللثيل
٤٦٠	٩٦٢	١٤٢٢	يارد
٦٢٢	٣٦٥	٩٨٧	أخنوخ
٦٨٧	٩٦٩	١٦٥٦	متوشالغ
٨٧٤	٧٧٧	١٦٥١	لامك
١٠٥٦	٩٥٠	٢٠٠٦	١٠ - نوح
١٥٥٦	٦٠٠	٢١٥٦	سام
١٦٥٨	٤٣٨	٢٠٩٦	أرفكشاد
١٦٩٣	٤٣٣	٢١٢٢	شالغ
١٧٢٣	٤٦٤	٢١٨٧	عابر
١٧٥٧	٢٣٩	١٩٩٦	فالغ
١٧٨٧	٢٣٩	٢٠٢٦	داعو
١٨١٩	٢٣٠	٢٠٤٩	سروج
١٨٤٩	١٤٨	١٩٩٧	ناحور
١٨٧٨	٢٠٥	٢٠٨٣	تارج
١٩٤٨	١٧٥	٢١٢٣	٢٠ - إبراهيم

آدم عليه السلام كما جاء في دائرة معارف البستاني (*)

« إن لفظة «آدم» العبرانية كانت تعني الإنسان بوجه عام، أي الجنس البشري .

وبهذا المعنى وردت في رواية الخليقة الأولى المثبتة في فاتحة التوراة. فبعد أن خلق الله السماء والأرض، والمعادن والنبات والحيوان، قال، وهو يتم خلقه، وكأنه يخاطب نفسه: «لنصنع الإنسان (آدم) على صورتنا كمثالنا، ليتسلط على سمك البحر، وطير السماء، والبهائم، وجميع الأرض، وكل الدبابات الدابة على الأرض. فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم، وباركهم الله وقال لهم: «انموا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها» (تكوين ١ : ٢٦ - ٢٨).

وبين أن هذا النص ينسب إلى الله القدير أصل الجنس البشري. وقد ردّد الكتاب التعليم عينه، بمزيد تشبيه وتفصيل، في الفصول التالية، حيث أطلق لفظ «آدم» من باب التخصيص، على الإنسان الأول. والرواية تلفت النظر من نواحٍ عدّة، سواءً لما تتضمنه من تعليم ديني أو لما تثير من قضايا لها علاقة بالتاريخ. وعلى هذا سنقسم بحثنا أقساماً ثلاثة: الأول: مضمون رواية التوراة. الثاني: تعليم الرواية الديني. . الثالث: علاقة الرواية بالتاريخ.

(*) دائرة المعارف بإدارة فؤاد أفرام البستاني - المجلد الأول ص ١٠٥ - ١٠٨ بيروت ١٩٥٦.

١ - مضمون رواية التوراة: يدور الكلام، في «سفر التكوين»، من الفصل ٢: ٤ إلى نهاية الفصل ٣، على الخلق، وحياة آدم وحواء، حتى سقوطهما وطردهما من الفردوس الأرضي، ويذكر الفصل ٤، والفصل ٥ (٤: ١ - ٢، ٢٥؛ ثم ٥: ١ - ٤) ولادة قاين وهابيل وشيث، ثم عمر آدم حتى ولادة شيث، وما بعدها إلى موته.

ومما ذكره الكتاب تتألف رواية أبرز خطوطها حاضرة في جميع الأذهان، على أنه من المفيد الرجوع إليها، لا لنقلها بحرفها، بل لتبيين جوهر مضمونها. ليس في هذه الرواية ما في رواية الخلق في ستة أيام من ترتيب منظوم وتتابع منطقي. فتكوين الإنسان، على يد يهوى (وهو الاسم الذي أطلق على الله، وهو، في العهد القديم، أجلّ أسماء الجلالة) يبدو فيها، وكأنه قد حدث قبل تكوين النبات والحيوان. وقد كوّن الله الإنسان الأول من تراب الأرض، ثم نفخ فيه نسمة الحياة، أي النفس أو الروح.

ثم يظهر عالم النبات، وكأنه قد طلع، في الفردوس الأرضي، جنة عدن، تلبيةً لما شعر به آدم من حاجة إلى القوت. وفي عالم النبات شجرتان عجيبتان: شجرة الحياة، وشجرة معرفة الخير والشر.

ولكن لا القوت ولا الرخاء كانت فيهما الكفاية: «وقال يهوى - الله: لا يحسن أن يكون الإنسان وحده، فأضع له عوناً بإزائه» (٢: ١٨).

وكأنني به قد مهّد لهذا العمل باستعراض الحيوانات، فكان آدم يُطلق اسماً على كلّ منها، وفي ذلك دلالة على وضع يده عليها. ولكن الحيوان أيضاً لم يكن فيه الكفاية والعون الذي يحتاج إليه آدم.

وبعد ذلك خلقت حواء، من ضلع استلّه الله من بدن آدم، وهو مستغرق في سبات عميق. فلما أفاق من غفوته، صاح فرحاً: «هوذا، هذه المرأة، عظم من عظامي ولحم من لحمي» (٢: ٢٣). وطبقت الرواية على الزواج: «لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته فيصيران جسداً واحداً» (٢: ٢٤).

وتمهيداً لمتابعة الرواية، وردت ملاحظة لا سبيل إلى إغفالها: «وكانا كلاهما عُريَّانين، آدم وامرأته، وهما لا يَخجلان» (٢: ٢٥).
أما ما يلي من قصة العيلة الأولى فليس بالمبهج. فقد دخلت الحيَّة، ولم يفتها النطق، وكانت النهاية المعروفة:

«فقلت للمرأة: أيقيناً قال الله: لا تأكلا من جميع شجر الجنة. فقلت المرأة للحيَّة: من ثمر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة، فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمسَّاه كي لا تموتا. فقلت الحيَّة للمرأة: لن تموتا. إنما الله عالم أنكما في يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتصيران كالله عارفي الخير والشر. ورأت المرأة أن الشجرة طيِّبة للمأكل، وشهيَّة للعيون، وأن الشجرة مُنيَّة للعقل. فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت بعلها أيضاً معها فأكل» (٣: ١-٦).

ولم تلبث عواقب المعصية أن ظهرت. شعر الاثنان بخجل مفاجيء:
«انفتحت أعينهما فعِلما أنهما عُريَّانان» (٣: ٧).

وشعرا نحو «يهوى» بخوف لم يكن لهما به عهد. فقد تراءى، وحملهما على الاعتراف بمعصيتهما، وأعلن حكمه عليهما. وكان قد لعن الحيَّة، ووجَّه إليها كلمته المعروفة: «اجعل عداوة بينك وبين المرأة، بين نسلك ونسلها، فهو يسحق رأسك وأنتِ ترصدين عقبه» (١٥).

وأصيبَت المرأة بأُمومتها، وذَلَّتْ أمام زوجها: «لأكثرن مشقات حملك، بالألم تلدين البنين، وإلى بعلك تنقاد أشواقك، وهو يسود عليك» (١٦).
ويسمع الرجل والجنس البشري بأسره حكم الله: «ملعونة الأرض بسببك، بمشقة تأكل منها طول أيام حياتك، وشوكاً وحسكاً تنبت لك، وتأكل عشب الصحراء. بعرق وجهك تأكل خبزك حتى تعود إلى الأرض، فإنك منها أخذت، لأنك ترابٌ وإلى التراب تعود» (٣: ١٧-١٩).

وهكذا حُكِمَ على آدم وحواء، وطُردا من الفردوس الأرضي، بعيداً عن شجرة الحياة، التي كان لثمرها أن يضمن لهما البقاء على الدهر. ولكنهما قاما بوظيفتهما، كأبوين للجنس البشري، فولدا قايين وهابيل وشيثاً، وبنين وبنات غيرهم بعدهم (٤ : ١-٢، ٢٥ ؛ ٥ : ١-٣).

«وكانت كل أيام آدم التي عاشها تسع مئة سنة وثلاثين سنة، ومات» (٥ : ٤).

وعن تعليم الرواية الديني تقول دائرة معارف البستاني :

أما المسيحية التي لا ترضى أصلاً بالتفريق بين الناس، فقد تمسكت تمسكاً أشدّ بهذه الصفحات المنزلّة، واقتبست منها تعاليم هامة :

كان الإسرائيلي يشعر بثقل آثامه، ويقابل أحياناً بين نفسه وبين آدم، أبيه الأول. أما المسيحية فقد رأت في الخطيئة الأصلية عقيدة من عقائدها، وأساساً من أسس تعليمها، وعندها أن جميع البشر يرثون بالولادة من أبينا الأول الخطيئة الأصلية، ينبوع الآثام المتراكمة على نسله، والتي كفر عنها المسيح، آدم الجديد، بآلامه الفادية.

وقد أخذت المسيحية هذا التعليم عن بولس الرسول بنوعٍ خاصّ. قال بولس الرسول في إحدى صفحاته الشهيرة: «كما أنه بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس لأنهم جميعهم قد خطئوا... كذلك، كما أنه بزلّة واحدة قضى على الجميع، كان للجميع ببرّ واحد تبرير الحياة. لأنه كما أنه بمعصية واحد خطيء الجميع كذلك ببرّ واحد يبرّر الجميع» (رومانيون ٥ : ١٢-١٩).

وعلى أثر بولس، تتبيّن الكنيسة في كل مولود من بني آدم، إن لم يكن وزر الخطيئة بحصر المعنى، فحالة الخطيئة وحرمان الخيرات الفائقة الطبيعة، التي لا مجال لصحبة الله ولا للخلاص الأبديّ بدونها. ومن هنا عادة تعميد الأولاد. ومن هذا النصّ استخلص اللاهوتيون أن عمل المسيح الفادي المُحيي

قد رفع عنا، في ما رفع، ما يثقل كاهلنا من خطيئة آدم، وبالتالي هذه الخطيئة عينها.

ثم تحدّثت الموسوعة عن رأي الإسلام في آدم فقالت:

أما الإسلام فقد اتخذ الرواية نفسها في خلق آدم، بما فيها من تمثيل وتجسيم، مضافاً إليها بعض التفاسير التقليدية. على أنه حفظ، كما كان الأمر عند اليهود والنصارى، أن المجرب إنما هو الشيطان، إبليس، وهو الذي سبّب سقطة آدم، وكان قد سبق فرفض أن يسجد له. وقد أكبر الإسلام المنزلة التي وضع الله فيها الإنسان الأول. فهو عنده على اتصال بالله، وخليفته على الأرض؛ وأطلق على آدم لقب «أول الأنبياء».

٣ - علاقة الرواية بالتاريخ:

وقد أدّى التجسيم الذي مثل الخالق يجبل الجسد أولاً ثم ينفخ فيه نسمة الحياة، إلى زيادات شتى، فبدأ الملائكة يعاونون الله في عمله، ويجمعون له، لتكوين بدن آدم، تراباً من أمكنة مختلفة ومن طبقات الأرض المختلفة، ولم يفتهم أن يفصلوا دخول النفس، فنسبوا إليها الوجود فيما سبق.

وقد ذكرت تفاسير اليهود أن آدم وحواء كانا قبل السقطة يستران عُرْيَهما بثوب عجيب انحلّ حالاً بعد السقطة، وجاء في «كهف الكنوز» أنهما لم يستمرّا على نعيمهما في جنة عدن إلا ثلاث ساعات، وأن آدم كان ملكاً وكاهناً ونبيّاً، الأمر الذي سيردّه كثيرون.

وبما أن مصالحتهما مع الله تفترض توبة، فقد وصفت الآثار المزيّفة هذه التوبة وعيّنت مدتها: «بعد أن طرد آدم وحواء من عدن، جاعا وفتّشا في كل مكان عن قوتهما. ولما لم يجدا قوتاً كالذي ذاقاه في الجنة، عزموا على أن يتوبا، فغاصت حواء حتى رقبتها في مياه دجلة، ومكثت سبعة وثلاثين يوماً، وغاص آدم في الأردن أربعين يوماً» (حياة آدم وحواء في ملحق معجم التوراة،

الجزء الأول، ١٩٢٨ ص ١٠٢). وهناك رواية أخرى تداولها المسلمون تروي أن «آدم، بعد طرده من الفردوس، وقع في جزيرة سرنديب (سيلان) حيث مكث مئتي سنة مفصولاً عن امرأته، يقضي أيامه في التوبة... وعندما تاب أخذه جبريل إلى جبل عرفات، قرب مكة، حيث التقى زوجته» (دائرة المعارف الإسلامية، الجزء الأول، آدم، ص ١٢٩، ١٣٠).

آدم عليه السلام

كما جاء في دائرة المعارف الإسلامية (*)

آدم، ويلقب أبا البشر، و«صفيّ الله»، وقد ورد ذكر آدم في سورة الحجر، وتذكر القصص الإسلامية أن الله أمر ملائكته: جبريل وميكائيل وإسرافيل أن يأخذ كل واحد منهم سبع قبضات من تراب الأرض السبع، فاستعادت الأرض بالله، فبعث الله عزرائيل، فانتزع من وجه الأرض ما يكفي من التراب لخلق إنسان، وقد أخذت هذه القصة - مع بعض التعديل - من القصص اليهودية (انظر الترجمة الأوروشليمية للعهد القديم، سفر التكوين، فصل ٢ فقرة ٧؛ التلمود البابلي، كتاب سنهدرين، ص ٣٨؛ فصول الحبر اليعزر فصل ١١) وقد أمطر الله الأرض عدّة أيام ليحيل ذلك التراب طيناً، وبعد أن لزبته الملائكة، صنع الله منه هيكل آدم وتركه مدّة ليجفّ قبل أن ينفخ فيه من روحه. ويشير «المسعودي» عند تفسيره للآية السابقة إلى أن جسم آدم بقي ثمانين عاماً غير مصوّر ثم صوّره وتركه بلا روح مائة وعشرين سنة (انظر مجموعة برشيت ربا، سفر التكوين فصل ١٢، فقرة ٧).

فلما خلّق الله آدم أمر الملائكة أن تسجد له، فسجدوا جميعاً إلا إبليس،

(*) دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ٥٥٣-٥٥٥، تأليف فريق من علماء الغرب المستشرقين، صدرت في القاهرة عام ١٩٣٣ في خمسة عشر مجلداً من القطع الكبير، أعادت نشرها دار المعرفة بيروت - لبنان، راجع الطبعة العربية من قبل وزارة العدل الدكتور محمد مهدي علام.

وكان ذلك سبباً في محنته هو وآدم [سورة البقرة، الآية: ٣٤، سورة الأعراف، الآية: ١١؛ سورة بني إسرائيل، الآية ٦١ وغير ذلك]. ويتفق القرآن مع مجموعة الروايات القصصية السريانية في أن الله جعل آدم ملك الملائكة (Schatzhohle: Bezold ص ٣ وما بعدها. النص، ص ١٤) وآدم أول الأنبياء الذين أوحى الله إليهم كتباً (الإشارة إلى كتاب آدم). وقد أخبره الله بأخبار الأمم التالية وأنبيائها. ولما علم آدم أن النبي داود لا يعيش إلا زمناً يسيراً جداً، تنازل له عن أربعين سنة من عمره الذي بلغ ألف سنة (تعاادل الألف سنة يوماً من أيام الله). ولذلك صار عمر آدم ٩٦٠ عاماً (الطبري: ج ١، ص ١٧٦ وما بعدها؛ ابن الأثير، ج ١، ص ٣٧؛ انظر مجموعة برشيت ربا، سفر التكوين، فصل ٣، فقرة ٨، مجموعة مدبر ربا، سفر العدد. فصل ٧، فقرة ٧٨، وتذكر أن آدم تنازل لداود عن سبعين سنة من عمره معتمدة في ذلك على سفر التكوين فصل ٥، فقرة ٥) ولما أخرج آدم من الجنة نزل في جزيرة سرنديب (سيلان) وعاش فيها مائتي سنة بعيداً عن زوجته يكفر عن ذنبه (سورة البقرة الآية ٣٦. التلمود البابلي، سفر عرويين، ص ١٨ ب). وفي جزيرة سرنديب جبل أسماه البرتغاليون «جبل آدم»، وتذكر القصص أن على هذا الجبل أثر قدمي آدم وطول كل قدم منها سبعون ذراعاً. ولما غفر الله له حمله جبريل إلى جبل عرفات قرب مكة وهناك لقي زوجته. ويقول الطبري [ج ١، ص ١٢٢] وابن الأثير [ج ١، ص ٢٩] إن الله أمر آدم أن يقيم قواعد الكعبة وعلمه جبريل مناسك الحج، وتوفي آدم في السادس من نيسان، يوم الجمعة، ودفن في مغارة الكنوز في سفح جبل أبي قبيس (اليعقوبي: طبعة هوتسما، ج ١، ص ٥). ويقول آخرون إن جثته نقلها ملكي صدق Melchizedek بعد الطوفان إلى بيت المقدس. وتتفق هذه الأخبار المختلفة مع ما ورد في القصص السريانية السالفة الذكر التي ذكر فيها أن آدم بعد أن توفي يوم الجمعة الرابع عشر من نيسان، دفن إلى حين في مغارة الكنوز ثم نقل بعد الطوفان إلى بيت المقدس. (انظر Bezold، الكتاب المذكور، ص ٩ - ١٠).

المصادر:

- (١) الطبري ، ج ١ ، ص ١١٥ ، وما بعدها .
 - (٢) الثعلبي : العرائس ، القاهرة ١٢٩٧ ، ص ٢٣ ، وما بعدها .
 - (٣) النووي : طبعة فستفلد ، ص ١٢٣ وما بعدها .
 - (٤) المسعودي : مروج الذهب ، باريس ، ج ١ ، ص ١١٥ ، وما بعدها .
 - (٥) ابن الأثير ، طبعة تورنبرج ، ج ١ ، ص ١٩ ، وما بعدها .
 - (٦) Biblishe: Weil Legenden der Muselmänner ، ص ١٢ ، وما بعدها .
 - (٧) The Koran: G.sale ، ج ١ ، ص ٥ ، انظر التعليق ، ج ٢ ، ص ٨٣ ، التعليق ، ص ٤١٠ ، التعليق .
 - (٨) Neuc: Grunbaum Beiträge zur semit. Sagenkunde ، ليدن ١٨٩٣ ، ص ٥٤ ، وما بعدها .
 - (٩) Zeitschr d.Deutsch. Morgenl, Gesellsch ، ج ١٥ ، ص ٣١ ، وما بعدها ، ج ٢٤ ، ص ٢٨٤ ، وما بعدها ، ج ٢٥ ، ص ٥٩ ، وما بعدها .
- [سلجسن M. Seligsohn] .

ملاحظات المؤلف حول دائرة معارف البستاني ودائرة المعارف الإسلامية

لقد ورد في دائرة معارف البستاني أن تفاسير اليهود ذكرت أن آدم كان ملكاً وكاهناً ونبياً، والسؤال الآن: أين دليل النبوة من التوراة؟ وأين دليل نبوة آدم في المسيحية، والمسيحية ترى أن جميع البشر يرثون بالولادة من أبينا الأول الخطيئة الأصلية، ينبوع الآثام المتراكمة على نسله، والتي كفر عنها المسيح، آدم الجديد، بآلامه الفادية؟!

وتحدثت الموسوعة بأن الإسلام أطلق على آدم لقب (أول الأنبياء). والسؤال: أين الآية من كتاب الله التي أشارت إلى أن آدم هو أول الأنبياء أو أين الحديث الصحيح الذي أورده الموسوعة أو دائرة المعارف، والذي يثبت أولية نبوة آدم عليه السلام، وهل صحيح أن آدم كان ملكاً وكاهناً ونبياً. الأمر الذي سيردده الكثيرون؟!

وكما أن دائرة المعارف للبستاني لم تأت بالدليل على نبوة آدم ورسالته ما عدا عبارة (وأطلق على آدم لقب أول الأنبياء) بدون دليل من كتاب الله أو سنة رسوله الصحيحة المتواترة، فإن دائرة المعارف الإسلامية التي أصدرها نخبة من علماء الغرب المستشرقين قالت عن آدم: ويلقب أبا البشر و«صفي الله»، وأضافت: وآدم أول الأنبياء الذين أوحى الله إليهم كتباً، دون أن تذكر لنا المصدر عن أولية نبوة آدم أو كتاب آدم المزعوم! وتعترف دائرة المعارف الإسلامية بأن كثيراً من معلوماتها عن آدم عليه السلام مأخوذة من القصص اليهودية والتلمود البابلي ومن سفر التكوين، وسفر العدد (العهد القديم).

قصة آدم عليه السلام في القرآن الكريم

ويحسن بنا قبل أن نتحدث عن نبوة آدم ورسالته أن نستعرض قصته كما وردت في القرآن الكريم:

وقد ذكرت قصة آدم عليه السلام أول البشر في عدد من سور القرآن الكريم، منها سور: (البقرة، الأعراف، الإسراء، الكهف، طه)، باسمه وصفته، وفي سورة الحجر وسورة (ص) بصفته فقط، وكلها بمعنى واحد، ولكن بعبارات مختلفة اللفظ فقط، وذلك مما يدل على إعجاز القرآن الكريم. فإن أكتب الكاتبين وأبلغ البلغاء إذا كتب قصة مرة يستحيل عليه أن يكتبها مرة أخرى بالفاظ غير الأولى مع المحافظة على المتانة في الأسلوب والبلاغة في التعبير كما في القرآن الكريم.

وعناصر قصة آدم تتلخص فيما يلي:

- ١ - خلق الله سبحانه لآدم من غير أب ولا أم، ولكن من مادة الطين: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصالٍ من حمأٍ مسنون﴾ [الحجر: ٢٦].
- ٢ - تعليم الله سبحانه لآدم الأسماء كلها: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ [البقرة: ٣١].
- ٣ - أمر الله عز وجل للملائكة بالسجود لآدم سجود تكريم: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ [البقرة: ٣٤].

٤ - مبادرة الملائكة جميعاً بالطاعة، وامتناع إبليس: ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين ﴾ [الحجر: ٣٠ - ٣١].
٥ - وقال إبليس مبرراً عصيانه: ﴿ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً ﴾ [الإسراء: ٦١]، و﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [سورة ص: ٨٦].

٦ - طرد إبليس من الجنة: ﴿ قَالَ: فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الحجر: ٣٤ - ٣٥].
٧ - خلق حواء عليها السلام: ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [النساء: ١].

٨ - سكنى آدم وزوجه الجنة: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا، وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ، فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٣٥].

٩ - تحذير الله سبحانه لآدم وزوجه من عداوة إبليس ومكره: ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾، و﴿ طَمَأْنَنُهُ عَلَى مُسْتَقْبَلِهِ وَتَوَفَّرَ أَحْتِيَاجَاتِهِ فِي الْجَنَّةِ: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى، وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴾ [طه: ١١٧ - ١١٩].

١٠ - فماذا كان من إبليس اللعين؟

لقد شرع في خطة لإخراج آدم وزوجه من الجنة، مستعملًا سلاح الإغراء والترقي والخلود:

ففي سورة طه: ﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ، قَالَ: يَا آدَمُ: هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبُلَى ﴾؟ [طه: ١٢٠].

وفي سورة الأعراف: ﴿ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ

عنهما من سوءَاتِهِمَا، وقال: ما نهاكما ربُّكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا
مَلَكَينَ أو تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ [الأعراف: ٢٠].

١١ - وكانت الغواية من إبليس بثوب النصيحة: ﴿وقاسمهما إني لكما
لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١].

١٢ - وكانت الاستجابة من آدم وزوجه: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾، وكان
السقوط منهما: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ، بَدَتْ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفَقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا
مِنَ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢].

١٣ - وكان النداء والمؤاخذه من ربِّ العالمين لآدم وزوجه: ﴿وَنَادَاهُمَا
رَبُّهُمَا: أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ؟﴾
[الأعراف: ٢٢].

١٤ - وكان الحكم من أحكم الحاكمين: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾
[طه: ١٢١].

١٥ - ثُمَّ كَانَ النَّدَمُ مِنْ آدَمَ وَزَوْجِهِ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا، وَإِنْ لَمْ
تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

١٦ - ثم كان الاجتناء والتوبة والهداية من التَّوَابِ الرَّحِيمِ: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ
رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢٢].

١٧ - ثم كان الهبوط من الجنة: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ
عَدُوٌّ﴾ [طه: ١٢٣].

١٨ - وكان التوجيه والتحذير لهما ولذريتهما: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى،
فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلَّ وَلَا يُشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً
ضَنْكاً، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ: رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى، وَقَدْ كُنْتُ
بَصِيرًا؟

قال: كذلك أتتك آياتنا فنسيتها [أهملتها] وكذلك اليوم تُنسى ﴿
[طه: ١٢٣ - ١٢٦].

١٩ - ثُمَّ كَانَ الْخَطَابُ لِبَنِي آدَمَ: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً
يواري سوءاتكم، وريشاً، ولباسُ التقوى، ذلك خير، ذلك من آيات الله لعلهم
يذكرون﴾ [الأعراف: ٢٦].

٢٠ - وكان التحذير لبني آدم ألا يُكرِّروا غلطة أبويهم:
﴿يا بني آدم لا يفتننكُم الشيطانُ كما أخرجَ أبويكُم مِنَ الْجَنَّةِ، يَنْزِعُ
عَنهما لِبَاسَهما لِئُرِيَهُما سَوءَ آتِيَهُما، إِنَّهُ يَراكم هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا
تَرَوْنَهُما، إِنَّا جَعَلنا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

٢١ - وكانت الوصية والتنبيه لاستقبال الرُّسل من ذرية آدم:
﴿يا بني آدم إِمَّا يَأْتِيَنَّكُم رُسُلٌ مِنْكُم، يَقْضُونَ عَلَيْكُم آياتِي، فَمَنْ اتَّقَى
وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ* وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْها
أُولَئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خَالِدُونَ* فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ
كَذَّبَ بِآياتِهِ﴾ [الأعراف: ٣٥ - ٣٧].

ومعنى ذلك أنَّ القرآن الكريم أثبت أنَّ الرُّسل سيأتون من ذرية آدم،
وسكت عن آدم، وأنَّ الله سبحانه سوى بين مَنْ يُنكرُ نُبُوَّةَ نبيٍّ، وبين مَنْ يفتري
على الله الكذب فيدَّعي نُبُوَّةَ نبيٍّ لم يقل بِها القرآن الكريم أو الرسول الصادق
الأمين، وصدق الله العظيم: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ
عِزْماً﴾ [طه: ١١٥].

* * *

الفصل السادس

أدلة الذين يقولون بنبوّة آدم ورسالته

أ - من القرآن الكريم :

- ١ - استنادهم إلى آية الاصطفاء بسورة آل عمران .
- ٢ - استنادهم على آية ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ .
- ٣ - على آية ﴿ثم اجتباه ربّه فتاب عليه وهدى﴾ .
- ٤ - على آية ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾ .
- ٥ - على آية ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ .
- ٦ - على آية ﴿وعلم آدم الأسماء كلّها﴾ .
- ٧ - على قصّة ابني آدم في سورة المائدة .

ب - من السنّة النبوية :

- ١ - على حديث أبي ذرّ الطويل .
- ٢ - على حديث أبي سعيد الخدري في سنن الترمذي .
- ٣ - على حديث أبي أمامة الباهلي .

ج - استدلالهم بخطاب الله لأدم بدون واسطة !

د - على الزعم بوجود ثلاثة أنبياء قبل نوح !

هـ - على الزعم بإجماع علماء المسلمين على نبوّة آدم !

*** . . . ***

أدلة الذين يقولون بنبوة آدم ورسالته . . ومناقشتها :

والآن، يحسن بنا بعد أن لخصنا أدلة الذين يقولون بنبوة آدم ورسالته أن ندلي برأينا في هذا الموضوع: فنرد على الذين استندوا إلى نبوة آدم بآية الاصطفاء :

﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، ذرية بعضها من بعض، والله سميع عليم ﴾ فنقول:

[أولاً]: ليس في القرآن الكريم ما يدل دلالة واضحة على نبوة آدم، وكل ما ورد في هذا الخصوص هو آية الاصطفاء في سورة آل عمران. وإذا راجعنا مادة [صفا] في لسان العرب وجدنا أن:

صفا: الصفوة والصفاء، ممدود: نقيض الكدر، وصفوة كل شيء: خالصه من صفوة المال وصفوة الإخاء. الصفوة، بالكسر: خيار الشيء وخلاصته وما صفا منه، والصفاء: مصدر الشيء الصافي. وصفا الجو: لم تكن فيه لطحمة غيم. واستصفى الشيء واصطفاه: اختاره. والاصطفاء: الاختيار، افتعال من الصفوة، ومنه النبي ﷺ صفوة الله من خلقه ومصطفاه. والأنبياء المصطفون وهم من المصطفين إذا اختيروا، وهم المصطفون إذا اختاروا، وهذا بضم الفاء. واصطفاه: أخذه صفيّاً.

فإذن، الاصطفاء: الاختيار. وقد افتتحت آية الاصطفاء بمناسبة الكلام

عن قصة امرأة عمران . . . وابنتها مريم بنت عمران وحفيدها عيسى بن مريم مروراً بقصة زكريا الذي كفل مريم ودعا ربّه فقال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (٣)، وكانت الإجابة: ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ قال: رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ، وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ، وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ؟ قَالَ: كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ * قال: رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً [علامة] قَالَ: آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا، وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا، وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿ (٤).

وبعد بشارة زكريا، تأتي بشارة الملائكة لمريم: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٥)، ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ؟ قَالَ: كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿ (٦).

والمعنى: أَنَّ اللَّهَ اصْطَفَى [اختار] آدَمَ لِيَكُونَ أَبًا لِلبَشَرِ، وَخَلَقَهُ بِمَعْجَزَةٍ مِنْ غَيْرِ أَبِي وَلَا أُمٍّ، بَلْ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ حَوَاءَ مِنْ ضُلْعِهِ ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ (٧). وإذا كَانَ اللَّهُ قَدْ اصْطَفَى آدَمَ لِيَكُونَ أَوَّلَ الْبَشَرِ، فَقَدْ اصْطَفَى نُوحًا لِيَكُونَ أَوَّلَ الرُّسُلِ، وَاصْطَفَى آلَ إِبْرَاهِيمَ وَلَمْ يَقُلْ إِبْرَاهِيمَ لِأَنَّ اللَّهَ أَنْعَمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَزَوْجِهِ [سارة] بِغُلَامٍ، بَعْدَ أَنْ بَلَغَا مِنَ الْكِبَرِ عِتْيًا، وَكَانَتِ الْبَشَارَةُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَبْلَ

(٣) آل عمران: ٣٨.

(٤) آل عمران: ٤٢.

(٥) آل عمران: ٤٢.

(٦) آل عمران: ٤٢ - ٤٧.

(٧) النساء: ١.

توجهها إلى قوم لوط لإهلاكهم: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ، فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ * قَالَتْ: يَا وَيْلَتَى أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا؟ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٨﴾.

وينتهي المطاف بآل عمران بعد آل إبراهيم إلى قوله سبحانه: ﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٩﴾.

وإذا كانت كلمة الاصطفاء تعني النبوة، فمعنى ذلك أن مريم ابنة عمران نبية، والقرآن الكريم نص على ذكورية الأنبياء فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ، فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، [النحل: ٤٣]. ومعنى ذلك أن الدين نبي من الأنبياء: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ: يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ، فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٠﴾، وأن طالوت أيضاً من الأنبياء: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا، قَالُوا: أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ، وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ، وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ، وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١١﴾.

بل إن الله سبحانه قد اصطفى أتباع الأنبياء، بقوله في [سورة فاطر: ٣٢] ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذن الله، ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

والآن يحسن بنا أن نستعرض بعض آراء المفسرين حول آية الاصطفاء، حتى يكون القارئ الكريم على بينة من الأمر:

(١٠) البقرة: ١٣٢.

(١١) البقرة: ٢٤٧.

(٨) هود: ٧١-٧٣.

(٩) آل عمران: ٥٩.

آراء علماء التفسير في آية الاصطفاء:

ومن المفيد أن نشير إلى أن الإمام القرطبي ذكر في تفسيره لآية الاصطفاء أكثر من وجه، فقال في تفسيره:

قوله: اصطفى: اختار، ثم قال: والتقدير: أن الله اصطفى دينهم وهو دين الإسلام، فحذف المضاف، ثم ذكر القرطبي رأياً آخر في معنى اصطفاء آدم بقوله: ويقال: اختار آدم لخمس أشياء:

أولهما: أنه خلقه بيده في أحسن صورة بقدرته.

والثاني: أنه علّمه الأسماء كلها.

والثالث: أمر الملائكة بأن يسجدوا له.

والرابع: أسكنه الجنة.

والخامس: جعله أبا البشر!

كما أن الإمام ابن الجوزي في «زاد المسير» ذكر ثلاثة أقوال لمعنى الاصطفاء، فقال:

وفي معنى اصطفاء المذكورين ثلاثة أقوال:

أحدهما: أن المراد اصطفى دينهم على سائر الأديان، قاله ابن عباس، واختاره الفراء والدمشقي.

والثاني: اصطفاهم بالنبوة، قاله الحسن، ومجاهد، ومقاتل.

والثالث: اصطفاهم بتفضيلهم في الأمور التي ميزهم بها على أهل زمانهم.

ويقول الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره لآية الاصطفاء:

(المسألة الثانية) [اصطفى] في اللغة: اختار، فمعنى اصطفاهم أي

جعلهم صفوة خلقه، تمثيلاً بما يشاهد من الشيء الذي يصفى وينقى من الكدورة.

ثم قال:

إذا عرفت هذا فنقول: في الآية: قولان:

(الأول): المعنى أن الله اصطفى دين آدم ودين نوح، فيكون الاصطفاء راجعاً إلى دينهم وشرعهم وملتهم، ويكون هذا المعنى على تقدير حذف المضاف.

(والثاني): أن يكون المعنى: أن الله اصطفاهم، أي صفاهم من الصفات الذميمة، وزينهم بالخصال الحميدة، وهذا القول أولى بوجهين:

(أحدهما): أننا لا نحتاج فيه إلى الإضمار.

(والثاني): أنه موافق لقوله تعالى: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾. وفي نهاية كلامه على آية الاصطفاء قال:

واعلم أن هذه الوجوه ليست دلائل قوية، بل هي أمور ظنية، وأصل الاحتمال قائم. [التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٨ ص ١٩ - ٢٣].

آدم عليه السلام: هادياً مهدياً . . ونوح عليه السلام نبياً مرسلأ:

ويقول الإمام محمد رشيد رضا في تفسيره لآية الاصطفاء:

«أي اختارهم وجعلهم صفوة العالمين وخيارهم، بجعل النبوة والرسالة فيهم، فآدم أول البشر ارتقاءً إلى هذه المرتبة، فإنه بعدما تنقل في الأطوار إلى مرتبة التوبة والإنابة، اصطفاه تعالى واجتباها كما قال في سورة طه: ١٢٢: ﴿ثم اجتباؤه ربُّه فتاب عليه وهدي﴾، فكان هادياً مهدياً، وكان في ذريته من النبيين والمرسلين من شاء الله تعالى.

وأما نوح عليه السلام، فقد حدث على عهده ذلك الطوفان العظيم، فانقرض

من السلائل البشرية مَن انقرض، ونجا هو وأهله في الفلك، فكان بذلك أباً ثانياً
للجَمِّ الغفير من البشر، وكان هو نبياً مرسلًا . . .

*** . . . ***

ويقول الأستاذ محمد محمد عبد اللطيف في كتابه [أوضح التفاسير] . . لابن
الخطيب، الطبعة التاسعة - المطبعة المصرية ومكتبتها في تفسير قوله تعالى في
سورة آل عمران: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى
الْعَالَمِينَ﴾: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى . . . اخْتَارَ وَاجْتَبَى .

— كما يقول الأستاذ سيد قطب في شرحه لآية الاصطفاء في آل عمران:
(. . . تقول الروايات التي تصف المناظرة بين النبي ﷺ ووفد نصارى نجران
اليمن: إن هذا القصص الذي ورد في هذه السورة عن مولد عيسى عليه السلام،
ومولد أمه مريم، ومولد يحيى وبقيّة القصص، ردّاً على ما أراد الوفد اطلاقه من
الشبهات؛ وهو يستند إلى ما جاء في القرآن عن عيسى عليه السلام بأنه كلمة الله
إلى مريم وروح منه، وأنهم كذلك سألوا عن أمور لم ترد في سورة مريم وطلبوا
الجواب عنها.

ثم يقول . . . وقصة عيسى - وما جاء من القصص مكملًا لها في هذا الدرس -
تؤكد هذه الحقيقة (قضية التوحيد) توحيد الألوهية وتوحيد القوامة . . . وتنفي فكرة
الولد والشريك، وتستبعدهما استبعاداً كاملاً، وتظهر زيف هذه الشبهة وسخف
تصورها، وتبسط مولد مريم وتاريخها، ومولد عيسى وتاريخ بعثته وأحداثها بطريقة
لا تدع مجالاً لإثارة أية شبهة في بشريته الكاملة. وأنه واحد من سلالة الرسل، شأنه
شأنهم، وطبيعته طبيعتهم، وتفسر الخوارق التي صاحبت مولده وسيرته تفسيراً لا
تعقيد فيه ولا غموض، من شأنه أن يريح القلب والعقل، ويدع الأمر فيهما طبيعياً
عادياً لا غرابة فيه . . . حتى إذا عقب على القصة بقوله: ﴿إِنَّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ
كَمِثْلِ آدَمَ، خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ وجد القلب بُرد اليقين والراحة،
وعجب كيف ثارت تلك الشبهات حول هذه الحقيقة البسيطة.

ثم قال : يبدأ هذا القصص ببيان من اصطفاهم الله من عباده واختارهم لحمل الرسالة بالدين الواحد منذ بدء الخليقة ، ليكونوا طلائع الموكب الإيماني في شتى مراحل المتصلة على مدار الأجيال والقرون ، فيقرر أنهم ذرية بعضها من بعض ، وليس من الضروري أن تكون ذرية النسب - وإن كان نسب الجميع يلتقي في آدم ونوح - فهي أولاً رابطة الاصطفاء والاختيار الإلهي ونسب هذه العقيدة الموصول في ذلك الموكب الإيماني الكريم :

﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾ * ذرية بعضها من بعض ، والله سميع عليم * .

- ويقول المرحوم الأستاذ حسن العشماوي في كتابه : [مع القرآن . . زاد الرحلة الأولى في كتاب الله] - نشر دار الفتح للطباعة والنشر بيروت صفححة ١٦٧ ، وهو يسلط الضوء على آية الاصطفاء : (. . .) وتنتقل الآيات من دعوة الحب : ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ للتمهيد لقصة آل عمران - وهم قوم عيسى - ببيان من فضل الله واختار من البشر ، فقد اختار الله آدم أباً للبشرية ، ونوحاً شيخاً وأباً ثانياً للناس . ثم آل إبراهيم خليل الله وأبي الأنبياء من بعده ، ثم آل عمران من ذرية يعقوب ، ليكون منهم رسول الله وآيته الكبرى عيسى بن مريم عليهما السلام :

﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾ *

ذرية بعضها من بعض ، والله سميع عليم * [آل عمران : ٣٣ - ٣٤] .

- رأي الإمام الألوسي في تفسيره روح المعاني في شرحه لآية الاصطفاء في سورة آل عمران :

(. . .) وقيل إن نصارى نجران لما غلوا في عيسى عليه الصلاة والسلام ، وجعلوه ابن الله ، واتخذوه إلهاً ، نزلت ردّاً عليهم وإعلاماً لهم بأنه من ذرية البشر المنتقلين في الأطوار المستحيلة على الإله .
ثم قال : وبدأ بآدم لأنه أول النوع .

وثنى بنوح عليه السلام لأنه آدم الأصغر والأب الثاني ، وليس على وجه البسيطة إلا من نسله ، لقوله تعالى : ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ ، وذكر آل إبراهيم لترغيب المعترفين باصطفائهم في الإيمان بنبوّة واسطة قلاذتهم ، واستمالتهم نحو الاعتراف باصطفائه بواسطة كونه من زمرتهم ، وذكر آل عمران مع اندراجهم في الآل ، لإظهار مزيد الاعتناء بأمر عيسى عليه الصلاة والسلام ، لكمال رسوخ الاختلاف في شأنه ، وهذا هو الداعي لإضافة الآل في الأخيرين دون الأولين . ثم قال : والاصطفاء : الاختيار . والمراد بالعالمين ، أهل زمان كل واحد منهم على عالمي زمانه . وقيل : اصطفى آدم ، بأن خلقه بيديه وعلمه الأسماء ، وأسجد له الملائكة ، وأسكنه جواره .

واصطفى نوحاً بأنه أول رسول بعث بتحريم البنات والأخوات والعمات والخالات ، وسائر ذوي المحارم ، وأنه أب الناس بعد آدم .
واصطفى آل إبراهيم بأن جعل فيهم النبوة والكتاب ، ويكفيهم فخراً أن سيد الأصفياء منهم .

واصطفى عيسى وأمه بأن جعلهما آية للعالمين .

ثم قال : وليس المراد الاصطفاء بالنبوة حتى يخفى وجه التخصيص . ثم قال : وفيه أن المتبادر من الاصطفاء الاجتباء والاختيار لا النصر على الأعداء .

*** . . . ***

[ثانياً] : وقد استدلل أصحاب نبوة آدم على قوله سبحانه : ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾^(١٢) ، كما حدّثني بعضهم ، وكما جاء في بعض الكتب . وجوابنا : أن آدم وأهله لا يزيدون عن أسرة ، فأولاده وأحفاده لم يكونوا أمة ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ولكل أمة رسول﴾^(١٣) ، وكانت حياتهم آنذاك على الفطرة ، ليس فيها أزمات اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو عمالية . كان فيها الخير والخيرات والأنعام والدّواجن والطيور والأسماك . والله سبحانه

(١٣) يونس : ٤٧ .

(١٢) فاطر : ٢٤ .

قال عن يونس : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ ^(١٤) ، وقال سبحانه : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴾ ^(١٥) ، وقال عز وجل : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ ^(١٦) ، والله سبحانه لم يرسل رُسُلًا إلى أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا أحداً بعد إسماعيل حتى جاء محمد ﷺ ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ ^(١٧) ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴾ ^(١٨) ، والقرآن الكريم أشار إلى فترات لم يرسل فيها رُسُلًا : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا : مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ، فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(١٩) .

*** . . . ***

[ثالثاً] : وثالث الأدلة التي يستند إليها دعاة نبوة آدم ورسالته قوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ ، فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ ^(٢٠) .

وجوابنا على ذلك بأن معنى الاجتباء ليس قاصراً على الأنبياء ، وليس دليلاً على النبوة لأن المولى عز وجل تحدّث عن المؤمنين في آخر سورة الحج فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ، وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴿ ^(٢١) .

وقال عن يونس عليه السلام بعد أن أرسله إلى قومه ، وترك قومه ، ثم التقمه الحوت : ﴿ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ، لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ رَبُّهُ لَنَبَدَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ، فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ^(٢٢) . فاجتباء يونس كان بعد

الرسالة .

- | | |
|-----------------------|------------------------|
| (١٤) الصّافات : ١٤٧ . | (١٩) المائدة : ١٩ . |
| (١٥) الفرقان : ٥١ . | (٢٠) طه : ١٢٢ . |
| (١٦) الشورى : ٧ . | (٢١) الحج : ٧٧ - ٧٨ . |
| (١٧) القصص : ٤٦ . | (٢٢) القلم : ٤٨ - ٥٠ . |
| (١٨) سبأ : ٤٤ . | |

وفي لسان العرب، اجتباه: اصطفاه: وفي الحديث أنه اجتباه لنفسه، أي اختاره واصطفاه. ابن سيده: واجتبي الشيء: اختاره.

وفي رأينا أن آدم كانت تنقصه أهم صفة من صفات الرسالة وهي العزيمة، ولذلك قال الحق تبارك وتعالى لرسوله الخاتم: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعِزْمِ مِنَ الرِّسْلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾^(٢٣). أما آدم فقد وصفه مولاه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عِزْمًا﴾^(*).

*** . . . ***

[رابعاً]: ورابع أدلة الذين يقولون بنبوة آدم قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عِزْمًا﴾^(٢٤). ونحن نترك الرد على هذا الدليل للعلامة الأستاذ البهي الخولي في فصل [الغرائز بين الفتون والرشد] في مقاله الذي نُشر في مجلة المسلمون القاهرية والذي يشرح ويفسر هذه الآية ويبين فيه معاني (العهد) و(النسيان) و(العزيمة) بياناً وافياً^(**).

ويبدأ بالكلام عن (العهد) فيقول:

(هو عهد من الله تعالى لآدم. . . عهد تكوين وفطرة، لا عهد وحي وشرعية)، إلى أن قال: (وقد رأينا فيما تقدّم كيف أن الشيطان حين سؤل لآدم عليه السلام أن يأكل من الشجرة لم يأت من قبل صوابه الروحي، بل من قبل غرائزه. . . حتى تحولت عن عهد الله إلى ما أراد لها من المعصية. . . ولكن كيف وقعت المعصية؟ أو كيف كان النسيان، فكانت المعصية؟؟

(٢٤) طه: ١١٥.

(٢٣) الأحقاف: ٣٥.

(*) وقد جاء الاستشهاد بهذه الآية في فتوى أحد المفتين في البلاد العربية للدلالة على نبوة آدم.

(**) راجع أيضاً كتاب آدم عليه السلام (فلسفة تقويم الإنسان وخلافته) للبهي الخولي - نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة - الطبعة الثانية، الباب السابع - فصل الغرائز بين الفتون والرشد ص ١٧٣ - ١٧٩.

ثم تحدّث عن النسيان فقال:

ثانياً: النسيان:

وقد رجعنا إلى ما كتبه المفسّرون عن النسيان المسند إلى آدم عليه السلام، فلم نجد فيه ما ينفع غلّة أو يشفي علّة - كما يقولون - نعم، لم نجد في كلامهم ما يبيّن لنا كيف تكون المعصية مع النسيان؟ أو كيف يكون فعل الناسي معصية مع أنّ الله قد رفع عن عباده الخطأ والنسيان، وهو سبحانه أجلّ من أن يعاقب على شيء منه، فرجعنا إلى القرآن الكريم نفسه، فوجدنا النسيان يدور فيه على عدّة معانٍ، أهمها وأبرزها الوجوه الآتية:

١ - النسيان الذي يطرأ في الذهن على الحوادث وأسماء الأشخاص، وما يكون المرء قد حفظ من المقرّرات العلمية... وهو نقيض الذكر... مثاله قوله تعالى: ﴿سُنُقِرْكَ فَلَا تَنْسَى﴾^(١) وهذا الضرب من النسيان ليس معنا، إذ لا يُقال إن آدم أكل من الشجرة وليس في ذهنه شيء من أمر الله ونهيه، فإن الشيطان قال له: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾^(٢) أي أنه ذكره نهي الله وأعاده على ذهنه، فلا محلّ لأن يُقال أنه عليه السلام أكل وهو ناسٍ!!

٢ - النسيان الذي ينطوي على معنى السهو، كما ينسى الإنسان عصاه أو مسبحته في مكان ما، أو كما يريد أن يتكلّم مع شخص ما في عدّة أمور، فيتكلّم عن بعضها ويسهو عن بعض، فلا يذكره إلّا فيما بعد، ومثاله ما حكاه الله سبحانه عن فتى موسى عليه السلام إذ قال: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ﴾^(٣)، وقول موسى للعبد الصالح عليهما السلام: ﴿لَا تَوَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾^(٤). ثم قال:

(٣) الكهف : ٦٣ .

(١) الأعلى : ٦ .

(٤) الكهف : ٧٣ .

(٢) الأعراف : ٢٠ .

وكذلك نستبعد أن يكون هذا الضرب من النسيان معناه، فإن السهو يكفي للتنبيه منه أقل إشارة أو حركة أو كلمة، ولا يعقل أن يكون آدم أكل من الشجرة ساهياً بعد أن ذكره الشيطان بما ذكره به.

٣ - و٤ - وثم ضربان من النسيان: أي ذهاب الاهتمام بالشيء، ومثاله في القرآن قوله سبحانه: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

فالنسيان المسند إليهم معناه ذهاب اهتمامهم بأمره سبحانه، فإن أحد هؤلاء قد يأخذ في لهو الحديث ويشغل بالباطل من الغايات، فإذا ذكرته بأمر الله لا ترى عليه من هزة الاهتمام مثل ما ترى له حين تنبيهه أن يأخذ عصاه أو مسبحته التي نسيها، بل ترى آثار التهاون وقلة المبالاة التي تدل على أن عقدة العهد قد انحلت من ضميره، وبردت الغيرة عليه في قلبه، فهو إذاً - من نسيان القلوب، لا من نسيان الذاكرة، أو غفلة السهو الطارئة.

أما النسيان المسند إلى الله، فليس من نسيان العقول، ولا من نسيان القلوب، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بل معناه أنهم لما نسوا الله، وزال اهتمامهم بأمره، صرف عنهم فضله، ووكّلهم إلى نفوسهم.

ومن البديهي أن النسيان المسند إلى آدم حين أكل من الشجرة ليس من قبيل النسيان المسند إلى الله جلّ شأنه، فلم يبق إلا أنه من قبيل النسيان المسند إليهم، بمعنى أن قلبه صار إلى لحظة من الفتور عن عهد الله جلّ شأنه.

ثالثاً: العزم:

أما الأمر الثالث في الآية الكريمة فهو (العزم) في قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾. ومن معاني العزم ما جاء في المصباح المنير: «عزم على الشيء وعزمه، أي عقد ضميره على فعله»، وما جاء في لسان العرب: «والعزم ما عقد عليه قلبك من أمر أنت فاعله».

فإذا نظرنا في معنى العزم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ

فنسي ولم نجد له عزمًا ﴿﴾ ، كان معناه : لم نجد له ضميراً منعقداً على الفعل ، أو كما يقول البيضاوي : «لم نجد له تصميم رأي وثباتاً على الأمر . . ولعل ذلك كان في بدء أمره قبل أن يجرب الأمور» فتكون جملة (ولم نجد له عزمًا) بمعنى التفسير للنسيان في قول (فنسي).

وأمحاء العزم هو الآفة التي تترتب لا محالة على النسيان القلبي . . هذا ونسيان العهد لا يعني أمحاء من القلب ، إنما هو تنحيه إلى إحدى زواياه ، فلا يرى منه سوى صورته ، أمّا حرارته وروحه القوي المنهض فلا . . ومن هنا نرى الكثيرين يحسنون الكلام عن المثل العليا دون أن يؤثر عن أحدهم أنه نهض فعلاً بحق ما يتحدث به ، وذلك بعض ما صدق به الشيطان ظنه على كثير من الناس ، إذ أقسم بين يدي الله سبحانه : ﴿وَلَا ضِلَّيْنَهُمْ وَلَا مَنِيْنَهُمْ﴾ .

والتمنية حالة يكون فيها المرء على علم بما جاءه من الله ، دون أن يكون له نهضة إلى تحقيق شيء منه ، كأنما أصابه الشيطان بكساح العزيمة ! وليس هذا من حقيقة الإيمان في شيء ، ورسول الله ﷺ يقول :

«ليس الإيمان بالتمني ، ولكن ما وقّر في القلب وصدّقه العمل ، إذ قوماً ألتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا : نحسن الظن بالله ، وكذبوا ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل له» .

وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُؤْمِنُهُمْ﴾ : «وإذا أبطل الله الأمانى ، وأثبت أن الأمر كله معقود بالعمل ، وأن من أصلح عمله فهو الفائز ، ومن أساء فهو الهالك ، تبين الأمر ، ووضح وجوب قطع الأمانى ، وحسم المطامع ، والإقبال على العمل الصالح . . ولكنه نُصِحُ لا تعيه الآذان ، ولا تلقي إليه الأذهان !»

* . * . * . *

[خامساً] : أما خامس أدلة الذين يقولون بنبوّة آدم فقوله تعالى : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ .

والواقع أن قوله سبحانه: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾، لا علاقة له بالنبوة.. ولكن في مشيئة الله سبحانه بعمارة الأرض في سلالة بشرية يخلف الناس بعضهم بعضاً حتى تقوم الساعة، وقد يكون الخليفة أفضل من سلفه كما يكون الأسلاف أفضل من الأخلاف كما يُشير إلى ذلك القرآن الكريم:

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [النور: ٥٥].

﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين، ونمكنّ لهم في الأرض، ونُرِي فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ [القصص: ٤ - ٥].

أما الخلف السيء فيشير إليه قوله سبحانه: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتَّبَعُوا الشهوات فسوف يلقون غياً﴾ [مريم: ٥٩].

﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب، يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرضٌ مثله يأخذوه، ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلّا الحق، ودرسوا ما فيه. والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾ [الأعراف: ١٦٩].

وصدق الله العظيم:

﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات، ليبلوكم فيما آتاكم، إن ربك سريع العقاب، وإنه لغفور رحيم﴾ [الأنعام: ١٦٥].

فالآية لا تدلّ على استخلاف آدم فقط بل على استخلاف الجنس البشري، ولا تدلّ على نبوة آدم لا من قريب ولا من بعيد.

حديث النشأة الأولى:

وقد تحدّث العلامة الشيخ محمد محمد المدني في كتابه [القصص الهادف كما نراه في سورة الكهف] (*) عن قصة آدم كما جاءت في هذه السورة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ، فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ، بئس للظالمين بدلاً﴾، فقال تحت عنوان: [حديث النشأة الأولى].

تكرر في القرآن الكريم ذكر هذه القصة: قصة النشأة الأولى للإنسان وما كان في الملائكة الأعلى من حوار في شأنها، وتمرد إبليس حين أمر بالسجود لآدم.

وربما كان المذكور في أوائل سورة البقرة هو أكثرها تفصيلاً، وأشملها بياناً.

عند أهل التفويض:

وأهل العلم في هذه القصة فريقان:

فريق يأخذونها أخذ المتشابه الذي لم تتضح حقيقته، ويجب التسليم به، والتفويض لله في شأنه، وذلك لأنهم رأوا فيها ما لا يمكن إسناده لله تعالى على ظاهره - كمشاورته للملائكة، ورد الملائكة عليه، واعتراضهم بما اعترضوا، وجوابه تعالى بما أجاب، إلى غير ذلك من المواطن التي لا يدرك سرها ولا تبين حقيقتها.

قالوا: كيف يستشير أحداً من خلقه؟! وكيف يستطيع أحد من الخلق أن يعترض على الله في فعله أو أمره؟! .

(*) صدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة - الكتاب الأول ١٣٨٤ هـ -

وإذا حصل ذلك من أحد فهل يعقل أن يحصل من الملائكة الذين وصفتهم نصوص الدين بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون؟ وكيف عرف الملائكة بأن آدم وذريته سيفسدون في الأرض ويسفكون الدماء؟! وكيف ساغ أن يعلم الله آدم الأسماء ولا يعلمها الملائكة، ثم يسألهم ليعجزهم ويتحداهم بآدم في علمه؟! وكيف قال لهم بعد ذلك: ﴿ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض... الخ﴾ وهم بذلك مؤمنون وبه معترفون؟! .
كل هذه أسئلة يوردها العقل، فيقف منها بعض الناس موقف التسليم على طريقة السلف فيما لم يتضح أمره.

عند أهل التأويل:

وبعض الناس يسلك طريقة الخلف وهي التأويل، فيجعل هذه القصة كلها تمثيلاً وتصويراً، ويقرر أن جميع ما جاء بها من المخاطبات والمحاورات إنما هو بلسان الحال لا بلسان المقال، وكأن هذا الفريق يقول: إن مشاورة الله تعالى للملائكة في خلق آدم هي ائذانه تعالى لهذه القوى الغيبية بأمره وتكوينه، وشعورها - بحكم اتصالها بالملا الأعلى - بقرب حدوث تطور في هذا الكوكب الذي هو الأرض، ولم يقع منها سؤال أو اعتراض على وجه الحقيقة، وإنما هو لسان حالها يقول: أن هذا المخلوق الجديد ما دام ليس من جنس الملائكة وطبيعتهم الخيرية فلا بد أن يكون فيه استعداد لفعل الشر وسفك الدماء والافساد في الأرض. فكيف يجعل هذا خليفة وتترك القوى الخيرة المطيعة؟! وهذا مجرد تصوير لواقع الأمر، ليس المراد أنهم قالوا ذلك فعلاً، أو سألوه عن سره. وفي قوله تعالى: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ إرشاد لكل ذي عقل أنه ليس له أن يحكم عقله وقواعده في كل شيء حتى في أفعال الله وتصرفاته، فإن لها حكماً قد تخفى عليه، وقد يحمله خفاؤها على انكارها.

[سادساً] : أما سادس أدلة الذين يقولون بنبوة آدم فقوله تعالى :

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ .

وقد رأينا أن نورد آراء بعض المفسرين لهذه الآية حتى يعلم القارىء الكريم مدى صحّة هذا الزعم :

- ١ - رأي الإمام ابن كثير [تفسير ابن كثير] .
- ٢ - رأي الإمام فخر الدين الرازي [تفسير مفاتيح الغيب] .
- ٣ - رأي الإمام الألوسي [روح البيان] .
- ٤ - رأي الشيخ محمد محمد المدني [القصص الهادف كما نراه في سورة الكهف] .

١ - رأي الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى :

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره :

هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصّه من علم أسماء كل شيء دونهم ، وهذا كان بعد سجودهم له ، وإنما قدّم هذا الفصل على ذاك لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليفة حين سألوا عن ذلك ، فأخبرهم تعالى بأنّه يعلم ما لا يعلمون ، ولهذا ذكر الله هذا المقام عقب هذا ليبيّن لهم شرف آدم بما فضّل به عليهم في العلم ، فقال تعالى :

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ .

قال السَّدي عَمَّن حَدَّثَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، قال: عَلَّمَهُ أَسْمَاءَ وَلَدِهِ إِنْسَانًا إِنْسَانًا، والدواب، فقيل: هذا الحمار، هذا الجمل، هذا الفرس.

وقال الضَّحَّاك عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، قال: هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان ودواب، وسماء وأرض وسهل وبحر وخيل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عاصم ابن كليب عن سعيد بن معبد عن ابن عباس: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، قال: عَلَّمَهُ اسْمَ الصَّحْفَةِ والقِدْر، قال: نعم، حتى الفسوة والفسية!

وقال مجاهد: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، قال: عَلَّمَهُ اسْمَ كُلِّ دَابَّةٍ وكل طير وكل شيء، وكذلك روى عن سعيد بن جبيرة وقتادة وغيرهم من السلف، أَنَّهُ عَلَّمَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، وقال الربيع في رواية عنه: أَسْمَاءَ الملائكة، وقال حميد الشامي: أَسْمَاءَ النجوم، وقال عبد الرحمن بن زيد: عَلَّمَهُ أَسْمَاءَ ذُرِّيَّتِهِ كُلِّهِمْ!

ثم قال ابن كثير: الصحيح أَنَّهُ عَلَّمَهُ أَسْمَاءَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، ذُرَّاتِهَا وصفاتها وأفعالها كما قال ابن عباس حتى الفسوة والفسية! .

*** . . . ***

٢ - رأي الإمام فخر الدين الرازي في تفسير قوله تعالى:

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾:

«اعلم أَنَّ الملائكة لَمَّا سَأَلُوا عَنْ وَجْهِ الْحِكْمَةِ فِي خَلْقِ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ، وإِسْكَانِهِ تَعَالَى إِيَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ، وَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ وَجْهِ الْحِكْمَةِ فِي ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، أَرَادَ تَعَالَى أَنْ يَزِيدَهُمْ بَيَانًا، وَأَنْ يَفْصِّلَ لَهُمْ ذَلِكَ الْمَجْمُلَ، فَبَيَّنَ تَعَالَى لَهُمْ مِنْ

فضل آدم عليه السلام ما لم يكن من ذلك معلوماً لهم، وذلك بأن علّم آدم الأسماء كلها، ثم عرضهم عليهم ليظهر بذلك كمال فضله وقصورهم عنه في العلم، فيتأكد ذلك الجواب الإجمالي بهذا الجواب التفصيلي، وههنا مسائل:

ثم قال : من الناس من قال : قوله : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ ، أي علمه صفات الأشياء ونعوتها وخواصّها، والدليل عليه أن الاسم اشتقاقه إمّا من السمة أو من السُمُو، فإن كان من السمة كان الاسم هو العلامة، وصفات الأشياء ونعوتها وخواصّها دالّة على ماهياتها؛ فصَحّ أن يكون المراد من الأسماء : الصفات، وإن كان من السمو فكذلك لأن دليل الشيء كالمرتفع على ذلك الشيء، فإن العلم بالدليل حاصل قبل العلم بالمدلول، فكان الدليل أسمى من الحقيقة، فثبت أنه لا امتناع في اللغة أن يكون المراد من الاسم الصفة .

ثم قال : والقول الثاني : وهو المشهور أن المراد أسماء كلّ ما خلق الله من أجناس المحدثات من جميع اللغات المختلفة التي يتكلّم بها ولد آدم من العربية والفارسية والرومية وغيرها . .

ثم قال في (المسألة الرابعة) : قالت المعتزلة :

«إنّ ما ظهر من آدم عليه السلام من علمه بالأسماء معجزة دالّة على نبوّته عليه السلام في ذلك الوقت، والأقرب أنه كان مبعوثاً إلى حواء، ولا يبعد أيضاً أن يكون مبعوثاً إلى من توجه التحدي إليهم من الملائكة، لأن جميعهم - وإن كانوا رسلاً - فقد يجوز الإرسال إلى الرسول كبعثة إبراهيم عليه السلام إلى لوط عليه السلام، واحتجوا عليه بأنّ حصول ذلك العلم له ناقض للعادة، فوجب أن يكون معجزاً، وإذا ثبت كونه معجزاً ثبت كونه رسولاً في ذلك الوقت، ولقائل أن يقول : لا نسلم أنّ ذلك العلم ناقض

للعادة لأنَّ حصول العلم باللغة أن علّمه الله تعالى ، وعدم حصوله عنه لمن لم يعلمه الله ليس يناقض للعادة .

ثم قال : واحتجّ من قطع بأنه عليه السلام ما كان نبياً في ذلك الوقت بوجوه :

أحدها : أنه لو كان نبياً في ذلك الزمان لكان قد صدرت المعصية عنه بعد النبوة . وذلك غير جائز . فوجب أن لا يكون نبياً في ذلك الزمان . أمّا الملازمة فلأن صدور الزّلة عنه كان بعد هذه الواقعة باتّفاق . وتلك الزّلة من باب الكبائر على ما سيأتي شرحه إن شاء الله تعالى . والإقدام على الكبيرة يوجب استحقاق الطرد والتحقيق واللعن ، وكلّ ذلك على الأنبياء غير جائز ، فيجب أن يقال : وقعت تلك الواقعة قبل النبوة .

وثانيها : لو كان رسولاً في ذلك الوقت لكان إما أن يكون مبعوثاً إلى الملائكة أو الإنس أو الجنّ ، والأول باطل ، لأن الملائكة عند المعتزلة أفضل من البشر ، ولا يجوز جعل الأدون رسولاً إلى الأشرف ، لأنّ الرسول والأمة تبع ، وجعل الأدون متبوع الأشرف خلاف الأصل . وأيضاً فالمرء إلى قبول القول ممن هو من جنسه أمكن ، ولهذا قال تعالى : ﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً﴾^(١) ، ولا جائز أن يكون مبعوثاً إلى البشر ، لأنّه ما كان أحد من البشر إلّا حوّاء ، وأنّ حوّاء إنما عرفت بالتكليف لا بواسطة آدم لقوله تعالى : ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾^(٢) ، شافهما بهذا التكليف ، وما جعل آدم واسطة ، ولا جائز أن يكون مبعوثاً إلى الجنّ ، لأنه ما كان في السماء

(١) الأنعام : ٩ .

(٢) البقرة : ٣٥ .

أحد من الجنّ، ولا جائز أيضاً أن يكون مبعوثاً إلى أحد، لأنّ المقصود من جعله رسولاً التبليغ، فحيث لا مبلّغ لم يكن في جعله رسولاً فائدة!!

وثالثها: قوله تعالى: ﴿ثم اجتباه ربّه﴾ (٣)، فهذه الآية دلّت على أنّه تعالى إنما اجتباه بعد الزلّة، فوجب أن يقال إنّهُ قبل الزلّة ما كان مجتبي، وإذا لم يكن ذلك مجتبي، وجب أن لا يكون رسولاً، لأنّ الرسالة والإجتباء متلازمان، لأنّ الاجتباء لا معنى له إلّا التخصيص بأنواع التشريفات، وكل من جعله الله رسولاً فقد خصّه بذلك لقوله تعالى: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ (٤).

*** . . . ***

ومعنى ذلك، فإن الإمام فخر الدين الرازي، يعتبر أنّ قوله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ ليست دالة على نبوة آدم، بل إنّ المعتزلة هي التي قالت: إنّ ما ظهر من آدم عليه السلام من علمه بالأسماء معجزة دالة على نبوته عليه السلام في ذلك الوقت، والأقرب أنه كان مبعوثاً إلى حواء، ولا يبعد أن يكون أيضاً مبعوثاً إلى من توجه التحدي إليهم من الملائكة، واستبعد الإمام الرازي نبوة آدم في السماء لأنّه لو كان نبياً في ذلك الزمان لكان قد صدرت المعصية عنه بعد النبوة، وذلك غير جائز، فوجب أن لا يكون نبياً في ذلك الزمان.

والعلامة الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه [قصص الأنبياء]، قال تحت عنوان: هل آدم نبي ورسول؟ قال: إن القرآن الكريم لم يذكر لفظ

(٣) طه : ١٢٢ .

(٤) الأنعام : ١٢٤ .

النبوة بإزاء آدم كما ذكر ذلك بإزاء غيره من الأنبياء كإسماعيل وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم، ولكن ذكر أنه خاطبه بلا واسطة، وشرع له في ذلك الخطاب، فأمره ونهاه، وأحلّ له وحرّم عليه بدون أن يرسل إليه رسولاً، وهذا هو كلّ معاني النبوة، فمن هذه الناحية نقول إنه نبيّ، وتطمئن أنفسنا بذلك. وأضاف:

وأما رسالته : فالأمر فيها مختلف فيه، وشأننا أن نفوض علم ذلك إلى الله تعالى، على أنني رأيت في حديث أبي هريرة الوارد في صحيح مسلم أن الناس يذهبون إلى نوح ويقولون له: أنت أول رسل الله إلى الأرض، فلو كان آدم رسولاً لما ساغ هذا القول. والعلماء القائلون برسالة آدم يؤولون ذلك بأنه أول رسول بعد الطوفان، وهو تأويل متكلف. (*)

ثم قال : وإذا كان آدم نبياً فكيف عصى، والأنبياء معصومون من المعصية؟ وقد ردّ الشيخ النجار على من ادّعى بأن ذلك كان قبل النبوة المستلزمة للعصمة من المعصية، بقوله: وهو جواب حسن لولا أنه وقع بعد صدور الأمر والنهي إليه بلا واسطة وهو ما جعلناه من أمارات نبوته.

ومعنى ذلك فإن الشيخ عبد الوهاب النجار يرى بأن آدم عصى بعد النبوة، في حين أن الإمام فخر الدين الرازي يستبعد نبوة آدم في ذلك الزمان لأنه لو كان نبياً لكان قد صدرت المعصية عنه بعد النبوة وذلك غير جائز، فوجب أن لا يكون نبياً في ذلك الزمان.

ولكن الإمام الرازي يرى أن الاجتناء هو دليل نبوة آدم ورسالته، لأن الرسالة والاجتناء متلازمان!

ونحن مع احترامنا للعلامة الرازي نقول إن الاجتناء والرسالة ليسا متلازمين لأن الله سبحانه وتعالى اجتنبى يونس عليه السلام بعد النبوة، وبعد

(*) لأن نوحاً كان رسولاً قبل الطوفان وبعده. [المؤلف].

أن بلغ الرسالة، وبعد أن التقمه الحوت كما جاء في سورة القلم: ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم﴾ * لولا أن تداركه نعمة من ربه لُنِبَذَ بالعراء وهو مذموم * فاجتباه ربه فجعله من الصالحين ﴿[القلم : ٤٨ - ٥٠] .

والاجتباء والرسالة ليسا متلازمين . . وإلا حكمنا بنبوّة جميع المؤمنين لقوله تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾ * وجاهدوا في الله حقّ جهاده هو اجتباكم ﴿[الحج : ٧٧ - ٧٨] .

٣ - رأي الإمام الألوسي في تفسير قوله تعالى :

﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ .

والأسماء : جمع اسم، وهو باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلاً يرفعه إلى الذهن من الألفاظ الموضوعية بجميع اللغات والصفات والأفعال، واستعمل عُرفاً في الموضوع لمعنى مفرداً كان أو مركباً مخبراً عنه أو خبراً أو رابطة بينهما، وكلا المعنيين محتمل، والعلم بالألفاظ المفردة والمركبة تركيباً خبرياً أو انشائياً يستلزم العلم بالمعاني التصورية والتصديقية . وإرادة المعنى المصطلح مما لا يصلح لحدوثه بعد القرآن .

وقال الإمام : المراد بالأسماء صفات الأشياء ونعوتها وخواصها، لأنها علامات دالة على ماهياتها، فجاز أن يعبر عنها بالأسماء، وفيه كما قال الشهاب نظر، إذ لم يعهد إطلاق الاسم على مثله حتى يفسر به النظم، وقيل : المراد بها أسماء ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وعزي إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وقيل : اللغات، وقيل أسماء الملائكة، وقيل : أسماء النجوم، وقال الحكيم الترمذي : أسماؤه تعالى، وقيل وقيل وقيل .

والحقّ عندي ما عليه أهل الله تعالى، وهو الذي يقتضيه منصب الخلافة الذي علمت، وهو أنها أسماء الأشياء علوية أو سفلية، جوهرية أو عرضية.

** . . **

٤ - رأي العلامة الشيخ محمد محمد المدني [رحمه الله]

في تفسير قوله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾:

معنى تعليم آدم الأسماء:

وتعليم آدم الأسماء هو تكوينه على طبيعة تمكنه من معرفة أحوال الحياة والتطلع إلى أسرارها وخواصها، فالأسماء كما تشمل اللغات تشمل خواص الكائنات وأسباب المخترعات، وقواعد هذا الكون وما فيه من قوى ما زالت تنكشف للإنسان شيئاً بعد شيء، والإنسان موكل بها وبكشفها وتتبع أسرارها حتى عرف طبيعة الهواء، وطبيعة الماء، وطبيعة الحرارة والبرودة، والنبات والحيوان، وأن يسخر موجات الهواء، وأن يخضع المسافات لصوته ومشاهدته وتصويره، وأن يصل بالعيون السحرية إلى أسرار لا تشاهدها عينه الطبيعية، وأن يعرف الذرة وما فيها... الخ!!

هذه كلها هي الأسماء التي علمها الله لآدم، وليس معنى هذا أن أبانا آدم كان يعرف سر الكهرباء أو عنصر كذا وكذا، أو كان يعرف حمل الأصوات بالآثير... الخ - وإنما طبعه الله، وطبع جنسه وذريته على سجية من شأنها أن توصلهم إلى ذلك، وتفتح أمامهم الآفاق. ولم يكن في خلق الله من ذوي الأرواح من لهم هذه السجية ولا تلك القوة، ومن بين هؤلاء الملائكة. فقوله تعالى: ﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾ لم يحدث بذاته، ولكن الحال والواقع يقوله وينطق به، فطبيعة الإنسان فيها هذا الاستعداد، وطبيعة الملائكة ليس فيها هذا

الاستعداد، فكلتا الطبيعتين المتقابلتين كأنهما تتناقشان وتتجادلان!! (١).

*** . . . ***

[سابعاً]: أما سابع أدلة الذين يقولون بنبوة آدم، فهي قصة ابني آدم كما جاءت في سورة المائدة، ونحن هنا نثبت ما جاء في بعض كتب التفسير من آراء، ثم نبدي ملاحظتنا حول هذه القصة:

آراء المفسرين في قصة ابني آدم:

جاء في تفسير (روح المعاني للإمام الألوسي) ج ٦ صفحة ١١١ في شرحه لقصة ابني آدم ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ، إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا، فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا، وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ، قَالَ: لَأَقْتُلَنَّكَ. قَالَ: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ. لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ. إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ، فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ، وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ. فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ، فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ. فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ، قَالَ: يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي، فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾

[المائدة: ٢٧ - ٣١].

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾.

عليهم: يعودُ على بني إسرائيل، كما هو الظاهر، إذ هم المحدث عنهم

(١) القصص الهادف كما نراه في سورة الكهف، لمحمد محمد المدني صدر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة - ١٩٦٤، ص ١٦٤.

أولاً، وأُمِرَ ﷺ بتلاوة ذلك عليهم إعلاماً لهم بما هو في غامض كتبهم الأول الذي لا تعلق للرسول عليه الصلاة والسلام بها من جهة الوحي لتقوم الحجّة بذلك عليهم، وقيل: الضمير عائد على هذه الأمة أي اتل يا محمد على قومك (نبأ ابني آدم) هابيل عليه الرحمة، وقابيل عليه ما يستحقّه، وكانا بإجماع غالب المفسرين ابني آدم عليه السلام لصلبه، وقال الحسن: كانا رجلين من بني إسرائيل.

وكان من قصّتهما ما أخرجه ابن جرير عن ابن مسعود، وناس من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين، أنّه كان لا يولد لآدم عليه السلام مولود إلاّ وُلِدَ معه جارية، فكان يزوّج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر، ويزوّج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر، جعل افتراق البطون بمنزلة افتراق النسب، للضرورة إذ ذاك، حتّى وُلِدَ له ابنان يُقال لهما: هابيل وقابيل، وكان قابيل صاحب زرع، وهابيل صاحب ضرع، وكان قابيل أكبرهما، وكانت له أُخت واسمها إقليما، أحسن من أُخت هابيل، وأنّ هابيل طلب أن ينكح أُخت قابيل، فأبى عليه، وقال: هي أُختي، وُلِدَتْ معي، وهي أحسن من أُختك، وأنا أحقّ أن أتزوّج بها، فأمره أبوه أن يزوّجها هابيل، فأبى، فقال لهما: قربا قرباناً، فمن أيكما قبل، تزوّجها، وإنما أمر بذلك لعلمه أنّه لا يقبل من قابيل، لا إنه لو قبل، جاز، ثم غاب عليه السلام عنهما آتياً مكّة، ينظر إليها، فقال للسماء: احفظي ولديّ بالأمانة، فأبّت، وقال للأرض: فأبّت، وقال للجبال، فأبّت، فقال لقابيل، فقال: نعم، تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك، فلمّا انطلق آدم عليه السلام، قربا قرباناً، فقرب هابيل جذعة، وقيل: كبشاً، وقرب قابيل حزمة سنبل، فوجد فيها سنبله عظيمة، ففركها وأكلها، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل، وكان ذلك علامة القبول، وكان أكل القربان غير جائز في الشرع القديم، وتركت قربان قابيل، فغضب، وقال (لأقتلنك)، فأجابه بما قصّ الله تعالى... إلخ.

هذا ما جاء في تفسير الألوسي . .

أما ملاحظتنا على هذا التفسير، فهي:

١ - وأتْلُ عليهم، فبعضهم قال: الضمير عائد على بني إسرائيل، وبعضهم قال: على هذه الأمة.

٢ - أن تفسير (ابني آدم) هما هابيل (القتيل) وقابيل (القاتل). وكانا بإجماع غالب المفسرين ابني آدم لصلبه، في حين أن (ابني آدم) كانا رجلين من بني إسرائيل، كما قال الحسن.

٣ - أن الرواية التي أوردها الألوسي نقلاً عن ابن جرير عن ابن مسعود وناس من الصحابة، في حين أن هذه الرواية هي من روايات العهد القديم (التوراة). والكتب المقدسة السابقة كالطورا والإنجيل لا تدخل في تكوين عقيدة المسلم، لشبهة التحريف والتزييد والإضافة إلى تلك الكتب (كما يقول الشهيد سيد قطب في تفسيره لسورة نوح).

٤ - إن كان آدم نبياً، وكان له شريعة، وهذه الشريعة لا تُبيح أن يتزوج ابن آدم أخته التي ولدت معه في بطن واحد، بل عليه أن يتزوج من شقيقته التي نزلت في بطن آخر، ما كان بإمكان آدم أن يستبدل شريعة الله بتقديم القربان!

٥ - إن آدم عليه السلام طلب من السماء أن تحفظ أولاده بالأمانة، فأبت، وقال للأرض، فأبت، وسأل الجبال، فأبت، فاستودع أولاده عند أحدهم (قابيل) الذي خان الأمانة، فقتل أخاه، ولم يستودع آدمُ ربّه عزّ وجلّ الحافظ القائل: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾! [يوسف: ٦٤].

٦ - إذا كان آدم عليه السلام نبياً ورسولاً، ولديه شريعة، فلماذا لم يبين القرآن حكم شريعة آدم في هذه الجريمة البشعة؟ قد يقول قائل؟ كان آدم مسافراً في مكة، ونقول نحن: ولما عاد آدم من سفره هل تركه المولى عزّ وجلّ، ولم ينزل عليه وحياً يبصره كيف يتصرّف بإزاء ابنه القاتل؟

القرآن الكريم الذي قصّ علينا هذه القصة لم يذكر كيف تصرف آدم بعد عودته من سفره، ويبدو أن القاتل بقي بلا عقابٍ دنيويٍّ بحجة أن آدم كان مسافراً، وكان هذا سبباً لسكوت القرآن عن ذلك!

ونحن في استبعادنا القول بنبوّة آدم ورسالته لنصّ القرآن على أوّلية نبوّة نوح ورسالته، ولحديث رسول الله الصادق الأمين الذي لا ينطق عن هوى إن هو إلّا وحي يوحى قال على لسان أهل الموقف كما جاء في الصحيحين: يا نوح أنت أول رُسل الله إلى أهل الأرض، وقال أيضاً على لسان آدم عليه السلام في حديث الشفاعة الذي ورد في صحيح البخاري: (. . . ولكن ائتوا نوحاً أول نبيّ بعثه الله إلى أهل الأرض) نقول: إن الذي يعلم السرّ وأخفى كان يسارع بالوحي إلى رسوله الخاتم لعلاج المشكلات التي تطرأ على المجتمع، ويكفي أن نشير إلى سرعة نزول الوحي على الرسول لعلاج مشكلة المرأة التي ظهرت منها زوجها، فجاءت إلى الرسول تعرض مشكلتها - خشية على بيت الزوجية من أن ينهار، ويضيع الأولاد - فتقول في شكواها للرسول: يا رسول الله: إن زوجي أوس بن الصامت رجل كبير في السنّ، وليس له خادم، وقد قال كلمة ما قصّد بها طلاقاً، قال: أنتِ عليّ كظهر أمي، فقال لها رسول الله: «ما أراكِ إلّا قد حرّمتِ عليه»، فقالت يا رسول الله: إن لي منه صبية صغاراً، إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا، فيسارع مَنْ لا تخفى عليه خافية بإرسال جبريل الأمين بالوحي إلى خاتم النبيّين لإنقاذ أسرة فقيرة مغمورة قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا، وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ، وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾، ويأتي العلاج الناجع: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَاهُمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ، وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا، وَإِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إلخ.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها:

«الحمد لله الذي وسّع سمعه الأصوات. لقد جاءت المجادلة خولة إلى

رسول الله ﷺ في جانب البيت، ما أسمع ما تقول، فأنزل الله: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله﴾.

وينزل الوحي معاتباً خاتم المرسلين، لأنه عَبَسَ في وجه الأعمى: ﴿عَبَسَ وتولَّى، أن جاءهُ الأعمى، وما يُدريكُ لعلهُ يزكَّى، أو يذُكَّرُ فَتَنَّفَعُهُ الذِّكْرَى، أَمَا مَنِ استغنى فأنْتَ له تصدَّى، وما عليكُ إلَّا يزكَّى، وأَمَا مَنِ جاءَكَ يسعى وهو يخشى، فأنْتَ عنه تلهى؟ كَلَّا﴾.

بل إنَّ الوحي يتدخَّل في تسع آيات من سورة النساء لإدانة مسلم بالسرقة، وتبرئة يهودي اتَّهم ظلماً بها:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ، وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾ * واستغفر الله إنَّ الله كان غفوراً رحيماً * ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم، إنَّ الله لا يحبُّ مَن كان خَوَّاناً أَثِماً * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وهو معهم، إِذْ يَبْتَغُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ، وكان الله بما يعملون محيطاً * ها أنتم هؤلاءِ جادلتم عنهم في الحياة الدنيا، فَمَن يجادِلُ الله عنهم يوم القيامة أم مَّن يكونُ عليهم وكيلاً * وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ، يَجِدِ اللَّهَ غَفوراً رَحِيماً * وَمَن يَكْسِبْ إِثْماً، فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وكان الله عليماً حكيماً * وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً، ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيثاً، فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً * ولولا فضلُ الله عليك ورحمته، لَهَمَّت طائفةٌ منهم أن يَضْلُوكَ، وما يَضِلُّونَ إلَّا أَنفُسَهُمْ، وما يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ، وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ، وكانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ صدق الله العظيم.

هل يُعقل أن تتدخَّل السماء من أجل امرأة ظاهَرَ منها زوجها، وينزل الوحي على مَن وصفه مولاه ﴿وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، ليعاتبه ﴿عَبَسَ وتولَّى أن جاءهُ الأعمى﴾، وينزل الوحي تسع آيات على الرسول الكريم لإدانة مسلم وتبرئة يهودي.

ولا تتدخل السماء، ولا ينزل جبريل الأمين على نبي الله آدم ليرشده إلى كيفية دفن ابنه القتيل، وعقاب ابنه القاتل؟!

* . * . * . *

أما صاحب الظلال، فهو ينظر إلى قصة ابني آدم من زاوية أخرى، فيقول:

هذه القصة تقدّم نموذجاً لطبيعة الشرّ والعدوان، ونموذجاً كذلك من العدوان الصارخ الذي لا مبرر له.

كما تقدّم نموذجاً لطبيعة الخير والسماحة، ونموذجاً كذلك من الطيبة والوداعة، وتقفهما وجهاً لوجه، كلٌّ منهما يتصرف وفق طبيعته..

ثمّ قال: ولا يحدّد السياق القرآني لا زمان ولا مكان ولا أسماء أصحاب القصة... وعلى الرغم من ورود بعض الآثار والروايات عن (قابيل وهابيل) وأنهما هما ابنا آدم في هذه القصة، وورود تفصيلات عن القضية بينهما، والنزاع على أختين لهما.. فإننا نؤثر أن نستبقي القصة - كما وردت - مجملة بدون تحديد، لأنّ هذه الروايات كلّها موضع شكّ في أنّها مأخوذة عن أهل الكتاب - والقصة واردة في العهد القديم، محدّدة فيها الأسماء والزمان والمكان على النحو الذي تذكره هذه الروايات - والحديث الوحيد الصحيح الوارد عن هذا النبا لم يرد فيه تفصيل، وهو من رواية ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ من دمها، لأنّه كان أول من سنّ القتل»، رواه الإمام أحمد في مسنده.. وأخرجه الجماعة - سوى أبي داود - من طريق عن الأعمش..

ثم قال: وكلّ ما نستطيع أن نقوله: هو أنّ الحادث وقع في فترة طفولة الإنسان، وأنه كان أول حادث قتل عدواني متعمّد، وأنّ الفاعل لم يكن يعرف طريقة دفن الجثث.

وبقاء القصة مُجملة - كما وردت في سياقها القرآني - يؤدي الغرض من

عرضها، ويؤدي الإيحاءات كاملة، ولا تُضيف التفاصيل شيئاً إلى هذه الأهداف الأساسية.. لذلك نقف نحن عند النص العام لا نخصّصه ولا نفصّله! ثم قال:

إن ابني آدم هذين في موقف لا يثور فيه خاطر الاعتداء في نفس طيبة.. فهي في موقف طاعة بين يدي الله، موقف تقديم قربان، يتقربان به إلى الله: ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا.. فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدَهُمَا، وَلَمْ يَتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾. والفعل مبني للمجهول، ليشير بناؤه هكذا إلى أن أمر القبول أو عدمه موكول إلى قوة غيبية، وإلى كيفية غيبية.. وهذه الصياغة تفيدنا أمرين:

الأول: ألا نبحث عن كيفية هذا التقبل، ولا نخوض فيه، كما خاضت كتب التفسير في روايات، نرجح أنها مأخوذة عن أساطير «العهد القديم». والثاني: الإيحاء بأن الذي قبل قربانه، لا جريرة له توجب الحفيظة عليه وتبييت قتله، فالأمر لم يكن له يد فيه، وإنما تولّته قوة غيبية بكيفية غيبية، تعلو على إدراك كليهما وعلى مشيئته، فما كان هناك مبرر ليحرق الأخ على أخيه، وليجيش خاطر القتل في نفسه! فخاطر القتل هو أبعد ما يرد على النفس المستقيمة في هذا المجال.. مجال العبادة والتقرب، ومجال القدرة الغيبية الخفية التي لا دخل لإرادة أخيه في مجالها.. إلى آخر القصة.. ثم قال:

وهنا يلتقط السياق الآثار العميقة التي تركها في النفس رواية النبأ بهذا التسلسل، ليجعل منها ركيزة شعورية للتشريع الذي فرض لتلافي الجريمة في نفس المجرم، أو للقصاص العادل إن هو أقدم عليها، بعد أن يعلم آلام القصاص التي تنتظره:

﴿من أجل ذلك، كتبنا على بني إسرائيل: أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ، أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ، فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ

جميعاً، ومن أحيائها، فكأنما أحيأ الناس جميعاً. ولقد جاءتهم رُسُلنا بالبينات، ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمُسْرِفُونَ..

ويقول الإمام الشيخ محمود شلتوت في كتابه (الإسلام عقيدة وشريعة) [ص ٣٠٤]: قصَّ الله علينا هذه الجريمة، وربط بها أول تشريع جنائي فيما نعلم:

﴿من أجل ذلك، كتبنا على بني إسرائيل...﴾.

* * *

هذا هو الهدف من هذه القصة، وليس الهدف من القصة إثبات نبوة آدم من خلال تشريع تقديم القرбан!

ونعود فنقول:

إنَّ هذه القصة تُؤخذ كاملة من أولها إلى آخرها، كما في قوله تعالى: ﴿وَبِلِّ الْمَصْلِيِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، وقوله عز وجل: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى، حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾.

وإذا كان آدم نبياً ورسولاً وحصلت هذه الجريمة، فالعقل والمنطق يقولان: لا بدَّ أن يرسل الله لآدم النبي جبريل عليه السلام كي يعلم آدم كيف يدفن ابنه القاتل ويعاقب ابنه القاتل.

وسكوت القرآن عن ذلك، وعدم بعث الله سبحانه جبريل لآدم، وبعثه الغراب للقاتل ليعلمه كيف يوارى سوءة أخيه دليل كبير يقف في وجه دليل القائلين بنبوة آدم ورسالته.

* * *

وبعد الاطلاع على آراء ثلاثة من كبار العلماء والمفسرين: (الآلوسي، وسيد قطب، ومحمود شلتوت) يتبين أنَّ من العلماء مَنْ يرى أن ابني آدم ليسا من صلبه، ولكنهما من بني إسرائيل، وأنَّ أقدم تشريع جنائي لجريمة القتل هو قوله تعالى: ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه مَنْ قَتَلَ نفساً بغير نفس أو

فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً، ومَن أحيّاها فكأنما أحيّا الناس جميعاً ﴿١٠﴾، وأنّ في قصة ابنيّ آدم الدليل القاطع على عدم نبوّة آدم ورسالته استناداً إلى بعث الله سبحانه الغراب لتعليم القاتل كيف يدفن أخاه القتيل، بدلاً من بعث الله عزّ وجلّ جبريل لآدم لتعليمه كيف يدفن ابنه القتيل ويعاقب ابنه القاتل!!

*** . . . ***

وبعد أن انتهينا من استعراض أدلة الذين يقولون بنبوّة آدم ورسالته استناداً إلى بعض الآيات القرآنية ننتقل بعد ذلك إلى استعراض أدلتهم من السُّنة النبوية.

(ب) أدلة الذين يقولون بنبوّة آدم ورسالته

استناداً إلى بعض الأحاديث

المنسوبة للرسول الكريم ﷺ .

— حديث أبي ذر الطويل .

— حديث أبي سعيد الخدري .

— حديث أبي أمامة الباهلي .

١ - حديث أبي ذرّ الطويل :

استند الذين يقولون بنبوّة آدم ورسالته إلى حديث أبي ذرّ الطويل الذي يفرّق بين الأنبياء والرُّسل، ويتحدّث عن عددهم، ويشير إلى أوّلهم آدم وعليّ حديث الترمذي [أنا سيد ولد آدم] وعليّ حديث أبي أمامة الباهلي [أن رجلاً قال يا رسول الله أنبيأ كان آدم؟ قال : نعم] .

أما ردُّنا على أدلّة مَنْ يرون نبوّة آدم من السنّة أو من أحاديث الرسول ﷺ ، فنشير إلى ما ورد في شرح الآية [١٦٣] وما بعدها من سورة النساء من تفسير ابن كثير .

فقد قال ابن كثير : «قوله : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ﴾ ، وهذه تسمية الأنبياء الذين نصّ الله على أسمائهم في القرآن ، وهم :

آدم - وإدريس - ونوح - وهود - وصالح - وإبراهيم - ولوط - وإسماعيل - وإسحاق - ويعقوب - ويوسف - وأيوب - وشعيب - وموسى - وهارون - ويونس - وداود - وسليمان - وإلياس - واليسع - وزكريا - ويحيى - وعيسى - وكذا ذو

الكفل عند كثير من المفسرين، وسيدهم محمد ﷺ.

وقوله: ﴿وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ أي خلقاً آخرين لم يُذكَرُوا في القرآن، والمشهور في ذلك حديث أبي ذر الطويل، وذلك فيما رواه ابن مردويه رحمه الله في تفسيره، حيث قال:

«حدّثنا إبراهيم بن محمد، حدّثنا جعفر بن محمد بن الحسن، والحسين بن عبد الله بن يزيد، قالوا: «حدّثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، قال: حدّثني أبي عن جدّي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر، قال:

«... قلت: يا رسول الله: كم الأنبياء؟

قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً.

قلت: يا رسول الله: كم الرُّسل منهم؟

قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر، جم غفير.

قلت: يا رسول الله: من كان أولهم؟

قال: آدم.

قلت: يا رسول الله: نبي مرسل؟

قال: نعم، خلقه الله بيده، ثم نفخ فيه من روحه، ثم سواه قبلاً.

ثم قال: يا أبا ذرّ، أربعة سريانيون: آدم، وشيث، ونوح، وخنوخ، وهو

إدريس، وهو أول من خطّ بالقلم. وأربعة من العرب: هود، وصالح، وشعيب،

ونبيك يا أبا ذرّ. وأول نبي من بني إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى. وأول

النبيين آدم، وآخرهم نبيك.

قلت: يا رسول الله: كم كتاباً أنزل الله؟

قال: مائة كتاب وأربعة كتب. أنزل الله على شيث خمسين صحيفة،

وعلى خنوخ ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى

من قبل التوراة عشر صحائف والإنجيل، والزبور، والفرقان^(١).

ثم قال ابن كثير: وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم بن حبان البستي في كتابه «الأنواع والتقاسيم» وقد وسّمه بالصحة، وخالفه أبو الفرج ابن الجوزي، فذكر هذا الحديث في كتابه «الموضوعات»، واتّهم به إبراهيم بن هشام هذا، ولا شكّ أنّه تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث.

وكان يكفي لبطلان الحديث أن يجعله ابن الجوزي في كتابه «الموضوعات»، ولكننا سنلقي بعض الأضواء على راوي الحديث الأحادي إبراهيم بن هشام، فماذا يقول عنه الإمام الذهبي في كتابه [ميزان الاعتدال في نقد الرجال] المجلد الأول [ص ٧٢ - ٧٣]:

إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه ومعروف الخياط. وعنه ابنه أحمد، ويعقوب الفسوي، والغريابي، وابن قتيبة، والحسن بن سفيان، وطائفة... وهو صاحب حديث أبي ذر الطويل، انفرد به عن أبيه عن جدّه. قال الطبراني: لم يرو هذا عن يحيى إلّا ولده، وهم ثقات... وقال أبو حاتم: فأظنه لم يطلب العلم، وهو كذاب. قال عبد الرحمن ابن أبي حاتم: فذكرت بعض هذا لعلّي بن الجنيد، فقال: صدق أبو حاتم، ينبغي إلّا يحدث عنه. وقال ابن الجوزي: قال أبو زرعة: كذاب.

وفي لسان الميزان [ج ١ ص ١١٢]: «... وقال تمام: حدّثنا محمد بن سليمان، حدّثنا محمد بن العيص، قال: أدركت من شيوخنا بدمشق من يزيغ بعليّ بن أبي طالب فذكر جماعة منهم، منهم إبراهيم هذا، فقال أبو العرب عن أبي الطاهر المقدسي قال: إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، دمشقي

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٥٠ - ٤٥١ - دار الأندلس - بيروت.

ضعيف، وسيأتي في ترجمة يحيى بن سعيد القرشي قول الذهلي إن إبراهيم هذا متروك.

ثم قال ابن كثير: وقد روي هذا الحديث من وجه آخر عن صحابي آخر، فقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف، حدثنا أبو المغيرة، حدثنا معان بن رفاعة عن علي بن يزيد عن القاسم، عن أبي أمامة، قال: قلت: يا نبي الله، كم الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمّاً غفيراً.

ثم قال ابن كثير: معان بن رفاعة السلامي، ضعيف، وعلي بن يزيد، ضعيف، والقاسم أبو عبد الرحمن ضعيف أيضاً.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا أحمد بن إسحاق أبو عبد الله الجوهري البصري، حدثنا علي بن إبراهيم، حدثنا موسى بن عبيدة الربذي عن يزيد الرقاشي، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «بَعَثَ اللهُ ثمانية آلاف نبيٍّ، أربعة آلاف إلى بني إسرائيل، وأربعة آلاف إلى سائر الناس» وهذا أيضاً إسناده ضعيف، فيه الربذي ضعيف، وشيخه الرقاشي أضعف منه.

وقال أبو يعلى: حدثنا أبو الربيع، حدثنا محمد بن ثابت العبدي، حدثنا معبد بن خالد الأنصاري عن يزيد الرقاشي، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «كان فيمن خلا من إخواني من الأنبياء، ثمانية آلاف نبيٍّ، ثم كان عيسى بن مريم، ثم كنت أنا».

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا مجالد عن الشعبي، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لخاتم ألف نبيٍّ أو أكثر، وإنه ليس منهم نبيٌّ إلا وقد أُنذِر قومه الدَّجَال، وإني قد بُيِّنَ لي ما لم يبيِّن لأحدٍ منهم، وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور» [تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٥٤].

* * *

وتعليقنا على هذه الأحاديث، وخاصة حديث أبي ذر الطويل، نقول: إن حديث أبي ذر الطويل فيه أخطاء لا يمكن أن تُنسب إلى رسول الله ﷺ الذي قال عنه القرآن الكريم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١).

أولاً: هذه الأحاديث يقول بعضها إنَّ عدد الأنبياء ١٢٤ ألف نبي، وبعضها يقول ثمانية آلاف نبي، منهم ٤٠٠٠ إلى بني إسرائيل و ٤٠٠٠ إلى سائر الناس، ومنهم من يجعل العدد ٨٠٠٢ نبي، وحديث جابر ألف نبي أو أكثر!

على كُلِّ حال، الَّذِي يَهْمُنَا هو حديث أبي ذر الطويل، وهو يفرق بين الأنبياء والرُّسل، ويثبت نبوة رسالة آدم، ويتحدث عن جنسية أربعة من الأنبياء بأنهم سريان، وأربعة من العرب ليس فيهم أبو العرب إسماعيل عليه السلام، فهل نسي محمد ﷺ جدَّه إسماعيل عليه السلام؟ وهل هناك شك في عروبه وهو أول من سكن مكة المكرمة، وأجرى الله على يديه ماء زمزم؟ ويقول الحديث بأنَّ أول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى، ومعنى ذلك أنَّ محمداً ﷺ قد نسي يوسف عليه السلام كما نسي إسماعيل، ومن المعلوم أنَّ يوسف عليه السلام هو ابن يعقوب عليه السلام، ويعقوب هو إسرائيل، فيوسف أول أنبياء بني إسرائيل من بعد أبيه يعقوب وليس موسى، فهل يريدون إثبات نبوة رسالة آدم على حساب نبوة رسالة إسماعيل ويعقوب ويوسف عليهم السلام؟!.

وهل يعقل أن يسمي محمد ﷺ إدريس خنوخ أو أخنوخ، بعد أن سمَّاه الله سبحانه في كتابه إدريس: ﴿واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً﴾^(٢) أليست هذه التسمية من التوراة؟

* . * . *

(١) النجم: ٣ - ٤.

(٢) مريم: ٥٦.

٢ - حديث أبي سعيد الخدري :

وكما استدلل بعض العلماء على نبوة آدم من حديث أبي ذر الموضوع، استدلل البعض الآخر بالحديث الذي رواه الترمذي في سننه، وهو برقم ٣٦١٥، ونصّه كما يلي :

حدّثنا ابن أبي عمر، حدّثنا سفيان، عن ابن جدعان، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله (ﷺ): «أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبيّ آدم فمّن سواه إلّا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر».

وقد وسّم الترمذي هذا الحديث بقوله: وهذا حديث حسن صحيح. وتعلّقنا على هذا الحديث يجب أن يكون واضحاً ومعلومًا لكل مسلم أن صحة أيّ حديث تتوقف على صحة سنده بالإضافة إلى صحة متنه. وإذا نظرنا إلى إسناده هذا الحديث، نجد أن من رواته ابن أبي عمر، فمّن هو هذا الراوي؟ جاء في كتاب تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني - الجزء التاسع [ص ٥١٨ - ٥٢٠]:

١ - ابن أبي عمر :

محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، أبو عبد الله الحافظ، نزيل مكة، وقد ينسب إلى جدّه، روى عنه مسلم والترمذي وابن ماجه، وروى النسائي عن محمد بن حاتم بن نعيم الأزدي. قال ابن أبي حاتم عن أبيه: كان رجلاً صالحاً، وكان به غفلة، ورأيت عنده حديثاً موضوعاً، حدّث به عن ابن عيينة، وكان صدوقاً، وقال البخاري: مات في ذي الحجة سنة ثلاث وأربعين ومائتين. وقد روى البخاري له حديثاً في صحيحه تعليقاً.

٢ - سفيان :

والراوي الثاني هو سفيان، فمّن هو سفيان؟

جاء في تهذيب التهذيب - [الجزء الرابع، ص ١٠٧]:
سفيان بن حسين بن الحسن، أبو محمد، ويقال أبو الحسن الواسطي.
وقال يعقوب بن شيبه: صدوق، ثقة، وفي حديثه ضعف.
وقال النسائي: ليس به بأس إلا في الزهري.
وقال عثمان بن أبي شيبة: كان ثقة، إلا أنه كان مضطرباً في الحديث قليلاً.
وقال ابن سعد: ثقة، يخطيء في حديثه كثيراً.

٣ - ابن جدعان:

أما الراوي الثالث ابن جدعان، فقد جاء عنه في تهذيب التهذيب - [الجزء السابع ص ٣٢٢]:

علي بن زيد بن عبد الله بن أبي مُليكة زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي، أبو الحسن البصري، أصله من مكة.
روى عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب. . . والحمّادين. . . والسفيانين، وسفيان بن حسين. . . وآخرون.

قال ابن سعد: ولد وهو أعمى، وكان كثير الحديث وفيه ضعف، ولا يحتج به.

وقال صالح بن أحمد عن أبيه: ليس بالقوي، وقد روى عنه الناس.
وقال عبد الله بن أحمد: سئل أبي: سمع الحسن من سُراقَة؟ فقال: لا، هذا علي بن زيد يعني يرويه كأنه لم يقنع به.
وقال أحمد: ليس بشيء.

وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه: ضعيف الحديث.

وقال عثمان الدارمي عن يحيى: ليس بذاك القوي.

وقال ابن أبي خيثمة عن يحيى: ضعيف في كل شيء. . .

وقال الجوزجاني : واهي الحديث، ضعيف، وفيه ميل عن القصد، لا يحتجّ بحديثه..

وقال الترمذي : صدوق، إلا أنه ربما رفع الشيء الذي يوقفه غيره.
وقال النسائي : ضعيف.

وقال ابن خزيمة : لا أحتجّ به لسوء حفظه.

وقال أبو الوليد وغيره عن شعبة : حدّثنا علي بن زيد، وكان رفّاعاً.

وقال سليمان بن حرب عن حماد بن زيد : حدّثنا علي بن زيد، وكان يقلب الأحاديث، وفي رواية : كان يحدّثنا اليوم، ثم يحدّثنا غداً، فكأنه ليس ذلك.

وقال ابن حبان : يهمل ويخطئ، فكثرت ذلك منه، فاستحقّ الترك.
فكيف يصحّ الاحتجاج بحديث رواه قال فيهم رجال الجرح والتعديل
هذا الكلام؟! *

* . * . *

٣ - حديث أبي أمانة الباهلي :

أما ثالث الأحاديث التي يستند إليها الذين يقولون بنبوّة آدم فهو حديث أبي أمانة الباهلي الذي يقول : إن رجلاً قال : يا رسول الله : [أنبياء كان آدم؟ قال : نعم معلّم مكلم].. وقد أشار إليه ابن كثير في تفسيره بقوله :

وقد روي هذا الحديث من وجه آخر عن صحابي آخر - يقصد بالحديث الأول - حديث أبي ذرّ الطويل - فقال ابن أبي حاتم :

حدّثنا محمد بن عوف، حدّثنا المغيرة، حدّثنا معان بن رفاعة عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمانة قال :
قلت يا نبيّ الله، كم الأنبياء؟

قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً
غفيراً إلخ. ثم قال ابن كثير:

معان بن رفاعه السلامي: ضعيف.

وعلي بن يزيد، ضعيف.

القاسم بن عبد الرحمن، ضعيف أيضاً.

ونحن هنا نرى لزماً علينا أن نلقي مزيداً من الأضواء على رواة هذا
الحديث، فمن هم هؤلاء الرواة؟

١ - معان بن رفاعه السلامي: أبو محمد الدمشقي ويقال الحمصي.

روى عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري وعبد الوهاب بن بخت وعطاء
الخراساني وعلي بن يزيد الألهماني وغيرهم..

قال محمد بن عوف: لم يكن به بأس.

وقال علي بن المديني: ثقة.

وقال أبو حاتم: شيخ حمصي، يكتب حديثه ولا يحتج به.

وقال الدوري عن ابن معين: ضعيف.

وقال الجوزجاني: ليس بحجة.

وقال ابن حبان: منكر الحديث، يروي مراسيل كثيرة، ويحدث عن أقوام
مجاهيل، لا يشبه حديثه حديث الأثبات، فلما صار الغالب في رواياته ما ينكره
القلب، استحق ترك الاحتجاج به!

[تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ١ ص ٢٠١].

وجاء في تهذيب التهذيب لابن حجر عن الراوي الثاني، علي بن يزيد:

[ج ٧ ص ٣٩٦]:

٢ - علي بن يزيد، أبي هلال الإلهاني، ويقال الهلالي، أبو عبد الملك،

ويقال أبو الحسن الدمشقي . روى عن القاسم بن عبد الرحمن صاحب أبي
أُمامة، نسخة كبيرة، وعن مكحول الشامي .

وروى عنه عبيد الله بن زحر، وعثمان بن أبي عاتكة، والوليد بن
سليمان بن أبي السائب، ومعان بن رفاعة السلمي . . وآخرون .

قال حرب عن أحمد: هو دمشقي، كأنه ضَعْفه .

وقال محمد بن عمر، قال يحيى بن معين: علي بن يزيد، عن القاسم،
عن أبي أُمامة، ضعاف كلها .

وقال يعقوب: علي بن يزيد، واهي الحديث، كثير المنكرات .

وقال أبو زرعة: ليس بالقوي .

وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه، فقال: ضعيف الحديث، أحاديثه
منكرة .

وقال محمد بن إبراهيم الكناني الأصبهاني: قلت لأبي حاتم: ما تقول في
أحاديث علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أُمامة؟
قال: ليست بالقوية، هي ضعاف .

وقال البخاري: منكر الحديث، ضعيف .

وقال النسائي: ليس بثقة، وقال في موضع آخر: متروك الحديث .

وقال أبو نعيم الأصبهاني: منكر الحديث .

وجاء في كتاب [الكشف الحثيث عمّن روي بوضع الحديث] ، تأليف
برهان الدين الحلبي - تحقيق وتعليق - صبحي السامرائي - نشر وزارة الأوقاف
والشؤون الدينية - الجمهورية العراقية ، [ص ٣٠٧] :

علي بن يزيد الإلهاني :

قال الدارقطني : متروك، وفيه كلام غير ذلك .

وقال ابن حبان: وإذا اجتمع في إسناد خبر عُبيد الله يعني ابن زحر، وعلي بن يزيد، والقاسم أبو عبد الرحمن، لم يكن ذلك إلا مما عملته أيديهم اهـ.

أما الراوي الثالث فقد جاء في تهذيب التهذيب:

٣ - القاسم بن عبد الرحمن الشامي، أبو عبد الرحمن الدمشقي، مولى آل أبي بن حرب الأموي.

روى عن علي وابن مسعود وتميم الداري وعدي بن حاتم وعقبة بن عامر ومعاوية وأبي أيوب وأبي أمية . . وغيرهم . .

وقيل: لم يسمع من أحد من الصحابة إلا من أبي أمية.

روى عنه علي بن يزيد الألهاني . . .

وقال ابن سعد: له حديث كثير، قال بعض الشاميين: إنه أدرك أربعين بديراً.

وقال البخاري: سمع علياً وابن مسعود وأبا أمية . . وأما من يتكلم فيه مثل جعفر بن الزبير، وبشر بن نمير، وعلي بن يزيد، وغيرهم، ففي حديثهم عنه مناكير واضطراب.

وقال الأثرم: سمعت أحمد، | حمل على القاسم، وقال: يروي عنه لعلي بن يزيد أعاجيب، وتكلم فيها، وقال: ما أرى هذا إلا من قبل القاسم. وقال جعفر بن محمد أبان الحراني: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما أرى البلاء إلا من القاسم!

وفي التاريخ الكبير للبخاري الجزء السادس [ص ٣٠١] رقم ٢٤٧:

علي بن يزيد عبد الملك الألهاني الدمشقي: منكر الحديث عن القاسم بن عبد الرحمن.

[تهذيب التهذيب، ج ٨ ص ٣٢٢].

جـ - استدلال الذين يقولون بنبوّة آدم

على خطاب الله سبحانه لأدم بدون واسطة:

وجوابنا على ذلك أن الجمهور لا يجعلون كل وحي نبوّة، كما يقول الإمام محمد رشيد رضا، ونشير أيضاً بأن الله خاطب إبليس أيضاً ﴿قال: ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك﴾^(١).

كما خاطب حواء أيضاً بقوله: ﴿وناداهما ربّهما: ألم أنهما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إنّ الشيطان لكما عدوّ مبين﴾^(٢).

قال الشهيد سيّد قطب في تفسيره لهذه الآية:

«وسمعا (آدم وزوجه) هذا العتاب من ربّهما على هذه المعصية، وعلى إغفال النصيحة. . أمّا كيف كان النداء، وكيف سمعاه، فهو كما خاطبهما أول مرّة، وكما خاطب الملائكة، وكما خاطب إبليس، كلها غيب لا ندري عنه إلّا أنه وقع، وأنّ الله يفعل ما يشاء».

ومعنى ذلك أن استدلال بعضهم على نبوّة آدم، بأنّ الله خاطبه بلا واسطة، ليس دليلاً أكيداً على نبوّته، وإلّا اضطررنا لإثبات النبوّة لحواء عليها السلام، بل ولإبليس، وهذا لا يقول به عاقل.

كما أوحى إلى (سارة) زوج إبراهيم، وأوحى إلى مريم ابنة عمران وإلى أمّ موسى: ﴿ولقد منّا عليك مرّةً أخرى، إذ أوحينا إلى أمّك ما

(١) الأعراف : ١٢ .

(٢) الأعراف : ٢٢ .

يُوحى ﴿٣﴾ ، ﴿ وَأَوْحِينَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضَعِيهِ ﴾ ﴿٤﴾ ، بَلْ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ
أَوْحَىٰ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَيْضًا : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي
وَبِرَسُولِي ﴾ ﴿٥﴾ ، كَمَا أَوْحَىٰ إِلَىٰ السَّمَاءِ وَإِلَى النَّحْلِ : ﴿ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ
أَمْرَهَا ﴾ ﴿٦﴾ ، ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ
وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ ﴿٦﴾ .

د - : حول استدلال بعض العلماء بنبوة آدم

على الزعم بوجود ثلاثة أنبياء قبل نوح
وهم آدم، وشيث، وإدريس!!

وجوابنا على هذا الادعاء بأن البعض ذكر إجماع المؤرخين على أن
إدريس كان سابقاً على نوح وأن نوحاً أبوه لمك، ولمك هو ابن متوشلخ،
ومتوشلخ هو ابن أخنوخ، وهو إدريس عليه السلام!

ونحن نحترم جميع العلماء والأئمة والمجتهدين القدامى والمعاصرين ولا
نقدّسهم، ونحن نأخذ بالصالح من أقوالهم وآرائهم الصائبة، وليس هناك
معصوم من هذه الأمة إلا المعصوم ﷺ ونحن نؤمن بنبوة ورسالة إدريس عليه
السلام، ولكننا لا نقول بأن إدريس كان قبل نوح، لأنّ القرآن الكريم لم يُشر
إلى ذلك، ونحن نؤمن بإدريس عليه السلام ولا نؤمن بأخنوخ الذي ورد في
التوراة، ولا بأقوال المؤرخين الذين نقلوا عن التوراة، بعد أن قال الله لخاتم
أنبيائه في ختام قصّة نوح في سورة هود: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ، مَا

(٣) طه : ٣٧ - ٣٨ .

(٤) القصص : ٧ .

(٥) المائدة : ١١١ .

(٦) فصلت : ١٢

(٧) النحل : ٦٨ .

كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا، فاصبر إنَّ العاقبة للمتقين ﴿١﴾ ، فكيف حجب هذا الأمر عن الرسول وعلم به المؤرِّخون!!! .

يقول الشهيد سيد قطب في تفسيره لسورة نوح:

«ونوح عليه السلام كان أول هؤلاء الرُّسل - بعد آدم عليه السلام - وآدم لا يذكر القرآن له رسالة بعد مجيئه إلى هذه الأرض، وممارسته لهذه الحياة، ولعله كان معلماً لأبنائه وحفدته، حتى إذا طال عليهم الأمد بعد وفاته ضلُّوا عن عبادة الله الواحد، واتخذوا أصناماً آلهة... فأرسل إليهم نوحاً ليردَّهم إلى التوحيد، ويصحِّح لهم تصوُّرهم عن الله وعن الحياة والوجود.

والكتب المقدسة السابقة تجعل إدريس - عليه السلام - سابقاً لنوح. ولكن ما ورد في هذه الكتب لا يدخل في تكوين عقيدة المسلم، لشبهة التحريف والتزيُّد والإضافة إلى تلك الكتب».

هـ- أدلة الذين يقولون بنبوة آدم بإجماع

علماء المسلمين على هذه النبوة:

استند الذين يقولون بنبوة آدم على ما زعمه البغدادي في كتابه (أصول الدين) بأن المسلمين وأهل الكتاب قد أجمعوا على نبوة آدم.

ويُحسن بنا أن نثبت ما كتبه فضيلة الشيخ محمود شلتوت في كتابه الإسلام عقيدة وشريعة تحت عنوان [الإجماع... وثبوت العقيدة]، حيث قال:

«لا أكاد أعرف شيئاً اشتهر بين الناس بأنه أصل من أصول التشريع في الإسلام، ثُمَّ تناولته الآراء واختلفت فيه المذاهب من جميع جهاته، كهذا الأصل الذي يُسمونه «الإجماع»، فقد اختلفوا في حقيقته: فمنهم: مَنْ رأى أنه «اتفاق جميع المجتهدين من أمة محمد ﷺ في عصر من العصور على حكمٍ

شرعي»، ومنهم: «مَن رأى أَنَّهُ اتفاق أكثر المجتهدين فحسب» ومنهم: مَن ذهب إلى أَنَّهُ اتفاق طائفة معينة»، فلا يعدّ اتفاق غيرها إجماعاً. ثمّ اختلف هؤلاء في هذه الطائفة مَن هي؟ فقيل: (الصحابة) وقيل: (أهل المدينة)، وقيل: (أهل البيت) وقيل: (الشيخان: أبو بكر وعمر) وقيل: (الأئمة الأربعة) إلخ.

واختلف الذين قالوا بالجميع: هل الإجماع بهذا المعنى ممكن متصوّر الوقوع، أو هو غير ممكن، لأنّ الاجتهاد ليس له مقياس بارز متفق عليه بين العلماء، ولأنّ المجتهدين غير محصورين في بلد واحد أو إقليم واحد. واختلف الذين قالوا بإمكانه وتصور وقوعه: هل يمكن معرفته والاطّلاع عليه أم لا؟ ومِمَّن رُوي عنه المنع الإمام أحمد رضي الله عنه، إذ يقول في إحدى روايتين عنه: مَن ادّعَى وجود الإجماع فهو كاذب.

واختلف الذين قالوا بإمكان معرفته والاطّلاع عليه: هل هو حُجّة شرعية فيجب العمل به على كل مسلم أو ليس حُجّة شرعية فلا يجب العمل به؟ واختلف الذين قالوا: إِنَّهُ حُجّة شرعية: هل ثبتت حجّيته بدليل قطعي يكفّر منكره، أو بدليل ظنيّ فلا يُكفّر؟ وهل يشترط في وجوب العمل به أن يُنقل إلينا بالتواتر، أو يكفي أن يُنقل ولو بالآحاد؟ وهل يشترط أن يبلغ المجمعون عدد التواتر أو لا يشترط؟ وهل يشترط أن يصرّح الجميع بالحكم مشافهةً أو كتابةً، أو لا يشترط؟ فيكفي تصريح بعضهم وسماع الباقيين مع سكوتهم؟ إلخ.

وكما اختلفوا في حقيقته وفي حجّيته، اختلفوا فيما يكون فيه من أحكام: فقال قوم: إِنَّهُ حُجّة في العلميات والعمليات جميعاً، وقال غيرهم: إِنَّهُ حُجّة في العمليات فقط. ومن ذلك كلّه يتبيّن أن حجّية الإجماع في ذاتها غير معلومة بدليل قطعي، فضلاً عن أن يكون الحكم الذي يثبت به معلوماً بدليل قطعي، فيكفّر منكره.

شروع حكاية الإجماع في المسائل الخلافية:

ولعلَّ اختلاف العلماء في الإجماع على هذا النحو يفسِّر لنا ظاهرة منتشرة في كتب القوم، وهي حكاية الإجماع في كثير من المسائل التي ثبت أنها محلَّ خلاف بين العلماء وذلك من جهة أن كلَّ مَنْ حكى الإجماع في مسألة هي محلَّ خلاف قد بنى حكايته على ما يفهمه هو أو يفهمه إمامه أو الطائفة التي ينتمي إليها في معنى الإجماع وما يكفي لتحقيقه.

وعلى الرغم من ظهور السَّبب في تلك الظاهرة، فقد تأثَّر بها كثير من المتأخِّرين، فخضعوا لها، وتوسَّعوا فيها تأييداً لأرائهم في المسائل الخلافية: فتجدهم في علم الفروع يحكون الإجماع على إلزام الطلاق الثلاث بكلمة واحدة، وعلى تحريم لحم الخيل، وعلى حلِّ أكل الضَّبِّ، وغير ذلك. وتجدهم في علم أصول الأحكام، يحكون الإجماع على العمل بخبر الواحد، وعلى تقديم الإجماع على النصِّ عند التعارض، وعلى العمل بالقياس. وتجدهم في علم الكلام يحكون الإجماع على رؤية الله بالأبصار، وعلى ظهور المهدي، والدَّجال، ونزول عيسى، وما إلى ذلك من المسائل العلمية والعملية التي ثبت فيها الخلاف، ولم تكن محلَّ قطعٍ وإجماع.

ولقد كان في وسعهم أن يقيّدوا ذلك بالإجماع الطائفي أو المذهبي، ولكنهم قصدوا أن يرسلوا كلمة الإجماع ليسجّلوا على المخالف لوازمها الشائعة بين الناس: من مخالفة سبيل المؤمنين، ومشاقّة الله ورسوله، وخرق اتِّفاق الأُمّة، إلى غير ذلك ممّا يتحرّجه المسلم ويخشى أن يُعرف به عند العامّة. وكثيراً ما نراهم يردفون حكايتهم للإجماع بقولهم: (ولا عبرة بمخالفة الشيعة والخوارج) أو (بمخالفة المعتزلة والجهمية) ونحو ذلك ممّا يُخيفون به، وبهذا امتنع كثير من العلماء عن إبداء رأيهم في كثير من المسائل التي هي محلَّ

خلاف، ضناً بسمعتهم الدينية، فوقف العلم، وحرمت العقول لذة البحث،
وحيل بين الأمة وما ينفعها في حياتها العملية والعلمية.

وفي مثل هؤلاء الذين يحكون الإجماع في مواضع الخلاف يقول ابن
حزم: (ويكفي في فساد ذلك أنا نجدهم يتركون في كثير من مسائلهم ما ذكروا
أنه إجماع، وإنما نحوا إلى تسميته إجماعاً عناداً منهم وشغباً عند اضطرار
الحجة والبراهين إلى ترك اختياراتهم الفاسدة)^(١).

الإجماع عند المحققين:

وقد كشف جهابذة العلماء عن حقيقة الإجماع التي تسمو عن الخلاف،
والتي هي حجة ملزمة عند الجميع، قال الشافعي: «ولست أقول، ولا واحد من
أهل العلم: هذا مجمع عليه، إلا لما لا تلقى عالماً أبداً إلا قاله لك، وحكاه
عمن قبله، كالظهر أربع ركعات، وكتحريم الخمر، وما أشبه هذا»^(٢).

وقال ابن حزم: (وصفة الإجماع هو ما يُقنَّ أنه لا خلاف فيه بين أحد من
علماء الإسلام، ونعلم ذلك من حيث علمنا الأخبار التي لا يتخالج فيها شك،
مثل أن المسلمين خرجوا من الحجاز، واليمن، وفتحوا العراق، وخراسان،
ومصر، والشام، وأن بني أمية ملكوا دهرًا طويلاً، ثم ملك بنو العباس، وأنه
كانت موقعة صفين والحرّة، وسائر ذلك ممّا يعلم بيقين وضرورة)^(٣).

ولا يخفى أن معنى ما ذكره الشافعي وابن حزم أن الإجماع لا يكون إلا
فيما هو معلوم من الدين بالضرورة، وفيما كان طريق العلم به هو التواتر الذي
يفيد قطعية الورود وانتفاء الريب، فهذا هو الإجماع الذي تتم به الحجة ولا

(١) مراتب الإجماع.

(٢) رسالة الشافعي.

(٣) مراتب الإجماع.

يصحُّ أن يُخالف، ولا ريب أنَّ العمل في مثل هذا لا يكون عملاً بالإجماع من حيث هو إجماع، وإنَّما هو عمل بما تَلَقَّته الكَافَّةُ عن الكَافَّةِ، مما لا شُبْهة في ثبوته عن صاحب الشرع، وأنَّ الإجماع فيه لم يكن إلَّا أثراً من آثار الثبوت على هذا الوجه، فلا يكون مصدراً له ولا أصلاً في ثبوته.

ومن هنا قرَّر العلماء أنَّ منكر حِجِّية الإجماع لا يُكْفَر، في حين أنَّهم حكموا بالكفر على مَنْ أنكر المجمع عليه.

هذا وقد رأى الباحثون أنَّ الإجماع الذي كان يُرجع إليه ويجري على الألسنة في الصِّدْر الأول حيث لا نصُّ هو إجماع بمعنى آخر، غير هذا الإجماع الذي اصطلح عليه الأصوليون، واشتُهرَ بين النَّاسِ أنَّه حُجَّة شرعية، واعتمدت عليه عصور التقليد في سدِّ باب الاجتهاد، وعصور التعصُّب في الرمي بالتضليل والتفسيق والخروج عن سبيل المؤمنين^(١)

ثم قال الشيخ محمود شلتوت: «نعود بعد هذا فنقول: إنَّ الذين ذهبوا إلى حِجِّية الإجماع لم يتَّفَقوا على شيءٍ يحتجُّ به فيه سوى الأحكام الشرعية العملية، أمَّا الحِسِّيَّات المستقبلة من أشراف الساعة وأمور الآخرة، فقد قالوا: (إنَّ الإجماع عليها لا يعتبر من حيث هو إجماع لأنَّ المُجمِّعين لا يعلمون الغيب، بل يعتبر من حيث هو منقول عمَّن يطلعه الله على الغيب، فهو راجع إلى الإخبارات، فيأخذ حكمها، وليس من الإجماع المخصوص بأمة محمد ﷺ، لأنَّ الحِسِّيَّ المستقبل لا مدخل للاجتهاد فيه، فإن ورد به نصٌّ فهو ثابت به ولا احتياج إلى الإجماع، وإن لم يرد به نصٌّ فلا مسأغ للاجتهاد فيه)^(٢)، وعلى هذا تخضع جميع الأخبار التي تتحدَّث عن أشراف الساعة، ومن بينها نزول عيسى،

(١) يراجع ما كتبه صاحب تفسير المنار عند آية ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ من سورة النساء - الجزء الخامس.

(٢) التحرير.

إلى مبدأ القطعية والظنية في الورد والدلالة، وقد سلف ذلك في موضوع (السنة وثبوت العقيدة)».

إجماع الأصوليين:

ثم تحدّث الشيخ محمود شلتوت في الباب الرابع من كتابه (الإسلام عقيدة وشريعة) عن إجماع الأصوليين، فقال:

«أما الإجماع الذي يصوّر بأنه: اتفاق جميع الأمة، مجتهديها، خاصّها وعامّها، فليس هو الإجماع الذي يعتبر مصدراً من مصادر التشريع، وإنّما هو إجماع على العلم بما أجمعت الأمة عليه، لثبوته بالتشريع المقطوع به، الذي ليس محلاً للنظر والاجتهاد، والذي يجب أن يستوي في العلم به جميع المسلمين، ولا يصحّ لمسلم أن يجهله. وهذا شيء آخر غير الإجماع الذي يعرفه الإسلام مصدراً للتشريع بعد القرآن والسنة»^(١).

(١) الإسلام عقيدة وشريعة: ص ٥٤٤.

الفصل السابع

أدلة الذين لم يقتنعوا بنبوة آدم ورسالته . . .
نظراً لإيمانهم بأولية هذه النبوة والرسالة :
لنوح عليه السلام . . لا لأدم أبي البشر !

- ١ - تمهيد : ماذا كان بين آدم ونوح عليهما السلام من أجيال وقرون ؟
- ٢ - الأدلة القرآنية القطعية على نبوة ورسالة الأنبياء :
من نوح عليه السلام . . إلى محمد عليه الصلاة والسلام
- ٣ - من هو النبي الأول ؟
- ٤ - عرض لأقوال العلماء والمفسرين القدامى والمعاصرين في أولية نبوة نوح ورسالته في شرحهم لآية النساء : ١٦٣ .
- ٥ - دلائل وإشارات على أولية نبوة نوح ورسالته كما جاءت في سورة المؤمنون . . والأعراف .
- ٦ - آراء العلماء والمفسرين المؤكدة لأولية نبوة نوح ورسالته في شرحهم للآية ٥٩ من سورة الأعراف .
- ٧ - أقوال العلماء والمفسرين بأولية نبوة نوح ورسالته في شرحهم لبعض الآيات القرآنية :
 - ١ - الإمام ابن كثير وتفسيره لآية البقرة : ٢١٣ .
 - ٢ - الإمام محمد مصطفى المراغي وتفسيره لآية الحديد : ٢٦ .
 - ٣ - الشهيد سيد قطب وتفسيره لسورة نوح .
- ٨ - التناقض والاضطراب في أقوال بعض العلماء والمفسرين حول أولية نبوة نوح ورسالته . . وأولية نبوة آدم ورسالته .
- ٩ - أولية نبوة نوح ورسالته من السنة النبوية الصحيحة .
- تراجم رواية أحاديث الشفاعة .

تمهيد :

ماذا كان بين آدم ونوح عليهما السلام من أجيال وقرون؟

رأي العلامة الأستاذ البهي الخولي :

كتب الأستاذ البهي الخولي ، الكاتب الإسلامي المعروف ، مؤلف كتاب [تذكرة الدعاة] و [المرأة بين البيت والمجتمع] و [الإسلام لا شيوعية ولا رأسمالية - العمل والعمال] ، عدة مقالات في مجلة المسلمون القاهرية في أوائل الخمسينات عن آدم عليه السلام ، ثم نشرت هذه المقالات في كتاب بعنوان : [آدم عليه السلام . . فلسفة تقويم الإنسان وخلافته] ، ويقع الكتاب في ١٩٠ صفحة ، دون أن يتحدث الكاتب عن آدم عليه السلام بوصف النبوة والرسالة ،

بعد ذلك بدأ بكتابة قصة نوح عليه السلام ، نشرت الحلقة الأولى من قصة نوح في العدد السادس - السنة الثانية ص ٥٢٧ - شعبان ١٣٧٢ هـ - أبريل ١٩٥٣ ، والحلقة الثانية في العدد السابع رمضان ١٣٧٢ هـ - مايو ١٩٥٣ ، ثم حالت ظروف القاهرة دون إتمام الكتابة في قصص القرآن إلى أن توفي رحمه الله . وقد رأينا أن نقطف بعض ما جاء في هاتين الحلقتين مما له صلة بموضوع آدم عليه السلام وقصة ابني آدم . . ونوح عليه السلام أول رسل الله إلى أهل الأرض . .

فقد جاء في الحلقة الأولى تحت عنوان [تمهيد]:

ماذا كان بين آدم ونوح عليهما السلام من أجيالٍ وقرون؟

لا يعلم ذلك إلا الله سبحانه . . ولكنّها على كلّ حال مدّة كافية لأن يتطوّر الإنسان خلالها، وينتقل من حال البدائية الفردية إلى حال المجتمع المستقرّ، المتميّز بكل خصائص القومية الأصيلة . . فإنّ أبناء آدم درجوا على هذه الأرض ومارسوا فيها - بالتدريج - ضروب كسب العيش . . وشعروا أفرادهم - مع الزمن وتعدّد الاحتياجات - بعجز كلّ منهم - منفرداً - عن الوفاء بكل ما يحتاج إليه، وأحسّ مع هذا العجز بحاجته إلى أخيه، وضرورة التعاون معه . . فأخذوا يجتمعون ويخرجون من حال البداءة الفردية إلى حالة التعاون الجماعي المعهود في كلّ مجتمع مستقر

ولسنا نعني بالفردية البدائية لوناً من همجية الوحش في القيعان والأجمات، بل نعني تلك الحالة التي كان فيها الإنسان قليل «الاحتياجات» ، ولم يكن لأحدٍ عليه من سلطان إلا سلطان وجدانه الخاص، إذ لا حكومة تضبط سلوكه، ولا جماعة تنظّم له حرّيته في نطاق خاص . . أمّا طور الجماعة فهو طور الاحتياجات الكثيرة، والتعاون المتبادل، والحياة المتشابكة، وفيها يغدو المرء محكوماً بسلطان جديد - إلى جانب سلطان وجدانه الخاص - هو سلطان الجماعة الذي يضطره إلى كبح جماحه، وضبط كثيرٍ من ميوله، وتنسيق مصالحه مع مصالح غيره

ولقد قصّ القرآن نبأ ابني آدم بالحقّ . . . وفي هذا النبأ نلمح تقلّب الإنسان في طور البدائية الفردية ، فقد تنافس هذان الابنان - هابيل وقايل - أمراً مرغوباً فيه من كلّ منهما، فقربا قرباناً فتقبّل من هابيل ولم يتقبّل من قايل، فقال: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾، فأجاب هابيل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ . .

لئن بسطت إليَّ يَدَكَ لتقتلني ما أنا بباسطٍ يَدَيَّ إليك لأقتلك، إنِّي أخافُ الله ربَّ العالمين ﴿١٠﴾، ولكن قابيل لم يتأثر بهذا النهج السلمي السامي، ولم يُطِق أن يُحال بينه وبين ما يشتهي، ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾ الخ . . .

أين وازع الحكومة؟

أين سلطان الجماعة؟

لا حكومة في هذا الطور، ولا سلطان يهيمن على المرء غير سلطان وجدانه الخاص . . .

والمعروف أنَّ هبوط آدم إلى الأرض كان بدء حياة العقيدة الصالحة فيها، وظهور آثار الوجدان المهدَّب، أمَّا الخبرة بالحياة، والدِّربة على شؤونها، والصيرورة إلى الخصائص النفسية والواقعية لكلِّ مجتمع مستقر، فذلك ما لا بدَّ له من التجارب الطويلة والدهور الممتدة المتعاقبة .

ولسنا بصدد التحليل الديني لقصة ابني آدم عليه السلام، بل بصدد استخراج بعض ما فيها من سمات الحياة البدائية الساذجة، وقوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ . . .﴾ الآية، واضح الدلالة على تلك البدائية: بدائية التجارب، وبدائية التفكير في المعاني الاجتماعية.

ثم قال :

فإذا نقلتَ النظر إلى قصة نوح عليه السلام، لا تجد البدائية الواضحة، ولا الفردية المستعلنة، بل تجد المجتمع المستكمل لكل صفات الجماعة المستقرة . . .

ونعني بالمجتمع الفريق من الناس الذي استقرَّ في بقعة من الأرض كبيرة أو صغيرة . . . وربطت بينهم أواصر النسب القرية أو البعيدة . . .

ونظمتهم قوانين البيئة والوراثة القومية في مشابه نفسية عامة متجانسة . .
وواشجت بينهم المصالح المختلفة ووحدة الهدف العام . . وسلكتهم فطرة
المجتمع بحسب حِرَفِهِم وصناعاتهم طوائف متعاونة . . وتَأَلَّفَ منهم على
الزمن خاصّة وعامة . . وقادة وشعب . . .

والمتأمل في قصّة نوح عليه السلام يرى أن الله سبحانه قد بثّ في
ثناياها خصائص المجتمع الذي نعينه :

فنوح عليه السلام من هؤلاء القوم وهم منه، عشيرته الأقربون
والأبعدون، وهو يوجه اليهم الخطاب - فيما يحكيه القرآن الكريم عنه -
بقوله : ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ
لِيُنْذِرَكُمْ﴾ الآية

والإشارة إلى تفرُّقهم طوائف متفاوتة بحسب ما لكل من حرفة أو صناعة
أو عمل، تراها في مثل قوله تعالى - حكاية عنهم وهم يجادلون نبيّهم : ﴿وَمَا
نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَنْفِرُوا﴾ [هود : ٢٧] ، فالمراد
بالأراذل - في زعمهم - كما يقول المفسرون، هم الفقراء والباعة الصغار،
والحاكة، وسائر أرباب الحرف الصغيرة .

والإشارة إلى انتظامهم عامة وخاصّة أو شعباً وقادة، تلوح لك في
مثل قول نوح عليه السلام : ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي، وَاتَّبَعُوا مِنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ
وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً﴾، ففي هذا القول تابعون ومتبوعون . . والمتبوعون هم
من أرباب الثروة والجاه

*** . . ***

ثُمَّ قَالَ :

وعلى هذا فقصة نوح عليه السلام، هي قصة المجتمع الأول، أو
أول مجتمع يجعل الله سبحانه أمره موضعاً للعظة والاعتبار .

وقد قال فريق من العلماء: إن إدريس عليه السلام كان قبل نوح، ولكن آخرين ردوا هذا القول وعارضوه بأدلة لا ضرورة لذكرها.

وليس من قصدنا في هذا المقام ترجيح أحد القولين على الآخر، بل بيان ما لهذا القول من معارضة... وعلى فرض صحة الرأي القائل بسبق إدريس لنوح عليه السلام فإنه لا يبطل ما قلناه من أن قصة نوح هي قصة المجتمع الأول أو أول مجتمع ضربه الله سبحانه مثلاً للعظة والاعتبار، فإن كل ما جاء في القرآن الكريم عن إدريس لا يعدو أن يكون ثناءً طيباً جمعه الله جل ثناؤه في قوله الكريم: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إدريسَ، إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً، وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ [مريم: ٥٧]، أمّا قومه وما كان بينهم وبينه من تجاوب أو معارضة فلم يرد عنه شيء.

فإذا كانت قصة آدم هي قصة تكوين البشر الأول، ومبدأ تقلبه في المعصية والرشد، فقصة نوح عليه السلام هي قصة المجتمع الأول - وقصة كل مجتمع - وما له من تقلب في الغواية والرشد.

*** ... ***

وقال البهي الخولي في الحلقة الثانية من قصة نوح عليه السلام:
قَدَمَ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ:

وعبادة التماثيل ظاهرة دينية قديمة، لازمت الناس في كثير من البيئات على تعاقب الدهور، ولا يزال لها إلى اليوم طقوس وشعائر تؤدى في بعض جهات الأرض.

ولا يستطيع باحث أن يحدّد لنا على سبيل اليقين متى وأين بدأت عبادة التماثيل. ولكننا نستطيع أن نقول: إنها بدأت في عمران مستقرّ ذي حضارة،

يزدهر فيها فنّ النحت والتصوير، ويغلب على حياة أهلها الخضوع لمقتضيات فطرة التدين.

وازدهار فنّي النحت والتصوير، لا تبلغه الإنسانية إلا بعد أن تكون قد قطعت من عمرها أزماناً متطاولة، ومرّت في مدارج تجاربها بمراحل بطيئة. . . متعاقبة، وهذا ما يدعونا إلى القول بأنّ عبادة التماثيل نشأت بعد آدم بدهور طويلة لا يعلمها إلا الله، وأن بين آدم ونوح عليهما السلام من الأزمنة البعيدة أكثر مما جاء في التوراة، ونقله عنها بعض المسلمين، ممّا لم يتأيد بنصّ من كتاب الله سبحانه، أو سنّة صحيحة عن رسول الله ﷺ. . . وإذا كان قوم نوح يقولون له في التوحيد الذي يدعوهم إليه(*)، ﴿ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾ فمعناه أنّهم لم يتدعوا تلك الوثنية ابتداءً، بل ورثوها عن آبائهم الأولين منذ أجيالٍ موعلة في القدم. . . أجيال تتسع بها الشقّة الزمنية بين آدم ونوح إلى أكثر مما تصوّره كاتب التوراة عن ظنّ ضيقٍ وتخمينٍ ساذج. . . فإنه قدّر ما بين خلق آدم وولادة نوح بألف سنة وخمسين عاماً. . . وهي مدّة لا تكفي لقيام حضارة مستقرة يزدهر فيها فنّ النحت ليؤدي بفطرة التدين بعض ما يقرّ به أصحابها من المطالب. . . فكيف والقوم قد عرفوا التماثيل وعبدوها قبل ولادة نوح بأجيال كثيرة؟

(*) ليس فقط عن التوحيد بل عن نبوة نوح عليه السلام ورسالته: ﴿فقال المَلَأُ الذين كفروا من قومه: ما هذا إلاّ بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم، ولو شاء الله لأنزل ملائكة، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾ [المؤمنون: ٢٤] ، أي ما سمعنا بإرسال نبيّ ورسول من البشر. . . ولو كان سبقه بالنبوة والرسالة آدم وشيث وإدريس، لبين لهم نوح عليه السلام! . . . [المؤلف].

الأدلة القرآنية القطعية

على نبوة ورسالة الأنبياء عليهم السلام
من نوح عليه السلام . . إلى محمد ﷺ

﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى
نوح والأنبيين من بعده﴾ .
[النساء : ١٦٣] .

١ - نوح عليه السلام:

﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ [الأعراف : ٥٩] .

٢ - هود عليه السلام: ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً﴾ [الأعراف : ٦٥] .

٣ - صالح عليه السلام:

﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾ [الأعراف : ٦٣] .

٤ - إبراهيم عليه السلام:

﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً﴾ [مريم : ٤١] .

٥ - لوط عليه السلام: ﴿ولوطاً إذ قال لقومه: أتأتون الفاحشة ما سبقكم

بها من أحد من العالمين﴾ [الأعراف : ٨٠] .

﴿وإن لوطاً لمن المرسلين﴾ [الصافات : ١٣٣] .

٦ - إسماعيل عليه السلام: ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل، إنه كان صادق الوعد، وكان رسولا نبياً﴾ [مريم: ٥٤].

٧ - ٨ إسحاق ويعقوب عليهما السلام: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب، وكلاً جعلنا نبياً﴾ [مريم: ٤٩].

٩ - يوسف عليه السلام: ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات، فما زلتم في شك مما جاءكم به، حتى إذا هلك قلتم: لن يبعث الله من بعده رسولا﴾ [غافر: ٣٤].

١٠ - شعيب عليه السلام: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾ [الأعراف: ٨٥].

١١ - ١٢ - موسى وهارون عليهما السلام: ﴿واذكر في الكتاب موسى، إنه كان مخلصاً، وكان رسولا نبياً، وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً، ووهبنا له من رحمتنا، أخاه هارون نبياً﴾ [مريم: ٥١ - ٥٤].

١٣ - إدريس عليه السلام: ﴿واذكر في الكتاب إدريس، إنه كان صديقاً نبياً، ورفعناه مكاناً علياً﴾ [مريم: ٥٦ - ٥٧].

١٤ - ذو الكفل عليه السلام: ﴿وإسماعيل وإدريس وذو الكفل، كل من الصابرين﴾ [الأنبياء: ٨٥].

١٥ - اليسع عليه السلام: ﴿واذكر إسماعيل واليسع وذو الكفل، وكل من الأخيار﴾ [سورة ص: ٤٨].

١٦ - أيوب عليه السلام: ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب. اركض برجلك، هذا مغتسل بارد وشراب، ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمةً منا وذكرى لأولي الألباب، وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحث. إنا وجدناه صابراً، نعم العبد إنه أواب﴾ [سورة ص: ٤١ - ٤٤].

١٧ - داود عليه السلام: ﴿اصبر على ما يقولون، واذكر عبدنا داود ذا الأيد، إنه أَوَّاب، إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ، وَالطَّيْرَ مُحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّاب، وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ، وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [سورة ص: ١٧ - ٢٠].

﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

١٨ - سليمان عليه السلام:

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ، نَعَمَ الْعَبْدُ، إِنَّهُ أَوَّاب﴾ [سورة ص: ٣٠].
﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ، إِذْ نَفْثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ، وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ، فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ، وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٨ - ٧٩].

١٩ - يونس عليه السلام:

﴿وَإِنْ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٣٩].

٢٠ - الياس عليه السلام:

﴿وَإِنْ الْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٢٣].

٢١ - ٢٢ - زكريا ويحيى عليهما السلام: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى، لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧].
﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ، وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢].

٢٣ - عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ، آتَانِيَ الْكِتَابَ، وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ، وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٠ - ٣١].
﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

٢٤ - محمد ﷺ: ﴿يَسْ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يس: ١ - ٤].

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ، وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

من هو النبي الأول؟

لقد تحدّث القرآن الكريم عن خاتم النبيين، فقال في [سورة الأحزاب : ٤٠] : ﴿ما كان محمدٌ أباً أحدي من رجالكم، ولكن رسول الله وخاتم النبيين، وكان الله بكلّ شيءٍ عليماً﴾، فمن ادّعى النبوة أو الرسالة بعد محمد عليه السلام فهو كاذب، ومن اعتقد بالنبوة والرسالة لبشر بعد محمد فهو كافر مرتدّ، لأنّه خالف صريح القرآن .

وإذا كان القرآن الكريم قد نصّ على خاتم النبيين، فهل أغفل القرآن الكريم النصّ على أوّل النبيين؟

- من هو النبيّ الأوّل الذي أرسله الله لهداية قومه؟
- هل هو آدم عليه السلام، كما يقول بعض العلماء؟
- أم هو إدريس - أو خنوخ أو أخنوخ - كما يدّعي البعض الآخر؟
- أم هو نوح عليه السلام، كما يرى جمهور من علماء التفسير القدامى والمعاصرين؟

القرآن الكريم نصّ على الرسول الأول في عدّة آيات من القرآن الكريم، ونصّ على أن الوحي بالنبوة والرسالة ابتدأ بنوح عليه السلام، وانتهى بمحمد عليه الصلاة والسلام:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾
[النساء : ١٦٣] .

ولو كان آدم نبياً لكان نصّ الآية : [إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى آدم
والنبيين من بعده]، ومعنى ذلك أن القرآن الكريم أثبت أن نوحاً عليه
السلام هو أول نبي ورسول، وليس آدم، ونفى وجود رسل أو أنبياء قبله،
بل أثبت الوحي إليه وإلى النبيين من بعده، وسكت عن قبل نوح كما
سكت القرآن الكريم عن إباحة زواج أهل الكتاب من المحصنات
المؤمنات، بعد أن أباح للمؤمنين الزواج من المحصنات المؤمنات
والمحصنات من أهل الكتاب، واشترط العفيفات دون المتخذات أخدان مع
اشتراط المهر، ففي سورة المائدة الآية : ٤ : ﴿ اليوم أحل لكم الطيبات،
وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم، والمحصنات من
المؤمنات، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن
أجورهن، محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان، ومن يكفر بالإيمان
فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾.

فمن يستطيع الزعم بأن الله أباح لأهل الكتاب الزواج من المحصنات
المؤمنات؟ .

والقرآن الكريم استعمل كلمة من قبل ومن بعد، للدلالة على أن
الأمر يشمل قبله كما يشمل بعده.

ففي سورة الروم :

﴿ أَلَمْ * غَلَبَتِ الرُّومُ * في أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم
سيغلبون * في بضع سنين، لله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح
المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾.

وفي سورة [الأعراف : ١٢٩] يشير سبحانه إلى خطاب بني إسرائيل
لموسى :

﴿ قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا، ومن بعد ما جئتنا ﴾.

وفي سورة [النور: ٥٨] يحدّد المولى عزّ وجلّ مواقيت الاستئذان

داخل البيوت:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَذِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا
الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ
الظَّهِيرَةِ، وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ، ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا
عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ، طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ
لَكُمْ الْآيَاتِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

وحين تحدّثت آيات القرآن الكريم عن قَبْل، قُصِدَ بها من قبل، دون
من بعد: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ * وَثَمُودُ
وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ، أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ * إِنَّ كُفْلًا إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ﴾
[سورة ص: ١٢ - ١٤]، كما أشار القرآن الكريم إلى ادّعاء اليهود بأنَّ
إبراهيم كان يهودياً، وإلى ادّعاء النصارى بأنَّ إبراهيم كان نصرانياً، فردَّ
عليهم القرآن الكريم: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا، وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا
مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١)، ثُمَّ دَلَّلَ عَلَى استحالة أن يكون إبراهيم
كما ادّعى اليهود والنصارى، لأنَّ التوراة والإنجيل نزلتا بعد إبراهيم: ﴿يَا
أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ، وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ
بَعْدِهِ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟^(٢)

وحينما تحدّثت آيات القرآن عن التوبة والمغفرة، اشترطت أن يتوبَ
العبدُ من المعصية حتّى يتوب الله عليه ويغفر له: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ
ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩] ثُمَّ
إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ، ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ
رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ

[النحل: ١٩].

(٢) آل عمران: ٦٦ .

(١) آل عمران: ٦٧ .

٢ - وشريعة الله ودينه بدأ بنوح عليه السلام، وانتهى بمحمد ﷺ : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى : أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ، كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى : ١٣].

٣ - والنُّبُوَّةُ والرسالة بدأت بذرية آدم، وليس بآدم، ففي سورة [الأعراف : ٣٥ - ٣٦] : ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ، يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي، فَمَنْ أَتَّقَى، وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وفي سورة مريم : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ، وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا، إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم : ٥٨]. وفي سورة الحديد : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ، وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد : ٢٦].

٤ - وميثاق النَّبِيِّينَ بدأ بنوح عليه السلام، وانتهى بمحمد عليه الصلاة والسلام :

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب : ٧].

٥ - وتكذيب الرسل بدأ بقوم نوحٍ وليس بأبناء آدم : ففي سورة غافر :

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ، وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ،

وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرُسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ،

وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ، فَأَخَذْتُهُمْ، فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾

[غافر : ٥].

وفي سورة [ص] : ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو
الْأُوتَادِ * وَثَمُودٌ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ، أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ * إِنَّ كُلَّ إِلَّا
كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [ص : ١٢ - ١٤] .

وفي سورة [ق] : ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ، وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ،
وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ،
وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ، وَقَوْمُ تُبَّعٍ ،
كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ﴾ [ق : ١٢ - ١٤] .

وفي سورة الحج : ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ ، فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ، وَعَادٌ
وَثَمُودُ ، وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ، وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ، وَكَذَّبَ مُوسَى ،
فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ، ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ، فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾
[الحج : ٤٢ - ٤٤] .

وفي سورة الإسراء : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ، وَكَفَى
بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء : ١٧] .

٦ - وكان التذكير من الدعاة والرسل بعاقبة التكذيب لأقوامهم وأخذ
العبرة قبل وقوع الهلاك .

وهذا شعيب عليه السلام يحذر قومه :

﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ
أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ، وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ [هود : ٨٩] .

وهذا مؤمن آل فرعون ينصح قومه :

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ،
مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ
ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ [غافر : ٣١ - ٣٢] .

وهذا تحذير رب العالمين لأمة محمد ﷺ :

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ، وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ، وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ، وَالْمُؤْتَفِكَاتِ، أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ، فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ، وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾. [التوبة : ٧٠].

وفي سورة إبراهيم : ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ، وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ، لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ، جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ، فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ، وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ، وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾. [إبراهيم : ٩].

٧ - والقرآن الكريم حينما ذكر مجموعة من رسل الله في بعض سوره لم يذكر آدم عليه السلام من بين أولئك الرسل ، ففي سورة الأنعام جاء ذكر ثمانية عشر رسولا ، ليس فيهم آدم :

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ، نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ، إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ...﴾

ووهبنا له [لإبراهيم] إسحاق ويعقوب ، كلاً هدينا ، ونوحاً هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون ، وكذلك نجزي المحسنين .

وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس ، كل من الصالحين .

وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً ، وكلاً فضّلنا على العالمين .

ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم ، واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم .

ذلك هدى الله ، يهدي به من يشاء من عباده ، ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون .

أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ، فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ،
فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ .

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ، فَبِهَدَاهُمْ اقْتَدِهْ ﴿ [الأنعام : ٨٣ - ٩٠] .

وفي سورة الأنبياء جاء ذكر ستة عشر رسولاً ليس فيهم آدم عليه
السلام، وهم :

- ١- موسى ، ٢- هارون ، ٣- إبراهيم ، ٤- لوط ، ٥- إسحاق ،
- ٦- يعقوب ، ٧- نوح ، ٨- داود ، ٩- سليمان ، ١٠- أيوب ،
- ١١- إسماعيل ، ١٢- إدريس ، ١٣- ذو الكفل ، ١٤- يونس ، ١٥- زكريا ،
- ١٦- يحيى . عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه .

وفي سورة مريم ، جاء ذكر عشرة رسل ، ليس فيهم آدم أبو البشر عليه
السلام، وهم :

- ١- زكريا ، ٢- يحيى ، ٣- عيسى ، ٤- إبراهيم ، ٥- إسحاق ،
 - ٦- يعقوب ، ٧- موسى ، ٨- هارون ، ٩- إسماعيل ، ١٠- إدريس .
- عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه .

٨ - والقرآن الكريم يشير إلى رسالة الأنبياء بتعابير وأساليب مختلفة ،
منها :

﴿وإلى عاد أخاهم هوداً﴾

﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾

﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾ .

أو يستعمل أسلوب :

﴿واذكر في الكتاب إبراهيم ، إنه كان صديقاً نبياً﴾ .

﴿واذكر في الكتاب موسى، إنه كان مخلصاً، وكان رسولا نبياً﴾ .
﴿واذكر في الكتاب إسماعيل، إنه كان صادق الوعد، وكان رسولا نبياً﴾ .

﴿واذكر في الكتاب إدريس، إنه كان صديقاً نبياً، ورفعناه مكاناً علياً﴾ .

أو يستعمل أسلوب :

﴿وإنَّ إِيَّاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ .

﴿وإنَّ لُوطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ .

﴿وإنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ .

﴿يَسَّ * وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ .

مع العلم أنه لم يرد في القرآن الكريم أية إشارة إلى نبوة ورسالة آدم عليه السلام، بل وردت إشارات إلى موانع النبوة مثل قوله سبحانه: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ وأن آدم عليه السلام كان مفتقراً إلى أهم خصائص النبوة والرسالة (العزيمة) وقد أشار إلى ذلك المولى عز وجل: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل، فنسي، ولم نجد له عزماً﴾ . [صدق الله العظيم] .

*** . . ***

أقوال العلماء
والمفسرين القدامى والمعاصرين
في أولية نبوة نوح عليه السلام ورسالته

في شرحهم للآية ١٦٣، من سورة النساء، وهو قوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾.

*** . . ***

١ - روى عن قتادة رضي الله عنه - وهو من كبار التابعين في التفسير والحديث، توفي سنة ١١٧ هـ، أنه قال: ذُكِرَ لنا أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق، ثم اختلفوا بعد ذلك، فبعث الله نوحاً، وكان أول رسول أرسله الله إلى الأرض، وبُعِثَ عند الاختلاف من الناس، فبعث الله رسوله وأنزل كتابه يحتج به على خلقه.

[من الدر المنثور]

٢ - وقال الإمام البغوي في تفسيره المسمّى [معالم التنزيل]: وبدأ بذكر نوح عليه السلام، لأنه كان أبا البشر مثل آدم عليه السلام. . . ولأنه أول نبي من أنبياء الشريعة.

٣ - وقال الإمام فخر الدين الرازي في التفسير الكبير: وإنما بدأ بذكر نوح، لأنه أول نبي شرع الله تعالى على لسانه الشرائع والأحكام.

٤ - وقال الإمام القرطبي في تفسيره [الجامع لأحكام القرآن]: (إلى نوح) قدّمه لأنه أول نبي شرعت على لسانه الشرائع.

٥ - وقال الإمام أبي السعود في تفسيره المسمى (تفسير أبي السعود) ،
وإنما بدىء بذكر نوح لأنه أبو البشر ، وأول نبي شرع الله على لسانه
الشرائع والأحكام .

٦ - وقال العلامة علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف
بالخازن في تفسيره المسمى [لباب التأويل في معاني التنزيل] قال
المفسرون : وإنما بدأ الله عز وجل بذكر نوح عليه السلام لأنه أول نبي
بُعِثَ بشريعة ، وأول نذير على الشرك ، وأنزل الله عليه عشر صحائف ،
وكان أول من عذبت أمته لردّهم دعوته .

٧ - وقال الشيخ الخطيب الشربيني في تفسيره المسمى [السراج المنير] ،
وبدأ بذكر نوح عليه السلام ، لأنه كان أبا البشر مثل آدم ، ولأنه أول نبي
من أنبياء الشريعة .

٨ - وقال العلامة الشيخ إسماعيل حقي البرسوي في تفسيره المسمى [روح
البيان] ، بدأ بذكر نوح لأنه أبو البشر ، وأول نبي عذبت أمته لردّهم
دعوته ، وأشار إلى حديث أبي ذر الطويل في عدد الأنبياء ، ثم قال : وخبر
الواحد لا يفيد اليقين ، ولا عبرة بالظن في الاعتقادات .

٩ - وقال الإمام الألوسي في تفسيره المسمى [روح المعاني] : وبدأ
سبحانه بنوح عليه السلام لأنه أول نبي عوقب قومه ، وقيل : لأنه
أول من شرع الله تعالى على لسانه الشرائع والأحكام ، وتعقب بالمنع .
وقال الشيخ محمد رضيد رضا : ولم يذكر لهذا المنع سنداً .

١٠ - وقال الدكتور محمد محمود حجازي في تفسيره المسمى [التفسير
الواضح] : ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ أي
كما أوحينا إلى المشهورين من الأنبياء قبلك كـ«نوح» ، وخصّ بالذكر
أولاً لأنه أقدم نبي مرسل ، .

١١ - وقال الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق - تغمده الله برحمته - في كتابه [الإسلام عقيدة وشريعة] صفحة ١٨ : ومن هنا وجب الإيمان بجميع رسله الذين قصّهم علينا من نوح عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام.

١٢ - وقال الشهيد سيد قطب في كتابه [في ظلال القرآن]: إنَّ الوحي للرسول ليس بدعاً وليس غريباً، فهو سُنَّة الله في إرسال الرسل من نوح عليه السلام إلى محمد عليه السلام.

١٣ - وقال العلامة الشيخ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره: وقد بدأ بذكر نوح لأنه أقدم الأنبياء..

١٤ - ويقول فضيلة العلامة الجليل الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود، رئيس المحاكم الشرعية في قطر في رسالته [إتحاف الأحفياء برسالة الأنبياء] صفحة ٧ : ومثله قوله في آدم وأنه هو أول الرسل - يشير إلى حديث أبي ذر الطويل الذي رواه ابن مردويه - فيقول الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود: والصحيح أن أول الرسل نوح عليه السلام، مستشهداً بقوله سبحانه: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾.

ثم قال في رسالته [الإيمان بالأنبياء بجملتهم، وضعف حديث أبي ذر في عددهم]، (. . . لأن القرآن لا يثبت لآدم نبوة ولا رسالة، وما كان ربُّك نسياً، وإنما هو أبو البشر، يُذنب فيتوب، يقول الله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾^(١). ثم قال: وأصح وأصرح ما ورد بفضله (آدم)، هو قوله سبحانه: ﴿إِن اللَّه اصْطَفَى آدَمَ

(١) طه : ١٢١ - ١٢٢ .

ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴿٢﴾، وليس فيها ما يدل على نبوته بالصراحة، لكون الاصطفاء افتعال من الصفوة، ولا يلزم أن تكون نبوة، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (٣) ومن المعلوم أن مريم ليست بنبية، وإنما هي امرأة صالحة من صفوة نساء العالمين، والصحيح أن أول الرسل نوح وآخرهم محمد ﷺ، وحتى آدم نفسه يعترف بأن أول الرسل نوح، كما في حديث الشفاعة الذي رواه أنس، وأنه يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيلهمون ذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، فأراحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقتك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا إلى ربك، حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول لهم آدم: لست هناك، ويذكر ذنبه الذي أصاب، فيستحي من ربه عز وجل، ويقول: ولكن ائتوا نوحاً، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض. رواه البخاري. وهذا الحديث قاطع للنزاع، ويعيد الخلاف إلى مواقع الاجماع. ثم إن القائلين بنبوة آدم، ليس عندهم دليل سوى محض الظن والتخمين. اهـ.

١٥ - وقال الإمام السيد محمد رشيد رضا في تفسير المنار: بدأ الله تعالى بذكر نوح لأنه أول نبي مرسل.

١٦ - وفي تفسير [البحر المحيط] لأبي حيان قال في شرحه للآية ١٦٣، من سورة النساء: (وقدّم نوحاً، وجرده منهم في الذكر، لأنه الأب الثاني وأول الرسل).

(٢) آل عمران : ٣٣ .

(٣) آل عمران : ٤٢ .

١٧ - وفي تفسير [فتح القدير المسمى الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير] للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني الذي قال في شرحه للآية ١٦٣ من سورة النساء:

(وخصّ نوحاً لكونه أول نبيّ شرعت على لسانه الشرائع).

١٨ - وفي تفسير [الميزان في تفسير القرآن] للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي في شرحه للآية ١٦٣ من سورة النساء: «ونوح أول نبيّ جاء بكتاب وشرعة».

*** . . ***

دلائل وإشارات على أولية نبوة نوح ورسالته كما جاءت في سورة المؤمنون . . . سورة الأعراف

ففي سورة المؤمنون :

﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه، فقال: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، أفلا تتقون﴾ * فقال الملأ الذين كفروا من قومه: ما هذا إلا بشرٌ مثلكم، يريد أن يتفضل عليكم، ولو شاء الله لآنزل ملائكةً، مَا سَمِعْنَا بهذا في آبائنا الأولين * إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ، فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ قال: رَبِّ انصُرني بما كَذَّبُونِ﴾ [المؤمنون : ٢٣ - ٢٦] .

فلو كان هناك أنبياء سبقوا نوحاً، لكان على نوح أن يرد على الملأ الذين كفروا من قومه بالإشارة إلى من سبقه بالنبوة كآدم و شيث وإدريس جد نوح - كما يقول النَّسَّابَة - أو كما تشير - بالأصح - التوراة المحرَّفة .

*** . . . ***

وبعد سورة المؤمنون، ننتقل إلى سورة الأعراف :

﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه، فقال يا قوم اعبدوا الله، ما لكم من إله غيره، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

فقال الملأ من قومه: إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ *

قال : يا قوم ليس بي ضلالة، ولكني رسولٌ من ربِّ العالمين * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي، وَأَنْصَحُ لَكُمْ، وَأَعْلَمُ مِمَّنْ اللَّهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * أَوْ عَجِبْتُمْ

أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ، وَلِتَتَّقُوا، وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ؟؟

فكذبوه،

فأنجيناهُ والذين معه في الفُلكِ،
وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا، إنَّهم كانوا قوماً عمين ﴿١﴾.

*** . . . ***

﴿وإلى عادِ أخاهم هوداً،

قال : يا قوم اعبدوا الله ، ما لكم من إلهٍ غيره ، أفلا تتقون؟
قال الملأ الذين كفروا من قومه : إنا لنراك في سفاهة ، وإنا لنظنُّكَ مِنَ
الكاذبين .

قال : يا قوم ليس بي سفاهة ، ولكنِّي رسولٌ مِّن ربِّ العالمين * أبلغكم
رسالاتِ ربِّي ، وأنا لَكُمْ ناصحٌ أمين * أو عجبتم أن جاءكم ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ
على رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ، واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قومِ نوح ،
وزادكم في الخَلْقِ بسطة ، فاذكروا آلاءَ الله لعلَّكم تفلحون ﴿٢﴾
[الأعراف : ٥٩ - ٦٩] .

وفي السياق القرآني علمنا:

١ - إنَّ هوداً جاء بعد نوح : ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم
نوح﴾ في حين أن نوحاً ما قال لقومه : (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم
آدم أو شيث أو إدريس) أليس ذلك دليلاً على أولية نبوة ورسالة نوح عليه
السلام؟

٢ - ثم جاء من بعد هود عليه السلام نبيُّ الله ورسوله صالح عليه السلام
الذي قال بدوره لقومه : ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء مِن بَعْدِ عاد﴾
[الأعراف : ٧٤] .

آراء العلماء والمفسرين المؤكدة لأولية نبوة نوح ورسالته في شرحهم للآية ٥٩ من سورة الأعراف

١ - قال العلامة الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني في تفسيره للآية ٥٩ من سورة الأعراف: ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ «وهو أول الرسل إلى أهل الأرض»، ثم قال: وما قيل من أنّ إدريس كان قبل نوح فقال ابن العربي: إنه وهم.

٢ - وقال العلامة الإمام السيوطي في شرحه للآية ٥٩ من سورة الأعراف: «أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر عن أنس رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «أول نبي أرسل نوح».

٣ - وقال العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره [الميزان في تفسير القرآن]، في شرحه للآية ٥٩ من سورة الأعراف: «بدأ الله سبحانه بقصته، وهو أول رسول يذكر الله سبحانه تفصيل قصته في القرآن، كما سيأتي تفصيل قصته في سورة هود.

٤ - وقال الدكتور محمد محمود حجازي في تفسيره المسمى [التفسير الواضح]، في تفسيره للآية ٥٩ من سورة الأعراف: «ونوح هو النبي الأول الذي أرسل إلى قومه، كما ثبت في حديث الشفاعة».

٥ - وقال العلامة الشيخ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره للآية ٥٩ من سورة الأعراف:

«ونوح أول رسول أرسله الله إلى المشركين، كما هو رأي كثير من المحققين، كما ثبت في حديث الشفاعة وغيره.

٦ - وقال الإمام السيد محمد رشيد رضا في تفسير المنار في شرحه للآية ٥٩ من سورة الأعراف:

﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى يومه﴾:

«ونوح أول رسول أرسله الله تعالى إلى قوم مشركين، هم قومه، كما ثبت في حديث الشفاعة وغيره».

*** . . ***

أقوال العلماء والمفسرين في شرحهم لبعض الآيات القرآنية

١ - الإمام ابن كثير وتفسيره لآية البقرة : ٢١٣ :

﴿كان الناس أمة واحدة، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق، بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾.

*** . . ***

قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية :

قال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا أبو داود، أخبرنا همام عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس: قال:

كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله : ﴿كان الناس أمة واحدة فاختلفوا...﴾ وكذا روى أبو جعفر الرازي عن أبي العالية عن أبي بن كعب أنه كان يقرأها: ﴿كان الناس أمة واحدة، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين﴾.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن قتادة في قوله: ﴿كان الناس أمة واحدة﴾، قال: كانوا على الهدى جميعاً، ﴿فاختلفوا، فبعث الله النبيين﴾، فكان أول من بُعث نوحاً. وهكذا قال مجاهد، كما قال ابن عباس أولاً.

وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ يقول: وكانوا كفّاراً ﴿فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين﴾، والقول الأول عن ابن عباس أصحّ سنداً ومعنى، لأنّ الناس كانوا على ملة آدم حتى عبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم نوحاً، فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض.

٢ - الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغي

وتفسيره لسورة الحديد : ٢٦ :

﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم، وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب، فمنهم مهتد، وكثير منهم فاسقون﴾.

يقول الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغي في تفسيره لهذه الآية: نوح أول الرسل إلى الأرض؛ وإبراهيم قد انتسب إليه أكثر الأنبياء، وعظم في كل الأديان، ومن ذريته الأنبياء الذين جاءوا بالكتب الأربعة: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان؛ وهو من ذرية نوح أيضاً، فالنبوة والكتاب لا تخرج عن ذريتهما، ولذلك خصّ بالذكر.

*** . . ***

٣ - الشهيد سيد قطب وتفسيره لسورة نوح :

﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾

يقول الشهيد في تفسيره لهذه السورة:

هذه القصة كلها تقصّ قصة نوح عليه السلام مع قومه، وتصف تجربة من تجارب الدعوة في الأرض، وتمثل دورة من دورات العلاج الدائم الثابت المتكرر للبشرية، وشوطاً من أشواط المعركة الخالدة بين الخير والشر، والهدى والضلال، والحق والباطل.

ثم قال:

تبدأ السورة بتقرير مصدر الرسالة والعقيدة وتوكيده: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ...﴾. فهذا هو المصدر الذي يتلقى منه الرسل التكليف، كما يتلقون حقيقة العقيدة... وهو المصدر الذي صدر منه الوجود كله، وصدرت منه الحياة. وهو الله الذي خلق البشر وأودع فطرتهم الاستعداد لأن تعرفه وتعبد، فلما انحرفوا عنها وزاغوا أرسل إليهم رسله، يردونهم إليه. ونوح عليه السلام كان أول هؤلاء الرسل - بعد آدم عليه السلام - وآدم لا يذكر القرآن له رسالة بعد مجيئه إلى هذه الأرض، وممارسته لهذه الحياة؛ ولعله كان معلماً لأبنائه وحفدته، حتى إذا طال عليهم الأمد بعد وفاته ضلّوا عن عبادة الله الواحد، واتخذوا لهم أصناماً آلهة. اتخذوها في أول الأمر أنصافاً ترمز إلى قوى قدّسوها. قوى غيبية أو مشهورة. ثم نسوا الرمز وعبدوا الأصنام! وأشهر تلك الخمسة التي سيرد ذكرها في السورة. فأرسل الله إليهم نوحاً ليردهم إلى التوحيد، ويصحح لهم تصوّرهم عن الله وعن الحياة والوجود. والكتب المقدسة السابقة تجعل إدريس - عليه السلام - سابقاً لنوح. ولكن ما ورد في هذه الكتب لا يدخل في تكوين عقيدة المسلم. لشبهة التحريف والتزييد والإضافة إلى تلك الكتب.

*** ... ***

التناقض والاضطراب
في أقوال بعض العلماء والمفسرين
حول أولية نبوة نوح ورسالته .
وأولية نبوة آدم ورسالته !

يقول الله سبحانه عن القاعدة القرآنية الأصولية :

﴿أفلا يتدبرون القرآن، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾^(١) كما أن القاعدة الفقهية الأصولية تقول: [لا حجة مع التناقض] أي لا تعتبر الحجة ولا يعمل بها مع قيام التناقض فيها أو في دعوى المدعي .
ولا بدّ لنا من شرح السبب الذي يجعل بعض العلماء والمفسرين يتخبطون في الجمع بين نبوة آدم وبين أولية نبوة نوح عليه السلام . . .
ذلك أن عالم التفسير يبدأ أولاً بتفسير القرآن من فاتحة الكتاب، ثم البقرة، ثم آل عمران، ثم النساء، ثم المائدة، ثم الأنعام، ثم الأعراف، وهكذا إلى آخر سور القرآن . وحينما يصل المفسر إلى آل عمران - بعد الفاتحة والبقرة - يجد قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ، فيقول : بما أن نوحاً عليه السلام ثبتت نبوته ورسالته، فلا بد أن يكون آدم نبياً، ولكنه يغفل أن معنى الاصطفاء إمّا أن ينسحب على الجميع وعلى آل إبراهيم ووالد إبراهيم الكافر لأنه من آل إبراهيم، وآل عمران وفيهم عمران والد مريم عليها السلام، فيذكر نبوته . .

(١) النساء : ٨٢

وإما أن ينتبه إلى أن معنى الاصطفاء هو الاختيار، أو أن المقصود هو اصطفاء الدين، كما في قول إبراهيم لبنيه ويعقوب عليهما السلام: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ أو أن ينتبه المفسر إلى السياق القرآني في قصص القرآن، وأن هدف هذا القصص جاء لإثبات بشرية عيسى لا من أجل إثبات النبوة لآدم عليه السلام. . ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذرية بعضها من بعض، والله سميع عليم، وأن هدف القصة ﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾.

ثم يستمر المفسر في التفسير وينتهي من آل عمران ويبدأ في سورة النساء، وحينما يصل إلى الآية ١٦٣: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ يقرأ ما كتبه قبله من المفسرين من أن نوحاً عليه السلام هو أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض يقول في تفسيره لهذه الآية: (وبدأ بذكر نوح عليه السلام، لأنه كان أبا البشر مثل آدم عليه السلام. . . ولأنه أول نبي من أنبياء الشريعة)، هذا ما قاله الإمام البغوي.

ثم يأتي من بعده الإمام فخر الدين الرازي فيقول:

(وإنما بدأ بذكر نوح لأنه أول نبي شرع الله تعالى على لسانه الشرائع والأحكام).

ومن بعده جاء تفسير أبي السعود، وقال صاحبه:

(وإنما بدأ بذكر نوح لأنه أبو البشر، وأول نبي شرع الله على لسانه الشرائع والأحكام)

وهكذا ينقل علماء التفسير بعضهم عن بعض، وقد يزيد بعضهم في الشرح أو يعدل في الصيغة كالحازن الذي قال:

(وإنما بدأ الله بذكر نوح عليه السلام لأنه أول نبي بُعث بشريعة، وأول

نذير على الشرك، وأنزل الله عليه عشر صحائف - ولا أدري من أين أتى بالمقطع الأخير - ويزيد، وكان أول من عُذِّبَتْ أُمَّتُهُ لردِّهم دعوته).

ثم جاء الشيخ إسماعيل حقي البرسوي وقال:
(بدأ بذكر نوح لأنه أبو البشر، وأول نبيِّ عُذِّبَتْ أُمَّتُهُ لردِّهم دعوته، ويلاحظ أن المقطع الأخير أخذه عن الخازن، ثم قال مشيراً إلى حديث أبي ذر الطويل في عدد الأنبياء: وخبر الواحد لا يفيد اليقين، ولا عبرة بالظن في الاعتقادات).

في حين أن الشيخ الخطيب الشربيني اكتفى بالقول:
(وبدأ بذكر نوح عليه السلام، لأنه كان أبا البشر مثل آدم، ولأنه أول نبيٍّ من أنبياء الشريعة).

ثم جاء الألوسي فقال:
وبدأ سبحانه بنوح عليه السلام لأنه أول نبي عوقب قومه، وقيل لأنه أول من شرع الله تعالى على لسانه الشرائع والأحكام)، ثم قال: وتُعَقَّبُ بالمنع، وقال الشيخ محمد رشيد رضا: ولم يذكر لهذا المنع سنداً.

ثم جاء الدكتور محمد محمود حجازي في [التفسير الواضح] فقال:
(إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنَّبِيِّينَ من بعده) أي كما أوحينا إلى المشهورين من الأنبياء قبلك كنوح، وخصَّ بالذكر أولاً لأنه أقدم نبيٍّ مرسل).

وحينما وصل في تفسيره إلى سورة الأعراف قال في شرحه للآية ٥٩:
﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾:
(ونوح هو النبيُّ الأول الذي أرسل إلى قومه، كما ثبت في حديث الشفاعة).

وتبعه أحمد مصطفى المراغي الذي قال: (وقد بدأ بذكر نوح لأنه أقدم الأنبياء)، ثم قال في شرحه للآية ٥٩ من الأعراف: (ونوح أول رسول أرسله الله إلى المشركين، كما هو رأي كثير من المحققين كما ثبت في حديث الشفاعة وغيره).

ثم جاء الإمام محمد رشيد رضا. . . وحينما وصل إلى سورة آل عمران قال في آية الإصطفاء:

(أي اختارهم وجعلهم صفوة العالمين وخيارهم بجعل النبوة والرسالة فيهم) وهنا ظهرت شبهة اعتراف بنبوة آدم)، وأضاف: فآدم أول البشر ارتقاء إلى هذه المرتبة، فإنه بعدما تنقل في الأطوار إلى مرتبة التوبة والإنابة، اصطفاه تعالى واجتباها كما قال في سورة طه: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾، فكان هادياً مهدياً. . .)، ثم قال عن نوح: (وأما نوح عليه السلام فقد حدث في عهده ذلك الطوفان العظيم، فانقرض من السلائل البشرية من انقرض، ونجا هو وأهله في الفلك، فكان بذلك أباً ثانياً للجنم الغفير من البشر، وكان هو نبياً مرسلًا).

أرأيت إلى وصف الإمام محمد رشيد رضا لآدم: فكان هادياً مهدياً، وإلى وصفه لنوح: وكان هو نبياً مرسلًا!

وحينما وصل الإمام محمد رشيد رضا في تفسيره إلى الآية ١٦٣ من سورة النساء قال:

(بدأ الله تعالى بذكر نوح لأنه أول نبي مرسل).

ولما وصل إلى سورة الأنعام، ووجد ذكر (١٨) رسولاً ليس من بينهم آدم كتب بحثه القيم: [تحقيق مسألة الإيمان بالرسول إجمالاً وتفصيلاً وعدد الرسل المذكورين في القرآن]، وهو يقع في عشر صفحات من الفولسكاب، وكان أول دراسة مفصلة عن آدم والرسول، قال فيه:

(. . . .) وليس في القرآن نص قطعي صريح في رسالة آدم عليه السلام، بل

مفهوم قوله تعالى في سورة النساء الآية ١٦٣: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ ، أن نوحاً أول نبي مرسل ، أوحى الله إليه رسالته وشرعه ، ويؤيده في الجملة هذه الآيات التي نفسرها وما في معناها كقوله تعالى في سورة الحديد ، الآية ٢٦ : ﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب﴾ ، ثم استشهد بحديث الشفاعة من رواية أبي هريرة وأنس بن مالك الذي يقول : « ولكن اتوا نوحاً أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض » ، ولكنه لم ينتبه إلى الحديث الآخر في كتاب التوحيد من صحيح البخاري ، كما لم ينتبه أي عالم ومفسر إليه في حدود علمي والذي يقول فيه : « ولكن اتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض » ، ولو أنه اطلع عليه لأشار إليه ولقطع يقيناً بعدم نبوة آدم عليه السلام .

ثم انتهى الإمام السيد محمد رشيد رضا إلى أن عدد الرسل المجمع على وجوب الإيمان برسالتهم - لأن نص القرآن فيها قطعي - ثلاثة وعشرون رسولاً فقط !

ثم قال عن الأحاديث : (وأما الأحاديث فليس فيها نص قطعي الرواية والدلالة على رسالة آدم ، وقال عن حديث أبي ذر الطويل : فالحديث يختلف الحفاظ فيه ، فجزم ابن الجوزي بأنه موضوع وحقق السيوطي في [مختصر الموضوعات] أنه ضعيف ، وذكر ذلك في [الدر المنثور] واتفقوا على انتقاد ابن جبان لذكره إياه في صحيحه ، كما صرح بذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره ، وقال عن حديث أبي ذر : (وقد علمت أن حديث أبي ذر الذي نص على ذلك في سياق عدد الأنبياء والرسل لا يحتج به في الأحكام العملية التي يكتفى فيها بالدليل الظني ، بله هذه المسألة الاعتقادية التي يطلب فيها اليقين ، لأن أهون ما قيل فيه إنه ضعيف ، وقيل إنه موضوع ، ولو وجدوا حديثاً صحيحاً أو حسناً في إثبات رسالة آدم لما لجأوا إلى ذكره !) .

ثم قال الإمام محمد رشيد رضا:

(وأما مسألة نبوته وهو كونه موحى إليه من الله تعالى ففيها حديث آحادي رواه البيهقي وغيره عن أبي أمامة، قال: إن رجلاً قال: يا رسول الله أنبيأ كان آدم؟ قال: نعم معلّم مكلم، وقد فُسِّرَ المعلّم في كتب غريب الحديث بالملهم للخير والصواب. . . ثم قال السيد محمد رشيد رضا: (ولكن دلالة ما ذكر على نبوته غير قطعية. ، فإن الجمهور لا يجعلون كل وحي نبوة. .) ثم قال: (ثم إنه يحتمل أن يكون خطاب آدم في قصة خلقه من خطاب التكوين لا التكليف، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً، قَالَتَا: أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾، وقد قال الشاذلي من كبار العلماء والصوفية: وَهَبْ لَنَا التَّلْقِيَّ مِنْكَ كَتَلْقَى آدَمَ مِنْكَ الْكَلِمَاتِ، ليكون قدوة لولده في الأعمال الصالحات. ولو كان التلقي نصّاً قطعياً في نبوته لما طلبه هذا العالم العارف باللغة وأساليبها).

ثم استشهد الإمام محمد رشيد رضا بحديث عياض بن حماد المجاشعي المرفوع عند محمد ابن اسحاق الذي ذكر فيه آدم فقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ وَبَنِيهِ حَنَفَاءَ مُسْلِمِينَ، وَأَعْطَاهُم الْمَالَ حَلَالاً لَا حَرَامَ فِيهِ، فَجَعَلُوا مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ حَرَاماً وَحَلَالاً»، وفي معناه آثار. والمراد من ذلك في مسألتنا أن الله تعالى فطر آدم على معرفته وتوحيده وشكره وعبادته، وزاده هدى بما كان يلهمه إياه من الأقوال والأفعال وبما يصل إليه من اجتهاده كما قيل في عبادة النبي ﷺ في الغار قبل البعثة، وقد يزداد على ذلك إرشاد الملائكة له ولأولاده، فقد كانوا بطهارة فطرتهم يرون الملائكة، كما ورد في تعليمهم إياهم تجهيز أبيهم ودفنه حين توفي، ولسنا بصدد تمحيص أمثال هذه الروايات، ولكن مجموعها يؤيد الحديث المصرّح بنبوة آدم.

ثم قال: (فيهذا التفصيل يُعلم وجه ما اشتهر على ألسنة العلماء من القول بنبوة آدم ورسالته، مع عدم وجود النصّ القاطع، بل مع وجود النص

المعارض)، أي النافي للنبوة والرسالة . ولذلك كان رأيه النهائي حينما وصل إلى سورة الأعراف قال في شرحه للآية : ٥٩ : ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ : (ونوح هو النبي الأول الذي أرسل إلى قومه كما ثبت في حديث الشفاعة) .

والأمور مرهونة بخواتيمها، والرأي الأخير هو الرأي النهائي ^(١) المعتمد، وأن اقرار الإمام الشيخ محمد رشيد رضا بأن نوحاً هو النبي الأول فيه النفي الصريح لنبوة آدم وإلا قال بالتناقض والقاعدة الأصولية الفقهية تقول : (لا حجة مع التناقض) .

** . . ** . . **

وما يقال عن الإمام السيد محمد رشيد رضا يقال عن الشهيد سيد قطب صاحب الظلال الذي قال في تفسيره لآية الاصطفاء : (ويبدأ هذا القصص ببيان من اصطفاهم الله من عباده واختارهم لحمل الرسالة)، وهو يقصد قصة عيسى عليه السلام لا قصة آدم ولا نوح . والسياق القرآني جاء ليقرر أن عيسى ليس ابناً لله ولكنه ينحدر من ذرية بشرية تنتهي إلى المصطفى الأول آدم عليه السلام : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ . ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ، أي ذرية بشرية تنتهي إلى أبي البشر آدم عليه السلام الذي تشابه قصته قصة عيسى عليه السلام : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران : ٥٩]

(١) كان خالد بن الوليد في أول أمره مشركاً يحارب الرسول وأصحابه، وكان على رأس المشركين الذين قاتلوا في غزوة أحد ثم دخل في الإسلام وأصبح خالد سيف الله المسلول، والأمور مرهونة بخواتيمها . [المؤلف]

وحينما وصل الشهيد سيد قطب في تفسيره إلى الآية ١٦٣ من سورة النساء قال في شرحه لهذه الآية : (إنَّ الوحي للرسول ليس بدعاً وليس غريباً، فهو سُنَّةُ الله في إرسال الرسل من عهد نوح إلى عهد محمد عليه السلام).

ولما وصل في تفسيره إلى سورة الأعراف قال في شرحه للآية ٥٩ : ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ :

(إنَّ كل رسول من الرسل صلوات الله عليهم جميعاً، قد جاء إلى قومه بعد انحرافهم عن التوحيد الذي تركهم عليه رسولهم الذي سبقه . . فبنو آدم الأوائل نشأوا موحدين لربِّ العالمين - كما كانت عقيدة آدم وزوجه - ثم انحرفوا بفعل العوامل التي أسلفنا - حتى إذا جاء نوح عليه السلام دعاهم إلى توحيد ربِّ العالمين مرة أخرى . ثم جاء الطوفان فهلك المكذبون ونجا المؤمنون . وعمرت الأرض بهؤلاء الموحدين لربِّ العالمين - كما علّمهم نوح - وبذراريهم . حتى إذا طال عليهم الأمد انحرفوا إلى الجاهلية كما انحرف من كان قبلهم . . حتى إذا جاء «هود» أَهْلِكَ المكذبون بالريح العقيم . . ثم تكررت القصة . . وهكذا . . .).

وحينما وصل في تفسيره لسورة الحديد، قال :

﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم، وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب﴾، فهي شجرة واحدة باسقة، متشابكة الفروع، فيها النبوة والكتاب، ممتدة من فجر البشرية منذ نوح، حتى إذا انتهت إلى إبراهيم تفرّعت وامتدت وانبثقت النبوات من ذلك الفرع الكبير الذي صار أصلاً باسقاً ممتداً إلى آخر الرسالات).

ولما وصل في نهاية المطاف إلى تفسيره لسورة نوح، قال :

(ونوح عليه السلام كان أول هؤلاء الرسل - بعد آدم عليه السلام - وآدم

لا يذكر القرآن له رسالة بعد مجيئه إلى هذه الأرض، وممارسته لهذه الحياة، ولعله كان معلماً لأبنائه وحفدته). وهذا هو رأي الشهيد سيد قطب النهائي بالنسبة لنبوة آدم عليه السلام في أواخر سور القرآن.

إذن، فالرأي النهائي للمفسر هو المعول عليه لا الرأي الأول، كما أن إيمان خالد بن الوليد الأخير هو المعتبر، ولم يعد من الجائز أن نقول: كان خالد بن الوليد مشركاً يقاتل رسول الله والمؤمنين في معركة أحد، فالإسلام يجب ما قبله.

وهكذا يكون رأي بقية المفسرين الذين قالوا رأيهم النهائي في أولية نبوة نوح ورسالته عليه السلام في سورة النساء والأعراف، لا في سورة آل عمران عند آية الاصطفاء...

** ... **

التناقض والاضطراب في أقوال العلماء والمفسرين:

نقل الإمام الطبري شيخ المفسرين عن قتادة في تفسيره لآية الاصطفاء قوله: (رجلان نبيان اصطفاهما الله على العالمين)، وهذا الكلام المنسوب لقتادة الذي روى حديث أولية نبوة نوح في حديث الشفاعة الذي يقول فيه آدم: ائتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض،

والسؤال الآن:

— ألا يجوز أن يكون أحد الرواة وهم ونسب إليه قولاً لم يقله قتادة؟
— أم قد يكون ما نسب إلى قتادة صحيحاً وهم ونسي كما ينسى كثير من العلماء والمفسرين فيقولون كلاماً متناقضاً مضطرباً، كما نذكر أمثلة من هذا التناقض والاضطراب لبعض العلماء.

فهذا الإمام العلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني في تفسيره المسمى
[الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير] يقول في شرحه للآية ١٦٣
من سورة النساء :

(وخصّ نوحاً لكونه أول نبيّ شرعت على لسانه الشرائع والأحكام)، وقال
في شرحه للآية ٥٩ من سورة الأعراف : ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ : . . . وهو
أول الرسل إلى أهل الأرض بعد آدم ، وما قيل من أن إدريس كان قبل نوح فقال
ابن العربي : إنه وهم . . .

ثم قال في سورة الأنعام : (. . . وإلياس ، قال الضحاك : هو من ولد
إسماعيل ، وقال القعني : هو من سبط يوشع بن نون . وقيل : الياس هو إدريس ،
وهذا غير صحيح ، لأن إدريس جدّ نوح ، وإلياس من ذريته ، وقيل : الياس هو
الخضر! . . .)

فكيف يجمع الشوكاني : بين قول ابن العربي من أن إدريس كان قبل نوح
بأنه وهم ، وبين قوله : (وإلياس هو إدريس ، وهذا غير صحيح لأن إدريس جدّ
نوح) ؟ ! .

اللهم ليس هناك من تفسير إلا التناقض والاضطراب في أقوال بعض العلماء
والمفسرين .

*** . . . ***

وهذا العلامة الإمام القرطبي يقول في تفسيره لآية الاصطفاء :

(اصطفى) : اختار ، ثم قال : والتقدير : إن الله اصطفى دينهم ، وهو دين
الإسلام ، فحذف المضاف . ثم قال (ونوحاً) : وهو شيخ المرسلين ، وأول رسول
بعثه الله إلى أهل الأرض ، بعد آدم . . .

ثم قال : ومن قال : إن إدريس كان قبله - من المؤرخين - فقد وهم ، على
ما يأتي بيانه في الأعراف (راجع ج ٧ ص ٢٣٢) .

وفي سورة الأعراف قال:

(...). ونوح أول الرسل إلى أهل الأرض - بعد آدم عليه السلام - بتحريم البنات والأخوات والعَمَّات والخالات. قال ابن العربي: ومن قال إن إدريس كان قبله - من المؤرخين - فقد وهم. والدليل على صحة وهمه الحديث الصحيح في الإسراء، حين لقي النبي ﷺ آدم وإدريس فقال له آدم: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح. وقال له إدريس: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح، فلو كان إدريس أباً لنوح لقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح. فلما قال له: والأخ الصالح دلّ ذلك على أنه يجمع معه في نوح صلوات الله عليهم جميعاً، ولا كلام لمنصف بعد هذا. ثم قال: وجاء الآباء ههنا كنوح (*)، وإبراهيم وآدم: مرحباً بالابن الصالح.

ثم قال القرطبي في سورة الأنعام:

(...). وتوهم قوم أن اليسع (هو) إلياس، وليس كذلك لأن الله تعالى أفرد كل واحد بالذكر وقال وهب: اليسع (هو) صاحب إدريس، وكانا قبل زكريا ويحيى وعيسى، وقيل: إلياس هو إدريس - وهذا غير صحيح - لأن إدريس جدّ نوح، وإلياس من ذريته (أي من ذرية نوح)، وقيل: إلياس هو الخضر! وقيل: اليسع هو الخضر! (ج ٧ ص ٣٣).

فكيف يجمع القرطبي بين قوله: ومن قال: إن إدريس كان قبله - من المؤرخين - فقد وهم، وبين قوله: وقيل: إلياس هو إدريس - وهذا غير صحيح - لأن إدريس جدّ نوح؟!

اللهم لا شيء إلا التناقض والاضطراب في أقوال بعض المفسرين!!

*** . . . ***

(*) مع العلم أنه لم يرد في حديث الإسراء أن النبي ﷺ رأى نوحاً في السماء [المؤلف].

وقال الإمام القرطبي في الجزء الثاني ص ١٣٥ :

(ولقد اصطفيناه - إبراهيم - في الدنيا) أي اخترناه للرسالة ، فجعلناه صافياً من الأدناس ، واللفظ مشترك من الصُّفوة ، ومعناه تخير الأصفى . ثم قال : وبنو إبراهيم : إسماعيل وأمه هاجر . . وهو الذبيح في قول ، وإسحاق أمه سارة . . . وهو الذبيح في قول آخر ، وهو الأصح ، على ما يأتي بيانه في سورة الصافات إن شاء الله !

كيف يقع هذا الإمام الكبير في خطأ كبير كهذا ، فيقول عن إسحاق : وهو الذبيح في قول آخر ، وهو الأصح على ما يأتي بيانه في سورة الصافات إن شاء الله ، وكل الأدلة من كتاب الله ومن شهادة خاتم النبيين : «أنا ابن الذبيحين» ، والتاريخ والواقع وجمهرة كبيرة من صحابة رسول الله ، منهم علي وابن عمر وأبو هريرة ومن التابعين سعيد بن جبير ومجاهد والشعبي والحسن البصري وسعيد بن المسيب وغيرهم ، ونحن سنكتفي بنصوص القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كما جاء في سورة الصافات : ﴿وقال إني ذاهبٌ إلى ربِّي سيهديني ربِّي هب لي من الصالحين﴾ فبشرناه بغلام حلیم * فلما بلغ معه السعي قال : يا بُنَيَّ إني أرى في المنام أنني أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال : يا أبتِ افعل ما تؤمر ، ستجدني إن شاء الله من الصابرين * ، فلما أسلما وتلَّه للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين * إن هذا لَهُوَ البلاءُ المبين * وفديناه بذبح عظيم * وتركنا عليه في الآخرين * سلام على إبراهيم * كذلك نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين * وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ﴿ [الصافات : ٩٩ - ١١٢] .

كيف يكون الذبيح إسحاق والبشارة بإسحاق كانت بعد قصة الذبيح إسماعيل ؟

اللهم لا شيء إلا التناقض والاضطراب وعدم الدقة في فهم النصوص في تفسير بعض المفسرين ؟ ! .

أولية نبوة نوح ورسالته من السنة النبوية الصحيحة

الحديث الأول من صحيح البخاري: الجزء السادس ص ١٠٥ - ١٠٦ :

حدّثنا محمد بنُ مقاتل، أخبرنا عبد الله، أخبرنا أبو حيان التيمي عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

أتى رسولُ الله (ﷺ) بلحم، فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه، فنهس منها نهسةً، ثم قال: أنا سيّد الناس يوم القيامة، وهل تدرون ممّ ذلك؟ يُجمَعُ النَّاسُ الأولين والآخرين في صعيد واحد، يُسمِعُهُمُ الداعي وينفذهم البصرُ وتدنو الشمسُ، فيبلغ النَّاسُ من الهم والكرب ما لا يطيقون، ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربّكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربّك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إنّ ربّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنّه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح إنّك أنت أوّل الرُّسل إلى أهل الأرض، وقد سمّاك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربّك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ الخ . . . [رواه البخاري ومسلم والترمذي].

الحديث الثاني من صحيح البخاري: الجزء الثامن ص ١٤٤ - ١٤٥ :

حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال:

قال رسول الله (ﷺ) «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا، فيأتون آدم فيقولون: أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربنا، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، ويقول: ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله، فيأتونه» . . الخ .

الحديث الثالث من صحيح البخاري: الجزء التاسع ص ١٤٩ :

حدثني معاذ بن فضالة، حدثنا هشام عن قتادة عن أنس: أن النبي (ﷺ)

قال:

«يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أما ترى الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا إلى ربنا حتى يُريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناك، ويذكر لهم خطيئته التي أصاب، ولكن ائتوا نوحاً، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحاً . . . الخ .

الحديث الرابع من صحيح البخاري: الجزء التاسع ص ١٦٠ - ١٦١ :

وقال حجاج بن منهل: حدثنا همام بن يحيى، حدثنا قتادة عن أنس

رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال:

«يُحبسُ المؤمنون يوم القيامة حتى يُهْمُوا بذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا، فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو الناس، خلقك الله

بيده ، وأسكنك جنته ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ، اشفع
لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول : لست هناكم ، قال : ويذكر
خطيئته التي أصاب أكله من الشجرة وقد نُهي عنها ، ولكن ائتوا نوحاً أول نبي
بعثه الله إلى أهل الأرض ، فيأتون نوحاً . . . الخ .

*** . . ***

وقد رأينا - حتى يزداد اطمئنان القارئ الكريم إلى صحة أحاديث الشفاعة
التي تثبت أولية النبوة والرسالة لنوح عليه السلام على لسان آدم أبي البشر - أن
نثبت تراجم رواة هذه الأحاديث وآراء علماء الجرح والتعديل في هؤلاء الرواة
الثقات :

تراجم رواة أحاديث الشفاعة

١ - مسدد بن مسرهد

مسدد بن مسرهد : بن مسربل البصري الأسدي أبو الحسن الحافظ .
روى عن عبد الله بن يحيى بن أبي كثير . . وفضيل بن عياض . . وحماد بن
زيد . . وأبي عوانة . . روى عنه البخاري وأبو داود ، وروى له أبو داود والترمذي
والنسائي بواسطة محمد بن محمد بن خلاد الباهلي . . وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان ،
وغيرهم .

قال يحيى بن معين بن سعيد القطان : لو أتيت مسدداً فحدثته في بيته لكان
يستاھل . وقال أبو زرعة : قال لي أحمد بن حنبل : مسدد صدوق فيما كتبت عنه
فلاتعده .

وقال الميموني : سألت أبا عبد الله الكتاب إلى مسدد ، فكتب لي إليه ، وقال :
نعم الشيخ عافاه الله تعالى .

وقال جعفر بن أبي عثمان : قلت لابن معين عن من أكتب بالبصرة ؟ فقال : اكتب
عن مسدد فإنه ثقة ثقة . وقال النسائي : ثقة . وقال العجلي : مسدد بن مسرهد ابن
مسربل بن مستورد الأسدي البصري ثقة ، كان يملي عليّ حتى أضجر ، قال يا أبا
الحسين : اكتب ، فيملي عليّ بعد ضجري خمسين حديثاً .

وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : ثقة .

وقال أبو عمرو بن حكيم، قال أبو حاتم الرازي: في حديث مسدد عن يحيى بن سعيد عن عقبة أيضاً عن نافع عن ابن عمر كأنها الدنانير، ثم قال: كأنك سمعتها من في النبي ﷺ. وقال البخاري وغير واحد: مات سنة ثمان وعشرين ومائتين.

وقال ابن عدي: إنه أول من صنف المسند بالبصرة، وذكره ابن حبان في الثقات. [تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ١٠ ص ١٠٧].

*** . . . ***

٢ - أبو عوانة الواسطي

الوضاح ابن عبد الله الشكري مولى يزيد بن عطاء أبو عوانة الواسطي البزار، كان من سبي جرجان.

رأى الحسن وابن سيرين، وسمع من معاوية بن قرة حديثاً واحداً، وروى عن أشعث بن أبي الشعثاء والأسود بن قيس وقتادة. . وخلق كثير.

روى عنه شعبة ومات قبله، وابن علية وأبو داود، وأبو الوليد الطيالسيان. . وعبد الرحمن بن مهدي. . وحجاج بن منهال ومسدد وآخرون.

قال أبو حاتم: سمعت هشام بن عبد الله الرازي يقول: سألت ابن المبارك: من أروى الناس أو اضمن الناس حديثاً عن مغيرة؟ قال: أبو عوانة.

وقال أحمد بن سنان: سمعت ابن مهدي يقول: كتاب أبي عوانة أثبت من حفظ هشيم. وقال مسدد: سمعت يحيى القطان يقول: ما أشبه حديثه بحديثهما، يعني أبو عوانة وشعبة وسفيان.

وقال عفان: كان أبو عوانة صحيح الكتاب كثير الحجم والنقط، وكان ثباتاً، وأبو عوانة في جميع حاله أصح حديثاً عندنا من شعبة.

وقال أحمد ويحيى: ما أشبه حديث أبي عوانة بحديث الثوري وشعبة، قال: وكان أميناً وثقة.

وقال محمد بن محبوب: مات في ربيع الأول سنة ست وسبعين ومائة وذكره ابن حبان في الثقات.

[تهذيب التهذيب: ج ١١ ص ١١٦].

٣ - معاذ بن فضالة

معاذ بن فضالة الزهراني ، ويقال الطفاوي ، ويقال مولى قريش أبو زيد البصري .
روى عن هشام الدستوائي ، وأبي حفص بن ميسرة الصنعاني ، وسفيان الثوري وعمر
ابن قيس سندي وعبد الرحمن بن شريح ويحيى بن أيوب وغيرهم .

وعنه البخاري والذهلي وأبو حاتم وأحمد بن منصور الرمادي ويعقوب بن سفيان
وغيرهم . وحدث عنه ابن وهب وهو أكبر منه . قال أبو حاتم : ثقة صدوق . .

وذكره ابن حبان في الثقات .

قال ابن يونس : مات بعد سنة مائتين .

قلت : قرأت بخط الذهبي : مات سنة بضع عشرة ومائتين .

[تهذيب التهذيب لابن حجر : ج ١٠ ص ١٩٣] .

*** . . ***

٤ - هشام بن أبي عبد الله الدستوائي

هشام بن أبي عبد الله الدستوائي المصري . . كان يبيع الثياب التي تجلب من
دستواء ، فنسب إليها ، وربما قيل له : الدستوائي .
روى عن قتادة ويوسف الاسكاف وغيرهم .

وعنه ابنه عبد الله ومعاذ وشعبة بن الحجاج ، وهو من أقرانه ، وابن المبارك وعبد
الوارث بن سعيد وابن مهدي ويحيى القطان . . ويزيد بن زريع ويزيد بن هارون وأبو
داود وأبو الوليد الطيالسيان ، ومعاذ بن فضالة وآخرون .

قال يزيد بن زريع : كان أيوب قبل الطاعون يأمرنا بهشام والأخذ عنه .

وقال أمية بن خالد عن شعبة : ما من الناس أحد ، أقول إنه طلب الحديث يريد به
وجه الله تعالى إلا هشام . وكان يقول : ليتنا ننجم منه كفافاً ، قال شعبة : فإذا كان هشام
يقول هذا فكيف نحن ؟

وقال علي بن الجعد : سمعت شعبة يقول : كان هشام أحفظ مني عن قتادة . وقال
أيضاً : كان أعلم بحديث قتادة مني ، وذكره ابن علي في حفاظ البصرة .

وقال أبو هشام الرفاعي عن وكيع : حدثنا هشام وكان ثباً .

وقال يحيى بن معين : كان يحيى بن سعيد إذا سمع الحديث من هشام لا يبالي أن لا يسمعه من غيره .

وقال أبو داود الطيالسي : هشام الدستوائي أمير المؤمنين في الحديث .
وذكره ابن حبان في الثقات .

[تهذيب التهذيب لابن حجر ، ج ١١ ص ٤٣] .

٥ - حجاج بن المنهال

حجاج بن المنهال الأنماطي ، أبو محمد السلمي ، وقيل البرساني مولا هم البصري .
روى عن جرير بن حازم والحمادين وشعبة وعبد العزيز الماجشون وهمام ويزيد بن إبراهيم التستري وغيرهم . وعنه البخاري . روى له الباقر بن واسطة الدارمي . .
وروى عنه أبو مسعود وابن وارة الرازيان ويعقوب بن شيبه ويعقوب بن سفيان وغيرهم .
وقال أحمد : ثقة ما أرى به بأساً .

وقال أبو حاتم : ثقة فاضل . وقال العجلي : ثقة ، رجل صالح . وقال النسائي :
ثقة . وقال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث .

مات في شوال سنة ٢١٧ ، وذكره ابن حبان في الثقات .

[تهذيب التهذيب : ج ٢ ص ٢٠٦] .

*** . . ***

٦ - همام بن يحيى

همام بن يحيى بن دينار الأسدي العوزي المحلمي ، مولا هم أبو عبد الله ، ويقال أبو بكر البصري ، روى عن عطاء بن رباح وإسحاق بن أبي طلحة ويزيد بن أسلم وأبي جمرة الضبعي وقتادة ونافع مولى ابن عمر ويحيى بن أبي كثير وغيرهم . وعنه الثوري وهو من أقرانه ، وابن المبارك وابن علي ووكيع وابن مهدي ، وأبو داود ، وأبو الوليد الطيالسيان وعمرو بن عاصم وحجاج بن منهال . . وآخرون .
قال عمر بن شيبه عن عفان :

كان يحيى بن سعيد يعترض على همام في كثير من حديثه ، فلما قدم معاذ نظرنا في كتبه فوجدناه يوافق هماماً في كثير مما كان يحيى ينكره ، فكفّ يحيى بعد عنه .
وقال أحمد بن سنان عن يزيد بن هارون : كان همام قوياً في الحديث .

وقال صالح بن أحمد عن أبيه : هَمَّامٌ ثبت في كل المشائخ .
وقال أبو حاتم عن أحمد : سمعت ابن مهدي يقول : هَمَّامٌ عندي في الصدق ،
مثل ابن أبي عروبة .
وقال ابن محرز عن أحمد : هَمَّامٌ ثقة ، وهو أثبت من أبان العطار في يحيى بن
أبي كثير .
وقال الحسين بن الحسن الرازي عن ابن معين : ثقة صالح ، وهو أحب إليّ في
قتادة من حمّاد بن سلمة .
وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين : هَمَّامٌ في قتادة أحب إليّ من أبي عوانة .
وقال ابن المبارك : هَمَّامٌ ثبت في قتادة .
قال محمد بن محبوب : مات سنة ثلاث وستين ومائة . وذكره ابن حبان في
الثقات .
[تهذيب التهذيب : ج ١١ ص ٦٧] .

□.□.□

الفصل الثامن حوار ونقاش حول نبوة آدم ورسالته

١ - بداية الحوار .

٢ - حوار ونقاش حول نبوة آدم ورسالته .

٣ - شبهات وردود :

أ - الأوليّة النسبية . . . والأوليّة المطلقة !

ب - أوليّة نبوة نوح عليه السلام . . ومفهوم المخالفة !

ج - الرّدة المزعومة . . . وانقلاب النكاح إلى سفاح !

** . . ** . . **

بداية الحوار

قبل عدّة سنوات كنت في محلة البسطة الفوقا في بيروت، وحن موعد صلاة الجمعة، فذهبت إلى مسجد تلك الناحية، واستمعتُ إلى خطبة الجمعة قبل الصلاة، ويظهر أنّ الخطيب ليس من المشايخ الذين تنتدبهم مديرية الأوقاف، بل كان أحد المتطوعين الذين يدرسون عند أحد الشيوخ، وكان موضوع الخطبة عن «نبوة آدم»، وكان مما قاله الخطيب: «إن إحدى المدارس تدرّس تلاميذها كتاباً دينياً لا يشير إلى نبوة آدم، وقال: إنّ من لا يؤمنُ بنبوة آدم فقد خرج من عداد المسلمين. وبعد انتهاء الخطبة والصلاة، سلّمت على الخطيب وقلت له: لقد فوجئت بهذه الخطبة عن نبوة آدم، وفوجئت بتكفيرك من لم ير أو يقول بنبوة آدم، وحرصاً مني على البقاء في حظيرة الإيمان والمؤمنين، أرجو أن تبين لي دليل نبوة آدم من كتاب الله أو من حديث الرسول الصادق الأمين ﷺ .

فأجاب : بأن نبوة آدم، أشار إليها القرآن الكريم في قوله في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (١).

(١) آل عمران: ٣٣.

فقلتُ له : وهل كلمة [اصطفاء] تدلُّ على النبوة؟

قال : نعم .

قلت : إذن ، فإن مريم ابنة عمران عليها السلام نبية لأن الله سبحانه وتعالى قال عنها في نفس السورة : ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) .

قال : بعض العلماء يقولون بنبوة مريم .

قلت : ولكن القرآن الكريم نصَّ على ذكورية الأنبياء في ثلاث آيات من كتابه الكريم ، ففي سورة النحل : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ (٣) وفي سورة الأنبياء : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤) ، وفي سورة يوسف : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ (٥) .

وقلتُ له : هل لديك دليل آخر على نبوة آدم من كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ ؟

قال : لا ، وسأراجع شيخي في ذلك .

وقد سررت منه حينما عجز عن الحجة ، فلم يكابر ، ولم تأخذه العزة بالاثم ، بل طلب مهلة لمراجعة شيخه والإتيان بالدليل ، وهذه فضيلة أسجلها له .

ومنذ ذلك الحين بدأت أفكر بهذا الموضوع .

*** . . . ***

(٢) آل عمران : ٤٢ .

(٣) النحل : ٤٣ .

(٤) الأنبياء : ٧ .

(٥) يوسف : ١٠٩ .

حوار ونقاش حول نبوة آدم عليه السلام ورسالته

قال لي صديقي :

كنا في اجتماع مع بعض الأصدقاء، وجاءت قصة آدم أثناء المناقشة، وتطور الحوار حول نبوة آدم، فرد أنصار نبوة ورسالة آدم عليه السلام إلى أن نبوة آدم ثابتة في حديث المعراج، حيث أن رسول الله ﷺ رأى آدم في السماء الأولى، كما رأى عيسى ويحيى عليهما السلام في السماء الثانية، وفي السماء الثالثة رأى يوسف عليه السلام، وفي الرابعة إدريس وفي الخامسة هارون، وفي السادسة موسى، وفي السابعة إبراهيم، عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه، وكلهم أنبياء، وأضاف: أليس هذا دليلاً على نبوة آدم عليه السلام؟

قلت له: وأنا أسأل بدوري: هل كل من رأى الرسول الكريم في رحلة المعراج من خلق الله، كانوا من الأنبياء؟ لقد رأى رسول الله قوماً يزرعون في يوم ويحصدون في يوم، وكلما حصدوا عاد كما كان. فسأل الرسول عنهم جبريل عليه السلام، فكان جواب جبريل: إنهم المجاهدون في سبيل الله، تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة.

ورأى رسول الله ﷺ قوماً تُرَضَّخُ رؤوسهم بالحجارة، وكلما رُضِّخَتْ

عادت كما كانت، فسأل: من هؤلاء يا جبريل؟ فأجاب جبريل: إنهم أولئك الذين تتأكل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة.

ويرى الرسول قوماً بين أيديهم لحم نضيج في قدر، ولحم آخر نبيء قدر خبيث، فجعلوا يأكلون من اللحم النّبيء الخبيث ويدعون النضيج الطيب، فيسأل الرسول جبريل: من هؤلاء يا جبريل؟ فيقول جبريل: هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيبة، فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً فتأتي رجلاً خبيثاً فتبيت معه حتى تصبح.

وتتوالى الأسئلة من الرسول الكريم وتتوالى الأجوبة من جبريل:

.. ثم أتى على جحرٍ صغير يخرج منه ثورٌ عظيم، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع. فقال الرسول: ما هذا يا جبريل؟ فيرد جبريل:

* هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردّها. — ويرى الرسول أقواماً بطونهم كأمثال البيوت، كلما نهض أحدهم خرّ، فيسأل رسول الله عنهم فيجيب جبريل:

* إنهم ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾.

— ويرى خاتم النبيين أقواماً مشافرهم كمشافر الإبل، تفتح أفواههم فيلقمون كرات من نار، ثم تخرج من أسافلهم. فيسأل عنهم الرسول الكريم جبريل عليه السلام، فيجيب جبريل عليه السلام:

* إنهم: ﴿الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾.

فهل الذين تتأقل رؤوسهم عن الصلاة، والزُّناة، والذين يأكلون الربا من الأنبياء؟

وسؤالي الثاني يا صاحبي:

لقد رأى رسول الله في رحلة المعراج بعض الأنبياء، ولكنه لم ير كل الأنبياء، فلم ير نوحاً عليه السلام أول رُسُلِ الله إلى أهل الأرض، ولم ير هوداً أو صالحاً أو شعيباً أو لوطاً، ولم ير إسحاق ويعقوب عليهما السلام، ولم ير داود عليه السلام صاحب الزبور، أو سليمان الحكيم عليه السلام، ولم ير أيوب ويونس وإلياس وبقية الأنبياء. فهل هذا يعدُّ دليلاً على عدم نبوة هؤلاء الأنبياء البررة يا صاحبي؟ وعلى كل حال، فرواية البخاري تقول: حينما عرج بالرسول إلى السماء الأولى... (ففتح لنا، فلما خلصت، فإذا فيها آدم فقال جبريل: هذا أبوك آدم، فسلم عليه. فسلمت عليه، فردَّ السلام، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح). ولم يقل جبريل: هذا نبي الله آدم أو هذا أول أنبياء الله ورسله فسلم عليه!

ثم جاءني صديقي في اليوم الثاني، فقال:

لقد استأنفنا اليوم المناقشة حول نبوة آدم، ونقلت للمشاركين حوارك معي بالأمس، فانبهر بعضهم للدلالة على نبوة آدم بأنَّ ابني آدم قابيل وهابيل اختلفا، فقدَّم كل واحدٍ منهما قرباناً، ﴿فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾، فقال قابيل: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾، فردَّ هابيل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾. وأضاف هابيل: ﴿لَنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾. فمن أين علِمَ هابيل معنى التقوى ومخافة الله؟ لا بدَّ أن يكون آدم عليه السلام أخبرهما بالتقوى ومخافة الله، أليس هذا دليلاً على نبوة آدم عليه السلام؟ فأجبتُه: ليس هذا بدليل يا صاحبي.

فقال : ولماذا؟

فقلت : لأنَّ الله عزَّ وجلَّ حينما خَلَقَ آدمَ، وقبل أن يَأْمُرَ الملائكة بالسجود إليه، علَّمَ الله آدَمَ الأسماء كُلَّهَا، منها أسماء الأشياء، والجنة والشجرة، والطاعة، والمعصية، والعدالة، والظلم والتقى والجحود الخ، ولذلك خاطب الله آدم وزوجه: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا، وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ، فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ * فأزلهما الشيطان عنها، فأخرجهما مِمَّا كَانَا فِيهِ، وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ، وَلَكِنْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ *

فتلقى آدم من ربه كلماتٍ، فتاب عليه، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ *
قلنا اهبطوا منها جميعاً.

فإِذَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى، فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ، فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ *

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿
[البقرة : ٣٥ - ٣٩].

وفي سورة الأعراف :

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ، فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا، وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ، فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

وبعد أن أَكَلَا مِنَ الشَّجَرَةِ:

﴿قَالَا : رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا، وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

حينئذ خاطبهم المولى عز وجل :

﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ، وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى

حِينَ *

قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ، وَفِيهَا تَمُوتُونَ، وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾.

ثُمَّ كَانَ الْخُطَابُ لِبَنِي آدَمَ:

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا، وَلِبَاسُ
التَّقْوَى، ذَلِكَ خَيْرٌ، ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾

وكان التحذير لبني آدم ألا يكرروا غلطة أبويهم:

﴿يَا بَنِي آدَمَ، لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ، يَنْزِعُ
عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا، إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ، إِنَّا
جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وكان التوجيه لهم أيضاً:

﴿يَا بَنِي آدَمَ، خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ،
وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

وكانت الوصية والتنبيه لاستقبال الرسل من ذرية آدم دون الإشارة إلى

آدم:

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ، يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي، فَمَنِ اتَّقَى
وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا
عَنْهَا، أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ
كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾.

ومعنى ذلك يا صاحبي، أن القرآن الكريم أثبت أن الرسل سيأتون من
ذرية آدم وليس آدم، ومعنى ذلك أيضاً أن الله سبحانه سوى بين من ينكر نبوة

نَبِيٍّ وَبَيْنَ مَنْ يَفْتَرِي عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ فَيُدَّعِي نُبُوَّةً لَمْ يَقُلْ بِهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَوْ
الرَّسُولُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ

وبدأت الرسالة بنوح عليه السلام، وهو من ذرية آدم، وجاءت الرسل
بعده من ذريته: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ، وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ
وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد: ٢٦].

ولذلك قال الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغي في تفسيره: لهذه
الآية:

«نوح أول الرسل إلى الأرض؛ وإبراهيم قد انتسب إليه أكثر الأنبياء،
وعظم في كل الأديان، ومن ذريته الأنبياء الذين جاءوا بالكتب الأربعة:
التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان؛ وهو من ذرية نوح أيضاً، فالنبوة
والكتاب لا تخرج عن ذريتهما، ولذلك خصّا بالذكر».

*** . . . ***

وفي اليوم الثالث جاءني وفد يريد مناقشتي في أدلة نبوة آدم، فقال
أحدهم:

ألا تؤمن بنبوة إدريس عليه السلام؟

قلت: ومن يستطيع إنكار نبوة إدريس، وقد قال الله سبحانه في سورة
مريم: ﴿وَإِذْ ذُكِّرَ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسُ، إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾.

قال: وقد ثبت أن إدريس عليه السلام كان قبل نوح. بل ثبت أن نبي
الله «شيث» كان من أبناء آدم، وقد نزلت عليه خمسون صحيفة، فكيف تزعم
أن نوحاً عليه السلام هو أول رسل الله إلى أهل الأرض؟

قلت: يا صاحبي: ومن أخبرك أن إدريس عليه السلام كان قبل نوح،
هل كتاب الله نصّ على ذلك؟

قال: بل كُتِبَ التاريخ يقولون هذا!

قلت : والأصح أن تقول إن هذه المعلومات جاءت من التوراة
المحرّفة، وليس من أهل التاريخ، لأن أهل التاريخ نقلوا عن التوراة،
والصحيح أن القرآن الكريم لم يتحدّث عن إرسال إدريس قبل نوح، ولا عن
نبيّ الله «شيث» ولم يعدّ علماء المسلمين «شيثاً» من الأنبياء الذين يجب
الإيمان بهم تفصيلاً،

يقول صاحب كتاب [في ظلال القرآن] في شرحه لقوله تعالى : ﴿واذكر
في الكتاب إدريس، إنه كان صديقاً نبياً، ورفعناه مكاناً عليّاً﴾ :

«ولا نملك نحن تحديد زمن إدريس، ولكن الأرجح أنه سابق على
إبراهيم، وليس من أنبياء بني إسرائيل، فلم يرد ذكره في كتبهم. والقرآن
يصفه بأنه كان صديقاً نبياً، ويسجّل له أن الله رفعه مكاناً عليّاً. فأعلى قدره،
ورفع ذكره.

وهناك رأي نذكره لمجرد الاستئناس به، ولا نقرره ولا ننفيه، يقول به
بعض الباحثين في الآثار المصرية، وهو أن إدريس تعريب لكلمة «أوزيريس»
المصرية القديمة، كما أن يحيى تعريب لكلمة يوحنا. وكلمة اليَسَع تعريب
لكلمة إيلشع . . وأنه هو الذي صيغت حوله أساطير كثيرة .

*** . . ***

وجاء ذكر إدريس في سورة الأنبياء :

﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل، كلّ من الصابرين . وأدخلناهم في
رحمتنا، إنهم من الصالحين﴾ .
وقال سيد قطب في شرحه :

. . . . وأما إدريس، فقد سبق القول إن زمانه مجهول ومكانه مجهول . .

*** . . ***

فقال آخر: وعلى كل حال، فهناك أنبياء، وهناك رُسُل، وقد فرّق العلماء بين النَّبِيِّ والرسول، وآدم نبيّ وليس برسول، وعلى ذلك فيكون آدم عليه السلام أوّل الأنبياء.

فأجبتُه : أنا لا أفرّق بين النَّبِيِّ والرسول، وأنا أقول: النَّبِيُّ هو الرسول، والرسول هو النَّبِيُّ، ومن زعم غير ذلك فعليه بالدليل، وقد دلتُ على ذلك في الحديث الذي نشرته الرسالة الإسلامية في العدد ٨١ تاريخ شباط (فبراير) ١٩٨٧. ومع ذلك يا صاحبي إذا كنت تعتقد أنّ هناك فرقاً بين النَّبِيِّ والرسول، أعطني قائمة بالأنبياء، وقائمة بالرُّسل، وبعد ذلك نكمل نقاشنا، فهل لديك الآن قائمة بالأنبياء وقائمة بالرسل؟ قال: لا، قلت: إذن، نتوقف عن النقاش الآن لحين مجيئكم بالقائمتين.

وذهبوا على أن يعودوا، ولم يعودوا...

*** ... **

وجاءني أحدهم في اليوم الرابع يقول:
لماذا تنكر نبوة آدم التي أجمع عليها علماء المسلمين؟ ألا تعلم أنّ كلّ من شكّ في نبوة آدم عليه السلام فقد كفر؟

قلت : إسمع يا صديقي، أرجو أن تصحّ كلامك، أنا لم أنكر نبوة آدم، ولكنني لم اقتنع بنبوته، فعليك أولاً إثبات نبوته، وبعد إثباتها لي يمكنك أن تقول لي: لماذا أنكرت نبوة آدم، فالبيّنة على من ادّعى أولاً

قال : أليس إجماع المسلمين دليلاً على النبوة؟

قلت: يا صديقي، أنت تؤمن بنبوة خاتم الأنبياء والمرسلين لأنّ علماء المسلمين أجمعوا عليها، أم لأنّ القرآن الكريم أثبتها؟ وهل يحتاج محمد ﷺ لإجماع علماء المسلمين حتّى تثبت نبوته؟ لقد ثبتت نبوة محمد ورسالته

بالقرآن الكريم يا صديقي ، كما ثبتت نبوة ورسالة بقية الأنبياء والمرسلين .
ونبوتهم ورسالتهم ليست ثابتة بإجماع علماء المسلمين فقط ، بل بإجماع
المسلمين قاطبة .

ثم قلت له : هل قرأت شيئاً عن تعريف الإجماع يا صاحبي ؟

قال : نعم ،

قلت : أين ؟

قال : في كتاب الغزالي ،

قلت : اذهب ، واثني به ، هل قرأت عن الإجماع في كتاب [الإسلام

عقيدة وشريعة] لمحمود شلتوت ؟

قال : لا ،

قلت : أحضر كتاب «الغزالي» في الزيارة القادمة ، وسأحضر كتاب

«محمود شلتوت» لنستكمل نقاشنا على هدى وبصيرة

*** . . ***

وجاءني أحدهم في اليوم الخامس قائلاً : أريد أن أثبت لك نبوة آدم .

قلت : أرجوك أن تدلني على نبوته وأنا لك من الشاكرين ، ولكن أريد

إثباتها من كتاب الله العزيز أو من سنة الرسول الكريم .

فقال : سأثبتها من طريق آخر ،

قلت : نبوة آدم من غيب الله ، وأنت لا تملك الغيب ، وليس لاجتهاد

علماء المسلمين نصيب في الغيبات ، وعلماء الأصول يقولون : لا اجتهاد مع

النص ، فعليك بالدليل من كتاب الله أو من حديث رسول الله الصادق الأمين .

قال : اسمح لي أولاً بالكلام ، ثم آتيك فيما بعد بالدليل من الكتاب

والسنة .

وأضاف: لماذا لا تؤمن أنت بنبوّة آدم التي أجمع عليها علماء المسلمين؟

قلت: دَعُكَ من حكاية إجماع العلماء، وهاتِ الدليل رأساً من النبع الصافي لا من السواقي العكرة، وأنا لم أر دليلاً على نبوّة آدم من كتاب الله، بل قرأت في كتاب الله عزّ وجل: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾^(١)، وقرأت قول ربّ العزة في سورة طه: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي، ولم نجد له عزماً﴾^(٢)

قال: المعصية ليست بممانعة من النبوة.

قلت: كيف؟

قال: إذا كان آدم عصى، فمحمد عصى!

قلت: أعوذ بالله، لقد وقعنا الآن في الكفر؟ هل تريد إثبات نبوّة آدم باتّهام محمد بالمعصية؟

قال: أليس الله سبحانه قال: ﴿واستغفر لذنبك﴾^(٣)، والذنب معصية.

قلت: محمد لم يعص الله، والله سبحانه قال: ﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾^(٤) محمد ﷺ اجتهد في بعض المواقف في مسائل لم ينزل بها وحي من السماء، وجاء القرآن الكريم يصوّب للرسول: ﴿ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾^(٥)، واجتهد ﷺ في قضية المعتذرين عن المشاركة في الجهاد، فقبل منهم علانيتهم ووكّل إلى الله سرائرهم، فجاء عفو الله يسبق العتاب الرقيق: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم،

(١) طه : ١٢١ .

(٢) طه : ١١٥ .

(٣) غافر : ٥٥ .

(٤) الأنعام : ١٥ .

(٥) الأنفال : ٦٧ .

حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦﴾ .

وعاتب ربُّ العزة رسوله ومصطفاه في قضية الأعمى ، وكان النبي ﷺ مشغولاً بأمر جماعة من كبراء قريش يدعوه إلى الإسلام حينما جاءه ابن أم مكتوم الرجل الأعمى الفقير - وهو لا يعلم أنه مشغول بأمر القوم - يطلب منه أن يعلمه ممَّا علَّمه الله ، فكره رسول الله ﷺ هذا ، وعبس وجهه وأعرض عنه ، فنزل القرآن الكريم يعاتب الرسول عتاباً شديداً : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يُزَكَّى ، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعُهُ الذِّكْرَى ، أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى ، فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ، وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّى ؟ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى ، فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى . كَلَّا ، إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ، فَمِنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٧﴾ ، جَاءَ هَذَا الْعِتَابُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ لمحمد الرسول الأمين لأنَّ الله سبحانه يريد أن يكون محمداً مثلاً للكمال الإنساني ، ولذلك استحق محمد ﷺ وسام ربِّ العِزَّة : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٨)

ثم طلبت من زائري إقفال باب المناقشة في هذا الموضوع .

وجاءني آخر ، فاعتذرت عن الخوض في موضوع آدم ، وقلت له سأنشر بحثاً وأوزعه على المسلمين وعلى علماء المسلمين خاصة ، وأترك المجال مفتوحاً للسادة العلماء ، وأنا على استعداد لتقبل كلِّ نقد بناءٍ أو تصحيحٍ أو حجةٍ أو دليل ، وأنا على استعداد للعودة عن رأيي إذا ثبت لي خطأ اجتهادي وجاءوني بالدليل ، ولي الشرف عندئذ أن أعود عن رأيي لأنَّ العودة عن الخطأ فضيلة . وإذا لم أقتنع بوجهة نظر العلماء الأجلاء فأنا على استعداد لإثبات وجهة نظرهم في كتابي لكي يطلع على الرأيين كلُّ ذي عقل راجح ، ثم يختار ما يهديه إليه عقله وعلمه .

(٦) التوبة : ٤٣ .

(٧) سورة عبس : ١ - ١٢ .

(٨) القلم : ٤ .

شبهات وردود

أ - الأولوية النسبية . . والأولية المطلقة!

ب - أولية نبوة نوح عليه السلام . . ومفهوم المخالفة!

ج - الردة المزعومة . . وانقلاب النكاح إلى سفاح!

أ - الأولوية النسبية . . والأولية المطلقة

جاءني بعض الأصدقاء ذات يوم مع شباب لا أعرفهم يريدون التباحث معي في مسألة أولية نبوة نوح ورسالته، فسألوني عن دليلي في أولية نبوة نوح ورسالته فأجبتهم:

دليلي من كتاب الله سبحانه، ومن حديث رسوله الخاتم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

أما الدليل من كتاب الله فهو الآية ١٦٣ من سورة النساء: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾

ففي هذه الآية تحديد الأولوية لنوح عليه السلام والنبيين من بعده، ولو كان آدم من الأنبياء أو لو كان هناك أنبياء قبل نوح لكان نصّ الآية (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى آدَمَ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ)، وهذا النص أكثر دقة في حال ثبوت نبوة آدم أو يمكن أن يكون نصّ الآية في حال وجود أنبياء قبل نوح:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ قَبْلِهِ وَمِنْ بَعْدِهِ﴾. أما وقد سكت القرآن عن قبل نوح فلا نستطيع القول على الله بغير علم ونقول: «والنبيين من قبله ومن بعده».

وقد عززنا هذا الفهم بحديث الشفاعة الذي رواه البخاري في صحيحه
عن أنس بن مالك وقول آدم عليه السلام لأهل الموقف :
«ولكن اتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض»، ولا يمكن أن يكون آدم
أول نبي ونوح أول نبي . . وإلا وقع التناقض ، والقرآن الكريم يقول :
﴿أفلا يتدبرون القرآن ؟ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾
[صدق الله العظيم].

ثم خرجوا من عندي والدهشة تعلو وجوههم . .
وبعد يومين طرخوا باب منزلي . . وقد جاءوا بمعلومات استقوها من بعض
المشايخ الذين راجعوا إليهم ونقلوا إليهم وجهة نظري . . يقولون : إن الأولوية
المذكورة في حديث الشفاعة هي أولوية نسبية . . وليست أولوية مطلقة، ونوح هو
النبي الأول بعد الطوفان . . وقد سبقه بالنبوة إدريس عليه السلام، وعززوا وجهة
نظرهم أو وجهة نظر مشايخهم بقوله تعالى : ﴿وأمرت لأن أكون أول
المسلمين﴾ وقوله عز وجل : ﴿وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ ، فهل معنى
هذه الآيات أن خاتم النبيين هو المسلم الأول؟

وقد أجبتهم على أدلتهم قائلًا :

- ١ - هل نص القرآن الكريم في الآية المثبتة لنبوة إدريس ﴿واذكر في
الكتاب إدريس، إنه كان صديقاً نبياً﴾ . أن إدريس عليه السلام أُرْسِلَ
قبل نوح عليه السلام ، وهل معنى قوله تعالى صديقاً تعني إرساله قبل نوح؟
- ٢ - هل فهم أحد من خلق الله أن قوله تعالى لخاتم الأنبياء : ﴿وأمرت لأن
أكون أول المسلمين﴾ أن محمداً عليه السلام أول مسلم على وجه الأرض ، أم
أن الجاهل والعالم فهما أن محمداً عليه السلام أمر أن يكون أول المسلمين من
هذه الأمة؟!

الحقيقة التي لا تغيب عن مسلم من أهل الأرض أن رسل الله جميعاً كانوا مسلمين من نوح عليه السلام إلى محمد عليه السلام، وهذا نوح يقول لقومه: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ، وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾. [يونس : ٧٢].

وهذا موسى عليه السلام يقول بأنه أول المؤمنين بعد أن أفاق من الصعقة: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ: رَبِّ أَرْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ، قَالَ: لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ، فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي، فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا، وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. [الأعراف : ١٤٣].

وقد سبق موسى إبراهيم الذي قال له ربُّه ﴿أَسْلِمَ، قَالَ: أَسْلَمْتُ لربِّ الْعَالَمِينَ﴾، ولذلك يقول الله عزَّ وجل لخاتم أنبيائه: ﴿قُلْ إِنِّي هِدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، دِينًا قِيمًا، مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾. [الأنعام : ١٦١ - ١٦٣].

والقرآن الكريم يأمر محمداً بإعلان أولية إسلامه كما جاء في سورة الزمر

: ١٢ - ١١

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي من هذه الأمة.

والخشية كل الخشية أن يأتي يومٌ يقول قومٌ بالنسبية، فيقولون عن أولية الله سبحانه: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ، وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد : ٣]، بأنها أولية نسبية وليست مطلقة!! ثم يقولون: إن ختم النبوة بمحمد ﷺ ليست ختمة مطلقة ولكنها نسبية، أو يزعم الزاعمون أن محمداً ﷺ هو خاتم النبيين، وليس خاتماً للرسل كما زعمت القاديانية!!.

ب - أولية نبوة نوح عليه السلام . . ومفهوم المخالفة!

في الزيارة الثانية للأصدقاء مع بعض الشباب . . قال الشباب :

لقد راجعنا مشايخنا وقالوا لنا :

إنّ مفهومي لآية النساء ١٦٣ : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ خاطيء ، واستدلالي بهذه الآية على عدم وجود أنبياء قبل نوح يعود إلى أخذي (بمفهوم المخالفة) الذي لا يأخذ به الأحناف . . هذا التفسير للآية مبني على ما يسميه الأصوليون (دلالة المفهوم) ، أي ما يستدل به من مفهوم النص ، وهو يقابل (دلالة المنطوق) ، وهي ما يؤخذ من النص مباشرة . . وأنّ هذه الطريقة في استنباط الحكم من النصوص ليست موضع اتفاق بين العلماء وخاصة الأحناف الذين لا يعتبرون (مفهوم المخالفة) طريقاً صحيحاً لاستنباط الأحكام من النصوص . . ولذلك فإنهم يعتبرون أن قوله تعالى : ﴿وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ ، لا تعني عدم وجود أنبياء قبل نوح . . ثم ضربوا مثلاً للدلالة على مبدأ (مفهوم المخالفة) بآية القصاص : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ : الْحُرُّ بِالْحُرِّ ، وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ، وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾^(١) ، وأضافوا : فلو أردنا تطبيق (مفهوم المخالفة) هنا لكان معناه أنّ الذكر لا يُقتل بالأنثى ، وأنّ الأنثى لا تُقتل بالذكر ، ولكن هناك نص آخر في هذا المجال

(١) البقرة : ١٧٨ .

وهو قوله تعالى : ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾^(٢) . لذلك يمتنع هنا العمل بمفهوم المخالفة ..

وضربوا مثلاً آخر بآية الأشهر الحُرْم من سورة التوبة : ﴿إنَّ عدَّةَ الشُّهُورِ عندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ، فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾^(٣) ، وتطبيقاً لهذه القاعدة يمكن أن تفهموا من نصِّ هذه الآية بأنَّ الله ينهى عن الظلم في الأشهر الحُرْم .. وأن الظلم غير منهي عنه في بقية الأشهر!

وقد أجبتهُم على ذلك قائلاً :

إنَّ معنى قوله تعالى : ﴿الحُرُّ بِالْحُرِّ والعبدُ بالعبد، والانثى بالأنثى﴾ ، ليس معناه أنَّ الذَّكَرَ لَا يُقْتَلُ بالأنثى، وأنَّ الانثى لَا تُقْتَلُ بالذَّكَرَ، بل الصحيح أنَّ الإسلام يقرر قاعدة القصاص الشاملة : ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾^(٤)، وعليه يُقْتَلُ الحُرُّ بالعبد، والعبدُ بالحُرِّ، والذَّكَرُ بالأنثى، والأنثى بالذَّكَرَ، والذَّميُّ بالمسلم، والمسلم بالذمي، والولد بالوالد، والوالد بالولد، فالكلُّ نفسٌ محرَّمة، ولوليَّها بنص القرآن حقُّ القصاص.

قال الشيخ محمود شلتوت في كتابه [الإسلام عقيدة وشريعة] صفحة

: ٣٦٩

قوله تعالى : ﴿الحُرُّ بِالْحُرِّ، والعبدُ بالعبد، والانثى بالأنثى﴾ .

نعم، خصَّصت الآية التي معنا، بعض الجزئيات بالذَّكَرَ، فقالت: الحُرُّ

(٢) المائدة : ٤٥ .

(٣) التوبة : ٣٦ .

(٤) المائدة : ٤٥ .

بالحرّ، والعبدُ بالعبدِ، والأنثى بالأنثى تأكيداً لإبطال ما كانوا عليه في الجاهلية وعدم الاكتفاء بقتل القاتل، خاصة، وليس هذا التخصيص بياناً لمعنى القصاص في القتلى، فإنه واضح لا يحتاج إلى بيان، كما أنه ليس لاتخاذ هذه الأوصاف أساساً لوجوب القصاص.

قال البيضاوي، وهو ممن يعتبرون المفهوم في النصوص:
(كان في الجاهلية بين حيّين من أحياء العرب دماء، وكان لأحدهما طُول على الآخر، فاقسموا: لنقتلن الحرّ منكم بالعبد، والذكر بالأنثى، فلما جاء الإسلام تحاكموا إلى الرسول ﷺ، فنزلت آية القصاص وأمرهم أن يتبارؤوا، ولا تدلّ على ألا يقتل الحر بالعبد، والذكر بالأنثى، كما لا تدل على عكسه، فإن المفهوم يعتبر حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر غرض سوى اختصاص (الحكم) . اهـ .

أما جوابنا على الآية الثانية (آية الأشهر الحرم):

إن كل مسلم يعلم بأنّ الله حرّم الظلم من يوم أن خلق السماوات والأرض، وسيظلّ الظلم محرّماً إلى يوم القيامة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والظلم حرام في كل زمان ومكان، ولكن الله جعل الظلم في الأشهر الحُرُم أشدّ حرمة من بقية الأشهر، وأنّ الله عز وجل سيعاقب من ظلم في الأشهر الحُرُم أكثر من عقابه من ظلم في غير الأشهر الحرم.

*** . . . ***

ثم قالوا :

إن الشافعية - وهم أصحاب القول بمفهوم المخالفة - وأكثر من يعتمد عليه لم يأخذوا به في هذه الآية. وأضافوا: إنّ كلمة [من بعده]، وردت في القرآن الكريم دون أن تعني [ما قبلها] بحيث لا يمكن الأخذ عندها (بمفهوم المخالفة)، مثال ذلك، قال تعالى :

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل﴾^(٥)، فهل يمكن هنا القول (بمفهوم المخالفة) الذي يؤدي إلى نفي وجود الرسل قبل موسى عليه السلام؟ وقال تعالى: ﴿اقتلوا يُوسُفَ أو اطرحوه أرضاً يَخُلُ لكم وَجْهُ أبيكم، وتكونوا من بعده قوماً صالحين﴾^(٦)، والكلام هنا على لسان إخوة يوسف، فهل يمكن هنا الأخذ (بمفهوم المخالفة)، ومعناه أن إخوة يوسف يعتبرون أنفسهم قبل قتله غير صالحين؟

وأجبتهم قائلاً:

إنَّ الكلمة الواحدة لها عدَّة معانٍ، ولا يفهم المعنى الحقيقي للكلمة، إلَّا من خلال السياق القرآني، ولذلك فإن قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب، وقفينا من بعده بالرسل﴾، لا يعني عدم وجود رسل قبل موسى، بل يعني أن الله سبحانه قد أرسل رسلاً بعد موسى، ولم يتوقف إرسال الرسل عند موسى عليه السلام، وكلُّ مسلم يعلم أن موسى من أنبياء بني إسرائيل وقد سبقه كثير من رُسُلِ الله كنوحٍ وهودٍ وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وشعيب عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه، وتبعه الرسل من بني إسرائيل حتَّى كان خاتمهم عيسى عليه السلام، ثم جاء خاتم الجميع محمد ﷺ. فسياق الآية جاء يؤكد استمرار النبوة بعد موسى وليس توقف الرسالة عند موسى عليه السلام! أو بدء الرسالة بموسى عليه السلام!

أما استشهادكم بقوله تعالى: ﴿اقتلوا يُوسُفَ أو اطرحوه أرضاً يَخُلُ لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين﴾ وتعليقكم على هذه الآية بالقول: (فهل يمكن هنا الأخذ بمفهوم المخالفة ومعناه أن إخوة يوسف يعتبرون أنفسهم قبل قتله غير صالحين)!!

(٥) البقرة : ٨٧ .

(٦) يوسف : ٩ .

فجوابنا على ذلك : أن إشارة القرآن تدلُّ على أن إخوة يوسف لم يكونوا صالحين قبل أن يفكروا بقتل يوسف، ولم يكونوا صالحين بعد أن عدلوا عن قتله إلى طرحه في غيابة الجب : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجَبِّ ﴾^(٧) كيف أجمعوا على طرح يوسف في غيابة الجب ويظن عاقل أنهم صالحون؟ كيف يمكن أن يجتمع الصلاح والفساد في وقت واحد؟؟ كيف يمكن أن يكونوا صالحين، وقد قالوا عن أبيهم : ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^(٨) ؟!

والقرآن الكريم استعمل كلمة (من قبل) و(من بعد)، للدلالة على أن الأمر يشمل (قبله) كما يشمل (بعده).

ففي سورة الروم : ﴿ اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ [الروم : ٤] .

وفي سورة الأعراف : ﴿ قَالُوا أَوْزَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ [الأعراف : ١٢٩] .

وفي سورة النور : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ، وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ، ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ، طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور : ٥٨] .

وفي سورة الفتح : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا، لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، وَيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ [الفتح : ١ - ٢] .

وفي سورة غافر : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ،

(٨) يوسف : ٨ .

(٧) يوسف : ١٥ .

وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ، وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ، فَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ ﴿﴾ [غافر : ٥] .

وهناك آيات قرآنية قصد بها (من بعد) دون (من قبل) كقوله تعالى في سورة آل عمران :

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ، وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟﴾ [آل عمران : ٦٥] .

فمن يستطيع الزعم أن التوراة والإنجيل نزلتا قبل إبراهيم؟
وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة : ٣٩] . أي فلا بد أن تكون التوبة والإصلاح من بعد الظلم لا قبله !

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ، ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا، إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل : ١١٩] ، أي أن المغفرة والتوبة سيكونان بعد التوبة والإصلاح لا قبلهما !

والقرآن الكريم حين أباح للمسلمين الزواج من المحصنات من أهل الكتاب سكت عن السماح لأهل الكتاب الزواج من المحصنات المؤمنات : ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ، وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ، وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ، إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ - أَيِ مَهْرَهُنَّ - مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة : ٥] . فعلى رأي حضراتكم إنَّ الأخذ هنا بمفهوم المخالفة لا يدل على عدم السماح لأهل الكتاب بالزواج من المحصنات المؤمنات !!

ولذلك فإنَّ قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ هذه الآية حدّدت النَّبِيَّ الأول، وحدّدت خاتم النَّبِيِّينَ، وتحدّثت

عن أنبياء جاءوا بعد نوح عليه السلام، وقبل محمد عليه السلام، وليس قبل نوح عليه السلام نبي، وليس بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي.

ثم جاءت أحاديث الشفاعة تؤكد هذه الحقيقة القرآنية على لسان آدم أبي البشر: « ائتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض ». وحسم الرسول الكريم هذه المشكلة على لسان آدم عليه السلام، والحمد لله رب العالمين.

وهذه آيات من القرآن الكريم دلّت على (القبلية) دون (البعدية):

﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدّق لما معهم، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، فلعنة الله على الكافرين﴾ [البقرة: ٨٩].

﴿قُلْ فَلِمَ تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين﴾ [البقرة: ٩١].
﴿كلّ الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ [آل عمران: ٩٣].

﴿قال يا أيها الملأ أئكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾ [النمل: ٣٨].

﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا، فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا﴾ [المجادلة: ٨].

﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وبحسب مفهوم حضراتكم أو حضرات علمائكم إنّ هذه الآية الأخيرة لا تعني عدم وجود رسل بعد محمد ﷺ، سيما أنها تقول بالأولية النسبية، والخوف كل الخوف أن يأتي قوم بعد ذلك ويقولون (بالقبلية) النسبية

و(البعدية) النسبية، ويقولون بأن ختم النبوة بمحمد ﷺ ليست ختمة مطلقة، بل إنها ختمة نسبية! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وبعد أن تحدّثنا عن الآيات القرآنية التي دلّت على (القبلية) دون (البعدية) يحسن بنا أن نشير إلى بعض الآيات التي دلّت على (البعدية) دون (القبلية).

(كذّبت قبلهم قومُ نوح والأحزاب من بعدهم) [الزمر: ٥].

(ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) [البقرة: ٥٢].

(ولئن اتّبع أهواءهم من بعد ما جاءك من البينات إنك إذًا لمن الظالمين) [البقرة: ١٤٥].

(وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولّوا مدبرين) [الأنبياء: ٥٧].

(والأرض بعد ذلك دحاها) [النازعات: ٣٠].

(وما تفرّق الذين أوتوا الكتاب إلّا من بعد ما جاءتهم البينة) [البينة: ٤].

(يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الأنثيين،

فإن كُنَّ نساءً فوق اثنتين فلهنّ ثلثا ما ترك،

وإن كانت واحدة فلها النصف، ولأبويه لكل واحد منهما السدس ممّا

ترك إن كان له ولد، فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأُمّه الثلث،

فإن كان له إخوة فلأُمّه السدس - من بعد وصيّة يوصي بها أو دين -

آبائكم وأبنائكم، لا تدرون أيُّهم أقرب لكم نفعا، - فريضة من الله، إن الله كان عليماً حكيماً.

ولكم نصفُ ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهنّ ولد،

فإن كان لهنَّ ولد فلكنَّ الرُّبْعُ مما تركن - من بعد وصية يوصين بها أو دين - ولهنَّ الرُّبْعُ ممَّا تركتم إن لم يكن لكم ولد،

فإن كان لكم ولد فلهنَّ الثُّمْنُ ممَّا تركتم - من بعد وصية تُوصون بها أو دين - وإن كان رجلٌ يورثُ كلاله أو امرأة وله أخ أو أخت فلكلَّ واحدٍ منهما السدس، فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث - من بعد وصية يوصى بها أو دين - غير مضارٍّ، وصية من الله، والله عليم حكيم ﴿ [النساء: ١١ - ١٢] .

ومعنى ذلك أنه لا يجوز توزيع التركة - إلا بعد إخراج مقدار الوصية والدين لا قبلهما، فهل تقولون: إن القرآن الكريم أخذ بمفهوم المخالفة، وأن النص على عدم توزيع التركة لا يعني عدم جواز توزيع التركة قبل استقطاع حصة الوصية والدين!!

وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾

وصدق رسول الله الذي قال على لسان أهل الموقف في حديث الشفاعة: (يا نوح أنت أول رسل الله إلى أهل الأرض)، وصدق آدم أبي البشر الذي قال لأهل الموقف: (اثبتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض) وليس بعد قضاء الله سبحانه وقضاء رسوله ﷺ قضاء: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾ [الأحزاب: ٣٦] .

وأخيراً نقول لكم: إننا نؤمن (بمفهوم الموافقة) ولا نؤمن (بمفهوم المخالفة)، ومفهوم الموافقة كما عرفه علماء أصول الفقه: (وهو أن يكون حكم غير المذكور موافقاً لحكم المذكور، وقد يكون غير المذكور أولى بالحكم من المذكور، وقد يكون مساوياً له)، مثاله:

– تحريم ضرب الوالدين الذال عليه قوله تعالى : ﴿فلا تقل لهما أفّ ولا تنهرهما﴾^(١) فعلم من حال التأفف وهو محل النطق (حال الضرب) وهو محل غير النطق مع الاتفاق وهو إثبات الحرمة بينهما .

فإذن . . مفهوم الموافقة . . هو غير مفهوم المخالفة!!

ونحن نؤمن بالأول . . ولا نؤمن بالثاني!

*** . . ***

(١) الإسراء : ٢٣ .

ج - الردّة المزعومة . . وانقلاب النكاح إلى سفاح !

قبل أكثر من ستين عاماً كتب العلامة الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه [قصص الأنبياء] تحت عنوان :

هل آدم نبيّ ورسول؟

والجواب : أن نبوة آدم قد أخذت دوراً مهماً من عدّة سنوات، إذ ظهر بمدينة «دمنهور» رجل أنكر أن يكون آدم نبياً، وقد رفعت عليه الدعوى بالمحكمة الشرعية، وصدر الحكم عليه بالتفريق بينه وبين زوجته لردّته بذلك الإنكار ولما استأنف الحكم إلى محكمة الإسكندرية كان كلامه أمامها : «إنّه لم ير لفظاً في القرآن يذكر آدم بالنبوة، وإنه يعتقد بنبوته» .

ولعلّ القارئ الكريم يدرك التناقض في قول المدعى عليه المستأنف الذي قال : «إنّه لم ير لفظاً في القرآن يذكر آدم بالنبوة»، والمنطق يقول في غياب الدليل على نبوة آدم غياب اعتقاده بهذه النبوة، ولكن المفاجأة في تعقيب المدعى عليه «وأنه يعتقد بنبوته»، وهذا الاعتقاد المزعوم هو خلاف المنطق الأول .

واستنتج العلماء من هذا التناقض . . أن محامي المدعى عليه أقنعه للتخلص من هذه الورطة أن يقول قولاً يرضي في الشقّ الأول ضميره وقناعته بقوله : إنه لم ير لفظاً في القرآن يذكر آدم بالنبوة، ويرضي المحكمة بالشقّ الثاني باعترافه المزعوم : «وأنه يعتقد بنبوته» .

ورضيت المحكمة بهذه الصيغة، ومكنتها من إصدار حكمها بإلغاء الحكم الأول وأُعيدت إليه زوجته!

وعقّب الشيخ النجار على هذه القضية بقوله:

أقول أيضاً: إنّ القرآن الكريم لم يذكر لفظ النبوة بإزاء آدم كما ذكر ذلك بإزاء غيره من الأنبياء كإسماعيل وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم، ولكن ذكر أنه خاطبه بلا واسطة، وشرع له في ذلك الخطاب، فأمره ونهاه، وأحلّ له وحرّم عليه بدون أن يرسل إليه رسولاً، وهذا هو كل معاني النبوة، فمن هذه الناحية نقول إنّّه نبي، وتطمئن أنفسنا بذلك، وأضاف:

وأما رسالته فالأمر فيها مختلف فيه، وشأننا أن نفوض علم ذلك إلى الله تعالى؛ على أنّي رأيت في حديث الشفاعة الوارد في صحيح مسلم أن الناس يذهبون إلى نوح ويقولون له: أنت أول رسل الله إلى الأرض؛ ثم قال معقّباً:

فلو كان آدم رسولاً لما ساغ هذا القول^(١)، والعلماء القائلون برسالة آدم يؤولون ذلك بأنه أول رسول بعد الطوفان، وهو تأويل متكلف، ثم قال:

«إذا كان آدم نبياً فكيف عصى، والأنبياء معصومون من المعصية؟»، وقد رد على من قال من العلماء: أن ذلك كان قبل النبوة المستلزمة للعصمة من المعصية، بقوله: وهو جواب حسن، لولا أنّه وقع بعد صدور الأمر والنهي إليه بلا واسطة وهو ما جعلناه من أمارات نبوته.

*** . . . ***

(١) لأن القاعدة القرآنية تقول: ﴿أفلا يتدبرون القرآن...﴾ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً [النساء: ٨٢]، ولأن القاعدة الفقهية تقول: (لا حجة مع التناقض). [المؤلف].

ومرّت الأيام . . والعلماء المحققون فهموا من هذه القصة ظنية نبوة آدم . .
ولم تتكرر قصة دمنهور بعد ذلك وبقي المسلمون يتعلمون في مدارسهم أنّ آدم
نبي . . وأخذ المؤلفون في الكتب المدرسية يذكرون في كتبهم أن عدد الأنبياء
(٢٥) أولهم آدم . . وآخرهم محمد ﷺ .

ولكن بعض العلماء أصرّ على أن نبوة آدم يقينية . . لا ظنية حتى زعم
بعضهم الإجماع على هذه النبوة والرسالة مستشهادين بما جاء في كتاب «أصول
الدين» للبغدادى :

« أجمع المسلمون وأهل الكتاب على أن أول من أرسل من الناس آدم عليه
السلام»، وقال البعض الآخر: «آدم عليه السلام نبي بالقطع واليقين»، وزعم
آخرون حتمية الإيمان بنبوة آدم قائلين: «إما إيمان بنبوة آدم . . فنجاة . . وإما
إنكار لها فوقع في الكفر البواح!! حتى كانت قمة المغالاة ادّعاء البعض: «بأن
من لم يعترف بنبوة آدم فهو كافر مرتد، وهو يعيش مع زوجه في سفاح وليس في
نكاح!!».

*** . . . ***

فهل القضية كما يقولون ويزعمون: أن من لم يعترف بنبوة آدم أو على
الأصحّ لم يقتنع بها فهو كافر مرتد يعيش مع زوجه في سفاح وليس في نكاح؟

ومن أين استقوا هذا الحكم الشرعي؟

هل قال ذلك كتاب الله الذي أباح للمسلمين الزواج من أهل الكتاب كما
جاء في سورة المائدة:

﴿اليوم أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ، وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ، وَطَعَامُكُمْ
حَلٌّ لَهُمْ، وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ
قَبْلِكُمْ، إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ (مهورهن) مُحْصَنِينَ غَيْرِ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَخَذِي

أَخْذَانِ وَمَنْ يَكْفُرُ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿
[المائدة : ٤] .

والقرآن الكريم قال عن أهل الكتاب النصارى :
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة : ٧٢] .
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة : ٧٣] .

فكفر أحد الزوجين لا يقلب الزوجية من النكاح إلى السفاح بنص القرآن
ولهذا أباح القرآن للمسلم أن يتزوج من الكتابية التي تقول إن الله هو المسيح بن
مريم أو تقول : إنَّ الله ثالث ثلاثة !

الزواج رباط مقدس لا ينقضه خلاف فقهي أو نبوة ظنية، والتحليل
والتحريم ليس من حق أحد سوى كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة المتواترة،
والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذْبَ هَذَا حَلَالٌ... وَهَذَا حَرَامٌ... لَتَفْتَرُوا
عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ، إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يَفْلَحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ،
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل : ١١٦ - ١١٧] .

الزواج رباط مقدس... وقد جعله الله من آياته البينات :
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا، وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ
مَوَدَّةً وَرَحْمَةً، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم : ٢١] .

الزواج رباط مقدس وميثاق غليظ :

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ، وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَارًا، فَلَا تَأْخُذُوا
مِنْهُ شَيْئًا، أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ، وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى
بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء : ٢١ - ٢٢] .

وعن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال :

«أخبر رسول الله (ﷺ) عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً، فقام غضبان، ثم قال : «أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم»، حتى قام رجلاً، فقال : يا رسول الله ألا أقتله ؟ » [رواه النسائي ، ورواه موثقون] .

إن القول على الله بغير علم من أكبر الكبائر، وإن القول بتحريم ما أحله الله من أكبر الكبائر،

وإن هدم الأسر وقطع ما أمر الله به أن يوصل إفساد في الأرض، كما جاء في القرآن الكريم :

﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض، وتقطعوا أرحامكم، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ [محمد : ٢٢ - ٢٤]

كيف يحكمون على من فهم أولية نبوة نوح ورسالته بقول الله سبحانه في الآية : ١٦٣ من سورة النساء : ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ بأنه كافر أو مرتد ؟ .

كيف يحكمون على من صدق محمداً صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة وصدق آدم عليه السلام حين قال لأهل الموقف : «اثبتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض» بادعائهم ، بأن من لم يعترف بنبوة آدم فهو : — فاسق . . أو كافر مرتد . . أو أنه يعيش مع زوجه في سفاح وليس في نكاح ؟ !!! .

ألا يعلمون أنهم يكذبون محمداً ﷺ . . ويكذبون آدم عليه السلام ويكذبون أهل الموقف الذين ذهبوا إلى نوح وقالوا له : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض؟ ويكذبون ويكفرون العلماء والمفسرين الذين قالوا بأولية نبوة نوح عليه السلام ورسالته؟

ولنا عتاب رقيق على بعض العلماء الأفاضل الذين رفضوا الخوض في هذا الموضوع وعدم الردّ على التهم التي ذكرناها آنفاً على من لم يقتنع بأولية نبوة آدم عليه السلام ورسالته . . نظراً لإيمانهم بهذه الأولوية بالنبوة والرسالة لنوح عليه السلام . . لا لآدم أبي البشر!

وقد رفضوا الخوض في هذا الموضوع بحجج واهية، منها:

«أن بحث مثل هذا الأمر في هذا الوقت العصيب والمرحلة التاريخية من حياة الأمة الإسلامية التي تواجه الشدائد والمحن واعتداء المعتدين عليها أمر لا ينبغي أن يثار بين المسلمين، ولا ينبغي أن تُستنزف فيها جهود العلماء، وتضيع فيها أوقاتهم الثمينة، حتى لا تؤدي إلى تفريق كلمة المسلمين وإضعاف صفوفهم وشغلهم عن قضاياهم الأساسية!!».

يقولون ذلك بكل بساطة متناسين مهمتهم التي حدّدها القرآن الكريم بالبيان . . وعدم الكتمان:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾

والعلماء هم ورثة الأنبياء . . . ومهمة الأنبياء:

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لَتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ، وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

والله جعل مهمة العلماء مستمرة على مرّ العصور والدهور:

﴿وَمَنْ قَوْمُ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ، وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩].

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ، وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١].

﴿ولتكن منكم أمةٌ يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون﴾ [آل عمران : ١٠٤].

والعلم شهادة . . والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ولا تكتموا الشهادة، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾ [البقرة : ٢٨٣].
﴿إنَّ الذين يكتُمون ما أنزلنا من البَيِّنات والهدى من بعد ما بيَّناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله، ويلعنهم اللاعنون * إِلَّا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا، فأولئك أتوب عليهم، وأنا التَّواب الرحيم﴾ [البقرة : ١٥٩ - ١٦٠].

[صدق الله العظيم]

*** . . *** . . ***

الفصل التاسع

حرية التفكير... والاجتهاد..
لا حرية التكفير... والتفسيق!!

بين حرية التفكير وحرية التكفير

من المبادئ الأساسية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية مبدأ الحرية، فقد أعلنت الشريعة «الحرية» وقررتها في أروع مظاهرها، فقررت حرية التفكير، وحرية الاعتقاد، وحرية القول، وستكلم عن هذه الحريات واحدة بعد أخرى:

١ - حرية التفكير:

جاءت الشريعة الإسلامية معلنة حرية التفكير، محررة العقل من الأوهام والخرافات والتقاليد والعادات، داعية إلى نبذ كل ما لا يقبله العقل. فهي تحث على التفكير في كل شيء، وعرضه على العقل، فإن آمن به العقل كان محل إيمان، وإن كفر به كان محل كفران. فلا تسمح الشريعة الإسلامية للإنسان أن يؤمن بشيء إلا بعد أن يفكر فيه ويعقله، ولا تبيح له أن يقول مقالاً أو يفعل فعلاً إلا بعد أن يفكر فيما يقول ويفعل ويعقله:

ونصوص القرآن التي تحض على استخدام العقل وتحرير الفكر لا تعدُّ كثرةً، منها:

﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١].

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: ٥ - ٧].

﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلِقَتْ؟ وإلى السماء كيف رُفِعَتْ؟ وإلى الجبال كيف نُصِبَتْ؟ وإلى الأرض كيف سُطِحَتْ؟﴾
[الغاشية : ١٧ - ٢٠].

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾
[سورة ق : ٣٧].

ويعيب القرآن على الناس أن يُلغوا عقولهم، ويعطّلوا تفكيرهم، ويقلّدوا غيرهم، ويؤمنوا بالخرافات والأوهام، ويتمسكوا بالعادات والتقاليد دون تفكير فيما يتركون أو يدعون: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، قَالُوا: بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا، أُولَئِكَ كَانَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾
[البقرة : ١٧٠].

﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها، أو آذانٌ يسمعون بها، فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾
[الحج : ٤٦].

﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس، لهم قلوبٌ لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يُبصرون بها، ولهم آذانٌ لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام، بل هم أضلّ، أولئك هم الغافلون﴾
[الأعراف : ١٧٩].

٢ - حرية الاعتقاد:

والشريعة الإسلامية هي أول شريعة أباحت حرية الاعتقاد، وعملت على صيانة هذه الحرية وحمايتها إلى آخر الحدود، فلكل إنسان أن يعتنق من العقائد ما شاء، وليس لأحد أن يحمله على ترك عقيدته أو اعتناق غيرها، أو يمنعه من إظهار عقيدته. وقرأ ما شئت هذه المعاني صريحة واضحة في قول الله لرسوله:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾

[الكهف: ٢٩].

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ، قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً، أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ

حتى يكونوا مؤمنين﴾ [يونس: ٩٩].

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصِيطِرٍ، إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ،

فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ، إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾

[الغاشية: ٢١ - ٢٦].

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠].

﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

٣ - حرّية القول:

أباحَت الشريعة حرّية القول، وجعلتها حقّاً لكلّ إنسان، بل جعلت القول واجباً على الإنسان في كلّ ما يمسّ الأخلاق والمصالح العامة، والنظام العام، وفي كلّ ما تعتبره الشريعة منكراً، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وإذا كان لكلّ إنسان أن يقول ما يعتقد أنّه الحق، ويدافع بلسانه وقلمه عن عقيدته، فإن حرّية القول ليست مطلقة، بل هي مقيدة بأن لا يكون ما يكتب أو يقال خارجاً عن حدود الآداب العامة والأخلاق الفاضلة، أو مخالفاً لنصوص الشريعة.

وقد قيّدت الشريعة حرّية القول من يوم نزولها، وقيّدت في الوقت نفسه هذه الحرية بالقيود التي تمنع من العدوان وإساءة الاستعمال، وكان

أول من قيّدت حرّيته في القول محمد ﷺ، وهو رسول الله الذي جاء معلناً للحرية، مبشراً بها وداعياً إليها، ليكون قوله وعمله مثلاً يُحتذى، وليعلم الناس أنه لا يمكن أن يُعفى أحد من هذه القيود إذا كان رسول الله ﷺ أول من قيّد بها، مع ما وصفه ربّه من قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم : ٤].

ولقد أمر الله رسوله أن يبلغ رسالته للناس، وأن يدعو الناس جميعاً إلى الإيمان بالله والرسالة، وأن يحاجّ الكفّار والمكذّبين، ويخاطب عقولهم وقلوبهم، ولكن الله جلّ شأنه لم يترك لرسوله حرية القول على إطلاقها، فرسم له طريق الدعوة، وبيّن له منهاج القول والحجاج، وأوجب عليه أن يعتمد في دعوته على الحكمة والموعظة الحسنة، وأن يجادل بالتي هي أحسن، وأن يعرض عن الجاهلين، وأن لا يجهر بالسوء من القول، وأن لا يسبّ الذين يدعون من دون الله، فرسم الله لرسوله حدود حرية القول، وبيّن لنا أن الحرية ليست مطلقة، وإنما هي حرية مقيّدة بعدم العدوان عليها وعدم إساءة الاستعمال.

ويمكننا بعد ذلك أن نقول: إنّ الشريعة الإسلامية تبيح لكلّ إنسان أن يقول ما يشاء دون عدوان، فلا يكون شتّاماً ولا عيّاباً، ولا قاذفاً، ولا كاذباً، ولا مكفّراً مُسلماً من أهل التوحيد والإيمان لاجتهاد من هذا المسلم في رأي، سيما إذا كان ما يقول به يستند إلى نصّ من كتاب الله عزّ وجلّ، أو حديث صحيح عن رسول الله ﷺ.

عن ابن عمر رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال:

«إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء به أحدهما، إن كان الذي قيل

له كافر، فهو كافر، وإلاّ رجع إلى من قال». (منحة المعبود ج ١

ص ٢٩٦].

الفهم الإنساني في الإسلام ليس ديناً يلتزم:

قال الإمام محمود شلتوت في كتابه (الإسلام عقيدة وشريعة) صفحة ٨ :
«وقد اتَّصلت بالقرآن - بعد أن التحق محمد برَّبّه - أفهام العلماء والأئمة فيما لم يكن من آياته نصّاً في معنى واحد^(١)، ومن هذا الجانب اتَّسع ميدان الفكر الإنساني، وكثرت الآراء والمذاهب في النظريات والعمليات، لا على أنّها دينٌ يلتزم، وإنما هي آراء وأفهام فيما هو من القرآن محتمل للآراء والأفهام، يردّ فيها كل ذي رأي منها رأيه في الدلالة التي فهمها هو من النص القرآني، بمعونة ما صحّ عنده من أقوال الرسول أو أفعاله، أو من القواعد العامة التي ترمي إليها روح الدين عامّةً، وهذا الصنيع لم يكن من هؤلاء الأئمة وفي معتقدهم إلّا اجتهاداً فردياً، لا يوجب واحد منهم على أحدٍ من الناس أن يتّبعه، بل تركوا لغيرهم ممّن له أهلية الفهم حرّيّة التفكير والنظر».

ثمّ تحدث عن العقيدة في الصفحة ٩ - ١٠، فقال:

«والعقيدة: هي الجانب النظري الذي يُطلب الإيمان به أولاً وقبل كل شيء، إيماناً لا يرقى إليه شكّ، ولا تؤثر فيه شبهة، ومن طبيعتها: تضافر النصوص الواضحة على تقريرها، وإجماع المسلمين عليها من يوم أن ابتدأت الدعوة، مع ما حدث بينهم من اختلاف بعد ذلك فيما وراءها، وهي أول ما دعا إليها الرسول، وطلب من الناس الإيمان به في المرحلة الأولى من مراحل الدعوة^(٢)، وهي دعوة كل رسول جاء من قبل الله، كما (١) وكان المسلمون في حياة الرسول ﷺ في غنى عن هذا برجوعهم إليه، وتعرّفهم المراد منه ﷺ.

(٢) هي المرحلة التي قام بها من مبدأ الرسالة إلى نهاية وجوده في مكة، وتتجلى عناصر تلك الدعوة في السور المكية كلها، وقد عنيت السور المكية ببيان ذلك كله، وأصبحت هي المصدر الأول للعلم والإيمان.

دَلَّ على ذلك القرآن في حديثه عن الأنبياء والمرسلين .

ثم قال :

أمَّا العقائد الأصلية كالإيمان بالله واليوم الآخر، وأصول الشريعة كوجوب الصلاة والزكاة وحرمة النفس والعرض والمال، فإن نصوصها جاءت في القرآن بيّنة واضحة، لا تحتمل اجتهاداً ولا أفهاماً. صفحة ٨ - ٩ .

وأضاف : ومن هنا كثرت الآراء والمذاهب فيما يتصل بالفروع التابعة^(٣) للعقائد الأصلية، وفيما يتصل بالعمليات التابعة^(٤) لأصول الشرائع والأحكام .

ثم تحدّث الشيخ محمود شلتوت عن سماحة الإسلام فقال :

وإذا دلّت طبيعة الإسلام هذه على شيءٍ، فإنما تدلُّ على أنه دين يتّسع للحرية الفكرية العاقلة، وأنه لا يقف - فيما وراء عقائده الأصلية وأصول تشريعه - على لون واحد من التفكير، أو منهج واحد من التشريع، وقد كان - بتلك الحرية - ديناً يسائر جميع أنواع الثقافات الصحيحة، والحضارات النافعة التي يتفتق عنها العقل البشري في صلاح البشرية وتقدّمها، مهما ارتقى العقل ونمت الحياة. (صفحة : ٩) .

** . . ** . . **

أما ظاهرة التكفير التي تورّط فيها كثير من رجال العلم أو أدعيائه، أو الجاهلين بهذا الدين، والذين لم يفرّقوا بين التفكير والتكفير، ولم يرجعوا في اتّهامهم للناس بالردّة إلى تعريف الردّة من صاحب الشرع ومن

(٣) مثل زيادة صفات الله عن ذاته، وخلق العبد لأفعاله الاختيارية، ورؤية الله بالبصر في الآخرة، ووجوب الصلاح والأصلح على الله، ونحوها.

(٤) مثل الفروع الاجتهادية، كمسح ربع الرأس أو كله في الوضوء.

رسول الشريعة، بل استمدوا مفهوم التكفير والرّدة من عقولهم القاصرة أو من بعض العلماء الذين تورّطوا في تكفير غيرهم نتيجة فهم غير سليم للنصوص وعدم ضبط للموضوع كما يقول الصنعاني في كتابه: (العدة على أحكام الاحكام - ج ٤ ص ٢٨٠).

وقال الأستاذ نعمان عبد الرزاق السامرائي، المعيد في كلية الشريعة والمحاضر في كلية الدراسات الإسلامية - بغداد - في كتابه (أحكام المرتد في الشريعة الإسلامية) ص ١٠ :

«وقد اضطربت فيه أفكار الأئمة وعباراتهم، وزلت فيه أقدام كثيرين، ولخطر أمره وحكمه كان حقيقاً بالافراد في تأليف...».

** . . **

الردة والمرتد في شريعة الإسلام لغةً وشرعاً:

وقد عرّف المؤلف الرّدة والمرتدّ في كتابه (منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين) صفحة ١٠٢ - ١٠٤ بقوله:

وقد اتّفقت معاجم اللغة على تعريف المرتد بأنه الراجع عن الإسلام. وجاء تعريف الرّدة في جمهرة اللغة لابن دريد الأزدي ج ١ ص ٧٢:

«والرّدة: الرجوع عن الشيء، ومنه الرّدة عن الإسلام»، وكذلك جاء في لسان العرب لابن منظور ج ٤ ص ١٥٣ - ١٥٥ (مادة ردّ): «ومنه الردة عن الإسلام، أي الرجوع عنه، وارتد فلان عن دينه إذا كفر بعد إسلامه».

ثم قال : وقد جاء ذكر «الرّدة» في القرآن صراحةً بقوله تعالى : ﴿ومن يرتدّ منكم عن دينه فيمُتّ وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [البقرة: ٢١٧]. ووردت في القرآن الكريم أيضاً في [سورة المائدة: ٥٤]: ﴿يا أيّها الذين

آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله واسع عليم*.

ووردت في القرآن بالمعنى دون اللفظ في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ [آل عمران : ١٠]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا، ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا، ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا، لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [النساء : ١٢٧].

ووردت لفظة «الرَّدة» في السُّنة كثيراً، أحياناً بمعناها الاصطلاحي، وهو (الكفر بعد الإيمان)، وأحياناً بمعناها اللغوي، كما وردت بلفظ (التبديل) أو بوصف صاحبها (تاركاً لدينه مفارقاً لجماعته).

وقد ورد في منحة المعبود للبنا ج ١ ص ٢٩٦، حديث رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»، كما ورد الحديث في مكان آخر بهذا اللفظ عن عثمان بن عفان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجلٌ زنى بعد إحصان، فعليه الرجم، أو قتل عمداً فعليه القود، أو ارتد بعد إسلامه فعليه القتل» (سنن الترمذي، شرح السيوطي ج ٧ ص ١٠٢).

ويذكر الفقهاء بأنه لا يكون المسلم مرتداً إلا إذا توفرت فيه شروط، وهي: البلوغ، والعقل، والاختيار، وقال الشافعي وزُفر عن إسلام الصبي: «لا يصح إسلامه حتى يبلغ، لقول النبي ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ... وعن الصبي حتى يبلغ» ويقولون: لا ردة من غير إسلام سابق.

** . . ** . . **

هذا هو تعريف الردّة في القرآن والسنة الصحيحة ومعاجم اللغة، ومعنى ذلك فإن القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة لا يقرّان الزعم بأن من خالف غيره في فهم آية أو حديث يعتبر كافراً مرتداً يستوجب فسخ عقد نكاحه.

والمرتدّ بنص القرآن وتعريف الفقهاء ومعاجم اللغة هو الراجع عن دين الإسلام، أو من كذب صريح القرآن، أو من كذب حديثاً صحيحاً متواتراً من أحاديث خاتم الأنبياء.

ويقول صاحب كتاب (أحكام المرتد في الشريعة الإسلامية) صفحة ٨٠ :

الفرع الثاني : ما يوجب الردّة من الاعتقاد في القرآن :

«ومن المعروف أنه يكفر من جحد القرآن كله أو بعضه، وحدّد بعضهم الكفر ولو بجحد كلمة، وبعضهم قال: بحرف واحد، كما يكون الكفر باعتقاد تناقضه واختلافه، أو الشكّ بإعجازه والقدرة على مثله، أو إسقاط حرمة، أو الزيادة فيه.

ثم قال : «أما تفسيره وتأويله، فلا يكفر جاحده ولا رادّه، لأنّه أمر اجتهادي من فعل بشرٍ يُخطئون ويُصيبون».

ثم قال في صفحة ٨١ : (الفرع الثالث، فيما يوجب اعتقاده ردّة) :

يعتبر كافراً مرتداً مَنْ اعتقد كذب النبي ﷺ في بعض ما جاء به (من السنة الصحيحة)، ومن اعتقد حلّ شيء مجمع على تحريمه كالزنا وشرب الخمر.

وقال في صفحة ١٠٩ (الفرع الرابع : سبّ الأنبياء ردّة) :

من الأنبياء من هم محل اتفاق بين العلماء، فمن سبهم فكأنما سب نبينا ﷺ، وساب الرسول كافر، فكذا كل نبي مقطوع بنبوته».

ثم قال في صفحة ١١٠ :

«إلا أنه يمكن فهم القيد (القطع بالنبوة) وإن لم ينص عليه، لأن من سب نبياً غير مقطوع بنبوته لا يمكن قتله، لوجود شبهة أن لا يكون نبياً».

رأي العلامة الفقيه السيد سابق في الردّة والمرتد:

يقول صاحب كتاب (فقه السنة) ج ٢ ص ٤٥٣ :

«... فإذا صدر من المسلم لفظ يدل على الكفر لم يقصد إلى معناه، أو فعل ظاهر مكفر لم يرد به فاعله تغيير إسلامه، لم يحكم عليه بالكفر».

ومهما تورط المسلم في المآثم واقترب من جرائم، فهو مسلم لا يجوز اتّهامه بالردّة.

روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال:

«من شهد أن لا إله إلا الله، واستقبل قبلتنا، وصلى صلاتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو المسلم، له ما للمسلم، وعليه ما على المسلم».

وقد حذر رسول الله ﷺ المسلمين من أن يقذف بعضهم بعضاً بالكفر، لعظم خطر هذه الجناية، فقال فيما رواه مسلم عن ابن عمر:

«إذا كفر الرجل أخاه، فقد باء بها أحدهما».

إن المسلم لا يكون خارجاً عن الإسلام، ولا يحكم عليه بالردّة إلا إذا انشرح صدره بالكفر واطمأن قلبه به، ودخل فيه بالفعل، لقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل: ١٠٦]، ويقول الرسول ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى».

ولما كان ما في القلب غيباً من الغيوب التي لا يعلمها إلا الله، كان لا بد من صدور ما يدلُّ على كفره دلالة قطعية لا تحتمل التأويل، حتَّى نُسَبَ إلى الإمام مالك أنه قال: «من صدر عنه ما يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجهاً، ويحتمل الإيمان من وجه، حُمِلَ أمرُهُ على الإيمان».

· رأي الإمام محمود شلتوت عن الرِّدَّة والمرتدَّ:

تحت عنوان: [عقوبة الاعتداء على الدِّين بالرِّدَّة] قال فضيلته في كتابه (الإسلام عقيدة وشريعة) صفحة ٢٨٠ - ٢٨١، ما يلي:

الاعتداء على الدِّين بالردة يكون بإنكار ما عُلِمَ مِنَ الدِّين بالضرورة، أو ارتكاب ما يدلُّ على الاستخفاف والتكذيب. والذي جاء في القرآن عن هذه الجريمة هو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمْت وَهُوَ كَافِرٌ، فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ثم قال: والآية كما ترى لا تتضمن أكثر من حكم بحبوط العمل، والجزاء الأخروي بالخلود في النار.

أما العقاب الدنيوي لهذه الجناية، وهو القتل، فيثبته الفقهاء بحديث عن ابن عباس رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «من بدَّل دينه فاقتلوه».

وقد تناول العلماء هذا الحديث بالبحث من جهات:

— هل المراد من بدَّل دينه من المسلمين فقط، أم هو يشمل من تنصَّر بعد أن كان يهودياً.

— وهل يشمل هذا العموم الرجل والمرأة، فَتُقْتَلُ إذا ارتدَّت كما يقتل إذا ارتد، أو هو خاص بالرجل، والمرأة لا تُقتل بالرِّدَّة؟

— وهل يقتل المرتد فوراً، أو يستتاب؟

— وهل للاستتابة أجل، أو لا أجل لها، فيستتاب أبداً؟

ثم قال : وقد يتغير وجه النظر في هذه المسألة إذا لوحظ أن كثيراً من العلماء يرى أن الحدود لا تثبت بحديث الآحاد، وأن الكفر بنفسه ليس مبيحاً للدم، وإنما المبيح للدم هو محاربة المسلمين، والعدوان عليهم، ومحاولة فتنهم عن دينهم، وأن ظواهر القرآن الكريم في كثير من الآيات تأبى الإكراه في الدين، فقال تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ [البقرة : ٢٥]، وقال سبحانه : ﴿ أفأنت تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ؟ ﴾ [يونس : ٩٩].

*** . . . ***

أما ظاهرة التكفير، فقد تورط فيها - كما أشرنا - كثير من رجال العلم أو أديبائه أو الجاهلين بسماحة هذا الدين، والذين لم يفرّقوا بين التفكير والتكفير، ولم يرجعوا إلى تعريف الردة من صاحب الشرع ومن رسوله الصادق الأمين، وهي ظاهرة قديمة وليست جديدة.

فقد نادى المعتزلة قديماً بفكرة (أن القرآن مخلوق) والخطأ الذي ارتكبه المعتزلة أنهم أرادوا فرض فكرتهم على الناس وعلى العلماء، وقد امتحن الإمام أحمد بن حنبل بفكرة خلق القرآن، وسُجِنَ وعُذِّبَ لرفضه هذه الفكرة، وحجّة الإمام أحمد بن حنبل عدم وجود نص أو دليل على ذلك من القرآن الكريم أو من السُّنة النبوية الصحيحة.

وصمد الإمام أحمد بن حنبل كالطود الشامخ، حتى أذن الله بانحسار هذه المحنة بعد أن قيض الله لدينه علماء عاملين لا يخافون في الله لومة لائم، فناظروا بشراً المريسي المعتزلي في حضرة الخليفة المأمون، واستطاع الشيخ الإمام عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكناني المكي المتوفى عام ٢٤٠ هـ، أن ينتصر على «بشر المريسي» ويتغلب عليه بالحجّة

والبرهان، ويقرُّه الخليفة المأمون، ويأمر له بعشرة آلاف درهم كما جاء في كتاب (الحيدة - أو المناظرة الكبرى في محنة خلق القرآن) (*).

وفي لسان الميزان ج ٥ ص ١٠٩، ذكر قصة رواها المهدي ابن الواثق أنه لما أحضر عبد الله وهو خليفة، فأتى برجل من أهل الحديث، أحضره ابن أبي دواد المعتزلي، فذكر القصة عن امتحانه بخلق القرآن وقوله لابن أبي دواد: هل علم هذه المقالة رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر بن الخطاب، أم لا؟ فإن قلت علموها، قلت لك: فهل دَعَوْا الناس إليها أم لا، إلى آخر القصة وفيها قول الواثق: يسعنا ما وسع الصحابة، وأمر بالإحسان إلى الرجل.

*** . . . ***

ويمتحن الإمام الجليل شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض آرائه وفي مسألة التوسُّل، وفي اجتهاده بأن الطلاق الثلاث بكلمة واحدة لا تحسب إلا واحدة، ويسجن الإمام ويتهم باتهامات مختلفة ويحكم عليه بالكفر، إلى أن يأتي القرن العشرون ليكرِّم الإمام ابن تيمية ويردِّ إليه اعتباره في مصر الأزهر، ويأخذوا باجتهاده بأن الطلاق الثلاث بكلمة واحدة لا تُحسب إلا طلقة واحدة.

*** . . . ***

وقد تمادى نهج المكفرين، حتى صرَّح بعضهم بقوله: إنَّ المسلم يكفر ويرتد وينفسخ عقد نكاحه بواحدة من هذه المذكورات، منها:

١ - إذا قيل له: إلحس أصابعك بعد الطعام، فإنه سنة نبيك، فقال: هذا مستقذر.

٢ - أوقال له الكافر: لِقْنِي كلمة الإسلام، فأخَّر القول.

٣ - أوقال عن المؤذن: يكذب.

(*) منشورات دار الفتح للطباعة والنشر - بيروت .

- ٤ - أو قال : أعطني صُوفاً، وخذ مني خروفاً ، استهزاء .
٥ - أو أمر بحضور مجلس العلم، فقال: أي شيء اعمل بمجلس العلم .

- ٦ - أو ألقى فتوى عالم على الأرض . . الخ .
فيكفر بواحدة من هذه المذكورات (راجع كتاب الكفاية لذوي العناية لعبد الباسط فاخوري - فصل أحكام الردة والعياذ بالله) [ص ١٥٤ - ١٥٨] .

** . . ** . . **

والعلماء - أخذاً من سماحة الإسلام وآدابه - كان الواحد منهم يستدرك على غيره، ويخالف بعضهم بعضاً بالحجة والبرهان والدليل، دون أن يتهم بعضهم بعضاً بالكفر والردّة، بل كان الواحد منهم يحسن الظنّ بأخيه ويخاطبه بكل احترام، ويناقش الفكرة بالفكرة والرأي بالرأي - ضمن إطار الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن .

استدراك السيدة عائشة على بعض الصحابة :

وقد استدركت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها على بعض الصحابة، كما ذكر الإمام بدر الدين الزركشي في كتابه (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة) ^(١)، فقد جاء في الصفحة ٦٧ :

حينما علمت السيدة عائشة أن ابن عمر رضي الله عنه يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه» - وقد كان عمر بن الخطاب يقول بذلك أيضاً - قالت عائشة :

يرحم الله عمر . . لا والله ما حدث رسول الله ﷺ : إن الله يعذب

(١) عنى بتحقيقه الأستاذ سعيد الأفغاني ، ونشره المكتب الإسلامي في بيروت .

المؤمن يبكاء أحد، ولكن قال: «إِنَّ اللهَ يَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَاباً بِبِكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ،
ثم قالت: حسبكم القرآن: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾. وفي رواية:
رحم الله عمر، ما كذب، ولكنه أخطأ أو نسي.

ولما علمت أن عبد الله بن عمر يقول بذلك أيضاً قالت عائشة رضي
الله عنها:

«إِنَّكُمْ لَتَحَدِّثُونِي عَنْ غَيْرِ كَاذِبِينَ وَلَا مَكْذُوبِينَ، وَلَكِنْ السَّمْعُ يَخْطِئُ».

استدراكها على ابن عباس:

وقد استدركت السيدة عائشة على ابن عباس في قوله: «رَأَى مُحَمَّدَ
رَبِّهِ»، فقالت: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم، ولكن قد رأى
جبريل في صورته وخلقِه ساداً ما بين الأفق.

وفي الصحيحين من حديث «مسروق» قلت لعائشة:

يا أمتاه: هل رأى محمد ربه؟

فقالت: لقد قفَّ شعري ممّا قلت: من حدّثك أن محمداً رأى ربه فقد
كذب، ثم قرأت ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ، وَهُوَ اللَّطِيفُ
الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين.

فقلت؟: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله عز وجل:
﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾؟ [النجم: ٧، ١٣].

فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله، فقال: إنما هو
جبريل، لم أره على صورته التي خُلِقَ عليها غير هاتين المرتين، رأيته
منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض، وقالت: أو لم
تسمع أن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحياً، أَوْ

من وراء حجاب، أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء، إنه عليّ حكيم ﴿
[الشورى: ٤٢] .

استدراكها على أبي هريرة:

قال أبو داود الطيالسي في مسنده:

حدّثنا محمد بن راشد عن مكحول، قال: قيل لعائشة: إن أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «الشُّؤْمُ في ثلاثة: في الدار، والمرأة، والفرس، فقالت عائشة: لم يحفظ أبو هريرة، إنه دخل ورسول الله ﷺ يقول: «قاتل الله اليهود يقولون: الشُّؤْمُ في ثلاثة: في الدار والمرأة والفرس»، فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله» ص ١٠٣ .

وفي رواية كما في مسند أحمد: أن رجلين دخلا على عائشة فقالا: إن أبا هريرة يحدث أن نبي الله ﷺ كان يقول: «إنما الطيرة في المرأة والدابة والدار»، قال: فطارت شقة منها في السماء وشقة منها في الأرض (وهذا مبالغة في التعبير عن الغضب والغيط) وقالت: «والذي أنزل القرآن على أبي القاسم، ما هكذا كان يقول، ولكن كان نبي الله ﷺ يقول: كان أهل الجاهلية يقولون: الطيرة في المرأة والدابة والدار، ثم قرأت عائشة: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾ [الآية ٢٢ ، من سورة الحديد] .

وفي الصفحة ١٠٧ من كتاب (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة):

عن عروة قال: بلغ عائشة رضي الله عنها أن أبا هريرة يقول: إن رسول الله ﷺ قال: «لأن أقنع بسوط في سبيل الله أحب إليّ من أن أعتق ولد الزنى»، وأن رسول الله ﷺ قال: «ولد الزنى شرّ الثلاثة» و«إن الميت ليعذب

ببكاء الحي»، فقالت عائشة: «رحم الله أبا هريرة، أساء سمعاً فأساء
إجابة»، أما قوله: لأن أقنع بسوط في سبيل الله أحب إليّ من أن أعتق ولد
الزنى، فإنها لما نزلت: ﴿فلا اقتحم العقبة، وما أدراك ما العقبة، فك
رقبة﴾، قيل: يا رسول الله، ما عندنا ما نعتق، إلا أن أهدنا له الجارية
السوداء تخدمه وتسعى إليه، فلو أمرناهن فزنين فجئن بأولاد فأعتقناهم؟ فقال
رسول الله: لأن أقنع في سبيل الله أحب إليّ من أن آمر بالزنى ثم أعتق
الولد.

وأما قوله: «ولد الزنى شرُّ الثلاثة، فلم يكن الحديث على هذا، إنما
كان رجل من المنافقين يؤذي رسول الله، فقال: من يعذرني من فلان؟
قيل: يا رسول الله، إنه مع ما به ولد زنى، فقال هو شرُّ الثلاثة. والله تعالى
يقول: ﴿ولا تزرُ وازرةٌ وزراً أخرى﴾».

وأما قوله: إن الميت ليعذب ببكاء الحي، فلم يكن الحديث على
هذا، ولكن رسول الله ﷺ مرَّ بدار رجل من اليهود قد مات وأهله يكون
عليه، فقال: إنهم ليكون عليه وإنه ليعذب»، والله يقول: ﴿لا يكلف الله
نفساً إلاّ وسعها﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على
شرط مسلم ولم يخرجاه.

*** . . ***

هذا هو أدب الإسلام في تصحيح الأحاديث دون الحطّ من كرامة
الراوي أو الحكم بتكفيره وتفسيره، وتمعنوا في قول عائشة: «رحم الله أبا
هريرة أساء سمعاً فأساء إجابة».

ونحن بدورنا نقول: رحم الله من أساء إلينا.

*** . . ***

هما معاً، وعلى الرغم من هذا وقع بين الأئمة اختلاف كثير في استنباط الأحكام من هذين المصدرين، ثم ضرب أمثلة من هذا الاختلاف فقال:

المثال الأول : فمن أمثلة الاشتراك في اللفظة المفردة كلمة (قُرء) الواردة في قوله تعالى بياناً لعدّة المطلقات ذوات الحيض: ﴿والمطلقات يتربّضن بأنفسهن ثلاثة قُروء﴾ [البقرة : ٢٢٨]، فإنها مشتركة بين الحيض والطهر، وثبت ورودها في كلام العرب لهما على حدّ سواء، ولا خلاف بين العلماء في ذلك، كما لا خلاف بينهم في أنّ المراد منها هو أحد المعنيين لا مجموعهما، وإنما اختلفوا في المراد منها في الآية.

فذهب جماعة من الفقهاء، ومنهم مالك والشافعي إلى أن المعنى هو الطهر، وعليه فإنّ عدّة المطلقة المذكورة تُحسب بالأطهار، أعني الأزمنة التي تقع بين الدمين، وتنتهي العدّة بانتهاء الطهر الثالث، فلا يكون للزوج عليها رجعة، ويحلّ لها أن تتزوج بغيره.

وذهب جمهور آخرون، ومنهم أبو حنيفة إلى أن المراد هو الحيض، وعليه فعّدّة المطلقة المذكورة تُحسب بالحيض، ولا تنتهي العدّة عندهم إلا بانقضاء الحيضة الثالثة. (يراجع التفاصيل وأمثلة أخرى وأدلة كلّ فريق من الكتاب صفحة ٥٠٧ - ٥٠٨).

ونحن نذكر هنا مثلاً آخر بالنسبة لاجتهاد الفقهاء في مسألة (أكثر مدة الحمل):

فمن المعروف طبياً وعلمياً وواقعياً وشرعياً أنّ مدة الحمل تسعة أشهر، والبعض منهم جعل أقصاها سنة كاملة، كما جاء في المادة ١٧ من القانون رقم ٢٥ سنة ١٩٢٩، المصري التي نصّت على أنه «لا تُسمع الدعوى لنفقة عدّة لمدة تزيد على سنة من تاريخ الطلاق»، (راجع كتاب الأحوال الشخصية لعبد الوهاب خلّاف - الطبعة الثانية ص ١٧٩).

وقد أخطأت المذاهب الأربعة في تقديرها لحساب (أقصى مدة الحمل)، وهذا ما جاء في كتاب (الفقه على المذاهب الأربعة، تأليف عبد الرحمن الجزيري) ج ٤ صفحة ٥٢١ :

فالأحناف يقولون :

إن أقل مدة الحمل ستة أشهر كغيرهم من الأئمة الثلاثة، وأكثرها سنتان، ، خلافاً للجميع، كما ستعرفه من مذاهبهم.

أما المالكية فيقولون :

وإذا ارتابت المرأة في وجود الحمل بعد انقضاء عدتها، فإنه لا يحل لها أن تتزوج حتى تزول الريبة، ولومكثت أقصى مدة الحمل وهي خمس سنين، فإن تزوجت قبل مضي الخمس سنين بأربعة أشهر، وولدت لخمس أشهر من وطء الثاني، فإن الولد لا ينسب لواحد منهما.

أما الأول، فلأنها ولدته بعد الخمس سنين بشهر،

وأما الثاني، فلأنها ولدته لأقل مدة الحمل وهي ستة أشهر.

وحُدَّت المرأة لأنها تكون زانية، وقد استشكل بعض العلماء هذا فقال: إن الخمس سنين ليست محددة بكتاب الله، خصوصاً أن بعضهم قال: إن مدة الحمل قد تكون سبع سنين. وعلى هذا، فيُنسب الولد للأول ولا تُحدّ المرأة! !

رأي الشافعية :

واعلم أن أقل مدة الحمل عند الشافعية ستة أشهر كغيرهم، وأكثرها أربع سنين.

فإذا جاءت المرأة بولد بعد أربع سنين كان الولد ابناً للمطلق.

رأي الحنابلة :

ثم اعلم أن أقل مدة الحمل عند الحنابلة ستة أشهر كغيرهم ، أما أكثرها فهي أربع سنين ، وفاقاً للشافعية ، وخلافاً للحنفية القائلين إنها سنتان ، ؛ والمالكية القائلين أنها خمس سنين . ص ٢٧ هـ

*** . . ***

وهكذا ، فقد أخطأ هؤلاء العلماء الجهابذة في تقدير أقصى مدة الحمل ، مع أن القرآن الكريم ، تكلم عن مدة الرضاعة فجعلها حولين كاملين : ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ [البقرة : ٢٣٣] ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان : ١٤] ، ثم جمع مدة الحمل والرضاعة في آية [سورة الأحقاف : ١٥] ، فجعلها ثلاثون شهراً : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ، حملته أمه كُرهاً ووضعته كُرهاً ، وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ ، فاستنتج الفقهاء من هذه الآية أن أقل مدة الحمل ستة أشهر ، وقد أجمعوا على ذلك ، وكان عليهم الرجوع إلى هذه الآية لاستنتاج ومعرفة أقصى مدة الحمل ، ولكنهم أخطأوا - غفر الله لهم - ، ونحن لسنا ملزمين بالأخذ باجتهادهم الخاطيء ، ولكننا لا نكفرهم ، ولا نسيء الظن بهم ، بل نقول : إنهم اجتهدوا فأخطأوا في اجتهادهم ، ورسول الله ﷺ أعطاهم أجراً واحداً على اجتهادهم الخاطيء .

*** . . ***

ومن اجتهاد الفقهاء إلى اجتهاد الصحابة :

من المعلوم أن الصحابة كانوا يجتهدون في عصر الرسول ، حسب مفهومهم لمعنى الأمر النبوي ، فحينما أمر رسول الله ﷺ - في أعقاب انسحاب المشركين والأحزاب من معركة الخندق - مؤذناً في الناس : (من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة) ، وبادر المسلمون إلى

امثال أمره ونهضوا من فورهم، وتحركوا نحو بني قريظة، وأدركتهم العصر في الطريق فقال بعضهم: لا نصليها إلا في بني قريظة كما أمرنا، حتى أن رجالاً منهم صلُّوا العصر بعد العشاء الآخرة، وقال بعضهم: لم يرد منا ذلك، وإنما أراد سرعة الخروج، فصلُّوها في الطريق، فلما بلغ الرسول ذلك لم يعنف واحداً من الطائفتين، لأن الأمر ظني الدلالة يحتمل المعنيين.

وفي سيرة الرسول كذلك نقرأ أن رسول الله ﷺ أرسل سرية، وأمر عليها قائداً، وأوصى أفرادها بالسمع والطاعة للقيادة، ويظهر أن قائد السرية كان عصبياً، فأمر جنوده بجمع الحطب، وأوقد النار، ثم طلب من جنوده أن يدخلوا في النار. وهنا تردّد أفراد السرية، فبعضهم همّ بالدخول إليها، قياماً بحق السمع والطاعة، والبعض الآخر توقّف في ذلك قائلاً: دخلنا في الإسلام هروباً من النار فكيف ندخلها، وهنا هدأت ثائرة القائد، وانطفأت النار، فصرف النظر عن تنفيذ هذا الأمر، ولما بلغ رسول الله هذه القضية قال كلمته الخالدة بالنسبة لمن همّ بدخول النار وتنفيذ الأمر: إنّما الطاعة في المعروف، ثم قال: والله لو دخلوها ما خرجوا منها. ولذلك كان من توجيه الرسول الكريم: (عليكم بالسمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره - ما لم تؤمروا بمعصية - فمن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة).

والمثال الثالث في اجتهاد الصحابة من غزوة بدر الكبرى:

والصحابة رضي الله عنهم كانوا يسألون ويتحرّون إذا كان الأمر أمر وحي أم أمر اجتهاد من الرسول، وفي غزوة بدر استفهم الصحابي الجليل «الحُبَاب بن المنذر» بعد سماعه أمر الرسول في نزول الصحابة في منطقة معينة:

يا رسول الله ، أرايتَ هذا المنزل ، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدّمه
ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟

فقال الرسول : بل هو الرأي والحرب والمكيدة

فقال الحباب : يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس
حتّى نأتي أدنى ماءٍ من القوم فننزله ، ثم نغور ما وراءه من القُلب (جميع
قليب أي بئر) ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماءً ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا
يشربون .

فقال رسول الله : لقد أشرتَ بالرأي ، ونزل الرسول القائد على رأي
الجندي «الحباب بن المنذر» .

والمثال الرابع من اجتهاد الصحابة تأخذه من السيرة العطرة أيضاً :

وفي سيرة الرسول الكريم ﷺ نقراً :

أنّ حاطب بن أبي بلتعة الصحابي ، كان رجلاً من المهاجرين ، وكان
من أهل بدر أيضاً ، وكان له بمكة أولاد ومال ، ولم يكن من قريش
أنفسهم ، بل كان حليفاً لعثمان . فلما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة - لما
نقض أهلها عهد الحديبية - أمر رسول الله المسلمين بالتجهيز لغزوهم ،
وقال : «اللهم عمّ عليهم خبرنا» وأخبر رسول الله ﷺ جماعة من أصحابه
بوجهته ، كان منهم «حاطب» ، فعمد حاطب فكتب كتاباً وبعثه مع امرأة
مشركة - قيل من مزينة - جاءت المدينة تسترقد - إلى أهل مكة يعلمهم بعزم
رسول الله ﷺ على غزوهم ، ليتخذ بذلك عندهم يداً .

فأطلع الله تعالى رسوله على ذلك استجابة لدعائه ، وإمضاءً لقدره في
فتح مكة ، فبعث في أثر المرأة ، فأخذ الكتاب منها .

وقد روى البخاري في المغازي عن علي رضي الله عنه قال:

بعثني رسول الله ﷺ - وأبا مرثد والزبير بن العوام - وكلنا فارس، وقال: انطلقوا حتى تأتوا «روضة خاخ»، فإن بها امرأة من المشركين، معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين، فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ، فقلنا: الكتاب؟ فقالت: ما معي كتاب. فأنخناها، فالتمسنا فلم نر كتاباً، فقلنا: ما كذب رسول الله ﷺ: لتخرجن الكتاب أو لنجردنك. فلما رأات الجدد أهوت إلى حجزتها، وهي محتجزة بكساء، فأخرجته، فانطلقنا به إلى رسول الله ﷺ، فقال عمر: يا رسول الله، قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلاضربن عنقه. فقال النبي ﷺ:

«ما حملك على ما صنعت؟».

قال حاطب: والله ما بي إلا أن أكون مؤمناً بالله ورسوله، أردت أن تكون لي عند القوم يد، يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله.

فقال رسول الله: «صدق، لا تقولوا إلا خيراً».

فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلاضرب عنقه.

فقال: «أليس من أهل بدر؟ فقال: لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة، - أو - قد غفرت لكم».

فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم...

يقول صاحب الظلال:

يقف الإنسان أمام عظمة الرسول، وهو لا يعجل حتى يسأل: «ما

حملك على ما صنعت»، في سعة صدر وعطف على لحظة الضعف الطارئة في نفس صاحبه، وإدراك ملهم بأن الرجل قد صدق، ومن ثم يكف الصحابة عنه «صدق، لا تقولوا إلا خيراً»، ليعينه وينهضه من عثرته، فلا يطارده بها، ولا يدع أحداً يطارده.

فعمد رضي الله عنه إنما ينظر إلى العثرة ذاتها، فيثور لها جسسه الحاسم وإيمانه الجازم.

أما رسول الله ﷺ، فينظر إليها من خلال إدراكه الواسع الشامل للنفس البشرية على حقيقتها، ومن كل جوانبها، مع العطف الكريم الملهم الذي تنشئه المعرفة الكلية، في موقف المربي الكريم العطوف المتأني الناظر إلى جميع الملابسات والظروف.

ثم ينزل الوحي موجهاً المسلمين:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء، تلقون إليهم بالمودة، وقد كفروا بما جاءكم من الحق، يخرجون الرسول وإياكم، أن تؤمنوا بالله ربكم، إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي، تسرون إليهم بالمودة، وأنا أعلم بما أسررتهم وما أعلنتهم، ومن يفعلهم فقد ضلّ سواء السبيل﴾ * إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء، ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء، وودوا لو تكفروا﴾ [الممتحنة : ١-٢].

وهذا درس بليغ لأولئك الذين يحملون راية التكفير، سامحهم الله وهداهم ونور بصائرهم.

*** . . . ***

وإلى الذين يستهينون بحرمة من قال لا إله إلا الله، محمد رسول الله، نسوق إليهم هذا الهدى النبوي الكريم من الصحيحين:

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال :

بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحُرْقَةِ مِنْ جَهينةَ، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ عَلَى مِيَاهِهِمْ، وَلَحَقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَكَفَّ عَنْهُ الْأَنْصَارِيُّ وَطَعَتِهِ بِرِمَحِي حَتَّى قَتَلْتَهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ لِي :

يَا أُسَامَةَ : أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟

قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّمَا كَانَ مَتَعُودًا.

فَقَالَ : أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ فَمَا زَالَ يَكْررها عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ .
وَفِي رِوَايَةٍ :

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ؟

قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ .

قَالَ : أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟

وَفِي رِوَايَةٍ :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : أَقَتَلْتَهُ؟

قَالَ : نَعَمْ .

قَالَ : فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَغْفِرُ لِي .

قَالَ : وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَجَعَلَ لَا

يَزِيدُ عَلَيَّ أَنْ يَقُولَ : كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»
[رَوَاهُ مُسْلِمٌ] .

*** . . . ***

وبعد أن تحدّثنا عن سماحة الإسلام وآدابه في استدراك بعض العلماء على غيرهم، وضربنا الأمثلة من استدراك السيدة عائشة رضي الله عنها على بعض الصحابة، وتكلمنا عن اجتهد إبليس مع وجود النصّ القاطع، وعن أسباب اختلاف العلماء في فقه القرآن والسُّنة، وعن اجتهد الأئمة الأربعة الخاطيء في تقدير (أقصى مدة الحمل)، ثم أمثلة من اجتهد الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، وعن خطأ اجتهد الصحابي حاطب بن أبي بلتعة، وتقدير رسول الله ﷺ للظروف والملابسات التي حملته على إرسال الكتاب إلى قريش (وهذا التصرف من حاطب في العرف القانوني خيانة عظمى) ولكن الرسول نظر إلى الصحابي الجليل المجاهد وإلى إيمانه وهجرته وجهاده، بالإضافة إلى الملابسات والظروف، فلم يعاقب حاطباً وَحَكَمَ ببراءته وقال للصحابة: (صَدَقَ، لا تقولوا إلاّ خيراً)، يَحْسُنُ بنا الآن أن نتحدّث عن الشريعة الإسلامية وقاعدتها العامة: (الحدود تُدْرَأ بالشبهات):

وقد تحدّث العلامة الشهيد عبد القادر عودة في كتابه (التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي) ج ١ ص ٢٠٧، عن هذه القاعدة تحت عنوان: «كلمة ختامية عن قواعد التفسير»، فقال:

هذه هي القواعد العامة اللغوية والتشريعية التي وضعها الفقهاء للاهتداء بها في تفسير النصوص، على القاضي أن يستعين بها في تفهم النصوص، ومعرفة مراميها، وما يدخل تحتها، كما أن هذه القواعد تعينه على معرفة النصّ الواجب التطبيق، ومدى سلطته في تفسير النص أو إعماله أو إبطاله، وإذا كان للقاضي المدني أن يطبّق هذه القواعد بتوسّع، وأن يجعل للقياس والعرف والعدالة وغير ذلك من الاعتبارات مكاناً عند تفسير النصّ وتطبيقه، إلا أن القاضي الجنائي مقيّد بأن يحصر اجتهداه في تفسير النصّ على

الواقعة المعروضة عليه، فليس له أن يخلق جريمة أو عقوبة من طريق القياس أو العرف والاستحسان، ولو كانت الواقعة المعروضة عليه مما ينفر منها الخلق الفاضل، وليس للقاضي الجنائي أن يخالف النص الصريح مهما كانت الظروف والاعتبارات، وعليه أن يراعي في كل الأحوال مبدئين شرعيين أساسيين: أولهما: قول الرسول (ادرأوا الحدود بالشبهات)، وثانيهما: قوله ﷺ: (إن الإمام أن يخطيء في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة). ثم قال:

المبدأ الأول: درء الحدود بالشبهات:

القاعدة العامة في الشريعة أن الحدود تُدرأ بالشبهات، والأصل في هذه القاعدة قول الرسول ﷺ: «ادرأوا الحُدُودَ بالشبهات» فعلى هذا الحديث الذي تلقته الأمة بالقبول وأجمع عليه فقهاء الأمصار قامت القاعدة. وقد عمل الصحابة بها بعد وفاة الرسول، فروي عن عمر بن الخطاب أنه قال: «لأن أعطل الحدود بالشبهات أحب إلي من أن أقيمها بالشبهات».

وروي عن معاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وعقبة بن عامر أنهم قالوا: إذا اشتبه عليك الحد فادرأه. وليس في الفقهاء من ينكر قاعدة درء الحدود بالشبهات إلا الظاهريون، فإنهم يرون أن الحد لا يحل درؤه بالشبهة، ولا يسلمون بصحة ما روي عن الرسول والصحابة (١).

وبعد أن تحدّث الشهيد عبد القادر عودة عن تعريف الشبهة: الشبهة هي ما يشبه الثابت وليس بثابت، ومن الأمثلة على الشبهة، شبهة الملك في سرقة الملك المشترك... قال:

ومن الأمثلة على الشبهة: شبهة عدم الثبوت، فمن أقرّ بارتكابه جريمة

(١) شرح فتح القدير ج ٤ ص ١٣٩.

من جرائم الحدود، ولم يكن دليل إلا إقراره، وجب عليه الحد بالإقرار، فإذا عدل عن إقراره، كان العدول شبهة في عدم الثبوت، لاحتمال أن يكون إقراره غير صحيح، وترتب على قيام هذه الشبهة درء الحد. ومثل ذلك يقال عن عدول الشهود إذا لم يكن دليل إلا الشهود.

ثم تحدث عن (ما يترتب على درء الحدود بالشبهات) فقال:
تختلف النتائج التي تترتب على الأخذ بقاعدة (درء الحدود بالشبهات)، ففي بعض الأحيان يؤدي تطبيق القاعدة إلى درء عقوبة الحد، وتبرئة المتهم من الجريمة المنسوبة إليه. وفي بعض الأحيان يؤدي تطبيق القاعدة إلى درء الحد، وإحلال عقوبة تعزيرية محلها. (ص ٢١٤).

ثم تكلم المؤلف عن المبدأ الثاني (تفضيل الخطأ في العفو) فقال:
من المبادئ العامة المقررة في الشريعة أن الخطأ في العفو خير من الخطأ في العقوبة، وأصل هذا المبدأ قول الرسول عليه السلام: «إن الإمام أن يخطيء في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة»، ومعنى هذا المبدأ: أنه لا يصح الحكم بالعقوبة إلا بعد التثبت من أن الجاني ارتكب الجريمة، وأن النص المحرم منطبق على الجريمة، فإذا كان ثمة شك في أن الجاني ارتكب الجريمة، أو في انطباق النص المحرم على الفعل المنسوب للجاني، وجب العفو عن الجاني، أي الحكم ببراءته، لأن براءة المجرم في حال الشك خير للجماعة، وأدعى إلى تحقيق العدالة من عقاب البريء مع الشك.

ومبدأ الخطأ في العفو ينطبق على كل أنواع الجرائم، فهو ينطبق على جرائم الحدود، وجرائم القصاص والدية، وجرائم التعازير. ويمكن القول بأن مبدأ درء الحدود بالشبهات، على أهميته، يعتبر

تطبيقاً لمبدأ الخطأ في العفو، على الأقل في الحالات التي يؤدي فيها درء الحد لتبرئة الجاني .

ثم تحدّث المؤلف عن (القانون والشرعية) فقال :

وتأخذ القوانين الوضعية بصفة عامة بطريقة الشريعة في التفسير . . . والقاعدة في القانون أن يُفسَّر كُلُّ شَكٍّ لمصلحة المتهم، وتطبيق هذه القاعدة قد يؤدي إلى تخفيف عقوبة الجاني، وقد يؤدي إلى تبرئة المتهم، فمثلاً إذا شكَّت المحكمة في توفُّر ركن (الإكراه) في السرقة بالإكراه، فسَّر هذا الشكَّ لمصلحة المتهم، واعتبرت الواقعة سرقة عادية، وعوقب عليها بعقوبة الجنحة بدلاً من عقوبة الجناية. وإذا شكَّت المحكمة في ثبوت الجريمة، أو في توفُّر ركن من أركانها، حُكِمَ ببراءة المتهم. ويتبين من هذا أن تفسير الشكَّ لمصلحة المتهم في القانون، يقابل في الشريعة درء الحد بالشبهات، وتفضيل الخطأ في العفو، ويؤدي إلى نفس نتائج هذين المبدیان (١).

*** . . . ***

والجريمة لا تثبت إلا باليقين لا بالشبهات :

﴿والذين يرمون المحصنات، ثُمَّ لم يَأْتُوا بأربعة شهداء، فاجْلِدُوهُمْ ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً، وأُولَئِكَ هم الفاسقون﴾ [النور: ٤٠].

ولذلك كان مبدأ (ادرءوا الحدود بالشبهات).

(١) راجع التشريع الجنائي الإسلامي لعودة ص ٢١٧ - ٢١٨ - والقانون الجنائي لعلي بدوي ص ١٠٦ - ١١٠.

اجتهاد المحاكم الشرعية في قضايا الاتهام بالردة :

وفي كتاب (المبادئ القضائية التي استقر عليها اجتهاد محكمة الاستئناف الشرعية في المملكة الأردنية الهاشمية) ^(١)، إثبات لقرار محكمة الاستئناف الشرعية رقم ٢٠٧٦٧ تاريخ ٢٧ / ٥ / ١٩٧٩، كما جاء في الصفحة : ١٨١ :

ردة - مجرد سب الدين لا يوجب الردة :

أقام الزوج على زوجته دعوى يطلب التفريق للنزاع والشقاق، وقد شهد في هذه الدعوى شاهدان بأنها سبت دينه، فرأت المحكمة الابتدائية أن في الشهادة ادعاء بما يُوجب ردة الزوجة، فعينت رئيس قلم المحكمة مدّعياً باسم الحق العام الشرعي، وسألت الزوج عما ورد في شهادة الشاهدين، فأيد شهادتهما بأنها على أثر خلاف وزعل بينهما سبت دينه بقولها (يلعن دينك)، وأنكرت الزوجة ذلك، وأصرّت على الإنكار، فرأت المحكمة أن إقرار الزوج بالسب على الوجه المذكور كافٍ في ثبوت ردة الزوجة وانفساخ عقد الزواج القائم بينهما، وحكمت بذلك. فاستأنف الزوج هذا الحكم !.

ولدى نظر محكمة الاستئناف الشرعية في هذا الإدعاء، تجد أنه لا ريب أن الردة توجب انفساخ عقد الزواج وبذات الردة دون حاجة إلى حكم حاكم. وذلك وفق الراجح من مذهب أبي حنيفة، والعمل في هذه المحكمة على الراجح من المذهب المذكور، وفقاً للمادة ١٨٣ من قانون الأحوال

(١) المجموعة الثانية من ١ / ٧ / ١٩٧٣ إلى ٣٠ / ٦ / ١٩٨٣، لمؤلفه محمد حمزة العربي، المحامي الشرعي - نشر دار الفرقان - عمان - الأردن.

الشخصية رقم ٦١ لسنة ١٩٧٦ والمادة ٣٠٣ من الأحكام الشرعية وشرحها للأبياني . ومحكمة الاستئناف الشرعية توافق المحكمة الابتدائية إلى هذا القدر، من اجتهادها، ولكن هل تُبَتِّ الرِّدَّة التي نُسبت إلى الزوجة؟

يتبين لها أن ما اعتمدت عليه المحكمة الابتدائية في هذه الدعوى على ثبوت رِدَّة الزوجة إقرار الزوج المدَّعي بأنها قالت له (يلعن دينك)، وبناء على هذا الإقرار قررت ارتداد الزوجة وانفساخ عقد الزواج بينهما، مع أن الإقرار حجة قاصرة على المُقَرِّ، طبقاً للمادة ٧٨ من المجلة، وأن في قبول الإقرار على إطلاقه في مثل هذه الدعوى، قبولٌ بمبدأ جواز الإقرار على الغير، خلافاً للمادة ١٥٧٢، من المجلة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى على فرض كفاية هذا الإقرار في الإثبات، فهل قول الزوجة لزوجها (يلعن دينك) في حال مناقشة بينهما وزعل، وفي مثل بيئتهما وطبقتيهما يوجب رِدَّة الزوجة؟

ليان ذلك، فقد أوردت محكمة الاستئناف الشرعية بعض النصوص الفقهية:

١ - جاء في الفتاوى الصغرى: (الكفر شيء عظيم، فلا أجعل المؤمن كافراً متى وجدت رواية أنه لا يكفر).

٢ - وجاء في الجامع الأصغر: (إذا أطلق الرجل كلمة الكفر عمداً، ولكنه لم يعتقد الكفر قال بعض أصحابنا لا يكفر، لأن الكفر يتعلق بالضمير، ولم يعتقد الضمير الكفر، وقال بعضهم يكفر وهو الصحيح، لأنه استخفَّ بدينه).

٣ - وجاء في الخلاصة: (إذا كان في المسألة وجوه توجب التكفير، ووجه واحد يمنع التكفير فعلى المفتي أن يميل إلى الوجه الذي يمنع التكفير، تحسناً للظن بالمسلم).

– زاد في البزازية : (إلا أن يصّر بإرادة موجب الكفر، فلا ينفعه التأويل حينئذ).

– وفي التارخانية : (لا يكفر بالمحتمل، لأن الكفر نهاية في العقوبة، فيستدعي نهاية في الجناية، ومع الاحتمال لا نهاية).

٤ – وجاء في الأنقروية : (والحاصل أنه إذا تكلم بكلمة الكفر هازلاً أو لاعباً كَفَرَ عند الكل، ولا اعتبار باعتقاده لما صرّح به قاضيخان في فتاواه: من تكلم بها مخطئاً أو مكرهاً لا يكفر عند الكل، ومن تكلم بها عالماً عامداً كفر عند الكل. ومن تكلم بها اختياراً جاهلاً بأنها كفر ففيه خلاف، والذي تحرر أنه لا يفتى بتكفير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن، أو كان في كفره اختلاف ولورواية ضعيفة. فعلى هذا فأكثر ألفاظ الكفر لا يُفتى بها بالكفر، ولقد ألزمت – والكلام لصاحب الأنقروية – أن لا أفتي بشيء منها).

هذه بعض النصوص الفقهية والفتاوى في الموضوع، ويمكن أن يتبين من هذه النصوص واقعة الحال في هذه الدعوى وحكمها، مع ملاحظة إنكار الزوجة للسب المنسوب إليها، وعدم بيان الشاهدين لصيغة السب، وما ذكره الزوج في المحضر وكرّره في لائحته الاستئنافية أن الزوجة لم تقصد بالسب الدين الإسلامي.

من ذلك كله، ومن وقائع هذه الدعوى وبيئة الزوجين ووسطهما وطبقتهما، وعلى ضوء النصوص الفقهية والفتاوى، لا يمكن الجزم بأن الزوجة أصبحت مرتدة، لأن معتق الدين الإسلامي لا يخرج منه إلا إذا أنكر ما من أجله كان مقتنعاً له.

لهذا كله، فقد كان الحكم بانفساخ عقد الزواج بين الزوجين على الوجه المذكور غير صحيح، ومخالفاً للوجه الشرعي، فقررت فسخه،

ولعدم توفّر الأسباب ردّت الادعاء برّدّة الزوجة، وإعادة الأوراق إلى المحكمة الابتدائية للسّير في الدعوى الأصلية (الحكم المستأنف صادر عن محكمة اربد الشرعية).

** . . ** . . **

ونختتم هذا البحث ببيان ما قرره الإمام محمود شلتوت في كتابه (الإسلام عقيدة وشرعية) ص ٥٤ - ٥٧ ، من أنّ النظريات الخلافية فيما لا قاطع فيه يمنع التّأثيم، فيقول:

هذا هو شأن العقائد وطريق ثبوتها، ولا بد أن يعمّ العلمُ بها جميع الناس، ولا يختصّ بطائفة دون أخرى، لأنّها أساس الدين، وبها يكون المرء مؤمناً، فكيف يتصور في مؤمن أن يجهلها؟ ومن مقتضيات هذا العلم ألا يقع خلاف بين العلماء في ثبوتها ونفيها.

النظريات الخلافية :

ومن هنا نستطيع أن نقرر أن العلميات التي لم ترد بطريق قطعي، أو وردت عن طريق قطعي، ولكن لا بسها احتمال في الدلالة، فاختلف فيها العلماء، ليست من العقائد التي يكلفنا بها الدين، والتي تعتبر حدّاً فاصلاً بين الذين يؤمنون، والذين لا يؤمنون^(١).

ثم قال : وإنك لتجد كثيراً من هذا النوع في كتب التوحيد إلى جانب العقائد التي كلّفنا الله أن نؤمن بها، فهي تذكر إلى جانب وجود الله ووحدانيته والرسول واليوم الآخر مسائل: رؤية الله بالأبصار، وزيادة

(١) يراجع فتوى فضيلة الشيخ محمد الغزالي، وفتوى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف في الفصل العاشر من هذا الكتاب.

الصفات عن الذات، ومرتكب الكبيرة، وما يكون آخر الزمان من ظهور المهدي والدُّجَال والدُّخَان، ونزول عيسى، وما إلى ذلك ممَّا يذكر في مثل (خريدة الدردير) و(جوهرة اللقاني)، وغيرهما.

والتاريخ العلمي يدلّ على أن هذه مسائل جرّ إليها البحث في العقائد حين تعدّدت الفرق وكثرت الآراء والمذاهب الكلامية، فكانت محلّ اجتهد بين العلماء، كلّ يرى رأيه فيها، ويدلي بحجّته على ما يرى، ملتمساً الوصول إلى ما يلائم في نظره العقيدة المتفق عليها.

وأمثلة ذلك كثيرة:

منها، أن المسلمين جميعاً قد اتفقوا على أن الله تعالى منزّه عن كلّ نقص، متّصف بكلّ كمال، فهذه عقيدة قاطعة يعلمها كل مؤمن، ولا يختلف فيها عالم عن عالم، ولكن البحث جرّ إلى مسائل تتصل بها:

— هل يجب على الله أن يفعل الأصلح لعباده؟

— هل العبد خالق لأفعال نفسه الاختيارية؟

— هل المعاصي التي فعلها العباد مرادة لله؟

فاختلف العلماء في هذه المسألة:

رأي المعتزلة: أن ترك الأصلح، وتعذيب العبد على شيء لم يفعله، وإرادة القبيح، نقص لا يليق بجلال الله وكماله، فذهبوا إلى وجوب الأصلح على الله، وإلى أن العبد خالق لأفعال نفسه، وإلى أنه تعالى لا يريد المعاصي.

ورأي غيرهم: أن إيجاب شيء على الله، وعجزه عن خلق ما يفعله العبد، وحصول ما لا يريد في ملكه، نقص لا يليق بجلال الله وكماله،

فذهبوا إلى أن الله لا يجب عليه فعل الأصلح ، وإلى أنه خالق أفعال العباد ، وأنه يريد المعاصي .

فأنت ترى أن هؤلاء جميعاً لم يختلفوا في الأصل الذي كلفنا الله الإيمان به ، وهو تنزيه الله تعالى عن النقص ووصفه بالكمال ، ولكنهم اختلفوا في أشياء : هل هي نقص فلا يتصف الله بها ، أو ليست بنقص فيتصف بها ، وقد ذكرت كتب التوحيد ما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه ، وأوردت الأدلة النقلية التي استدلت بها كل على ما يرى .

الاختلاف فيما لا قاطع فيه يمنع التأثيم :

على هذا النحو جرى الخلاف بين الفرق الإسلامية في المسائل التي جرّ إليها البحث في العقائد وهو خلاف كخلاف الفقهاء في أحكام الفروع التي لم يرد فيها نص قاطع محكم ، خلاف لا يصح أن يرمى أحد فيه بأنه حاد عن الصراط المستقيم ، أو ضلّ ، أو فسق ، أو أنكر مسألة من مسائل الدين الخ^(١) ، ولكن عصور التعصّب المذهبي العنيف ، حملت للمسلمين تراثاً بغيضاً من التراشق بالتّهم ، والتراخي بالفسوق والضلال ، فتبادل الفقهاء - أصحاب الفروع - نوعاً من التّهم ، وتبادل المتكلّمون - أصحاب العقائد - مثل ذلك ، وتلقّف المخدوعون من الخلف هذه التّهم ، وملاؤا بها كتبهم ، وأسرفوا في الاعتداد بها حتّى جعلوها مقياس ما يُقبل من الآراء أو يُرفض .

من هذا كله يتضح :

١ - أنه لا بد في العقيدة من أن يكون دليلها قطعياً في وروده ، وفي دلالاته .

(١) انظر الملل والنحل لابن حزم ، و(القواعد الكبرى) ، للعزبن عبد السلام ، وغيرهما من كتب الأصول والكلام .

٢ - وأن ما لم يكن دليلاً قطعياً، فاختلف فيه العلماء، لا يصح أن يعدّ من العقائد، ولا أن يكون رأي طائفة معينة فيه هو الحقّ دون سواه.

٣ - وأن كتب التوحيد لم تقتصر على ذكر العقائد التي كلّفنا بها الشرع، وإنما ذكرت بجانبها بعض النظريات العلمية التي تعارضت فيها النصوص، فكانت محلّ اجتهاد بين العلماء.

ونتيجة هذا كله : إنّ القول بأن كذا عقيدة يجب الإيمان بها، لأنّ ظاهر الآية أو المروي من الحديث يدلّ عليه، أو لأنه مذكور في كتب التوحيد - كلّ ذلك قول من لا يفهم معنى (العقيدة)، ولا يعرف أساسها الذي تُبنى عليه [انتهى كلام الشيخ محمود شلتوت].

والخلاصة التي نستنتجها من أدلة هذا البحث :

١ - أن الإسلام أعطى للإنسان الحريات الثلاث : حرية التفكير، وحرية الاعتقاد، وحرية القول - دون حرّية التكفير - وأنّ حرّية القول بميزان الشريعة الإسلامية تبيح لكل إنسان أن يقول ما يشاء دون عدوان، فلا يكون شتّاماً، ولا عيّاباً، ولا قاذفاً، ولا كاذباً، ولا مكفّراً مسلماً من أهل التوحيد والإيمان.

٢ - أن الفهم الإنساني في الإسلام ليس ديناً يلتزم، وإنما هي آراء وأفهام فيما هو من القرآن محتمل للآراء والافهام.

٣ - أن تفسير القرآن وتأويله لا يكفر جاحده ولا رادّه، لأنّه أمرٌ اجتهادي من فعل بشر يُخطئون ويُصيبون.

٤ - أن اتهام المسلم بالردّة، لا يثبت إلّا بدليل قطعي، ولمّا كان ما في القلب غيباً من الغيوب، أي لا يعلمها إلا الله، كان لا بدّ من صدور ما يدلّ على كفره دلالة قطعية لا تحتمل التأويل، حتّى قال

الإمام مالك رضي الله عنه : من صَدَرَ عنه ما يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجهاً، ويحتمل الإيمان من وجه، حُمِلَ أمره على الإيمان .

٥ - أن علماء الإسلام يرون أن الحدود تُدْرَأ بالشبهات ، ولا تثبت بحديث الأحاد، وأن الكفر بنفسه ليس مبيحاً للدم، وإنما المبيح للدم هو محاربة المسلمين والعدوان عليهم ومحاولة فتنهم عن دينهم .

٦ - أن الإسلام أباح الاجتهاد فيما لا نص فيه، أو في النص الظني الدلالة، أو ما احتمل أكثر من معنى، وأن الإسلام لا يبيح اتهام المجتهد المخطيء بالكفر والردة، بل إن الإسلام أعطى المجتهد المخطيء أجراً واحداً على اجتهاده الخاطيء

٧ - أن المسلم كما عرفه رسول الإسلام : من شَهِدَ أن لا إله إلا الله، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا .

٨ - ليس للقاضي الجنائي أن يخالف النص الصريح، وعليه أن يراعي في كل الأحوال مبدئين شرعيين أساسيين، أولهما: قول الرسول ﷺ : (إدروا الحدود بالشبهات) ثانيهما: (إن الإمام أن يخطيء في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة) .

٩ - إن اجتهاد محكمة الاستئناف الشرعية في المملكة الأردنية الهاشمية نقضت الحكم بالردة لعدم ثبوت الردة، ولأن النصوص الفقهية تقول: والذي تحرر أنه لا يُفتى بتكفير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن، أو كان في كفره اختلاف ولورواية ضعيفة .

١٠ - أن العلميات التي لم ترد بطريق قطعي، أو وردت عن طريق قطعي ولكن لا بسها احتمال في الدلالة، فاختلف فيها العلماء، ليست من العقائد التي يكلفنا بها الدين، والتي تعتبر حداً فاصلاً بين الذين يؤمنون والذين لا يؤمنون .

الفصل العاشر

فتاوى العلماء والمفتين حول نبوة آدم ورسالته

تمهيد:

- ١ - في تحريم الإفتاء في دين الله بالرأي المتضمن لمخالفة النصوص، والرأي الذي لم تشهد له النصوص بالقبول. [للإمام ابن قيم الجوزية].
- ٢ - في تحريم الإفتاء والحكم في دين الله بما يخالف النصوص، وسقوط الاجتهاد والتقليد عند ظهور النص، وذكر إجماع العلماء على ذلك. [للإمام ابن قيم الجوزية].
- ٣ - في أنواع الرأي الباطل. [للإمام ابن قيم الجوزية].

البحوث والفتاوى

- ١ - تحقيق مسألة الإيمان بالرسول إجمالاً وتفصيلاً .
وعدد الرسائل المذكورين في القرآن [للإمام محمد رشيد رضا].
[استفتاء المؤلف إلى العلماء والمفتين].
- ٢ - فتوى فضيلة الدكتور عبد الله المشدّ :
[رئيس لجنة الفتوى بالأزهر]
- ٣ - فتوى فضيلة الشيخ محمد الغزالي : [الداعية الإسلامي الكبير]
- ٤ - فتوى فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر :
[وكيل الأزهر ووزير الأوقاف السابق]

- ٥ - فتوى الدكتور عبد المجيد مطلوب :
- [أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بجامعة حقوق عين شمس .]
- ٦ - فتوى فضيلة الشيخ أحمد كفتارو :
- [مفتي الجمهورية العربية السورية]
- ٧ - فتوى فضيلة الشيخ محمد سيد طنطاوي :
- [مفتي جمهورية مصر العربية]
- ٨ - تعقيب المؤلف على فتوى الشيخ محمد سيد طنطاوي
- ٩ - فتوى سماحة الشيخ حسن خالد رحمه الله :
- [مفتي الجمهورية اللبنانية السابق] .
- ١٠ - ملاحظات المؤلف على فتوى الشيخ حسن خالد .
- ١١ - ظنية نبوة آدم ورسالته . . والإجماع الوهمي !!

*** . . . ***

فصل

في تحريم الإفتاء في دين الله بالرأي المتضمن لمخالفة
النصوص والرأي الذي لم تشهد له النصوص بالقبول (*)

قال الله سبحانه : ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ، ومن أضلّ
ممن اتّبع هواه بغير هدى من الله ؟ إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾^(١)؛ فقسم
الأمر إلى أمرين لا ثالث لهما، إمّا الاستجابة لله والرسول وما جاء به، وإمّا
اتباع الهوى، فكل ما لم يأت به الرسول فهو من الهوى.

وقال تعالى : ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض، فاحكم بين الناس
بالحق، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله، إنّ الذين يضلّون عن سبيل الله
لهم عذابٌ شديد بما نسوا يوم الحساب﴾^(٢)، فقسم سبحانه طريق الحكم بين
الناس إلى الحق وهو الوحي الذي أنزله الله على رسوله، وإلى الهوى وهو ما
خالفه.

وقال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ثمّ جعلناك على شريعة من الأمر فاتّبعها ولا تتبع
أهواء الذين لا يعلمون﴾ إنهم لن يُغْنُوا عنك من الله شيئاً، وإنّ الظالمين
بعضهم أولياء بعض، والله وليّ المتقين﴾^(٣)؛ فقسم الأمر بين الشريعة التي جعله

(*) إعلام الموقعين للإمام ابن قيم الجوزية، ج ١، ص ٤٧ - ٥٢ .

(١) القصص : ٥٠ . (٢) سورة ص : ٢٦ . (٣) الجاثية : ١٨ - ١٩ .

هو سبحانه عليها وأوحى إليه العمل بها وأمر الأمة بها، وبين أتباع أهواء الذين لا يعلمون؛ فأمر بالأول، ونهى عن الثاني.

وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٤)؛ فأمر بأتباع المنزل منه خاصة، وأعلم أن من أتبع غيره فقد أتبع من دونه أولياء.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٥)؛ فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله وأعاد الفعل إعلماً بأن طاعة الرسول تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً، سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه أوتي الكتاب ومثله معه، ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالاً، بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول؛ إيذاناً بأنهم إنما يطاعون تبعاً لطاعة الرسول، فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته، ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع له ولا طاعة، كما صح عنه ﷺ أنه قال: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، وقال: «إنما الطاعة في المعروف»، وقال في ولاة الأمور: «من أمركم منهم بمعصية الله فلا سمع له ولا طاعة»، وقد أخبر ﷺ عن الذين أرادوا دخول النار لما أمرهم أميرهم بدخولها: «إنهم لو دخلوا لما خرجوا منها»، مع أنهم إنما كانوا يدخلونها طاعة لأميرهم، وظناً أن ذلك واجب عليهم، ولكن لما قصروا في الاجتهاد وبادروا إلى طاعة من أمر بمعصية الله وحملوا عموم الأمر بالطاعة بما لم يرد به الأمر ﷺ، وما قد علم من دينه إرادة خلافه، فقصروا في الاجتهاد وأقدموا على تعذيب أنفسهم وإهلاكها من غير تثبت وتبيين: هل ذلك طاعة لله ورسوله

(٤) الأعراف : ٣.

(٥) النساء : ٥٩

أم لا ، فما الظن بمن أطاع غيره في صريح مخالفة ما بعث الله به رسوله ؟ ثم أمر تعالى برّد ما تنازع فيه المؤمنون إلى الله ورسوله إن كانوا مؤمنين ، وأخبرهم أن ذلك خير لهم في العاجل وأحسن تأويلاً في العاقبة .

المؤمنون لا يخرجهم تنازعهم عن الإيمان :

والمقصود أن أهل الإيمان لا يخرجهم تنازعهم في بعض مسائل الأحكام عن حقيقة الإيمان إذا ردّوا ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله كما شرطه الله عليهم بقوله : «فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر» ، ولا ريب أن الحكم المعلق على شرط ينتفي عند انتفائه .

الرد إلى الله ورسوله دليل على أن كل الأحكام في القرآن والسنة :

ومنها : أن قوله : ﴿فإن تنازعتم في شيء﴾ نكرة في سياق الشرط تعم كلّ ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين دقّه وجلّه ، جليّه وخفيّه ، ولو لم يكن في كتاب الله ورسوله بيان حكم ما تنازعوا فيه ولم يكن كافياً لم يأمر بالرد إليه ؛ إذ من الممتنع أن يأمر تعالى بالردّ عند النزاع إلى من لا يوجد عنده فصل النزاع .

ومنها : أن الناس أجمعوا أن الرد إلى الله سبحانه هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول ﷺ هو الردّ إليه نفسه في حياته وإلى سنته بعد وفاته .

انتفاء الإيمان بانتفاء الرد :

ومنها : أنه جعل هذا الرد من موجبات الإيمان ولوازمه ، فإذا انتفى هذا الرد انتفى الإيمان ، ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء لازمه ، ولا سيما التلازم بين هذين الأمرين فإنه من الطرفين ، وكل منهما ينتفي بانتفاء الآخر ، ثم أخبرهم أن هذا الرد خير لهم ، وأن عاقبته أحسن عاقبة ، ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حكّم الطاغوت وتحاكم

إليه، والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله؛ فهذه طواغيت العالم، إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت (*)، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى الطاغوت ومتابعته، وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الأمة - وهم الصحابة ومن تبعهم - ولا قصدوا قصدهم، بل خالفوهم في الطريق والقصد معاً، ثم أخبر تعالى عن هؤلاء بأنهم إذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول أعرضوا عن ذلك، ولم يستجيبوا للداعي، ورضوا بحكم غيره، ثم توعدهم بأنهم إذا أصابتهم مصيبة في عقولهم وأديانهم وبصائرهم وأبدانهم وأموالهم بسبب إعراضهم عما جاء به الرسول وتحكيم غيره والتحاكم إليه - كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم﴾^(٦) - اعتذروا بأنهم إنما قصدوا الإحسان والتوفيق، أي بفعل ما يرضي الفريقين ويوفق بينهما، كما يفعله من يروم التوفيق بين ما جاء به الرسول وبين ما خالفه، ويزعم أنه بذلك محسن قاصد الإصلاح والتوفيق، والإيمان إنما يقتضي إلقاء الحرب بين ما جاء به الرسول وبين كل ما خالفه من طريقة وحقيقة وعقيدة وسياسة ورأي، فمحض الإيمان في هذا الحرب لا في التوفيق، وبالله التوفيق.

ثم أقسم سبحانه بنفسه على نفي الإيمان عن العباد حتى يحكموا رسوله

(*) كذا في الأصل، ولعل صواب الجملة: «رأيت أكثرهم عدلوا عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت».

(٦) المائدة : ٤٩

في كل ما شجر بينهم من الدقيق والجليل، ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكيم بمجردده حتى ينتفي عن صدورهم الحرج والضيق عن قضائه وحكمه، ولم يكتف منهم أيضاً بذلك حتى يسلّموا تسليمًا، وينقادوا انقيادًا. قال تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾^(٧)، فأخبر سبحانه أنه ليس لمؤمن أن يختار بعد قضائه وقضاء رسوله، ومن تخير بعد ذلك فقد ضلّ ضلالاً مبيّناً.

النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله:

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله، واتقوا الله، إن الله سميع عليم﴾^(٨)، أي لا تقولوا حتى يقول، ولا تأمروا حتى يأمر، ولا تفتوا حتى يفتي، ولا تقطعوا أمراً حتى يكون هو الذي يحكم فيه ويمضيه. روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة، وروى العوفي عنه قال: نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه.

والقول الجامع في معنى الآية: لا تعجلوا بقول ولا فعل قبل أن يقول رسول الله ﷺ أو يفعل.

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض، أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾^(٩)، فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سبباً لحبوط أعمالهم، فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياستهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها عليه؟! أليس هذا أولى أن يكون محبطاً لأعمالهم؟!.

وقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على

(٧) الأحزاب : ٣٦ .

(٨) الحجرات : ١ .

(٩) الحجرات : ٢ .

أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ﴿١٠﴾ فإذا جعل من لوازم الإيمان أنهم لا يذهبون مذهباً إذا كانوا معه إلا باستئذانه فأولى أن يكون من لوازمه أن لا يذهبوا إلى قول ولا مذهب علمي إلا بعد استئذانه ، وإذنه يُعرف بدلالة ما جاء به على أنه أذن فيه .

** . . ** . . **

(١٠) النور : ٦٢ .

فصل

في تحريم الإفتاء والحكم في دين الله بما يخالف النصوص،
وسقوط الاجتهاد والتقليد عند ظهور النص
وذكر إجماع العلماء على ذلك (*)

لا حكم بما يخالف النصوص:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مَوْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ، وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ، وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ، قَلِيلًا مَّا

(*) إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية : ج ٢ ، ص ٢٧٩ - ٢٨٥ .

(١) الأحزاب : ٣٦ ،

(٢) الحجرات : ١ .

(٣) النور : ٥١ .

(٤) النساء : ١٠٥ ،

تذكرون ﴿٥﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ، لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿٦﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ ﴿٧﴾، وقال تعالى: ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَبْصَرَ بِهِ وَأَسْمِعَ، مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ، وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٨﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٩﴾، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿١٠﴾، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿١١﴾.

فأكد هذا التأكيد، وكرّر هذا التقرير في موضع واحد، لعظم مفسدة الحكم بغير ما أنزله، وعموم مضرته، وبليّة الأمانة به، وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَأَنْ تَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٢﴾، وأنكر تعالى على من حاجّ في دينه بما ليس له به علم، فقال: ﴿هَا أَنْتُمْ مُؤَلَّاءُ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ، فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ؟ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٣﴾، ونهى أن يقول أحد هذا حلال وهذا حرام لما لم يحرمه الله ورسوله نصّاً، وأخبر أن فاعل ذلك مُفْتَرٍ على الله الكذب، فقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذْبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ

(١٠) المائدة : ٤٥ ،

(١١) المائدة : ٤٧ .

(١٢) الأعراف : ٣٣ .

(١٣) آل عمران : ٦٦ .

(٥) الأعراف : ٣ .

(٦) الأنعام : ١٥٣ .

(٧) الأنعام : ٥٧ .

(٨) الكهف : ٢٦ .

(٩) المائدة : ٤٤ .

الكذب، إِنَّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون، متاعٌ قليل، ولهم عذابٌ إليمٌ ﴿١٤﴾، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وأما السُّنة، ففي الصحيحين من حديث ابن عباس أن هلال بن أمية قَذَفَ امرأته بشريك بن سحماء عند النبي (ﷺ)، فذكر حديث اللعان، وقول النبي (ﷺ): «أبصروها؛ فإن جاءت به أكحل العينين، سابغ الإليتين خَدَلَجَ الساقين فهو لشريك بن سحماء، وإن جاءت به كذا وكذا فهو لهلال بن أمية، فجاءت به على النعت المكروه، فقال النبي (ﷺ): «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن - يريد - والله ورسوله أعلم - بكتاب الله قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ﴾»^(١٥) ويريد بالشأن - والله أعلم - أنه كان يحذُّها لمشابهة ولدها للرجل الذي رُميت به، ولكن كتاب الله فَصَلَ الحكومة، وأسقط كل قول وراءه، ولم يبق للاجتهاد بعده موقع.

أقوال العلماء في العمل بالنص:

قال الشافعي: وأخبرني من لا أتَّهم عن ابن أبي ذئب قال: أخبرني مخلد بن خفاف قال: ابتعت غلاماً، فاستغللته، ثم ظهرت منه على عيب، فخاصمت فيه إلى عمر بن عبد العزيز؛، فقضى لي برده، وقضى عليّ برد غلته، فأتيت عروة فأخبرته، فقال: أروح إليه العشيّة فأخبره. أن عائشة أخبرتني أن رسول الله (ﷺ): «قضى في مثل هذا أن الخراج بالضمان»..

فعجلت إلى عمر، فأخبرته بما أخبرني به عروة عن عائشة عن رسول الله (ﷺ) فقال عمر: فما أيسر هذا عليّ من قضاء قضيته، اللهم إنك تعلم أنني

(١٤) النحل: ١١٦.

(١٥) النور: ٨.

لم أرد فيه إلا الحق، فبلغتني فيه سنة عن رسول الله (ﷺ) فأردّ قضاء عمر، وأنفذ سنة رسول الله (ﷺ)، فراح إليه عروة؛ فقضى لي أن آخذ الخراج من الذي قضى به عليّ له.

قال الشافعي : وأخبرني من لا أتهم من أهل المدينة عن ابن أبي ذئب قال: قضى سعد بن إبراهيم على رجل بقضية برأي ربيعة بن أبي عبد الرحمن، فأخبرته عن النبي (ﷺ) بخلاف ما قضى به، فقال سعد لربيعة، هذا ابن أبي ذئب، وهو عندي ثقة، يخبرني عن النبي (ﷺ) بخلاف ما قضيت به، فقال له ربيعة: قد اجتهدت ومضى حكمك، فقال سعد: واعجباً! أنفذ قضاء سعد بن أم سعد، وأردّ قضاء رسول الله (ﷺ)، بل أردّ قضاء ابن أم سعد، وأنفذ قضاء رسول الله (ﷺ)، فدعا بكتاب القضية فشقه، وقضى للمقضي عليه، فليوحشن المقلدون، ثم أوحش الله منهم!

وقال أبو النضر هاشم بن القاسم: حدّثنا محمد بن راشد عن عبدة بن أبي لبابة عن هشام بن يحيى المخزومي أنّ رجلاً من ثقيف أتى عمر بن الخطاب، فسأله عن امرأة حاضت وقد كانت زارت البيت يوم النحر، ألها أن تنفر؟ فقال عمر: لا، فقال له الثقيفي: إن رسول الله (ﷺ) أفتاني في مثل هذه المرأة بغير ما أفتيت به، فقام إليه عمر يضربه بالدرة ويقول له: لم تستفتني في شيء قد أفتى فيه رسول الله (ﷺ)؟ [ورواه أبو داود بنحوه].

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدّثنا صالح بن عبد الله، حدّثنا سفيان بن عامر عن عتاب بن منصور، قال: قال عمر بن عبد العزيز: لا رأي لأحد مع سنة رسول الله (ﷺ).

وقال الشافعي: أجمع الناس على أنّ من استبان له سنة عن رسول الله (ﷺ) لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس، وتواتر عنه أنه قال: إذا

صحّ الحديث فاضربوا بقولي الحائط وصحّ عنه أنه قال: إذا رويت عن رسول الله (ﷺ) حديثاً ولم آخذ به فاعلموا أن عقلي قد ذهب، وصحّ عنه أنه قال: لا قول لأحد مع سنة رسول الله (ﷺ).

وفي صحيح مسلم، من حديث الليث عن يحيى بن سعيد عن سليمان ابن يسار أن أبا هريرة وابن عباس وأبا سلمة بن عبد الرحمن تذاكروا في المتوفى عنها الحامل تضع عند وفاة زوجها، فقال ابن عباس: تعتد آخر الأجلين، فقال أبو سلمة: تحل حين تضع، فقال أبو هريرة: وأنا مع ابن أخي، فأرسلوا إلى أم سلمة فقالت: قد وضعت سبعة(*) بعد وفاة زوجها بيسير، فأمرها رسول الله (ﷺ) أن تتزوج.

فقال الأصم: وسمعت الربيع يقول: سمعت الشافعي يقول: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله (ﷺ) فقولوا بسنة رسول الله (ﷺ) ودعوا ما قلت، وقال أبو محمد الجارودي: سمعت الربيع يقول: سمعت الشافعي يقول: إذا وجدتم سنة رسول الله (ﷺ) خلاف قولي، فخذوا بالسنة ودعوا قولي، فإني أقول بها، وقال أحمد بن علي بن ماهان الرازي: سمعت الربيع يقول: سمعت الشافعي يقول: كل مسألة تكلمت فيها صحّ الخبر فيها عن رسول الله (ﷺ) عند أهل النقل بخلاف ما قلت، فأنا راجع عنها في حياتي وبعد مماتي..

** .. ** .. **

(*) سبعة الأسلمية .

أنواع الرأي الباطل

قال الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه [إعلام الموقعين] تحت عنوان: [في أنواع الرأي الباطل]:

«والرأي الباطل أنواع:

أحدها: الرأي المخالف للنص، وهذا مما يُعلم بالاضطرار من دين الإسلام فساده وبطلانه، ولا تحلّ الفتيا به ولا القضاء.

النوع الثاني: هو الكلام في الدين بالخرص والظنّ، مع التفريط والتقصير في معرفة النصوص وفهمها، واستنباط الأحكام منها. فإن من جهلها وقاس برأيه فيما سُئِلَ عنه بغير علم، بل لمجرد قدر جامع بين الشيئين الحق أحدهما بالآخر، أو لمجرد قدر فارق بينهما، يفرّق بينهما في الحكم من غير نظر إلى النصوص والآثار، فقد وقع في الرأي المذموم الباطل.

[إعلام الموقعين: ج ١ ص ٦٧ - ٦٨].

البحوث . . . والفتاوى

بحث

[تحقيق مسألة الإيمان بالرسل إجمالاً وتفصيلاً]
وعدد الرسل المذكورين في القرآن الكريم

بقلم فضيلة الشيخ الإمام

محمد رشيد رضا

[صاحب تفسير المنار]

من أصول العقائد الإسلامية : أنه يجب الإيمان بأن الله تعالى أرسل في كل الأمم رُسُلًا ، منهم من قصَّ على رسولنا ، ومنهم من لم يقصص عليه ، وأنه يجب الإيمان بمن ذكر منهم في القرآن إيماناً تفصيلياً ، أي تجب معرفتهم بأسمائهم . وصرَّح بعض العلماء بأن إنكار رسالة أحدٍ منهم كفر ، وظاهر كلامهم هذا أن معرفتهم بأسمائهم من المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة ، فلا يعذر أحدٌ بجهله - إلا من كان حديث العهد بالإسلام ، ومن نشأ بعيداً عن بلاد المسلمين - فمن لم يعلم أن اليَسَّع رسول الله - مثلاً - كان كافراً . ولذلك يشترط العلماء في ذلك أن يكون مجمعاً عليه معلوماً من الدين بالضرورة ، ويشترطون أن يكون المكذَّب غير متأوِّل ، إذ لا يتأوَّل أحد إلا ما كان غير قطعي الدلالة عنده ، ولهذا لم يكفر سلف الأمة من خالفهم في فهم آيات الصفات وغيرها من فرق المبتدعة متأوِّلاً ، ولكنَّ السلف والخلف يكفُّون من يكذَّب الرسول (ﷺ) بشيءٍ يعتقد هو أنه جاء به عن الله تعالى وإن لم يكن في الواقع قطعي الرواية والدلالة ، إذ مدار الكفر على التكذيب .

وقد ذكروا في بعض كتب العقائد وغيرها أنَّ الأنبياء المرسلين الذين ذُكروا في القرآن ويجب الإيمان بهم تفصيلاً خمسة وعشرون، هم الثمانية عشر الذين ذكرت أسماؤهم في هذه الآيات (*) التي لا تزال بصدد تفسيرها، والسبعة الآخرون آدم أبو البشر، وإدريس، ولوط، وأنبياء العرب هود وصالح وشعيب وخاتم الجميع محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام، وزاد بعضهم ذو الكفل بذكره مع الأنبياء في سورة (ص)، ولكن اختلف في نبوته لعدم التصريح بها، وإنما وُصِفَ مع من ذكر معهم بأنهم من الأخيار.

وليس في القرآن نصّ قطعي صريح في رسالة آدم عليه السلام بل مفهوم قوله تعالى: [٤ : ١٦٣] ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أنَّ نُوحاً أوَّلَ نبيِّ مُرسل، أوحى الله إليه رسالته وشرعه. ويؤيده في الجملة هذه الآيات التي نفسرها وما في معناها كقوله تعالى: [٥٧ : ٢٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ وعدم ذكره في السور التي سرد فيها ذكر الرسل المشهورين كـ «هود» و«مريم» و«الأنبياء» و«الشعراء» و«الصفّات» و«ص» و«القمر». ويؤيده بالنصّ الصريح حديث الشفاعة المتفق عليه من حديث أنس بن مالك وأبي هريرة، والأول أصرح قال: قال رسول الله (ﷺ): «يجمع الله الناس يوم القيامة، فيهتمون لذلك، فيقولون لو استشفعنا على ربنا فأراحنا من مكاننا هذا! فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول لهم آدم: لست هناكم - ويذكر ذنبه الذي أصابه فيستحي ربه عز وجل - ، ولكن ائتوا نوحاً أوَّلَ رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحاً الخ، وفي حديث أبي هريرة أنهم يقولون له: «يا نوح أنت أوَّلَ الرسل إلى أهل الأرض» الحديث، وهو معروف مشهور، وفيه أنَّ كل رسول من أولي العزم -

(*) الآيات : ٨٣ - ٨٦ من سورة الأنعام.

وهم على الراجح المشهور: نوح، وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (ﷺ) -
كان يدفعهم إلى من بعده حتى إذا انتهوا إلى الخاتم كان هو الشافع المشفع.

وقد اضطربت أقوال العلماء في آية ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ وحديث الشفاعة.
قال الرازي في تفسير الآية (المسألة الثالثة) قالوا إنما بدأ الله بذكر نوح لأنه
أول نبي شرع الله على لسانه الأحكام والحلال والحرام، ثم قال تعالى:
﴿وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ ثم خصّ بعض النبيين بالذكر لكونهم أفضل من غيرهم
اهـ، وتبعه فيه النيسابوري وأبو السعود والخازن وغيرهم، وزادوا على ذلك
خصائص لنوح. قال الخازن ما نصه: قال المفسرون: وإنما بدأ الله بذكر
نوح عليه السلام لأنه أول نبي بُعث بشريعة، وأول نذير على الشرك، وأنزل
الله عز وجل عليه عشر صحائف، وكان أول نبي عذبت أمته لردّهم دعوته،
وكان أبا البشر كآدم عليهما السلام اهـ، المراد منه، ومثله في فتح البيان في
مقاصد القرآن، وذكر الألوسي أن تعليل البدء بذكره بكونه أول من شرع الله
على لسانه الأحكام قد تعقب بالمنع، ولم يذكر لهذا المنع سنداً، ولا لقوله
تعالى: ﴿وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ حكمة ولا نكتة. وقد سكت عن ذلك أكثر
المفسرين الذين اطلعنا على كتبهم. فمفهوم تصريح هؤلاء المفسرين الناقلين
عن غيرهم من العلماء أن آدم لم يكن رسولاً، لأن الآية تدلّ عندهم على أن
أول رسول شرع الله على لسانه الأحكام، هو نوح عليه السلام.

وأما حديث الشفاعة فقد تكلم فيه الحافظ ابن حجر في عدة مواضع من
شرح البخاري: قال في شرح حديث جابر من كتاب التيمم: أعطيت خمساً
لم يُعطهن أحد قبلي - إلى قوله - وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعث
إلى الناس عامة: وأما قول أهل الموقف لنوح كما صحّ في حديث الشفاعة:
أنت أول رسول إلى أهل الأرض فليس المراد به عموم بعثته بل إثبات أولية
إرساله اهـ. وهذا اعتراف بأنه أول الرسل. ثم قال في شرح حديث أبي

هريرة من كتاب أحاديث الأنبياء : فأما كونه أول الرسل فقد استشكل بأن آدم كان نبياً، وبالضرورة نعلم أنه كان على شريعة من العبادة، وأن أولاده أخذوا ذلك عنه، فعلى هذا فهو رسول إليهم فيكون أول رسول، فيحتمل أن تكون الأولوية في قول أهل الموقف لنوح مقيدة بقولهم «إلى أهل الأرض» لأنه في زمن آدم لم يكن للأرض أهل، أو لأن رسالة آدم إلى بنيهِ كانت كالتربية للأولاد، ويحتمل أن يكون المراد أنه (أي نوحاً) أول رسول أرسل إلى بنيهِ وغيرهم من الأمم الذين أرسل إليهم مع تفرقتهم في عدة بلاد، وآدم إنما أرسل إلى بنيهِ وكانوا مجتمعين في بلدة واحدة. واستشكله بعضهم بإدريس، ولا يرد، لأنه اختلف في كونه جد نوح كما تقدم اهـ، أقول: ويلي شرحه لهذا الحديث شرحه لما أورده البخاري في إلیاس عليه السلام، وفيه عن ابن مسعود وابن عباس أن إلیاس هو إدريس، وقال الحافظ عند الكلام على ترجمة الباب: وأن المصنّف - أي البخاري - رجّح عنده كون إدريس ليس من أجداد نوح، فلذا ذكره بعده اهـ. وإنما ذكره بعد إلیاس.

ثم قال في شرح حديث أنس من كتاب الرقاق - بعد ذكر الاستشكال بآدم وشيث وإدريس - : ومجمل الأجوبة عن الإشكال المذكور، أن الأولوية مقيدة بقوله: «إلى أهل الأرض» لأن آدم ومن دُكر معه لم يرسلوا إلى أهل الأرض. ثم ذكر الإشكال بحديث جابر، والجواب عنه بأن قوم نوح كانوا هم أهل الأرض، وبعثة نبينا لقومه ولغير قومه، ثم قال - أو الأولوية مقيدة بكونه أهلك قومه أو أن الثلاثة كانوا أنبياء ولم يكونوا رسلاً، وإلى هذا جَنَحَ ابن بطال في حق آدم، وتعقّبهُ عياض بما صحّحه ابن جَبَّان من حديث أبي ذر، فإنه كالصریح في أنه كان نبياً مرسلًا، وفيه التصريح بإنزال الصحف على «شيث» وهو من علامات الإرسال. وأما «إدريس» فذهبت طائفة إلى أنه كان في بني إسرائيل، وهو «إلیاس» وقد ذكر ذلك في أحاديث الأنبياء. ومن الأجوبة: أن

رسالة آدم كانت إلى بنيه، وهم موحدون، ليعلمهم شريعته، و«نوح» كانت رسالته إلى قوم كفار يدعوهم إلى التوحيد اهـ .

وظاهر أن جواب ابن بطلال، وهو أحد شراح البخاري من فقهاء المالكية الأندلسيين أبعد الأجوبة المذكورين عن التكلف وأولها باطل لأن أولاد آدم وأحفاده كانوا أهل الأرض لا السماء، وباقياها لا يزيل الإشكال. وتعقب القاضي عياض له بحديث أبي ذر عجيب منه، وأعجب منه سكوت الحافظ له عليه، فالحديث يختلف الحفاظ فيه. فجزم ابن الجوزي بأنه موضوع وحقق السيوطي في «مختصر الموضوعات» أنه ضعيف، وذكر ذلك في «الدر المنثور» واتفقوا على انتقاد «ابن حبان» لذكره إياه في صحيحه، كما صرح بذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره. وقد قدم القسطلاني جواب ابن بطلال، غير معزو إليه على غيره مما ذكر من تلك الأجوبة في شرحه لحديث أنس من كتاب الرقاق في البخاري فقال عند قول آدم: «اتوا نوحاً أول رسول بعثه الله»: أي بعد آدم وشيث وإدريس، أو الثلاثة، كانوا أنبياء ولم يكونوا رسلاً. الخ، فالقسطلاني يعد القول بعدم رسالة آدم جواباً مقبولاً.

*** . . . ***

وقال النووي في شرح حديث أنس من صحيح مسلم: قال الإمام أبو عبد الله المازري: قد ذكر المؤرخون أن إدريس جد نوح عليهما السلام، فإن قام دليل على أن إدريس أرسل أيضاً لم يصح قول النسابين إنه قبل نوح لإخبار النبي (ﷺ) عن آدم أن نوحاً أول رسول بعث، وإن لم يقدّم دليل جاز ما قالوه، وصح أن يحمل على أن إدريس كان نبياً غير مرسل. قال القاضي عياض: وقد قيل إن إدريس هو إلياس، وأنه كان نبياً في بني إسرائيل كما جاء في بعض الأخبار مع يوشع بن نون، فإن كان هكذا سقط الاعتراض. قال القاضي: وبمثل هذا يسقط الاعتراض بآدم وشيث ورسالتهما إلى من معهما،

وإن كانا رسولين، فإن آدم إنما أرسل لبنيه ولم يكونوا كفاراً، بل أُمرَ بتعليمهم الإيمان، وطاعة الله تعالى، وكذلك خَلَفَهُ «شيث» بعده فيهم، بخلاف رسالة نوح إلى كفار أهل الأرض، قال القاضي: وقد رأيتُ أبا الحسن ابن بطلال ذهب إلى أن آدم ليس برسول، ليسلم من هذا الاعتراض، وحديث أبي ذر الطويل ينصُّ على أن آدم وإدريس رسولان. هذا آخر كلام القاضي والله أعلم اهـ.

فجملة هذه النقول عن كبار المفسرين والمحدثين من المتكلمين والفقهاء أن آدم مختلف في رسالته وأن إدريس مختلف في رسالته وفي كونه هو إلياس المذكور في آيات سورة الأنعام التي نفسرها أو غيره؟ فيكون عدد الرسل المجمع على وجوب الإيمان برسالتهم - لأن نص القرآن فيها قطعي - ثلاثة وعشرون فقط. وأمّا الأحاديث فليس فيها نص قطعي الرواية والدلالة على رسالة آدم. وقد علمت أن حديث أبي ذر الذي نص على ذلك في سياق عدد الأنبياء والرسل لا يحتج به في الأحكام العملية التي يكتفى فيها بالدليل الظني، بله هذه المسألة الاعتقادية التي يطلب فيها اليقين، لأن أهون ما قيل فيه أنه ضعيف وقيل إنه موضوع، ولو وجدوا حديثاً صحيحاً أو حسناً في إثبات رسالة آدم لما لجأوا إلى ذكره!

وأمّا مسألة نبوته وهو كونه موحى إليه من الله تعالى ففيها حديث آحادي رواه البيهقي وغيره عن أبي أمامة قال إن رجلاً قال: يا رسول الله أنبيأ كان آدم؟ قال: «نعم معلّم مكلم» وقد فسّر المعلم في كتب غريب الحديث بالملهم للخير والصواب. وروي «نبيّ مكلم» والتكليم أنواع، أصولها ثلاثة بينها الله تعالى بقوله: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاّ وحياً، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء﴾^(١) ومنها وحي الرسالة وما دونه، ومنها الرؤيا الصادقة، كما ورد في التفسير المأثور. وأما حجّته من القرآن

(١) الشورى: ٥١.

فيمكن أن تُؤخذ من قصّة خلقه ومعصيته وتوبته، إذ فيها أنّ الله علّمه الأسماء كلها، وأنه تلقّى من ربّه كلمات فتاب عليه وهداه. ولكن دلالة ما ذكر على نبوّته غير قطعية فإن الجمهور لا يجعلون كلّ وحي نبوة لا ما كان بخطاب الملك، ولا ما كان بالإلهام والنفث في الروح، ولذلك لا يقولون بنبوة مريم وأم موسى (*). ومن العلماء من قال بنبوّتهما، ثمّ إنّّه يحتمل أن يكون خطاب آدم في قصة خلقه من خطاب التكوين لا التكليف كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً، قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(١) وقد قال الشاذلي من كبار العلماء والصوفية: «وَهَبْ لَنَا التَّلَقِّيَ مِنْكَ كَتَلَقِّيَ آدَمُ مِنْكَ الْكَلِمَاتِ، لِيَكُونَ قَدْوَةً لَوْلَدِهِ فِي التَّوْبَةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ»، ولو كان هذا التلقي نصّاً قطعياً في نبوّته لما طلبه هذا العالم العارف باللغة وأساليبها.

وقد ادّعى الحافظ ابن حجر أنّ دليل رسالته أننا نعلم بالضرورة أنّه كان على شريعة من العبادة، وأنّ أولاده أخذوا ذلك عنه، فعلى هذا فهو رسول إليهم، فيكون هو أوّل رسول. وقد يقال إن أخذ أولاده عنه لا يقتضي عقلاً أن يكون الله قد بعثه رسولاً إليهم يبلغهم عنه وجوب الإيمان بهذه الرسالة وما يترتب عليها من الإنذار والتبشير حتّى يكون ذلك معارضاً لحديث الشفاعة، إذ يجوز أن يكون قد ربّاهم من الصغر على ما هداه الله إليه من الإيمان والعمل الصالح كما تقدم عن بعض العلماء. ونزيد عليه: أنّ في القرآن نصّاً يدل على أنه كان يعلمهم العبادة وأحكام الحلال والحرام، وما يترتب عليها من الجزاء، وهو نبيّ ابني آدم المفصّل في سورة المائدة، فمن العبادة فيه تقرب القربان، ومن خبر الجزاء على الأعمال قول المعتدي عليه للمعتدي: ﴿إِنِّي

(*) سبق أن بيّنا أن الله سبحانه نصّ على ذكورية الأنبياء [المؤلف].

(١) فضّلت: ١١.

أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ﴿ومن العجيب أن يغفل أولئك الحفاظ عن هذه الآيات، ويكتفوا من النقل بحديث أبي ذرّ الموضوع أو الضعيف وبدعوى الضرورة العقلية التي ادّعاها الحافظ ابن حجر، هذا إن كانوا يفهمون منها أنها تدل على رسالة آدم دلالة قطعية، وإذا كانوا لا يفهمون ذلك فبم يستدلون؟

وجملة القول: أنّ الثابت قطعاً في المسألة هو أن آدم عليه السلام كان على هدى من الله يعمل به ويربّي عليه أولاده، وأنّ منه عبادات وقربات يرغب فيها مبشّراً بأنّها يثاب عليها، ومحرمات ينهى عنها منذراً بأنّها يعاقب عليها، وهذه الهداية هي من جنس هداية الله للنبيين والمرسلين التي بلغوها أقوامهم، ولا ندري كيف هدى الله تعالى آدم إليها، فإن طرق الهداية والتبليغ الإلهي متعددة، وكان الظاهر المتبادر أن ذلك كان بوحى الرسالة لولا ما عارضه من حديث الشفاعة وآية ﴿إنا أوحينا إليك﴾ وما يؤيده مما تقدم، ومن احتمال أن ذلك من هداية الفطرة السليمة التي فطر آدم عليها ونشأت عليها ذريته إلى زمن نوح، إذ اختلف الناس وحدثت فيهم الوثنية، فبعث الله النبيين، وجعل منهم الرسل المبلغين عنه بإذنه المؤيدين منه بالآيات لإقامة الحجّة على الكافرين، وذلك قوله عز وجل: [٢ : ٢١٢] ﴿كان الناس أمة واحدة، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾ الآية. فقد صحّ عن ابن عباس (رضي الله عنه) أنّه فسّر ذلك بأنهم كانوا على الإسلام، وفي رواية مفصلة عنه قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين. قال الرواة وكذلك هي في قراءة عبد الله (أي ابن مسعود) «كان الناس أمة واحدة فاختلفوا» الخ، ورووا عن أبيّ أنّه كان يقرأها كذلك أيضاً، ويؤيد ذلك في المعنى آيات أخرى. ورووا عن قتادة أنّه قال ذكّر لنا أنّه كان

بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق، ثم اختلفوا بعد ذلك، فبعث الله نوحاً وكان أول رسول أرسله الله إلى الأرض وبعث عند الاختلاف من الناس فبعث إليهم رسله، وأنزل كتابه يحتج به على خلقه اهـ، من [الدر المنثور] ومنه يعلم المخرجون لهذه الروايات. فهذا قتادة من كبار علماء التابعين^(١) يقول: بأن نوحاً أول نبي مرسل. ويؤيد الرواية عنه مع ما تقدم ما ورد من التفسير المأثور في قوله تعالى: [٣٠ : ٢٨] ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً، فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الآية] - كحديث الصحيحين وغيرهما الناطق بأن كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه. وفي بعض رواياته: يولد على فطرة الإسلام وفي بعضها على الملة، ومنها حديث عياض ابن حماد المجاشعي المرفوع عند محمد بن إسحاق الذي ذكر فيه آدم فقال: (ﷺ) «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ وَبَنِيهِ حُنَفَاءَ مُسْلِمِينَ وَأَعْطَاهُمُ اللَّهَ الْمَالَ حَلَالاً لَا حَرَامَ فِيهِ، فَجَعَلُوا مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ حَرَاماً وَحَلَالاً»، وفي معناه آثار. والمراد من ذلك في مسألتنا أن الله تعالى فطر آدم على معرفته وتوحيده وشكره وعبادته وزاده هدى بما كان يلهمه إياه من الأقوال والأعمال وبما يصل إليه اجتهاده كما قيل في عبادة النبي (ﷺ) في الغار قبل البعثة، وقد يزداد على ذلك إرشاد الملائكة له ولأولاده، فقد كانوا بطهارة فطرتهم يرون الملائكة كما ورد في تعليمهم إياهم

(١) قتادة من كبار أئمة التابعين في التفسير والحديث والفقه وقد قال الإمام أحمد فيه: قتادة أعلم بالتفسير وباختلاف العلماء، ووصفه بالحفظ والفقه وأطنب في ذكره وقال: قل من تجد أن يتقدمه. ذكر ذلك الحافظ الذهبي في ترجمته من طبقات الحفاظ، وذكر عنه أيضاً أنه كان لا يسمع شيئاً إلا حفظه. ومثله في تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر وفيه أنه كان ثقة مأموناً حجة في الحديث. وقال الحافظ الذهبي: ما تأخر أحد عن الاحتجاج بحديثه. ولد سنة ٦١ وتوفي سنة ١١٧ أو ١١٨.

تجهيز أبيهم ودفنه حين توفي، ولسنا بصدد تمحيص أمثال هذه الروايات، ولكن مجموعها يؤيد الحديث المصرح بنبوّة آدم، وإلا كان من الهداية والتعليم الإلهي ما هو أعلى من النُّبوّة أو ما هو مساوٍ لها، فإن كثيراً من الأنبياء لم يؤت من ذلك مثل ما أُوتي آدم. والأنبياء أفضل البشر بالإجماع.

فبهذا التفصيل يُعلم وجه ما اشتهر على ألسنة العلماء من القول بنبوّة آدم ورسالته مع عدم وجود النصّ القاطع، بل مع وجود النصّ المعارض، فإن هدايته لذريّته من نوع هداية الرسل للمؤمنين من أتباعهم كما بيناه آنفاً من معنى الآيات فيه، ولذلك جعله الحافظ من قبيل الضروري، ولكنه لم يبين وجه الضرورة ولم يهتد إلى الجمع بينه وبين المعارض له والذي يتجه في الجمع بغير تكلف هو التفرقة بين هداية من ولدوا على الفطرة وبين بعثة نوح ومن بعده من الرسل إلى من فسدت فطرتهم واختلفوا في الدين الفطري أو في الكتاب الإلهي من المشركين والضالين من أتباع نبي سابق فأعرضوا عما دعاهم إليه، بأن تجعل هذه الهداية الأخيرة هي الرسالة الشرعية التي يسمى من جاءوا بها رُسلاً دون الأولى. وبهذا يجمع بين عدة أجوبة مما نقل عن العلماء في رفع التعارض بتوضيح قليل كقول من قال إنما كانت رسالة آدم إلى بنيه المؤمنين، ورسالة نوح ومن بعده إلى الكافرين، ومن قال إنما كانت رسالة آدم إلى بنيه (المؤمنين) من قبيل تربية الوالد لأولاده، وفيهما أن تسميتها رسالة شرعية بالمعنى المراد من الآيات هو الذي يحقق التعارض فكيف يجعل دافعاً له؟ وأما إذا أثبتنا ما ذكر لآدم ولم نسمه رسالة بالمعنى الشرعي المذكور فإن التعارض يندفع بغير تكلف كما قلنا، وتصح الأقوال كلها، ويكون الخلاف أشبه باللفظي، فهو رسول بالمعنى المشهور عند المتكلمين، دون المعنى المتبادر من القرآن والحديث.

*** . . . ***

استفتاء المؤلف العلماء والمفتين

حول أولية النبوة والرسالة لنوح عليه السلام . . أم لآدم عليه السلام

فضيلة الشيخ حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله . . وبعد ،

يسرنا أن نقدم لكم هذه الأسئلة حول نبوة آدم ورسالته ، راجين التكرم
بإجابتنا عليها ولكم من الله الأجر الجزيل ، ومنا الشكر ووافر الاحترام .

١ - هل آدم أبو البشر نبي ورسول؟ وإذا كان كذلك فما هي أدلة نبوته
ورسالته من كتاب الله عز وجل ومن حديث رسول الله الصادق الأمين؟

٢ - هل آية الاصطفاء في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ
إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ تعني النبوة والرسالة لآدم عليه
السلام، وهل هي من قطعي الدلالة أم هي من ظني الدلالة؟

٣ - لقد استدل كثير من علماء التفسير القدامى والمعاصرين على أولية نبوة
نوح عليه السلام كالإمام الرازي والقرطبي والآلوسي ، والشيخ محمود
شلتوت وأحمد مصطفى المراغي ومحمد رشيد رضا والدكتور محمد
محمود حجازي ، استناداً إلى قوله تعالى في الآية ١٦٣ من سورة النساء:
﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ واستناداً إلى

حديث الشفاعة الذي رواه أبو هريرة في صحيح البخاري ومسلم والترمذي على لسان أهل الموقف: «يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض»، وعلى الحديث الذي رواه أنس بن مالك في صحيح البخاري على لسان آدم أبي البشر بشهادة خاتم الأنبياء:

– اثتوا نوحاً أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض.

– اثتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض.

وسؤالنا الموجه إلى فضيلتكم: هل يعتبر من اعتقد بأولية نبوة ورسالة نوح عليه السلام كافراً ومرتداً يستوجب فسخ عقد الزوجية؟

نرجو إجابتنا عن ذلك، والله يتولاكم برعايته وعنايته

عز الدين بليق

مدير دار الفتح للطباعة والنشر

*** . . *** . . ***

فتوى الدكتور عبد الله المشد
[رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السيد الأستاذ / مدير دار الفتح للطباعة والنشر ببيروت بلبنان،
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد)،

فرداً على الاستفتاء المقدم من سيادتكم بشأن الأسئلة حول نبوة آدم
ورسالته وغيرها نفيد سيادتكم بالجواب:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد، فنفيد بأن الله سبحانه وتعالى يقول
في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾.

وقد اتفق علماء أصول الفقه على أن الغيبيات والإيجاب والتحريم لا
تثبت إلا بدليل قطعي الثبوت والدلالة. وقطعي الثبوت هو كتاب الله سبحانه
وسنة رسوله المتواترة فيما يرى الحنفية. وقطعي الدلالة: هو ما لا يحتمل
أكثر من معنى. فلا يثبت شيء من ذلك بدليل ظني من كتاب الله أو من سنة
رسوله الأحادية، لأن الظني ما احتمل أكثر من معنى واختلف فيه علماء
الأمة.

وعليه، فإذا نظرنا إلى الأدلة من كتاب الله عز وجل، وجدنا أن ما
يتعلق بآدم جاء في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ

عمران على العالمين ﴿وقوله تعالى : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ ، واستدلال بعضهم على نبوة آدم من قوله عز وجل : ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ ، وجميع هذه الآيات قطعية الثبوت لأنها من كتاب الله ، ظنية الدلالة لأنها تحتل أكثر من معنى ، ولذلك اختلف العلماء فيما تدل عليه من حيث القول بنبوة آدم ورسالته ، وعدم القول بالنبوة والرسالة ، لعدم القطع بذلك في هذه النصوص .

أما ما استدل به القائلون بنبوته من السنة فيما ورد عن حديث أبي ذر الطويل من قوله (قلت يا رسول الله : من كان أول الرسل ؟ قال : آدم) ، وما رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، ويدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي ، آدم فمن سواه إلا تحت لوائي) ، وحديث أبي أمامة الذي رواه البيهقي وغيره والذي يقول فيه : (إن رجلاً قال : يا رسول الله : أنبيأ كان آدم ؟ قال : نعم معلّم مكلم) .

وقد تحدث عن الحديث الأول الإمام ابن الجوزي ووسمه بالوضع في كتابه (الموضوعات) وتحدّث عن راويه إبراهيم بن هشام الإمام ابن كثير في تفسيره ، والإمام الذهبي في كتابه (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) ، المجلد الأول صفحة ٧٢ - ٧٣ ، وأشار إلى قول أبي زرعة عن إبراهيم بن هشام بأنه كذاب .

أما الحديث الثاني فقد تحدّث عن ضعف روايته الإمام ابن حجر في كتابه (تهذيب التهذيب) .

ففي الجزء التاسع صفحة ٥١٨ ، تحدّث عن الراوي الأول (ابن أبي عمر) ، وفي الجزء الرابع صفحة ١٠٧ ، تحدّث عن الراوي الثاني (سفيان) ، وفي الجزء السابع صفحة ٣٢٢ ، تحدّث عن الراوي الثالث (ابن جدعان) ، وجميعهم من الضعفاء .

أما الحديث الثالث فقد قال الإمام ابن كثير في تفسيره عن روايته :

— معان بن رفاعة السلامي : ضعيف .

— علي بن زيد : ضعيف .

— القاسم بن عبد الرحمن : ضعيف أيضاً .

«وإذا ثبت أن علماء أصول الفقه لا يستدلون على ما تقدم من إيجاب أو تحريم أو غيبات إلاّ بدليل قطعي الثبوت، قطعي الدلالة، وأنه لا يجوز الاستدلال على هذه الثلاث (الغيبات، ومنها نبوة آدم أو على الإيجاب، أو التحريم)، بحديث حسن أو مشهور، فأولى وأحقّ عدم جواز الاستدلال على هذه الثلاثة بأحاديث موضوعة أو ضعيفة . .

أما استدلالهم على نبوة آدم ورسالته بالإجماع . فإن الإجماع أولاً هو اتفاق كلمة الخاصة من علماء المسلمين في عصر من العصور على حكم قضية دون أن يرجع أحد منهم عن رأيه حتى الموت، ولم يثبت هذا الإجماع لا من حيث أسماؤهم ولا من حيث عصرهم ولا من حيث مكانهم . . هذا بالإضافة إلى أن الإجماع فيما ذكره علماء أصول الفقه من الأدلة الظنية وليس من الأدلة القطعية حتى يستدلّ به على أمر غيبي .

هذا بالإضافة إلى أن (ابن قدامة)، ذكر في كتابه (المغني) في فصل المرتد (بأنّ المرتد هو من أنكر شيئاً علم من الدين بالضرورة)، ثم فسّر ذلك بأنه من استباح أو استحل ترك واجب أو فعل محرّم، ومثّل لذلك بقول الله تعالى في الأوامر والواجبات: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ: فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾، ﴿إِنْ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ .

وفي المنهيات: قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ

المحصنات المؤمنات الغافلات لعنوا في الدنيا والآخرة ﴿﴾ ، ﴿﴾ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلمكم تغفلون ﴿﴾ ، ﴿﴾ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ﴿﴾ ، ﴿﴾ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴿﴾ ، ﴿﴾ وأحلّ الله البيع وحرم الربا ﴿﴾ ، وفي الحدود: ﴿﴾ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله ﴿﴾ ، ﴿﴾ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة ﴿﴾ ، وفي القذف: ﴿﴾ فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ﴿﴾ ، ﴿﴾ كُتِبَ عليكم القصاص في القتلى ﴿﴾ ، وفي حدّ الحراة: ﴿﴾ ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴿﴾ .

فدلّ ذلك على أنّ المرتدّ، فيما عرّفه الفقهاء بأنّه من أنكر شيئاً علّم من الدين بالضرورة، وهو من أنكر أو استباح ترك الواجبات وفعل المحرّمات التي ثبتت بأدلة قطعية لا بأدلة ظنيّة، والله تعالى أعلم ، ،

رئيس لجنة الفتوى بالأزهر
الدكتور عبد الله المشدّ

٧ من صفر ١٤٠٨ هـ
٣٠ من سبتمبر ١٩٨٧ م

*** . . . ***

فتوى فضيلة العلامة

الشيخ محمد الغزالي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قضية نبوة آدم أو رسالته ليست من أصول العقيدة ولا علاقة لها بكفر أو إيمان. ومسائل الصلة بين النبوة والرسالة هل هما مترادفان أو بينهما عموم وخصوص، تكلم فيها علماؤنا والخطأ والصواب في كلامهم لا يمس أصل الإيمان.

ورأيت أن هذه الأمور من فضول المعرفة لا من أصولها، وأن إثارتها الآن شغل للأمة الإسلامية عن شئون تمس حاضرها ومستقبلها في الصميم. . . ومن حسن إيمان المرء تركه ما لا يعنيه، وخير لنا أن نحشد قوانا ونجمع صفوفنا لمواجهة العدو المغير علينا، مستعينين بالله وحده. . . والناس إن لم يجمعهم الحق فرقهم الباطل. . .

الشيخ محمد الغزالي

*** . . . ***

فتوى فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر
[وكيل الأزهر ووزير الأوقاف المصري السابق]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وآله
وأصحابه . .

وبعد

فبناء على الاستفسار المقدم لي من الأستاذ عز الدين بليق - دار الفتح
للطباعة . بيروت حول ما إذا كانت الأولوية في النبوة والرسالة لنوح عليه
السلام، أو لآدم من قبله . وهل إذا رأى مسلم مما تفيد هذه الآيات القرآنية
والأحاديث النبوية الصحيحة أن الأولوية في النبوة والرسالة كانت لنوح . هل
يعتبر كافراً مرتداً يستوجب الحال فسخ نكاحه؟ . . .

وجواباً عن هذا نقول

إن هذا الموضوع قد بحثه العلماء من قديم، وامتألت به بطون الكتب
عند شرح الآيات القرآنية والأحاديث النبوية - وأن هؤلاء العلماء قد اختلفت
وجهة نظرهم بناء على ما استعرضوه من أدلة . . هل أولوية النبوة والرسالة لنوح
أم لآدم من قبله؟

فليس في الموضوع - إذن - نص قاطع من القرآن والحديث يحسم

الخلافاً، وإنما النصوص التي وردت سمحت عند النظر فيها بالاختلاف في فهم الحكم منها. . كما جاء في الكتب التي تحدثت في هذا، من كتب التفسير والحديث والكلام وغيرها. . .

فالمسألة - إذن - خلافية، وفيها قولان، أو رأيان.

ومن القواعد الشرعية الأصولية المسلمة، في العمل بها، أن أي موضوع من موضوعات العقيدة أو الأحكام الشرعية. حصل بين الأئمة وعلماء الأمة خلاف حوله. بالجواز والصحة أو عدم الجواز والصحة، فإن المسلم الذي يتبع هؤلاء الأئمة والعلماء ويقدر لهم علمهم يجوز له أن يأخذ برأي من الرأيين أو من الآراء، ويترك الرأي الآخر. . ولا يُحاسَب ولا يلام إذا اتبع أحد الرأيين، ولا يجوز إجباره ديناً على الأخذ برأي معين، وترك الآخر. . كما لا يجوز تأنيبه أو تكفيره، ما دام الرأي والرأي الآخر قد قال بهما العلماء والأئمة اجتهاداً منهم في فهم الحكم من الأدلة المعتبرة شرعاً. . لأن الاختلاف فتح للمتبعين باب الخيار في الأخذ بأي الحكمين أو الرأيين والمذهبيين.

فمثلاً : رؤية الله تعالى : اختلف حولها الأئمة والعلماء. فريق يرى استحالة ذلك، معتمداً على أدلة معتبرة من القرآن والسنة، وفريق يرى جواز ذلك معتمداً على أدلة له يراها أيضاً، بينما يرد على الآخر، ويفند حجته، ليسلم له رأيه، وكتب التوحيد والتفسير والحديث مشحونة بما سجله العلماء من وجهات النظر المختلفة. وهذه مسألة غيبية تتصل بالعقيدة. .

وبذلك جاز لي ، ولك أو لأي مسلم أن يأخذ ويعتق واحداً من الرأيين، رأي استحالة الرؤية، أو جوازها. دون أن يكون خارجاً على الإسلام، ودون أن يؤنبه أو يكفره أحد، وهكذا في كل الأمور المختلف عليها مما يتصل بالعقيدة. . .

والأمر كذلك في الأحكام. فلم يصادر أحد من الأئمة رأي الآخرين، ولم يتهمهم بالكفر أو الفسوق لمجرد أن رأوا رأياً غير رأيه بناء على أدلة لهم. بل كان قولهم: رأي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب. وعلى هذا ساروا، واحترموا رأي الآخرين، وقد وجدنا أمامنا أقوالاً منهم مختلفة في الموضوع الواحد. فأصبح من حقنا نحن المقلدين أن نختار رأي أحد منهم ونسير عليه. دون أن يتجه أحد إلى لومنا، أو إلى إجبارنا على رأي دون الآراء الأخرى...

ففي قراءة الفاتحة بالبسملة وراء الإمام أقوال عدة للأئمة:

○ قول بعدم أو كراهة قراءتها، بل على المأموم أن يسكت ويستمع لقراءة إمامه..

○ وقول بوجوب وضرورة قراءتها مع البسملة، لأن البسملة جزء من آيات الفاتحة.

○ وقول بعدم قراءة البسملة.

والمسلم المقلد له أن يتبع رأياً من هذه الآراء ويسير عليه، دون أن يتوجه أحد إليه بلوم..

وهكذا في كل الأمور التي اختلفت الأئمة حولها.. فإن الاختلاف المعتبر يفتح باب الاختيار أمام المقلدين المتبعين، في اختيار اعتناق أحد الرأيين أو العمل به...

وهنا نأتي إلى موضوع السؤال: أولية نبوة ورسالة نوح، أو أولية نبوة ورسالة آدم.

وقد عرفنا أنه حصل خلاف بين العلماء فيهما، ولكل منهم أدلته، كما هو معروف من المراجع المعتمدة.. وإن كانت أدلة القائلين بأولية نبوة نوح ورسالته عليه الصلاة والسلام، أقوى وأصرح من أدلة الآخرين، لكننا لا ننظر

إلى هذا الآن . . بل نكتفي بأن نأخذ بالقاعدة الشرعية الأصولية التي جرى ويجري عليها العمل، ونقول:

إن لأي مسلم أن يقلد ويتبع أحد الرأيين، دون أن يتوجه إليه أصحاب الرأي الآخر بتعنيف أو تجريح له في دينه. فيقول: بأولية نبوة آدم ورسالته، دون أن يلومه أحد، أو أولية نبوة نوح ورسالته دون أن يلومه أو يجرحه أحد في دينه كذلك . . .

فالتمسك بأحد الرأيين والتعصب له . إلى حد أن نتهم الرأي الآخر ومتبعيه بالخروج من الدين أو حتى بارتكاب معصية فيه، هو تحكم مرفوض ديناً وعقلاً. أعني لا يقره دين ولا عقل، ولا يقره أحد من الأئمة والعلماء السابقين وحتى الآن . . . فإن العمل يجري على حرية المقلدين في اتباع أي رأي ومذهب . . دون أن يلومهم أحد، أو يلوموا هم أحداً غيرهم اختار غير الذي اختاروه . .

حتى حين يختار المقننون لأحكام الشريعة رأياً من آراء الأئمة ليجري العمل عليه في الدولة نجدهم يعللون ذلك بأنه الأوفق والأصلح للعمل به الآن، دون أن ينكروا الرأي الآخر أو يهاجموه ويهاجموا الذين اتبعوه ويتهموهم في دينهم .

فمبدأ حرية الاختيار للمسلم في أي الآراء والمذاهب يقلدها هو الأصل الذي قام عليه العمل منذ عهد الصحابة وحتى الآن . . .

ولذلك لما طلب الخليفة العباسي من الإمام مالك رضي الله عنه أن يحرر له الموطأ ويوطئه ويهيئه لكي يلزم المسلمين في شتى أقطار الدولة الإسلامية العمل به، رفض الإمام مالك ذلك، وعلل سبب رفضه بأن أصحاب رسول الله ﷺ قد تفرقوا في أقطار الدولة. ولهم فهمهم ووجهة نظرهم في كتاب الله وسنة رسوله، واستنباط الأحكام منهما، ولا يجب أن يعنت الناس ويلزمهم

برأيه، ويهدر آراء الآخرين.. لا سيما في الموضوعات القائمة على الاجتهاد في فهم النص أو القياس عليه، ما دام لا يوجد نص قاطع الثبوت قاطع الدلالة في الموضوع.

وبناء على هذا كله نقول: إنه لا يجوز لأحد من المسلمين ولا لعالم من علمائهم، أن يحكم بالكفر على من اعتنق أحد الرأيين في أولية نبوة نوح ورسالته أو أولية نبوة آدم ورسالته.. لأنه بحكمه بالكفر والارتداد على من اعتنق أحد الرأيين حكم على العلماء والأئمة الذين قالوا به بأنهم كفرة مرتدون، وهذا خروج على سلوك وعمل أسلافنا، وخروج على القاعدة الشرعية الأصولية التي اعتمدها الصحابة والأئمة والعلماء وساروا ويسيرون عليها حتى الآن. فوق أن حكمه هذا يفتح الباب لمن يعارضون رأيه لأن يتهموه كذلك بالكفر والارتداد وهذه فتنة في الأرض وفساد كبير، نشأ من أن معتقاً لأحد الرأيين المختلفين أعطى نفسه حق الحكم على من يخالفون الرأي الذي أخذ به، بالكفر والارتداد.. فوضع بذلك مبدأ يرتد سلاحه إليه، ويتيح لمن يعارضه أن يستعمله ضده..

هذا ما أراه، والعصمة لله، وهو الموفق للصواب..

دكتور عبد المنعم أحمد النمر

وكيل الأزهر ووزير الأوقاف سابقاً

وعضو مجمع البحوث الإسلامية، وأكاديمية

البحث العلمي، والمجلس الأعلى للثقافة والمجلس

الأعلى للصحافة، ورئيس لجنة ترجمة معاني القرآن

بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ورئيس لجنة

الشئون الدينية والاجتماعية والأوقاف بمجلس الشعب

والحاصل على جائزة الدولة التقديرية

وعضو المجالس القومية المتخصصة

القاهرة في يوم السبت :

٢١ رمضان ١٤٠٨ هـ

٧ مايو ١٩٨٨ م

*** . . ***

فتوى الدكتور عبد المجيد مطلوب

[أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية

بجامعة حقوق عين شمس]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أولاً : لا يوجد في كتاب الله عز وجل آيات يعارض بعضها بعضاً، فالله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يصدر عنه آية تقتضي حكماً أو بياناً لواقعة ثم يصدر عنه في نفس الواقعة آية أخرى تقتضي حكماً أو بياناً خلاف الأول في وقت واحد، لأن ذلك يكون عبثاً، والله سبحانه وتعالى منزّه عن العبث، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وما يوجد في القرآن مما يوهم ظاهره التعارض بين النصوص، فهذا ليس على حقيقته، وإنما يقع بالنسبة إلينا لعدم معرفتنا بالناسخ والمنسوخ، وأيضاً لعدم معرفتنا بالتاريخ الذي نزل فيه كل من النصين المتعارضين فلا نعرف المتقدم منهما. وقد يمكن الجمع بين النصين المتعارضين بأن يكون أحدهما مخصصاً لعموم الآخر، أو يحمل المقيّد على المطلق أو بتقديم الدلالات حسب ترتيبها فتقدم دلالة عبارة النص على ما يليها من الدلالات في الترتيب من دلالة الإشارة. ودلالة النص أو الفحوى ودلالة الاقتضاء، كما تقدم دلالة الإشارة عند جمهور الفقهاء على ما يليها في الترتيب من دلالة النص أو الفحوى، ودلالة الاقتضاء، كما تقدم دلالة النص أو الفحوى على دلالة الاقتضاء.

ثانياً : لم يذكر القرآن الكريم لفظ النبوة بإزاء أبينا آدم عليه السلام كما ذكر ذلك بإزاء غيره من الأنبياء كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام ، ولكن ذكر أنه خاطبه بلا واسطة وشرع له في ذلك الخطاب فأمره ونهاه ، وأحل له بدون أن يرسل إليه رسولاً ، كما أنه اصطفاه واجتباه وهذا فيه ما فيه من معاني النبوة .

ثالثاً : إن نبوة أبينا آدم من الغيبات التي لا تثبت إلا بدليل قطعي الثبوت وقطعي الدلالة ، وذلك القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة المتواترة ، مما لا يحتمل أكثر من معنى في كليهما . فلا تثبت الغيبات بدليل ظني من كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ لأن الظني قد يحتمل أكثر من معنى وقد اختلف العلماء في الظني .

ولما كانت نبوة أبينا آدم لم تثبت في مدى علمي والله أعلم بدليل قطعي الثبوت والدلالة حيث لم يذكر لفظ النبوة صراحة لا في القرآن ولا في السنة المتواترة ، وإنما ما ذكر في القرآن مما يوحي بنبوته عليه السلام وخاصة آية الاصطفاء فليست من قطعي الدلالة ولكنها من ظني الدلالة ، وكذلك الأحاديث التي يستدل بها على نبوته فهي أحاديث ليست متواترة فضلاً عن الشك في صحتها .

وعلى ذلك فما دامت النبوة وهي من العقائد لم تثبت بدليل قطعي فيجب كما أرى أن نفوض الأمر في ذلك وعلم ذلك إلى الله تعالى ، ولا نحكم بالكفر على من خالف حكماً ظنياً ، وهذا رأيي فإن كان صواباً فمن الله وأشكره سبحانه وتعالى أن وفقني للصواب ، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان ، واستغفر الله العظيم .

١ . د عبد المجيد محمود مطلوب
أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية
بحقوق عين شمس

فتوى سماحة الشيخ أحمد كفتارو
[مفتي الجمهورية العربية السورية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السيد الأستاذ مدير دار الفتح للطباعة والنشر / بيروت - لبنان .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته :

جواباً على سؤالكم الذي تقدمتم به إلينا حول نبوة آدم ورسالته
وغيرها، فنقول :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد العالمين
وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد . ، فنفيدكم بالجواب التالي :

بعد اطلاعنا على الأحكام المتعلقة بهذا الموضوع ، وعلى أقوال مختلف
الفقهاء فيه ، تبين أن القضية في رسالة آدم أو عدم رسالته ، وأنه هو أول
رسول أم أن نوحاً هو أول المرسلين ؟ هذه القضية ذهب فيها العلماء قديماً
وحديثاً إلى قولين ، والذي نراه أنه لا مرجح لأحد الرأيين ، ولا يجوز الخوض
فيها أكثر من ذلك مخافة الخط من قدر أحد الفريقين من علمائنا ، ولكل
وجهة نظر فيما ذهب إليه . وأنه يرجح لدينا بأن من أخذ بأحد الرأيين فإنما
يكون قد استند إلى نتيجة قال بها صفوة من العلماء .

إن موضوع التكفير أو الارتداد عن الإسلام لمن قال بالرأي هذا أو ذاك
فهذا غير وارد ، إذ أن قولنا بذلك يكون كمن حكم على فريق منهما بالكفر أو

بالارتداد. بالإضافة إلى أن الخوض في هذه الأمور غير مجد ولا مفيد وخصوصاً في وقت يجدر بنا أن نصرف اهتمامنا فيه إلى جمع الكلمة والوقوف صفّاً واحداً أمام ما يواجه هذه الأمة من أحداث جسام، ومن موجات الكفر والتضليل ومحاولات الصهيونية تقويض بناء عقيدتنا وتراثنا واستعبادنا واذلالنا ونهب خيراتنا، وإشاعة الفتنة والخلافات بين صفوفنا، وهذا ما يربأ به كل مسلم أن يكون على حذر من الأمر، لأن الأمر جسيم والخطب جليل، ولو أن كتب العقيدة التي بين أيدينا ترجح قول من ذهب إلى أن آدم عليه السلام نبي مرسل وأن عدد الأنبياء الذين وردت أسماؤهم في القرآن الكريم خمسة وعشرون نبياً، أولهم آدم، وآخرهم نبينا محمد عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

دمشق - ١١ / ٥ / ١٤٠٩ هـ. الشيخ أحمد كفتارو
الموافق ١٩ / ١٢ / ١٩٨٨ م. المفتي العام للجمهورية العربية السورية

*** . . . *** . . . ***

فتوى فضيلة الشيخ محمد سيد طنطاوي

[مفتي جمهورية مصر العربية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

اطلعنا على الاستفسار الوارد من السيد / عز الدين بليق - مدير دار الفتح للطباعة ببيروت، والذي يطلب فيه بيان الرأي الشرعي في رجل متزوج يشك في نبوة آدم وأن أول نبي إلى أهل الأرض هو نوح - وفهم ذلك من ظاهر الآيات القرآنية التي لم تنص صراحة على نبوة آدم - كما فهم ذلك من حديث الشفاعة الوارد في كتاب صحيح البخاري «عندما يتوجه أهل الموقف إلى آدم ليتشفع لهم ويقولوا له: (أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربنا - فيقول آدم: لست هناكم - ويذكر خطيئته ويقول ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله الحديث .

ويسأل السائل هل من يرى ويعتقد أن نوحاً هو أول نبي ورسول بناء على ما فهمه من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يعتبر كافراً ومرتداً ويستوجب ذلك فسخ عقد نكاحه من زوجته؟.

الجواب

لقد سبق أن بحثت دار الافتاء المصرية هذا الموضوع في الجواب عن الاستفسار الوارد من الشيخ نزار الحلبي رئيس جمعية المشاريع الخيرية

الإسلامية ببيروت بالطلب وقيد بالسجلات تحت رقم ٢٤٠ / ١٨٧ ، والفتوى مسجلة تحت رقم ١٢١ / ١٥ / ٦ وانتهينا فيها إلى أن نبوة آدم ثابتة بقول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ، فقد جاء في تفسير هذه الآية : إن الله اصطفى أي اختار للنبوة صفوة خلقه منهم آدم أبا البشر ونوحاً شيخ المرسلين ، وآل إبراهيم أي عشيرته وذوي قرباه وهم إسماعيل وإسحاق والأنبياء من أولادهما ومن جملتهم خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ ، وآل عمران ومنهم عيسى بن مريم خاتم أنبياء بني إسرائيل قال القرطبي : وخص هؤلاء بالذكر من بين الأنبياء لأن الأنبياء والرسل جميعاً من نسلهم .

نعم إن القرآن الكريم لم يذكر لفظ النبوة بإزاء آدم كما ذكر بإزاء غيره من الأنبياء ولكن ذكر أن الله خاطبه بلا واسطة وشرع له في ذلك الخطاب فأمره ونهاه وأحل له وحرم عليه بدون أن يرسل إليه رسولاً وهذا هو كل معاني النبوة . والحديث الشريف الذي احتج به من أنكر نبوة آدم وهو حديث الـافاعة المشار إليه سابقاً يثبت النبوة لآدم ولم ينفها عنه ، فقد ورد به قول آدم لست هناك ، ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله ، وأولية رسالة نوح لا تنفي أولية نبوة آدم .

وأما قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ . ١٦٣ ، من سورة النساء ، ثم قال تعالى بعد هذه الآية : ﴿وَرَسُولًا قَدْ قُصَصْنَا عَنْكَ مِنْ قَبْلُ وَرَسُولًا لَمْ نَقْصُصْ عَنْكَ مِنْ قَبْلُ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي ذَكَرْتَ عِدَّةً مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ فَقَدْ قُصَّ اللَّهُ - عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ رَسُلًا فِي الْآيَاتِ وَالسُّورِ الْمَكِّيَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ . . .

الآيتان رقم ٨٣ ، ٨٤ ، من سورة الأنعام ، وهي سورة مكية ، أما سورة النساء التي ورد فيها قوله تعالى : ﴿إنا أوحينا إليك﴾ فهي سورة مدنية . وعلى أية حال فالذي يطمئن إليه القلب أن نبوة آدم ثابتة بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة .

إلا أننا لا نميل إلى الحكم بالكفر والردة عن الإسلام وفسخ نكاح من يرى ويعتقد أولية نبوة نوح ورسالته لأنه أمر اختلف فيه العلماء والمفسرون والأئمة وهو محل اجتهاد العلماء - وإننا نناشد المسلمين بعدم الخوض في مثل هذه الأمور وتفويض العلم فيها إلى الله .

والله ولي التوفيق .

مفتي

جمهورية مصر العربية

محمد سيد طنطاوي

٨٨/٥/٢٢

*** . . *** . . ***

تعقيب المؤلف على فتوى فضيلة مفتي جمهورية مصر العربية

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوي

مفتي جمهورية مصر العربية، حفظه الله،

السلام عليكم ورحمة الله... وبعد،

فقد تلقيت أمس بالبريد المسجل الفتوى الصادرة عن دار الافتاء
والمؤرخة في ٢٢/٥/١٩٨٨، والتي انتهت فيها إلى ما يلي :

(وعلى أية حال، فالذي يطمئن إليه القلب أن نبوة آدم ثابتة بالنص وص
الشرعية من الكتاب والسنة.

إلا أننا لا نميل إلى الحكم بالكفر والردة عن الإسلام وفسخ نكاح من
يرى ويعتقد أولية نبوة نوح ورسالته لأنه أمر اختلف فيه العلماء والمفسرون
والأئمة، وهو محل اجتهاد العلماء - وإننا نناشد المسلمين بعدم الخوض في
مثل هذه الأمور وتفويض العلم فيها إلى الله).

ولنا بعض الملاحظات على ما جاء في الفتوى :

أولاً : جاء في أول الفتوى : (اطلعنا على الاستفسار الوارد من السيد
عز الدين بليق - مدير دار الفتاح للطباعة ببيروت، والذي يطلب فيه بيان الرأي
الشرعي في رجل متزوج يشك في نبوة آدم، وأن أول نبي إلى أهل الأرض

هو نوح - وفهم ذلك من ظاهر الآيات القرآنية التي لم تنص صراحة على نبوة آدم - كما فهم ذلك من حديث الشفاعة الوارد في كتاب صحيح البخاري، «عندما يتوجه أهل الموقف إلى آدم ليتشفع لهم ويقولوا له: (أنت الذي خلقت الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لنا عند ربنا - فيقول آدم: لست هناك - ويذكر خطيئته ويقول ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله . . . الحديث)».

مع أن السؤال الموجه إلى فضيلتكم لا يخرج عن هذا الإطار:

(ما حكم الإسلام في رجل قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾، وفهم من هذه الآية إشارة القرآن إلى أولية نبوة ورسالة نوح عليه السلام، ثم عزز هذا الفهم بحديث الشفاعة الذي رواه أنس ابن مالك في صحيح البخاري في كتاب التوحيد، والذي يقول فيه آدم أبي البشر لأهل الموقف: (ولكن ائتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض)، هل يعتبر الذي فهم أولية نبوة نوح ورسالته من آية النساء وحديث الشفاعة كافراً مرتداً يستوجب الحال فسخ نكاحه؟).

والملاحظات:

- ١ - لم يكن في السؤال رجل متزوج يشك في نبوة آدم.
- ٢ - والسائل استشهد بحديث أنس بن مالك الذي يقول فيه آدم: (ائتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض)، وليس حديث: (ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض).
- ٣ - والفتوى التي كتبها فضيلة المفتي رداً على سؤالنا ربطها بفتوى سابقة ردّها بها على سؤال الشيخ نزار الحلبي يسأل فيه (بيان الرأي الشرعي في رجل متزوج يشك في نبوة آدم عليه السلام ويؤلف في ذلك رسائل - ولم يبرز

لسماحتكم نسخاً عن هذه الرسائل - ويوزعها على الناس، وما قول العلماء في ردّته وعقد نكاحه؟

والسائل الذي استفتى فضيلة المفتي (كاتب هذه السطور) يعتمد على الحديث الصحيح الذي يثبت فيه رسول الله ﷺ أولية نبوة ورسالة نوح، وبالتالي عدم أولية نبوة آدم ورسالته، لأنّ رسول الله ﷺ لا يمكن أن يقول كلاماً يناقض فيه نفسه، فتارة يقول بأولية نبوة آدم ورسالته، وتارة أخرى يقول بأولية نبوة نوح ورسالته، لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، والكلام الذي أتى به لم يتقوله على ربّ العالمين لأنّ الله سبحانه يقول: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين﴾^(١) وبما أن الرسول يبلغ رسالة ربّه، ولا يخرج في بيانه عن القرآن، ولا يمكن أن يقول قولاً يناقض به نفسه أو يناقض به القرآن، والقرآن الكريم يقول: ﴿أفلا يتدبرون القرآن، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾^(٢)، والإمام الشافعي يقول: (إذا ثبت الحديث فاضربوا بقولي عرض الحائط)، وفضيلة المفتي لا يمكن أن يخالف قولاً ثابتاً لرسول الله ﷺ.

والشيخ نزار الحلبي أوحى لكاتب الفتوى بالجواب من خلال السؤال: (رجل متزوج يشك في نبوة آدم... وما قول العلماء في ردّته وعقد نكاحه).

وفضيلة المفتي لم يكتب الفتوى، بل كتبها أحد الإخوة الأفاضل في دار الافتاء، وقرئت على فضيلته.

٤ - استندت الفتوى السابقة واللاحقة بإثبات نبوة آدم إلى آية الاصطفاء، وإلى كلام القرطبي، مع أن القرطبي ذكر ثلاثة أوجه لتفسير الاصطفاء، وما دامت الآية تحتمل أكثر من معنى فلا يمكن أن تكون الآية من قطعيّ الدلالة، وتصبح بالتالي ظنيّة والله سبحانه يقول: ﴿إن الظنّ لا يغني من

(٢) النساء : ٨٢ .

(١) الحاقة : ٤٤ - ٤٧ .

الحق شيئاً^(٣)، ومحتملة، ولا يقين مع الاحتمال، كما قال الإمام الفقيه الأصولي فخر الإسلام البزدوي.

٥ - والغريب أن الفتوى تقول: (والحديث الشريف الذي احتج به من أنكر نبوة آدم، وهو حديث الشفاعة المشار إليه سابقاً يثبت النبوة لآدم ولم ينفيها عنه)، ونحن نستغرب هذا القول، فإن أهل الموقف خاطبوا آدم: أنت أبو البشر. أنت أبو الناس، ولم يقولوا له أنت نبي أو أنت أبو الأنبياء؟ وآدم أثبت أولية نبوة نوح ورسالته، وبالتالي نفى عن نفسه النبوة والرسالة، ولذلك فإن ما جاء في الفتوى: « وأولية رسالة نوح لا تنفي أولية نبوة آدم »، قول يحتاج إلى إثبات نظراً لأن كاتب الفتوى لم يهتد إلى حديث الشفاعة في كتاب التوحيد والذي يقول فيه آدم: (اثتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض)، وأعتقد بعد هذا التوضيح سوف تسارعون إلى تصحيح الفتوى لأن الحق أحق أن يتبع.

٦ - ثم قالت الفتوى: (وعلى أية حال، فالذي يطمئن إليه القلب أن نبوة آدم ثابتة بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة)، مع أن الفتوى لم تذكر من القرآن إلا آية الاصطفاء، في حين أنها لم تذكر حديثاً واحداً يثبت نبوة آدم عليه السلام.

*** . . . ***

أما بعد، فلنا في إيمان فضيلة المفتي وعلمه وحكمته والتزامه بالكتاب والسنة وعلمه بالظنّيات والقطعيّات ما يجعله يعيد النظر في الفتوى لأن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب قال في كتاب القضاء إلى أبي موسى الأشعري:

(٣) يونس : ٣٦

(ولا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم، فراجعت فيه نفسك، فهديت فيه
لرشدك أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم لا يطله شيء، ومراجعة
الحق خير من التماذي في الباطل)

أسأل الله سبحانه أن يجزيك عنا يا فضيلة المفتي كل خير، ولا بد لنا من
التنويه بما جاء في آخر الفتوى: (إلا أننا لا نميل إلى الحكم بالكفر والردة
عن الإسلام وفسخ نكاح من يرى ويعتقد أولية نبوة نوح ورسالته، لأنه
أمرٌ اختلف فيه العلماء والمفسرون والأئمة، وهو محل اجتهاد العلماء -
وإننا نناشد المسلمين بعدم الخوض في مثل هذه الأمور، وتفويض العلم
فيها إلى الله).

ونحن وإياكم إن شاء الله على طريق واحد فيما انتهيتم إليه.
وشكراً لكم على كل حال، وأرجو أن تتقبلوا أطيب التحيات،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عز الدين بليق
مدير دار الفتح للطباعة والنشر

*** . . *** . . ***

فتوى سماحة الشيخ حسن خالد / رحمه الله

[مفتي الجمهورية اللبنانية السابق]

حول نبوة آدم ورسالته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإذا كان الحال كما ذكر السائل: «السيد عز الدين بليق» في سؤاله: «ما هو حكم الإسلام فيمن اعتقد بأن نوحاً عليه السلام هو أول رسل الله إلى أهل الأرض استناداً إلى قوله تعالى في سورة النساء آية: ١٦٣: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ واستناداً إلى حديث الشفاعة الذي ورد في صحيح البخاري ومسلم، وفيه «فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما بلغنا؟، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ هل يعتبر من اعتقد ذلك أنه كافر يجب تطليق زوجته منه؟».

فالجواب وبالله التوفيق: إن استدلال السائل في سؤاله عن أن نوحاً عليه السلام هو أول رسل الله بقوله تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾، لا يصح، لأن الآية المذكورة وإن اكتفت بالابتداء بذكر نوح عليه السلام فإنها لا تفيد بأن نوحاً هو أول الرسل، ولا تصلح وحدها

لدعم محل السؤال الذي هو اعتقاد السائل بأن نوحاً عليه السلام هو أول الرسل، لأن تنمة الآية ﴿وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً﴾ [النساء : ١٦٣]، وهي ما يظهر منها أن الآية لم تستوف ذكر جميع الأنبياء والرسل، حيث لم يذكر فيها يوسف، وموسى، وشعيب، وزكريا، ويحيى، وصالح، واليسع، وذو الكفل، وإدريس، والياس، وهود، ولوط، ومحمد وغيرهم ممن لا مرء بأنهم رُسل الله قطعاً، ولذا فلا يصح أن يقال بأنه لما لم يذكر فيها آدم لذا لا يكون بالتالي نبياً ولا رسولاً ويكون نوح أول الأنبياء، بل إن الانصاف ليقضي أن ننسى أن آدم قد ذكره الله مع نوح عليهما السلام في الآية ٣٣ من سورة آل عمران بقوله: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾، كما سيأتي.

وقد ذهب العلماء إلى القول بأن الاصطفاء في هذه الآية هو اصطفاء نبوة ورسالة حيث ذُكرت آدم ونوحاً فيمن اصطفاهم الله بالنبوة والرسالة، وقد ذهب جمهور المفسرين في تفسير هذه الآية إلى ذلك:

— فقال القرطبي: «اصطفى اختار، والتقدير أن الله اصطفى دينهم وهو الإسلام فحذف المضاف؛ وقال الزجاج: اختارهم للنبوة على عالمي زمانهم» [تفسير القرطبي ٦٢/٤].

— وقال الطبري: «عن الحسن: فضّلهم الله على العالمين بالنبوة على الناس كلّهم، كانوا هم الأنبياء الأتقياء المطيعين لربهم» [تفسير الطبري ١٥٧/٣]؛ وهو كذلك في تفسير [الدر المنثور للسيوطي أيضاً ١٨٠/٢].

— وقال البيضاوي: «اصطفاهم بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية، ولذلك قوّوا على ما لم يقوّ عليه غيرهم» [تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب عليه ١٩/٣].

— وقال عبد الحق بن عَطِيَّة الغَرْنَاطِي: [إن الله اصْطَفَى آدَمَ]، هو أبونا آدَمُ عليه السلام، إصطفاه الله بالإيجاد والرسالة إلى بنيهِ، وبالنُّبُوَّة والتكليم، [الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢/٣٨٨].

— وقال الخطيب الشربيني: «إصطفاهم أي اختارهم بالرسالة» [تفسير السراج المنير ١/٢٠٩].

— وقال إسماعيل حقي: «الاصطفاء أَخَذُ ما صَفَا من الشيء، أي اختارَ آدَمَ بالنفس القدسية وما يتعلق بها من المَلَكات الروحانية، والكمالات الجسمانية المستتبعة للرسالة في نفس المُصْطَفَى كما في كافة الرسل عليهم السلام» [تفسير روح البيان ٢/٢٤].

— وقال الألوسي: «بدأ بآدَمَ عليه الصلاة والسلام لأنه أوَّلُ النَّوعِ، وثَنَّى بنوحٍ عليه الصلاة والسلام لأنه آدَمُ الأصغر والأبُّ الثاني، وليس على وجه البسيطة إلا من نَسَلِهِ لقوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾... وقد أخرج ابنُ عساکر وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أنه فُسِّرَ الاصطفاء هنا بالاختيار للرسالة، ومثله فيما أخرجه ابن جرير عن الحسن» [تفسير الألوسي ٣/١٣٢].

— وقال الرازي: «إصطفَى» في اللغة اختار، فمعنى اصطفاهم أي جعلهم صَفْوَةً خلقه... وإذا عرفت هذا فنقول: «في الآية قولان (الأول): المعنى أن الله اصطفَى دينَ آدَمَ ودينَ نوح، فيكون الاصطفاء راجعاً إلى دينهم وشرعهم وملتهم، ويكون هذا المعنى على تقدير حذف المضاف وهو كلمة دين، (الثاني): أن يكون المعنى أن الله اصطفاهم أي صَفَّاهم من الصفات الذميمة، وزَيَّنَّهم بالخصال الحميدة، وهذا القول أولى لوجهين: (أحدهما): أنا لا نحتاج فيه إلى الاضمار، (الثاني): أنه موافق لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾، وذكر الحليمي في كتاب المنهاج: أن الأنبياء عليهم

الصلاة والسلام لا بد وأن يكونوا مخالفين لغيرهم في القوى الجسمانية والقوى الروحانية» [تفسير الرازي ٨].

— وقال السيد محمد رشيد رضا : «اصطفاهم أي اختارهم وجعلهم صفوة العالمين وخيارهم بجعل النبوة والرسالة فيهم، وآدم أول البشر ارتقاءً إلى هذه المرتبة، فإنه بعدما تَنَقَّلَ في الأطوار إلى مرتبة التوبة والإنابة اصطفاه الله واجتَبَاهُ، كما قال عنه في سورة طه / ١٢٢ : ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾، فكان هادياً مَهْدِيّاً» [تفسير المنار ٣ / ٢٨٨].

— وقال العالم المحدث عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري : «قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾ الاصطفاء في هذه الآية هو اصطفاء رسالة كما في قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج : ٧٥] ؛ وقوله تعالى في إبراهيم عليه السلام : ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ [البقرة : ٣٠] ، وفيه قال القرطبي : أي اخترناه للرسالة فجعلناه صافياً من الأدناس» [تفسير القرطبي ٣ / ١٣٣] ، وقوله تعالى أيضاً في إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام : ﴿وإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [سورة ص : ٤٧] ، وقوله تعالى في موسى عليه السلام : ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرُسُلَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف : ١٤٤].

ولا يَرِدُ على هذا القول في معنى الاصطفاء في كل ما مرَّ اصطفاءً مريم في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ «فإنَّ اصطفاءً مريم ليس اصطفاءً رسالةً، بقرينة أن الرُّسُلَ لا يكونون إلا رجالاً في قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء آية : ٧] . [كتاب آدم عليه السلام للغماري / ٦٥ ، ٦٦].

وقد دلّ أيضاً على أولية نبوة آدم عليه السلام قوله تعالى : ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة / ٣٧] ، قال القرطبي في معنى الآية : « كان آدم عليه السلام يتلقى الوحي أي يستقبله ويتلقفه »
[تفسير القرطبي ١ / ٣٢٣] .

كما دلّ أيضاً على أولية نبوة آدم ورسالته ما ورد في نصوص القرآن من معرفة أولاد آدم عليه السلام ، لأحكام الحلال والحرام وما يترتب على الأعمال من ثواب جزاء كما في قصة ابني آدم في قوله تعالى : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ، إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ ، قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ، قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ [٢٧] لئن بَسَطْتُ إِلَيَّ يَدَكَ لَتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدَيَّ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ [٢٨] إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ [٢٩]

[المائدة : ٢٧ - ٢٩] . قال القرطبي : « وفي ذلك دليل على أنهم كانوا في ذلك الوقت مكلفين قد لحقهم الوعد والوعيد » [تفسير القرطبي ٦ / ١٣٨] ، وليس ذلك إلا بنبوة أبيهم آدم عليه السلام وإرساله لهم ، ولأنه لم يكن إذ ذاك في وقتهم غيره نبياً .

ولقد قرر علماء الكلام أيضاً أولية نبوة ورسالة آدم عليه السلام ، فقال الإمام أبو منصور عبد القاهر البغدادى : « اجمع المسلمون . . على أن أول الرسل آدم عليه السلام ، وآخرهم محمد ﷺ » [كتاب أصول الدين : ١٥٩] ، وقال أيضاً : « وقد كان آدم عليه السلام مُرسلاً إلى جميع ولده الذين أدركوه » [أصول الدين : ١٦٣] .

— وأما استدلال السائل على أولية نبوة نوح ورسالته مطلقاً بما ورد في حديث الشفاعة عند البخاري ومسلم : « فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض » فلا يفيد في إثبات أولية نبوة نوح ورسالته مطلقاً لأنه

مقابل بالأحاديث الأخرى التي ذكرت رسالة آدم عليه السلام ولا يكون ذلك إلا وهو أول الرسل، علما بأن الحافظ ابن حجر رحمه الله قد أجاب عن هذا الايراد فقال: «فأما كَوْنُ نوح أول الرُّسل فقد اسْتُشْكِلَ بأنَّ آدَمَ كان نبياً، وبالضرورة تَعَلَّمَ أنه كان على شريعة من العبادة، وأنَّ أولادَهُ أخذوا ذلك عنه، فعَلَى هذا فهو رسولٌ إليهم، فيكون هو أي آدَمُ أوَّلُ رسول، ويُحتمَلُ أن تكون الأوليَّةُ في قول أهل المَوْقِفِ لنوح: «أنت أول الرسل إلى أهل الأرض» لأنه في زمن آدم لم يكن للأرض أهل، أو لأن رسالة آدم إلى بنيه كانت كالتربية للأولاد، ويُحتمَلُ أن يكون المراد أن نوحاً أول رسول أُرسِلَ إلى بنيه وغيرهم من الأمم الذين أُرسِلَ إليهم مع تفرُّقهم في عدة بلاد، وآدَمُ إنما أُرسِلَ إلى بنيه فقط، وكانوا مجتمعين في بلدةٍ واحدة» [فتح الباري لابن حجر شرح صحيح البخاري ٢٨٧/٦]، أو أن نوحاً عليه السلام كان أول الرُّسل للبشرية بعد الطوفان الذي أَفْنَى الناس كلَّهم إلا من كانوا معه في الفُلك.

هذا وقد أجاب الإمام النَّوَوِيُّ أيضاً عن أوليَّةِ رسالة نوحٍ إلى أهل الأرض كما وردت في قول أهل الموقف في حديث الشفاعة فقال: «فإنَّ آدَمَ وإن كان رسولاً فإنما أُرسل لبنيه ولم يكونوا كفاراً، بل أُمِرَ بتعليمهم الإيمانَ وطاعةَ الله تعالى، بخلاف رسالة نوح فإنها إلى كُفَّار أهل الأرض» [شرح النووي على صحيح مسلم ٥٥/٣].

وأجاب الإمام بَذْرُ الدين محمود العيني أيضاً عن أوليَّةِ رسالة نوح المذكورة في حديث الشفاعة فقال: «قَوْلُهُمْ لِنُوحٍ» أنت أول الرُّسل إلى أهل الأرض»، إنما قالوا له ذلك لأنه آدَمُ الثاني، أو لأنه أول رسولٍ هلك قَوْمُهُ، أو لأنَّ آدَمَ خرج بقولهم «إلى أهل الأرض» لأن الأرض لم يكن لها أهل حينئذٍ في عهدِ آدم، أو لأن رسالته كانت بمنزلة التربية للأولاد، وفي التوضيح: قولهم «أنت أول الرُّسل إلى أهل الأرض» هو الصحيح قاله الدَّأودِي؛ وَرُوِيَ أن

آدَمَ عليه السلام نَبِيٌّ وَمُرْسَلٌ، وَقِيلَ هُوَ نَبِيٌّ وَلَيْسَ بِرَسُولٍ، وَقِيلَ رَسُولٌ وَلَيْسَ نَبِيًّا، انْتَهَى. وَقَالَ ابْنُ بَطَالٍ: آدَمُ لَيْسَ بِرَسُولٍ نَقَلَهُ عَنْهُ الْكِرْمَانِيُّ، (قُلْتُ) وَالْكَلَامُ لِلْعَيْنِيِّ: الصَّحِيحُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ صُحُفًا وَعَلَّمَ أَوْلَادَهُ الشَّرَائِعَ، وَقَوْلُ ابْنِ بَطَالٍ غَيْرُ صَحِيحٍ»
[عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ٢٢١/١٥].

*** . . ***

وبذلك يتبين أن استدلال السائل على أولية نبوة نوح ورسالته بما ورد في قول أهل الموقف في حديث الشفاعة قد استدركه العلماء وعرفوه قبلاً، وأجابوا عنه بتلك الأجوبة، فَبَقِيَ الحكم بأولية نبوة آدَمَ ورسالته ثابتاً مطلقاً، وبقيت أولية رسالة نوح في حديث الشفاعة محمولة على المعاني والوجوه التي ذكرها العلماء وأوردناها آنفاً، ولا تعارض بين تلك النصوص مطلقاً.

هذا، وقد ذكر البخاري آدَمَ عليه السلام في صحيحه مع الأنبياء الذين أورد بعض أخبارهم، وذلك تحت عنوان «كتاب أحاديث الأنبياء»، وقد بدأ بالحديث عن آدَمَ وخلقه وذريته، ولم يذكر في هذا الكتاب أحداً ممن هو غير نبي أو رسول.

كما أورد البخاري حديث المعراج الذي ذكر فيه النبي ﷺ الأنبياء الذين رآهم في السماوات بدءاً بآدَمَ الذي رآه في السماء الأولى، ولم يذكر أحداً ممن هو غير نبي أو رسول أنه رآه في هذه السماوات.

ولما كانت نصوص القرآن الكريم وإن لم تذكر صراحةً رسالة أو نبوة آدَمَ عليه السلام إلا أنها في الحقيقة والمضمون تدل عليها دلالة واضحة، دون أن يكون فيها ما ينفيها، وهذا لا يخفى على كل مدقق وعالم.

ولما كانت تلك النصوص أيضاً لا تدل على أولية رسالة نوح وذلك

لتعارضها مع مفهوم حديث المعراج الوارد في صحيح البخاري والمفيد افادة واضحة برسالة آدم عليه السلام .

لذلك كله فإننا ننتهي إلى القول :

أولاً : - إننا نؤمن بأن آدم عليه السلام هو نبي ورسول وأنه أول الأنبياء والرسل عليهم السلام وهو ما ذهب إليه جمهور علماء المسلمين من الصحابة والتابعين واتباعهم والسلف الصالح ، ولا يُعْتَدُّ بما ذهب إليه المخالفون .

ثانياً : - إنا نوصي جميع أبنائنا المسلمين بذلك ، كما نوصيهم بعدم الخوض في نزاعات تثير الاختلاف والنزاع وتورث الفتنة بينهم ، وهي أمور نهى الله تعالى عنها بقوله : ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ وقوله : ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ وبخاصة في هذه الظروف الخطيرة التي تتطير فيها الفتن كقطع الليل المظلم وتندر الناس بما لا طاقة لهم به .

هذا ما رجح لدينا، والله أعلم ، وهو وراء القصد وهو يهدي السبيل ،
وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً ،
والحمد لله رب العالمين .

مفتي الجمهورية اللبنانية
الشيخ حسن خالد

بيروت في ٨ ذي القعدة ١٤٠٨ هـ
و٢٢/٦/١٩٨٨ م

*** . . . ***

ملاحظات المؤلف على فتوى الشيخ حسن خالد / رحمه الله

وأخيراً وبعد انتظار دام أكثر من سنة وثلاثة أشهر، وبعد سلسلة من المراجعات المتعددة والمتكررة، وبعد تزويد سماحته بثلاثة فتاوى:

– فتوى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف.

– وفتوى فضيلة الشيخ محمد الغزالي.

– وفتوى فضيلة العلامة الشيخ الدكتور عبد المنعم النمر والقاعدة الأصولية الشرعية.

– بالإضافة إلى بحث العلامة الإمام السيد محمد رشيد رضا : [تحقيق مسألة الإيمان بالرسل إجمالاً وتفصيلاً - وعدد الرسل المذكورين في القرآن الكريم].

– بحث فضيلة العلامة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية بدولة قطر الشقيقة بعنوان: [الإيمان بالأنبياء بجملتهم وضعف حديث أبي ذر في عددهم].

أقول : بعد سلسلة من المراجعات المتكررة، وبعد سنة وثلاثة شهور، وبعد تقديم هذا الحشد من الأبحاث والفتاوى والدراسات والكتب، صدرت الفتوى المنتظرة تجيب على الشُّقِّ الأول من السؤال ، وتترك النصف

الآخر بدون جواب، وتحكم على كل هذه الفتاوى والأبحاث والدراسات وعلى تسعة عشر عالماً من العلماء والمفسرين القدامى والمعاصرين بهذه العبارة البسيطة: (ولا يعتد بما ذهب إليه المخالفون)، بدون أن تشير إليهم أو تذكر لهم رأياً أو بحثاً أو فتوى أو ذكراً، وإن الله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!!!

** . . ** . . **

وجاء في فتوى سماحة الشيخ حسن خالد:

(فإذا كان الحال كما ذكر السائل: السيد عز الدين بليق في سؤاله:

ما حكم الإسلام فيمن اعتقد بأن نوحاً عليه السلام هو أول رسل الله إلى أهل الأرض، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾.

واستناداً إلى حديث الشفاعة الذي ورد في صحيح مسلم والبخاري

هل يعتبر من اعتقد ذلك بأنه كافر يجب تطليق زوجته منه) ؟

١ - خطأ فهم كاتب الفتوى:

قالت الفتوى: فالجواب وبالله التوفيق: إن استدلال السائل في سؤاله على أن نوحاً عليه السلام هو أول رسل الله بقوله تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ لا يصح، لأن الآية المذكورة وإن اكتفت بالابتداء بذكر نوح عليه السلام، فإنها لا تفيد بأن نوحاً هو أول الرسل، ولا تصلح وحدها لدعم محل السؤال. . . لأن تنمة الآية ﴿وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان، وآتيناه داود زبوراً﴾، وهي ما يظهر منها أن الآية لم تستوف ذكر جميع الأنبياء والرسل! . . .

وجوابنا على ذلك : السائل فهم من إشارة القرآن ﴿والنبيين من بعده﴾ أولية نبوة ورسالة نوح عليه السلام، لا لأن الآية لم تذكر آدم من بين الأنبياء... ولا لأن الآية لم تستوف ذكر جميع الأنبياء والرسل؟
ثم قالت الفتوى : (ولذا فلا يصح أن يقال بأنه لما لم يذكر فيها آدم، لذا لا يكون بالتالي نبياً ورسولاً)!

وسألنا إلى سماحة كاتب الفتوى :
ومن قال لسماحة المفتي أن عدم ذكر آدم في هذه الآية ليس دليلاً على نبوته ورسالته؟

٢ - استدلال كاتب الفتوى على نبوة آدم بآية الاصطفاء :
قالت الفتوى : (وقد ذهب العلماء إلى القول بأن الاصطفاء في هذه الآية هو اصطفاء نبوة ورسالة).
ونحن نسأل كاتب الفتوى : (والذين لم يذهبوا هذا المذهب : هل يقال عنهم :
(وقد ذهب الجهلاء إلى القول بأن الاصطفاء في هذه الآية ليس اصطفاء نبوة ورسالة)؟؟؟

٣ - ذكرت الفتوى رأي القرطبي بمعنى الاصطفاء (اصطفاء الدين) أي ليس اصطفاء نبوة ورسالة.
والأمانة العلمية تقتضي على كاتب الفتوى أن يذكر الوجه الثالث للاصطفاء الذي ذكره القرطبي نفسه وذكره أيضاً ابن الجوزي في [زاد المسير].
ويا سماحة المفتي : وما دامت هناك ثلاثة أقوال للاصطفاء... فإن معنى الاصطفاء الذي ذهب إليه ليس قطعياً في الدلالة على النبوة والرسالة، ولكنه ظني الدلالة، والله سبحانه يقول : ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾.

ومع احترامنا للإمام الطبري والعلامة البيضاوي والمفسر عبد الحق بن عطية الغرناطي، فإنهم علماء ليسوا معصومين عن الخطأ في الاجتهاد، والقاعدة الأصولية الفقهية تقول: (لا مساع للاجتهاد في مورد النص).

٤ - أما ما ذكره الخطيب الشربيني، وإسماعيل حقي، والألوسي:

فإن الأمانة العلمية تقتضي ذكر آرائهم ليس فقط في (آية الاصطفاء)، بل آراءهم أيضاً في آية النساء: ١٦٣، التي تقول: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾.

فالخطيب الشربيني في شرحه لهذه الآية يقول:

(وبدأ بذكر نوح عليه السلام، لأنه كان أبا البشر مثل آدم... ولأنه أول نبي من أنبياء الشريعة).

والشيخ إسماعيل حقي يقول:

(بدأ بذكر نوح لأنه أبو البشر، وأول نبي عذبت أمته لردهم دعوته... وأشار إلى حديث أبي ذر الطويل عن عدد الأنبياء وعددهم (١٢٤) ألفاً، ثم قال:

وخبر الواحد لا يفيد اليقين، ولا عبرة بالظن في الاعتقادات).

أما الألوسي فقد قال:

والاصطفاء: الاختيار، والمراد بالعالمين: أهل زمان كل واحد منهم على عالمي زمانه،

وقيل: اصطفى آدم بأن خلقه بيديه وعلمه الأسماء، وأسجد له الملائكة، وأسكنه الجنة.

إلى أن قال: (وليس المراد الاصطفاء بالنبوة، حتى يخفى وجه التخصيص).

ثم قال : وفيه أن المتبادر من الاصطفاء الاجتباء والاختيار، لا النصر على الأعداء.

هـ - أما ما يتعلق بالإمامين : الرازي، ومحمد رشيد رضا :

فالأمانة العلمية تقتضي أن يشار إلى رأي هذين العالمين الجليلين، ليس فقط عند آية الاصطفاء، بل عند الآية ١٦٣ من سورة النساء.

ومع ذلك فقد ذكرت الفتوى من أقوال الرازي (قولين) في الآية :

الأول : المعنى أن الله اصطفى دين آدم ودين نوح، فيكون الاصطفاء راجعاً إلى دينهم وشرعهم وملتهم، ويكون هذا المعنى على تقدير حذف المضاف وهو كلمة (دين).

الثاني : أن يكون المعنى أن الله اصطفاهم أي صفاهم من الصفات الذميمة، وزينهم بالخصال الحميدة، وهذا القول أولى لوجهين إلى آخر ما جاء في كلام الإمام الرازي .

وقد قال الإمام الرازي في شرحه لآية النساء ١٦٣ :

(قالوا : إنما بدأ تعالى بذكر نوح لأنه أول نبي شرع الله تعالى على لسانه الأحكام والحلال والحرام).

أما الإمام محمد رشيد رضا، فقد قال تنمة لما أثبتته الفتوى في شرح آية الاصطفاء، ووقفت عند وصفه لآدم : فكان هادياً مهدياً . . . وكان على كاتب الفتوى أن يكمل كلام محمد رشيد رضا عن نوح عليه السلام : (وأما نوح عليه السلام فقد حدث في عهده ذلك الطوفان العظيم، فانقرض من السلائل البشرية من انقرض، ونجا هو وأهله في الفلك، فكان بذلك أباً ثانياً للجم الغفير من البشر، وكان هو نبياً مرسلًا).

أرأيت إلى وصف الإمام محمد رشيد رضا لأدم عليه السلام: (فكان هادياً مهدياً).

وإلى وصفه لنوح عليه السلام: (وكان هو نبياً مرسلًا).

كما أن الأمانة العلمية تقتضي من كاتب الفتوى الإشارة إلى شرح السيد محمد رشيد رضا لآية النساء: (بدأ الله تعالى بذكر نوح لأنه أول نبي مرسل).

وإلى ما قاله محمد رشيد رضا في تفسيره لسورة الأنعام [تحقيق مسألة الإيمان بالرسول إجمالاً وتفصيلاً وعدد الرسل المذكورين في القرآن]

٦ - أما الغماري محمد بن الصديق: فقد ادّعى بأن الاصطفاء في هذه الآية اصطفاء رسالة، والقرآن لم يتحدث عن اصطفاء رسالة واصطفاء غير رسالة، وإنما هي دعوى تحتاج إلى برهان ودليل، والقرآن الكريم يقول: ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ [البقرة: ١١١].

أما ما جاء في الفتوى في الصفحة الرابعة والخامسة: (وقد دلّ على أولية نبوة آدم عليه السلام قوله تعالى: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ فلا أعلم لمن هذا القول: هل هو للغماري أم للقرطبي أم لكاتب الفتوى.

والمقطع الثاني الذي يقول: (كما دلّ أيضاً على أولية نبوة آدم ورسالته ما ورد في نصوص القرآن من معرفة أولاد آدم عليه السلام لأحكام الحلال والحرام وقصة ابني آدم) وهل الاستنتاج الأول والأخير لهذه القصة من كاتب الفتوى أم للقرطبي؟

*** . . . ***

إذن، فإن كاتب الفتوى اعتمد على القول بنبوة آدم ورسالته من تفسير بعض العلماء لآية الاصطفاء وقصة ابني آدم.

*** . . . ***

أما القسم الثاني الذي يتعلق باستدلال السائل على أولية نبوة نوح ورسالته مطلقاً بما ورد في حديث الشفاعة، فكان جواب كاتب الفتوى: (فلا يفيد في إثبات أولية نبوة نوح ورسالته مطلقاً، وهنا ذكر كاتب الفتوى عدة آراء للحافظ ابن حجر لا يقل عن أربعة آراء، فإذا هذه آراء محتملة وظنية وليست يقينية، ولا يقين مع الاحتمال كما قال الإمام البزدوي).

ثم استشهد كاتب الفتوى برأي الإمام النووي بأن الأولية بالرسالة لآدم لبنيه ولم يكونوا كفاراً، والأولية لنوح فإنها إلى كفار أهل الأرض. وكذلك استشهد كاتب الفتوى بالإمام العيني الذي ذكر عدة آراء أيضاً (راجع الصفحة ٦ من الفتوى)، وانتهى كاتب الفتوى إلى القول:

(ولما كانت نصوص القرآن الكريم، وإن لم تذكر صراحة رسالة أو نبوة آدم عليه السلام، إلا أنها في الحقيقة والمضمون تدلُّ عليها دلالة واضحة. دون أن يكون ما ينفىها، وهذا لا يخفى على كل مدقق وعالم!!)

ولما كانت تلك النصوص أيضاً لا تدل على أولية رسالة نوح، وذلك لتعارضها مع مفهوم حديث المعراج الوارد في صحيح البخاري والمفيد افادة واضحة برسالة آدم عليه السلام، لذلك كله، فإننا ننتهي إلى القول:

(أولاً: إننا نؤمن بأن آدم عليه السلام هو نبي ورسول، وأنه أول الأنبياء والرسل عليهم السلام، وهو ما ذهب إليه جمهور علماء المسلمين من الصحابة والتابعين وأتباعهم والسلف الصالح، ولا يعتد بما ذهب إليه المخالفون).

وأسألنا الموجهة إلى سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية:

١ - كيف ساغ لسماحة المفتي أن يقطع بأن آدم عليه السلام هو نبي

ورسول وأنه أول الأنبياء والرسول، ويضرب بحديث الشفاعة الذي رواه أنس ابن مالك في صحيح البخاري على لسان آدم أبي البشر:

(اثتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض)؟

— كيف ساغ لسماحة المفتي أن يقول بأولية نبوة ورسالة آدم ويضرب بحديث الشفاعة الذي رواه البخاري ومسلم والترمذي، والذي يقول فيه الرسول ﷺ على لسان أهل الموقف لنوح عليه السلام: (يا نوح أنت أول رسل الله إلى أهل الأرض)؟

هل نترك قول رسول الله وآدم أبي البشر وأهل الموقف ونأخذ بقول سماحة المفتي؟

إننا ندعو سماحة المفتي إلى إعادة النظر في فتواه، وأن يعيد اطلاعه على فتوى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف وعلى فتوى الدكتور عبد المنعم النمر وعلى فتوى الشيخ الغزالي وعلى ما قاله الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية في قطر وإلى ما قاله الإمام محمد رشيد رضا وإلى ما قاله بقية الذين قالت عنهم الفتوى (ولا يعتد بما ذهب إليه المخالفون)، وهذه نصيحة من أخ صغير لفضيلة المفتي، والدين النصيحة، وإذا أصرّ على فتواه فليسمح لنا بنشرها على العالم الإسلامي مع ملاحظتنا عليها، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بيروت:

عز الدين بليق

١٩٨٨ / ٦ / ٢٣

مدير دار الفتح للطباعة والنشر

*** .. ** .. ** .. **

ظنية نبوة آدم ورسالته ..

والإجماع الوهمي

استند فضيلة الشيخ حسن خالد إلى القول بنبوة آدم عليه السلام ورسالته إلى إجماع جمهور المسلمين من الصحابة والتابعين كما استند غيره إلى إجماع المسلمين وأهل الكتاب النصارى واليهود، كما يقول بذلك عبد القاهر البغدادي في كتابه (أصول الدين) أو إلى إجماع الجمهور الأكبر من علماء المسلمين من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ومن بعدهم وعلماء التفسير والحديث والأصول والعقائد وعلم الكلام القدامى والمعاصرين قد انعقد على ذلك ! (كما تقول بعض المراجع القضائية في إحدى المحاكم الشرعية) .

وبما أن هذه الأقوال صادرة عن شخصيات لها مكانتها في العالم الإسلامي كان لابد من مناقشتها ومناقشة حكاية الإجماع أو حكاية إجماع جمهور الصحابة والتابعين ..

وبما أن القاعدة الشرعية تقول : « البيّنة على من ادعى » ، أو كما تقول القاعدة القرآنية : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، فسنكتفي بأدلة هذا الإجماع أو على الأقل إجماع جمهور الصحابة، أي الأكثرية التي تدلّ على ٥١ %، حتى يصدق تعبير جمهور الصحابة .. وقد قام الإمام ابن حزم بعمل إحصاء للعلماء من الصحابة الذين رويت لهم فتاوى واجتهادات فبلغ عددهم ١٤٩ من المكثرين والمتوسطين والمقلّين . ولكي يصدق تعبير جمهور الصحابة على نبوة آدم، يجب أن يكون مجموع الصحابة ٧٥ صحابياً ..

جاء في كتاب الإمام ابن حزم : [الإحكام في أصول الأحكام] في الباب الثامن والعشرين من الجزء الخامس تحت عنوان :

«تسمية الصحابة الذين رويت عنهم الفتيا» قول المؤلف :

وقد غزا رسول الله (ﷺ) هوازن بحنين في اثني عشر ألف مقاتل ، كلهم يقع عليه اسم الصحابة ، ثم غزا تبوك في أكثر من ذلك ، ووفد عليه جميع البطون من جميع قبائل العرب وكلهم صاحب ، وعددهم بلا شك أزيد من ثلاثين ألف إنسان . . .

ثم قال :

هذا أمر يعلم ضرورة ، ثم لم ترو الفتيا في العبادات والأحكام إلا عن مائة ونيف وثلاثين (*) منهم فقط ، من رجل وامرأة بعد التقصي الشديد ، فكيف يسع من له رَمَقٌ من عقل ، أو مُسَكَّة من دين ، وشعبة من حياء ، أن يدعي عليهم الإجماع فيما لا يوقن أن جميعهم قال به وعلمه ، لا سيما وإنما تنازعهم في دعوى الإجماع عليهم في الخطأ المخالف لكلام الله عز وجل في القرآن ، والثابت عن رسول الله (ﷺ) ، فهذا هو العجب ، وفيما ذكرنا يقين العلم بكذب من ادعى عن الإجماع على ما يمكن أن يخفى من أحكام القرآن والسنن ، فكيف على خلاف القرآن والسنن ؟ ! .

قال أبو محمد :

وهذا حين نذكر إن شاء الله تعالى اسم كل من روي عنهم مسألة فما فوقها من الفتيا من الصحابة رضي الله عنهم ، وما فات منهم - إن كان فات - إلا يسير جداً ممن لم يُرَوْ عنه أيضاً إلا مسألة واحدة أو مسألتان ، وبالله تعالى التوفيق .

وقد قسّم الإمام ابن حزم الصحابة الذين رويت عنهم الفتوى ثلاثة أقسام :

١ - المكثرون من الصحابة رضي الله عنهم فيما رُوي عنهم من الفتيا . .

٢ - المتوسطون منهم فيما روي عنهم من الفتيا . .

(*) والصحيح مائة ونيف وأربعين . .

٣ - المقلون في الفتيا . .

أما القائمة الأولى من المكثرين فهم :

- | | |
|--------------------------|-----------------------|
| ١ - عائشة أم المؤمنين | ٢ - عمر بن الخطاب |
| ٣ - ابنه عبد الله بن عمر | ٤ - علي بن أبي طالب |
| ٥ - عبد الله بن عباس | ٦ - عبد الله بن مسعود |
| ٧ - زيد بن ثابت . | |

فهم سبعة يمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم سفر ضخم ، وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب بن أمير المؤمنين المأمون فتيا عبد الله بن عباس في عشرين كتاباً ، وأبو بكر المذكور أحد أئمة الإسلام في العلم والحديث .
وأما القائمة الثانية من المتوسطين في الفتيا ، فهم :

- | | |
|---------------------------------|--------------------------|
| ١ - أم سلمة أم المؤمنين . | ٨ - أبو موسى الأشعري . |
| ٢ - أنس بن مالك . | ٩ - سعد بن أبي وقاص . |
| ٣ - أبو سعيد الخدري . | ١٠ - سلمان الفارسي . |
| ٤ - أبو هريرة . | ١١ - جابر بن عبد الله . |
| ٥ - عثمان بن عفان . | ١٢ - معاذ بن جبل . |
| ٦ - عبد الله بن عمرو بن العاص . | ١٣ - وأبو بكر الصديق . . |
| ٧ - عبد الله بن الزبير . | |

فهم ثلاثة عشر فقط - يمكن أن يجمع من فتيا كل امرئ منهم جزء صغير جداً ، ويضاف إليهم أيضاً :

- | | |
|--------------------------|----------------------------|
| ١٤ - طلحة . | ١٨ - أبو بكر . |
| ١٥ - الزبير . | ١٩ - عبادة بن الصامت . |
| ١٦ - عبد الرحمن بن عوف . | ٢٠ - معاوية بن أبي سفيان . |
| ١٧ - عمران بن الحصين . | |

*** . . ***

أما القائمة الثالثة فهم المقلّون في الفتيا:

[لا يروي الواحد منهم إلاّ المسألة والمسألتين والزيادة اليسيرة على ذلك فقط،
يمكن أن يجمع من فتيا جميعهم جزء صغير بعد التقصّي والبحث، وهم رضي الله
عنهم:]

- | | |
|-----------------------------|----------------------------------|
| ١ - أبو الدرداء . | ٢٢ - أبو عبد الله البصري . |
| ٢ - أبو اليسر . | ٢٣ - نافع أخو أبي بكرة لأمه . |
| ٣ - أبو سلمة المخزومي . | ٢٤ - المقداد بن الأسود . |
| ٤ - أبو عبيدة بن الجراح . | ٢٥ - أبو السنابل بن بعكك . |
| ٥ - سعيد بن زيد . | ٢٦ - الجارود العبدي . |
| ٦ - الحسن بن علي . | ٢٧ - ليلى بنت قائف . |
| ٧ - الحسين بن علي . | ٢٨ - أبو مخدورة . |
| ٨ - النعمان بن بشير . | ٢٩ - أبو شريح الكعبي . |
| ٩ - أبو مسعود . | ٣٠ - أبو برزة الأسلمي . |
| ١٠ - أبي بن كعب . | ٣١ - أسماء بنت أبي بكر . |
| ١١ - أبو أيوب . | ٣٢ - أم شريك الحولاء بنت تويت . |
| ١٢ - أبو طلحة . | ٣٣ - أسيد بن الحضير . |
| ١٣ - أبو ذر الغفاري . | ٣٤ - الضحّاك بن قيس . |
| ١٤ - أم عطية . | ٣٥ - حبيب بن مسلمة . |
| ١٥ - صفية أم المؤمنين . | ٣٦ - عبد الله بن أنيس . |
| ١٦ - حفصة أم المؤمنين . | ٣٧ - حذيفة بن اليمان . |
| ١٧ - أم حبيبة أم المؤمنين . | ٣٨ - ثمامة بن أثال . |
| ١٨ - أسامة بن زيد . | ٣٩ - عمّار بن ياسر . |
| ١٩ - جعفر بن أبي طالب . | ٤٠ - عمرو بن العاص . |
| ٢٠ - البراء بن عازب . | ٤١ - أبو الغادية الجهني السلمي . |
| ٢١ - قرظة بن كعب . | ٤٢ - أم الدرداء الكبرى . |

- ٤٣ - الضحاك بن خليفة المازني .
 ٤٤ - الحكم بن عمرو الغفاري .
 ٤٥ - وابصة بن معبد الأسدي .
 ٤٦ - عبد الله بن جعفر .
 ٤٧ - عوف بن مالك .
 ٤٨ - عدي بن حاتم .
 ٤٩ - عبد الله بن أبي أوفى .
 ٥٠ - عبد الله بن سلام .
 ٥١ - عمرو بن عبسة .
 ٥٢ - عتاب بن أسيد .
 ٥٣ - عثمان بن أبي العاص .
 ٥٤ - عبد الله بن سرجس .
 ٥٥ - عبد الله بن رواحة .
 ٥٦ - عقيل بن أبي طالب .
 ٥٧ - عائد بن عمرو .
 ٥٨ - أبو قتادة .
 ٥٩ - عبد الله بن معمر العدوي .
 ٦٠ - عمير بن سعد .
 ٦١ - عبد الله بن أبي بكر الصديق .
 ٦٢ - عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق .
 ٦٣ - عاتكة بنت زيد بن عمر .
 ٦٤ - عبد الله بن عوف الزهري .
 ٦٥ - سعد بن معاذ .
 ٦٦ - أبو منيب .
 ٦٧ - سعد بن عباد .
 ٦٨ - قيس بن سعد .
 ٦٩ - عبد الرحمن بن سهل .
 ٧٠ - سمرة بن جندب .
 ٧١ - سهل بن سعد الساعدي .
 ٧٢ - معاوية بن مقرن .
 ٧٣ - سويد بن مقرن .
 ٧٤ - معاوية بن الحكم .
 ٧٥ - سهلة بنت سهيل .
 ٧٦ - أبو حذيفة بن عتبة .
 ٧٧ - سلمة بن الأكوع .
 ٧٨ - زيد بن أرقم .
 ٧٩ - جرير بن عبد الله البجلي .
 ٨٠ - جابر بن سمرة .
 ٨١ - جويرية أم المؤمنين .
 ٨٢ - حسان بن ثابت .
 ٨٣ - حبيب بن عدي .
 ٨٤ - قدامة بن مظعون .
 ٨٥ - عثمان بن مظعون .
 ٨٦ - ميمونة أم المؤمنين .
 ٨٧ - مالك بن الحويرث .
 ٨٨ - أبو أمامة الباهلي .
 ٨٩ - محمد بن مسلمة .
 ٩٠ - خباب بن الارت .
 ٩١ - خالد بن الوليد .
 ٩٢ - ضمرة بن العيص .
 ٩٣ - طارق بن شهاب .
 ٩٤ - ظهير بن رافع .
 ٩٥ - رافع بن خديج .
 ٩٦ - فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) .

- ٩٧ - فاطمة بنت قيس .
 ٩٨ - هشام بن حكيم بن حزام .
 ٩٩ - حكيم بن حزام .
 ١٠٠ - شرحبيل بن السمط .
 ١٠١ - أم سليم دحية بن خليفة الكلبي .
 ١٠٢ - ثابت بن قيس بن الشماس .
 ١٠٣ - ثوبان (مولى رسول الله ﷺ) .
 ١٠٤ - المغيرة بن شعبة .
 ١٠٥ - بريدة بن الحصيب الأسلمي .
 ١٠٦ - رويغ بن ثابت .
 ١٠٧ - فضالة بن عبيد .
 ١٠٨ - رجل يعرف بأبي محمد [روينا عنه وجوب الوتر - هو من الأنصار اسمه مسعود ابن أوس ، نجاري بدري] .
- ١٠٩ - زينب بنت أم المؤمنين أم سلمة .
 ١١٠ - عتبة بن مسعود .
 ١١١ - بلال المؤذن .
 ١١٢ - مكرز .
 ١١٣ - عرفة بن الحارث .
 ١١٤ - سيار بن روح أوروخ بن سيار .
 ١١٥ - أبو سعيد بن المعلّى .
 ١١٦ - العباس بن عبد المطلب .
 ١١٧ - بسر بن أبي أرطاة .
 ١١٨ - صهيب بن سنان .
 ١١٩ - أم أيمن .
 ١٢٠ - أم يوسف .
 ١٢١ - ماعز .
 ١٢٢ - الغامدية .

*** . . . ***

تراجم الأئمة والمفسرين والعلماء

[الإمام أبو حنيفة]

[٨٠ - ١٥٠ هـ]

نسبه وعمره :

هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي ، أقدم الأئمة الأربعة مولداً ، وأكثرهم بين المسلمين أتباعاً ، ولد بالكوفة ، واختلف في سنة مولده على ثلاثة أقوال ، قيل : سنة ٦٣ هـ ، وقيل : سنة ٧٠ هـ ، وقيل : ٨٠ هـ ، والمشهور هو الثالث ، وإن كان بعض الباحثين رجح الرواية الثانية لنقول وروايات ، ترجح لديه العمل بها^(١) . وتوفي ببغداد سنة ١٥٠ هـ ، وقبره لا يزال هناك معروفاً ويزار في حي مسمى باسمه وهو « الأعظمية » نسبة إلى الإمام الأعظم .

نشأته ومدرسته :

نشأ بالكوفة ، وقد كانت من أكبر الأمصار الإسلامية في ذلك العصر ، وأحفلها بالعلماء من كل فئة ، وأشهرها بأئمة اللغة من نحو وصرف وأدب وغيرها ، درس علم الكلام أولاً حتى برع فيه ، وبلغ فيه مبلغاً يشار إليه بالأصابع ، ثم التحق بحلقة حماد شيخ فقهاء الكوفة ، وتتصل حلقة حماد بعبدالله بن مسعود ، إذ هو تلقى العلم عن إبراهيم النخعي الذي تلقاه عن علقمة بن قيس الذي تلقاه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، ثم ما زال يداوم على حضور حلقة شيخه حماد حتى توفي (١٢٠) ، فاتفق رأي تلامذته على استخلاف أبي حنيفة مكانه ، فانتقلت إليه رئاسة مدرسة الكوفة التي عرفت (١) منهم ابن حبان ، واقتصر على ذلك في كتابه « الضعفاء » ، وانظر تآييب الخطيب ص ١٩ فما بعدها .

بمدرسة الرأي ، وأصبح إمام فقهاء العراق غير منازع ، وسارت بذكره الركبان ، واجتمع مع أشهر علماء عصره ، بالبصرة ومكة والمدينة ، ثم ببغداد بعد أن بناها المنصور ، وناقشهم واستفاد منهم واستفادوا منه ، وما زالت شهرته تتسع حتى غدت حلقة مجتمعا علميا يجتمع فيها كبار المحدثين كعبدالله بن المبارك ، وحفص بن غياث ، مع كبار الفقهاء كأبي يوسف ومحمد وزفر والحسن بن زياد ، مع كبار الزهاد والعباد كالفضيل بن عياض وداود الطائي ، وما زال قائما بأمانة العلم مع الاجتهاد في العبادة والاستقامة في المعاملة والزهد في الدنيا ، والنصيحة لله ولرسوله وللمسلمين حتى لحق بربه راضيا مرضيا

أصول مذهبه :

أخرج البيهقي عن يحيى بن خريس ، قال : شهدت سفيان وأتاه رجل ، فقال ما تنقم على أبي حنيفة ؟ قال : وماله ؟ قال قد سمعته يقول : « آخذ بكتاب الله ، فإن لم أجد فبسنة رسول الله ﷺ ، فإن لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسوله ، أخذت بقول أصحابه من شئت منهم ، وأدع قول من شئت منهم ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم . فأما إذا انتهى الأمر إلى إبراهيم والشعبي وابن سيرين والحسن ، وعطاء ، وابن المسيب - وعد رجالا - فقوم اجتهدوا فأجتهد كما اجتهدوا » (٢) ، وفي رواية : « فما لم أجد فيه أخذت بسنة رسول الله ﷺ والآثار الصحاح عنه التي فشت في أيدي الثقات » .. إلخ .

أما اجتهداه فيما لم يكن فيه نص من كتاب ولا سنة ولا قول صحابة ، فقد كان مرجعه إلى القياس ، ومن أنواع القياس عنده الاستحسان الذي فسر بأنه قياس خفي في مقابلة قياس جلي

(٢) مفتاح الجنة ص ٣٤

[الإمام مالك]

[٩٣ - ١٧٩ هـ]

حياته ومكانته العلمية :

هو أبو عبدالله مالك بن أنس الأصبحي إمام دار الهجرة ومحدثها الأشهر ، ولد بالمدينة سنة ٩٣ هـ . وذكر ابن الدبيع الشيباني في مقدمة تيسير الوصول أن ولادته كانت سنة ٩٥ هـ ، ونشأ بها وتوفي فيها عام ١٧٩ هـ عن ستة وثمانين سنة ، تلقى العلم عن ربيعة الرأي وأخذ عن كبار الفقهاء من التابعين ، وسمع كثيراً من الزهري ، حتى ليعتبر من أشهر تلاميذه ، كما سمع من نافع مولى ابن عمر واشتهر بالرواية عنه حتى أصبحت روايته تسمى في عرف المحدثين بالسلسلة الذهبية ، وهي (مالك عن نافع عن ابن عمر) ، وما زال دائماً في طلب العلم وتحصيله حتى أصبحت له الإمامة في الحجاز ، وأطلق عليه عالم المدينة وإمام دار الهجرة ، وانتشر صيته في الآفاق ، فهرع إليه أهل العلم من مختلف بقاع الأرض ، وكان يعقد للحديث مجلساً في مسجد النبي ﷺ في وقار وأدب وحكمة متطياً لابساً أحسن ثيابه ، لا يرفع صوته فيه إجلالاً للرسول .

أصول مذهبه :

عرف مالك رحمه الله بالفقه والحديث معاً ، وقد عرف باحتجازه بالمرسل كأبي حنيفة ، وقد أخرج من المراسيل عدداً في موطئه ، وكانت أصول مذهبه هي الأصول المعتبرة لدى الأئمة : الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وزاد عليها شيئين : عمل أهل المدينة والمصالح المرسلة ، أما هذه الأخيرة

فقال قال بها أكثر الأئمة ، وأما عمل أهل المدينة فقد اعتبره حجة دالة على ما كان عليه النبي ﷺ من فعل أو حال ، ولا يعتبر عملهم حجة إلا إذا كانوا مجتمعين عليه متوارثين العمل به جيلاً بعد جيل حتى عهد الرسول الكريم ، وهو يرى أنهم لا يلتزمون أمراً ويعملون به جميعاً إلا إذا كان أمراً مشروعاً عمل به الصحابة في عهد الرسول وأقرهم عليه ثم توارثه من بعدهم ودرجوا عليه .

وعمل أهل المدينة عنده أقوى من حديث الآحاد ، فإذا تعارض خبر الواحد مع عمل أهل المدينة رجح الثاني ، ومن هنا استدرك عليه الليث بن سعد سبعين سنداً ترك الأخذ بها وهي في موطئه ، ولم يوافقها بقية الأئمة والعلماء من بعده على هذا . ومن ناقشه في ذلك الإمام الشافعي رحمه الله ، وتتالي العلماء من بعده يناقشونه في ذلك ، ومن أشهر من رد حجية عمل أهل المدينة ابن حزم ، فقد ناقشه في كتابه « الإحكام في أصول الأحكام » نقاشاً قوياً ، وكذلك رد عليه في بحوث متفرقة من كتابه « المحلى » وهو شديد الوطأة في نقاشه العلمي مع كل من يخالفهم^(٣) .

وقد انتشر مذهب مالك في كثير من أقطار العالم الإسلامي وخاصة في المغرب ومصر .

الموطأ

ولعل أشهر ما عرف به الإمام مالك رحمه الله ، كتابه « الموطأ » الذي ألفه بإشارة من المنصور حين حج وطلب إليه أن يدون كتاباً جامعاً في العلم يتجنب فيه شذائد ابن عمر ورخص ابن عباس ، وأن يوطئه للناس ، فألف كتابه هذا ، وسماه « الموطأ »

(٣) أنظر الإحكام : ٩٧/٢ - ١٢٠

[الإمام الشافعي]

[١٥٠ - ٢٠٤ هـ]

حياته ومكانته العلمية :

هو أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن شافع ينتهي نسبه إلى قصي ويلتقي نسبه مع النبي ﷺ في عبد مناف ، ولد رحمه الله بغزة من أعمال الشام سنة ١٥٠ هـ ، وحملته أمه إلى مكة وهو ابن سنتين وبها نشأ وقرأ القرآن الكريم ، وأقام في هذيل نحواً من عشر سنين تعلم منهم اللغة والشعر حتى كان من أوثق الناس بأشعار الهذليين ، وقد روى أن الأصمعي صحح عليه أشعارهم ، وأخذ الفقه عن مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة ثم رحل إلى المدينة وتلمذ على مالك فقرأ عليه الموطأ كله ، ورأى فيه مالك من الذكاء وقوة الذاكرة والنباهة المبكرة ما جعله يكرمه ويصله ، ثم تولى الشافعي العمل في إحدى ولايات اليمن ، وهناك وُشي به إلى الرشيد فأخضِرَ إلى بغداد متَّهماً بالتشيع والدعوة لآل البيت ، وكان ذلك سنة ١٨٤ هـ فتدخل محمد بن الحسن عند الرشيد حتى اقتنع ببراءته ، وهناك تم له الاتصال بالإمام محمد وأخذ عنه كتب أصحابه ، حتى قال « خرجت من بغداد وقد حملت من علم محمد بن الحسن وقر بعير » ثم عاد إلى مكة ، وما زال ينتقل بين العراق والحجاز حتى أقام في مصر سنة ١٩٩ هـ ، وبها دوّن مذهبه الجديد إلى أن توفي عام ٢٠٤ هـ ، بعد أن ملأ الدنيا علماً واجتهاداً ، وبعد أن جمع حوله أفذاذ طلاب العلم في مصر والعراق ، وبعد أن ملأ القلوب بحبه وإجلاله والاعتراف بإمامته لما كان يتمتع به رحمه الله من علم غزير ومنطق فحل وذكاء عجيب وذهن

نافذ إلى لب الحقائق ، وإحاطة واسعة بكتاب الله وسنة رسوله ، وعلوم اللغة وآدابها .

دوره في الدفاع عن السنة :

وللشافعي - عدا مكانته الفقهية - مكانة ممتازة عند أهل الحديث ، فهو الذي وضع قواعد الرواية ، ودافع عن السنة دفاعاً مجيداً ، وأعلن رأيه الذي يخالف فيه مالكا وأبا حنيفة ، وهو أن الحديث متى صح بالسند المتصل إلى النبي ﷺ يجب العمل به من غير تقييده بموافقة عمل أهل المدينة كما اشترط مالك ، أو بالشروط المتعددة التي اشترطها أبو حنيفة ، وبذلك كان في جانب أهل الحديث مما جعلهم يطلقون عليه لقب « ناصر السنة » وفي الحق أن « رسالته » وبحوثه في « الأم » من أثمن ما ألفه العلماء دفاعاً عن حجية السنة ومكانتها في التشريع بأسلوب قوي جزل ، وأدلة دامغة قاهرة ، ولا ينكر كل من كتب في مصطلح الحديث وفي مباحث السنة والكتاب من علماء الأصول ، أنه مدين للشافعي فيما كتب ، ومن هنا كان صحيحاً ما يقوله محمد بن الحسن : « إن تكلم أصحاب الحديث يوماً بلسان الشافعي » وما قاله الزعفراني : « كان أصحاب الحديث رقوداً فأيقظهم الشافعي » . ومن هنا أجله علماء الحديث وذكروه بكل خير ، فقال فيه أحمد بن حنبل : « ما أحد مس بيده محبرة وقلماً إلا للشافعي في رقبته منة » . ويقول : « ما علمنا المفضل من المفسر ولا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه حتى جالسنا الشافعي » . وقال عبد الرحمن بن مهدي : « لما نظرت الرسالة للشافعي أذهلتني لأنني رأيت كلام رجل عاقل فصيح ناصح ، فإني لأكثر الدعاء له » . وقال الكرابيسي : « ما كنا ندري ما الكتاب والسنة حتى سمعناه من الشافعي ، وما رأيت مثل الشافعي ولا رأى الشافعي مثل نفسه ، وما رأيت أفصح منه وأعرف » .

أصول مذهبه :

كانت أصول مذهبه كأصول الأئمة الآخرين : العمل بالكتاب والسنة

والقياس والإجماع ، إلا أن عمله بالسنة كان أوسع دائرة من مالك وأبي حنيفة من ناحية الأخذ بخبر الآحاد ، وكان أضيق دائرة من ناحية رفض العمل بالمرسل إلا إذا كان مرسل كبار التابعين كسعيد بن المسيب . ومن أصوله « الاستصحاب » وقد أخذ به الحنفية في الدفع لا في الإثبات

ولم ينقل عن الشافعي من الحديث كتاب مستقل إلا « مسند الشافعي » رواية أبي العباس الأصم ، و « سنن الشافعي » رواية الطحاوي ، ويظهر أنه من استخراج تلاميذه لا من تأليفه كما هو الحال في مسانيد أبي حنيفة ، وذلك لأنه لم يجلس للتحديث كما هي عادة المحدثين ، ولا عُنيَ بجمع الروايات والطرق كما عُنُوا بذلك ، وإنما هو إمام مجتهد يبحث في السنة عن كل ما يمكن أن يكون أصلاً من أصول التشريع ، فهو يطلب الحديث ليكون نواة لاجتهاده وفقهه ، لا ليملأ به الكراريس والصحف ، وهذا هو الفرق بين المحدثين المنقطعين للتحديث ، وبين الأئمة المعنيين بالفقه والتشريع .

[الإمام أحمد]

[١٦٤ - ٢٤١ هـ]

حياته ومكانته العلمية :

هو أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني ، ولد في بغداد سنة ١٦٤ وبها نشأ وترعرع ، حضر في أول طلبه مجلس أبي يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة ثم انتقل إلى طلب الحديث ، وما زال يجد في طلبه ويلقى الشيوخ ويكتب عنهم ، حتى بلغ الذروة في حفظ السنة والإحاطة بها ، وحتى أصبح إمام السنة في عصره غير منازع ، أخذ عن الشافعي الفقه أولاً ، ثم أخذ الشافعي عنه الحديث ، ومن تلاميذه البخاري ومسلم ، وكان من الورع والزهد والأمانة والتشدد في الحق على جانب عظيم ، تعرض لمحنة خلق القرآن وصبر عليها منذ عهد المأمون حتى المتوكل ، وكان لموقفه العظيم أثر خالد في تثبيت قلوب الجمهور على الحق ، وقد زاد ثباته على المحنة في نظر المسلمين ، مكانته في قلوبهم واعترافهم بإمامته ، وشهادات العلماء في حقه كثيرة متوافرة ، وحسبك قول الشافعي رحمه الله : « خرجت من بغداد وما خلفت فيها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أروع ولا أتقى من أحمد بن حنبل » وتوفي رحمه الله ببغداد سنة ٢٤١ ومشي في جنازته خلق لا يحصون .

أصول مذهبه :

أما أصول مذهبه فهي أصول الأئمة : الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وكان كثير الأخذ بالسنة حتى قدمنا عنه قوله : « ضعيف الحديث عندي أولى من رأي الرجال » وكان كثير الاتباع لآراء الصحابة ، حتى إذا كان للصحابة

رأيان في المسألة أو ثلاثة كان له فيها رأيان أو ثلاثة ، ومن هنا لم يعده بعض العلماء من الأئمة الفقهاء كما فعل ابن عبد البر في الانتقاء وابن جرير الطبري في اختلاف الفقهاء ، ولقي بسبب ذلك عنثاً شديداً من الحنابلة في زمنه . ولكن الحق انه إمام مجتهد فقيه لا شك في ذلك ، وإن كانت صبغة الحديث عليه أغلب .

المسند : مرتبته - أحاديثه :

وقد كان من أخلد آثار الإمام وأجزلها فائدة وأعظمها بركة على السنة كتابه المسند الذي أورد فيه نحو أربعين ألف حديث ، منها عشرة آلاف مكررة ، من مجموع سبعمائة ألف حديث وخمسين ألفاً كان يحفظها ، وطريقته في تأليفه أنه يجمع أحاديث كل صحابي في باب واحد ، فما روي عن أبي بكر رضي الله عنه مثلاً يجمعه في باب واحد ، رغم اختلاف موضوعات الأحاديث .

[الإمام البخاري]

[١٩٤ - ٢٥٦ هـ]

هو أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي مولاهم ، إمام المحدثين وشيخ حفاظ زمانه على الإطلاق ، ولد ببخارى يوم الجمعة ١٣ شوال ١٩٤ وبدأ بحفظ الحديث وهو لما يبلغ العشر سنين ، ثم دأب عليه ورحل في طلبه حتى طاف أشهر الأمصار الإسلامية التي عرفت بالحديث وكما قال هو نفسه : « دخلت الشام ومصر والجزيرة مرتين ، وإلى البصرة أربع مرات ، وأقمت بالحجاز ستة أعوام ، ولا أحصي كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين » وكان لا يسمع بشيخ في الحديث إلا رحل إليه واختبره وسأل عنه وأخذ منه ، وكان آية في الحفظ وقوة الذاكرة والبصر بعلى الأسانيد ومتونها ، وقصته في بغداد حين امتحنه علماؤها مشهورة تدل على مبلغ حفظه وإمامته في هذا الفن ، وقد كافأه الله على صبره وجلده وتحمله المشاق في سبيل السنة بإقبال الناس عليه وإشاداتهم بذكره وفضله ، قال محمود بن الناصر بن سهل الشافعي : « دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورأيت علماءها ، كلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل البخاري فضلوه على أنفسهم » ، وكان قد سمع مرة شيخه إسحاق بن راهويه يقول لتلاميذه : « لو جمعتم كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله ﷺ ؟ » قال البخاري : « فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح » وقد أمضى في جمعه وتمحيصه وتأليفه ستة عشر عاماً ، وما وضع فيه حديثاً إلا بعد أن يغتسل ويصلي ركعتين ، ثم يستخير الله تعالى في وضعه ، ولم يخرج فيه إلا ما

صح عن رسول الله ﷺ بالسند المتصل الذي توفر في رجاله العدالة والضبط واللقيا ، ولم يكن يكتفي بإمكان معاصرة التلميذ للشيخ ، بل لا بد من ثبوت سماعه منه ولقياه له ، وبهذا كان أول كتاب في السنة على هذه الشروط الدقيقة ، تجرد من الأحاديث الضعيفة والحسنة ، واقتصر على الأحاديث الصحيحة فقط ، وقد بوبه البخاري على أبواب العلم والفقه ، إلا أنه دقيق النظر جداً بعيد الغور في الاستنباط ، فجاءت تراجم أبوابه وموافقة الأحاديث للترجمة غامضة في بعض الأحيان ، فقد تطلب حديثاً في باب فلا تجده ، بل تجده في باب آخر لا يخطر في بالك ، وقد ذكر فيه عرضاً الموقوف والمعلق وفتاوى الصحابة والتابعين وآراء العلماء ، كما جرى على تقطيع الحديث إلى أقسام يذكر في كل باب القسم الذي يناسبه ، تبلغ أحاديثه على ما ذكر ابن حجر في مقدمة فتح الباري (٧٣٩٧) بالمكرر ، سوى المعلقات والمتابعات والموقوفات ، وبغير المكرر من المتون الموصولة (٢٦٠٢) ، ولما أتم تأليفه وتمحيصه عرضه على أحمد وابن معين وابن المديني وغيرهم من أئمة الحديث فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة إلا في أربعة أحاديث ، وقال العقيلي : « القول فيها قول البخاري » . ولما أخرجه للناس وأخذ يحدث به ، طار في الآفاق أمره ، فهرع إليه الناس من كل فج يتلقونه عنه حتى بلغ من أخذه نحواً من مائة ألف ، وانتشرت نسخه في الأمصار ، وعكف عليه الناس حفظاً ودراسة وشرحاً وتلخيصاً ، وكان فرح أهل العلم به عظيماً . قال الذهبي : « وأما جامع البخاري الصحيح ، فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله تعالى . فلو رحل الشخص لسماعه من ألف فرسخ لما ضاعت رحلته » .

هذا ولم يعن علماء الإسلام بكتاب - بعد القرآن - كما عنوا بصحيح البخاري حتى بلغ الذين كتبوا حوله ما بين شرح واختصار وترجمة رجال ، عدداً كبيراً جداً ، وحسبك أن تعلم أن عدد شروحه فحسب بلغت اثنين

تراجم الأئمة والمفسرين والعلماء

وثمانين شرحاً كما ذكر ذلك صاحب كشف الظنون ، ومن أشهر هذه الشروح أربعة : شرح الإمام بدر الدين الزركشي واسمه التنقيح (- ٧٩٤ هـ) ، وشيخ الإسلام ابن حجر (- ٨٥٢ هـ) في فتح الباري ، وهو أجل هذه الشروح وأوفاهها وأكثرها شهرة وفائدة . والعلامة العيني الحنفي (- ٨٥٥ هـ) في عمدة القاري ، والجلال السيوطي (- ٩١١ هـ) في التوشيح .

[الإمام مسلم]

[٢٠٤ - ٢٦١ هـ]

هو مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري أحد أئمة الحديث ومشاهيره ، ولد سنة ٢٠٤ بنيسابور ، وطلب العلم منذ الصغر ثم رحل إلى أقطار الإسلام فزار العراق والحجاز والشام ومصر ، وأخذ عن شيوخها من مشايخ البخاري وغيره ، وكان شديد الحب للبخاري ، شديد التقدير له ، وقد اقتدى به في وضع صحيحه ، إلا أنه حصل بينهما جفاء في آخر أيامهما ، وتوفي بنيسابور سنة ٢٦١ هـ .

وضع كتاب الصحيح المشهور بصحيح مسلم ، وهو من أجل الكتب وأصحها مع صحيح البخاري ، وقد ذهب أكثر العلماء إلى ترجيح البخاري عليه لأمرين :

١ - اشترط البخاري اللقاء في الراوي دون الاكتفاء بالمعاصرة ، بينما مسلم يكتفي بذلك .

٢ - دقة فقه البخاري واحتواء صحيحه على استنباطات فقهية لا توجد في صحيح مسلم .

٣ - تحري البخاري في أمر الرجال ، حتى إن الذين تكلم فيهم الحفاظ - على ما في كلامهم من مجال للنقاش - بلغوا ثمانين ، وقد بلغ الذين تكلموا فيهم من رجال مسلم مائة وستين ، ومع أن البخاري لم يكثر من إخراج حديثهم ، وأغلبهم من شيوخه الذين يعرف دخالهم أكثر من غيره .

٤ - قلة الأحاديث التي انتقدت على البخاري من جهة الشذوذ والإعلال

بالنسبة لما انتقد على مسلم ، فقد بلغت عند البخاري - وحده - ثمانية وسبعين ، وقد بلغت عند مسلم - وحده - مائة وثلاثين .
من أجل هذا ، ذهب أكثر العلماء إلى ترجيح صحيح البخاري مع اتفاقهم جميعاً على أن البخاري أجلّ من مسلم في علم الحديث وأعلى كعباً ، وقد اعترف له مسلم بذلك ، وقد روى مسلم عن البخاري ، ولم يرو البخاري عن مسلم شيئاً .

نعم يمتاز صحيح مسلم على البخاري بأمور فنية ترجع إلى التأليف ، فمسلم لم يقطع الحديث ولم يكرر الإسناد ، وإنما جمع ما ورد في الحديث كله في باب واحد ، جمع فيه طرقه التي ارتضاها ، وأورد أسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة ، مما جعله أسهل تناولاً على الطالب من صحيح البخاري كما أنه جعل لكتابه مقدمة نفيسة بيّن فيها ما دعاه لجمع الصحيح ، ومنهجه فيه ، وما أجمل ما قيل فيهما :

قالوا : لمسلم فضل قلت : البخاري أعلى

قالوا : المكرر فيه قلت : المكرر أحلى

بلغت أحاديثه دون المكرر أربعة آلاف ، وبالمكرر ٧٢٧٥ . وقد شرحه كثير من الأئمة الحفاظ وذكر منها صاحب كشف الظنون خمسة عشر شرحاً من أشهرها شرح الإمام الحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي (- ٦٧٦ هـ) ، وقد اختصره أيضاً عدد من العلماء ومن أشهر مختصراته تلخيص كتاب مسلم وشرحه لأحمد بن عمر القرطبي (- ٦٥٦ هـ) ومختصر الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري (- ٦٥٦ هـ)^(٤) .

(٤) تهذيب الأسماء للنووي ٨٩/٢ ومفتاح السنة ص ٤٦ .

[الإمام ابن حزم]

[٣٨٤ - ٤٥٦ هـ = ٩٩٩ - ١٠٦٤ م]

علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد: عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام. ولد بقرطبة، وكانت له ولأبيه من قبله رئاسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين، فقيهاً حافظاً، يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، بعيداً عن المصانعة. وانتقد كثيراً من العلماء والفقهاء، فتمالأوا على بغضه، وأجمعوا على تضليله، وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنونه، فأقصته الملوك وطاردته، فرحل إلى بادية لبلة (من بلاد الأندلس)، فتوفي فيها، روى عن ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو ٤٠٠ مجلد، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة، وكان يقال: لسان ابن حزم، وسيف الحجاج شقيقان. أشهر مصنفاته:

«الفصل في الملل والأهواء والنحل»، ط و «المحلى»، في الفقه، ط في ١١ جزءاً، و «جوامع السيرة»، ط، و «الإحكام في أصول الأحكام»، ط، و «مداواة النفوس»، رسالة في الأخلاق، و «طوق الحمامة» ط، وغير ذلك، وللدكتور عبد الكريم خليفة «ابن حزم الأندلسي»، ط، وللدكتور عبد الحلیم عويس «ابن حزم الأندلسي... وجهوده في البحث التاريخي والحضاري» ط، رسالة.

[الأعلام: ج ٤ ص ٢٥٤ وما فيه من مصادر]

*** ... ***

[الإمام ابن تيمية]

[٦٦١ - ٧٢٨ هـ = ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م]

أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله... الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين بن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. وُلِدَ في حرّان، وتحوّل به أبوه إلى دمشق، فنبغ واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدتها، فتعصّب عليه جماعة من أهلها، فسُجنَ مدة، ونُقِلَ إلى الإسكندرية، ثم

تراجم الأئمة والمفسرين والعلماء

أُطلق، فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢ هـ، واعتُقل بها سنة ٧٢٠، وأُطلق، ثم أُعيد، ومات معتقلاً بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين، آية في التفسير والأصول، وفي «الدرر الكامنة»: أنه ناظر العلماء، واستدلّ، وبرّع في العلم والتفسير، وأفتى ودرّس وهو دون العشرين.

من تصانيفه: «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية» ط، و«الإيمان» ط، و«منهاج السُّنة» ط و«الفتاوى - ط»، وللعلمة الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي (الجزء الثاني من رجال الفكر والدعوة في الإسلام، وهو خاص بحياة شيخ الإسلام الحافظ أحمد بن تيمية).

[الاعلام : ج ١ ص ١٤٤ وما فيه من مصادر]

*** . . . ***

[الإمام ابن قيم الجوزية]

[٦٩١ - ٧٥١ هـ = ١٢٩٢ - ١٣٥٠ م]

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله شمس الدين: المعروف (بإبن قيم الجوزية)، من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء، مولده ووفاته بدمشق، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه، وهو الذي هذب كُتبه ونشر علمه، وسُجنَ معه في قلعة دمشق، وأُهين وعُذّب بسببه، وطيف به على جمل مضروباً بالعصي، وأُطلق بعد موت ابن تيمية.

له تصانيف كثيرة، منها:

«إعلام الموقعين» ط، و«الطرق الحكمية في السياسة الشرعية - ط» و«أحكام أهل الذمة»، ط، جزآن. و«زاد المعاد»، ط، و«مدارج السالكين» ط، ٣ مجلدات. و«التبيان في إقسام القرآن»، ط، ولمحمد أويس الندوي كتاب «التفسير القيم»، للإمام ابن القيم، ط، استخرجه من مؤلفاته.

[الاعلام : ج ٦ ص ٥٦ وما فيه من مصادر]

*** . . . ***

[الإمام الطبري]

[٢٢٤ - ٣١٠ هـ = ٨٣٩ - ٩٢٣ م]

محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: من مشاهير المؤرخين والمفسرين وأئمة العلماء. وُلِدَ في آمل طبرستان، وبها نشأ وتعلَّم، ثم رحل في طلب العلم، فسمع بالري وبغداد والبصرة والكوفة والشام ومصر. وعاد فاستوطن بغداد، واعتنق المذهب الشافعي، وعارض الحنابلة، وأسس مذهب «الجريرية»، في الفقه، وهو فرع من الشافعية، فلم يعمر طويلاً. وعُرِضَ عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. قال الخطيب البغدادي: «جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره» من كتبه: «جامع البيان في تفسير القرآن»، ويُعرف بتفسير الطبري، طبع في ٣٠ جزءاً، قال أبو حامد الاسفراييني: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيراً، وله أيضاً «تاريخ الأمم والملوك» عشرة أجزاء - ط .

[المصادر: معجم المفسرين: ٥٠٨/٢، والاعلام: ٦٩:٦]

*** . . . ***

[فخر الدين الرازي]

[٥٤٤ - ٦٠٦ هـ = ١١٥٠ - ١٢١٠ م]

هو إمام المتكلمين، وقامع المبتدعين، فخر الإسلام والمسلمين، وحجة الله على العالمين، والعالم المتبحر، قدوة الأنام وبدرهم المشرق، وتاج المحققين وشمسهم الساطعة الضياء الإمام المتصدر العلامة فخر الدين الرازي، أبو عبد الله، محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل، الشافعي المذهب، المفسر المتكلم الأصولي المتطبب، صاحب التصانيف المشهورة، وحسبه فضلاً وعلو منزلته أن علماء الأصول إذا نقلوا عنه قالوا: وقال الإمام، أو، وعند الإمام.

ولد في الخامس والعشرين من شهر رمضان، سنة ثلاث أو أربع، أو خمس، وأربعين وخمسائة، ثم تلقى العلم عن أبيه الإمام ضياء الدين خطيب الري، صاحب الإمام البغوي، وكان الفخر ينعت «بابن خطيب الري» نسبة إلى أبيه. .

واشتغل فخر الدين الرازي في مبدأ أمره بالفقه، ثم اشتغل بالعلوم الحكمية وتمييز، حتى لم يوجد في زمانه أحد يضاهيه، وكان لمجلسه جلالة.

علومه ومعارفه ومصنفاته:

كان الفخر من أفضل علماء عصره في الفقه وعلوم اللغة والمنطق والمذاهب الكلامية، ومن أبرع أهل زمانه في الطب والحكمة، شاع فضله في كل ذلك وذاع، وبعد صيته بين الناس، وملأ البقاع والأسماع، فأثمه الطلاب من كل بلد وصقع، يتلقون العلم عنه ويغترفون من علومه ومعارفه.

وفيما يلي ثبت بعض مصنفاته:

- ١ - كتاب التفسير واسمه مفاتيح الغيب في ٣٢ جزءاً.
 - ٢ - كتاب التفسير الصغير [أسرار التنزيل وأنوار التأويل].
 - ٣ - كتاب المحصول في علم أصول الفقه.
 - ٤ - المعالم في أصول الفقه.
 - ٥ - المعالم في أصول الدين.
 - ٦ - تفسير أسماء الله الحسنى.
 - ٧ - عصمة الأنبياء.
 - ٨ - المحصل في علم الكلام.
 - ٩ - المحصول في الفقه.
 - ١٠ - رسالة في النبوات.
- وقد بلغت عدد كتبه ٦٧ كتاباً.

نماذج من شعره:

نهاية إقدام العقول عقال
وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا
وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم رأينا من رجال ودولة
فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها
رجال فزالوا، والجبال جبال

*** .. ** .. **

وفاته:

انتقل الإمام فخر الدين الرازي إلى جوار ربّه بهراة في يوم الاثنين أول شوال
من سنة ست وستمائة، وقيل إنه مات مسموماً، وإن الفرق التي كان يناظرها قد
دسّت له من سقاء السم، قال القفطي: وكان يطعن على الكرامية ويبين خطأهم،
ف قيل: إنهم توصلوا إلى إطعامه السّم فهلك.

[التفسير الكبير - الجزء الأول]

*** .. ** .. **

[القرطبي]

[... - ٦٧١ هـ = ... ١٢٧٣ م]

محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو
عبد الله القرطبي. من كبار المفسرين. من أهل قرطبة بالأندلس. رحل إلى
المشرق واستقر بمنية ابن خصيب في شمال أسيوط، بمصر وتوفي فيها. قال
الذهبي: «إمام متفنن، متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة، تدل على كثرة اطلاعه
ووفور عقله وفضله، وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان» من آثاره [جامع
أحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن].

[معجم المفسرين: ج ٢ - ص ٤٧٩]

*** .. ** .. **

[الإمام ابن كثير]

[٧٠١ - ٧٧٤ هـ = ١٣٠٢ - ١٣٧٣ م]

إسماعيل بن عمر بن كثير البصري، ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين : حافظ، مؤرخ، فقيه، مفسر. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦ هـ، ورحل في طلب العلم، وتوفي بدمشق.

من كتبه : «البداية والنهاية» - ط ١٤ مجلداً، في التاريخ على نسق الكامل لابن الأثير، و«تفسير القرآن الكريم» ط، و«جامع المسانيد» خ، في ثماني مجلدات، و«اختصار علوم الحديث»، رسالة في المصطلح، شرحها أحمد محمد شاكر بكتاب «الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث» ط، و«اختصار السيرة النبوية» طبع باسم «الفصول في اختصار سيرة الرسول» و«التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل» خمس مجلدات في رجال الحديث، وكتاب «قصص الأنبياء».

[الاعلام : ج ١ ص ٣٢٠ - وما فيه من مصادر]

*** . . *** . . ***

[الإمام السيوطي]

[٨٤٩ - ٩١١ هـ = ١٤٤٥ - ١٥٠٥ م]

عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، جلال الدين : إمام حافظ، محدث، مفسر، أديب. نشأ في القاهرة يتيماً، وحفظ القرآن وله دون ثماني سنين. وشرع في الاشتغال بالعلم سنة ٨٦٤ هـ، وأجيز بتدريس العربية بعد سنتين، وبالتدريس والإفتاء سنة ٨٧٦ هـ، وشرع في التصنيف سنة ٨٨٦ هـ.

سافر إلى الحجاز والشام واليمن والهند والمغرب والتكرور. وحينما تقدّم به العمر، اعتزل الناس، وخلا بنفسه في منزله في روضة المقياس على النيل، منزوياً عن أصحابه جميعاً، متباعداً عن ذوي الجاه والسلطان، وتجرّد للعبادة والتصنيف. وكان الأغنياء والأمراء والوزراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردّها. مات بمنزله.

تراجم الأئمة والمفسرين والعلماء

من آثاره التي بلغت نحو ٦٠٠ مصنف «الإتقان في علوم القرآن» و«تنوير الحوالك شرح موطأ مالك»، و«الدر المنثور في الأحاديث الشهيرة» و«الحاوي للفتاوى» و«الدر المنثور في التفسير بالمأثور» و«زهر الربى على المجتبى» شرح سنن النسائي، و«اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة».

[معجم المفسرين: ج ١ ص ٢٦٤، والأعلام ٣: ٣٠١]

*** . . . ***

[الشوكاني]

[١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ = ١٧٦٠ - ١٨٣٤ م]

محمد بن علي بن محمد الشوكاني، أبو عبد الله : فقيه، أصولي، محدث، مفسر، من كبار علماء اليمن في عصره. من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان باليمن، ونشأ وتعلم بصنعاء، وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ هـ، ومات بها. له أكثر من مئة كتاب منها: «فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير»، طبع خمسة مجلدات، و«إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول» و«الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة»، وهي مطبوعة أيضاً.

[المصادر: معجم المفسرين: ج ٢ ص ٥٩٣، والأعلام: ٧: ١٩١]

*** . . . ***

[الإمام البغوي]

[... - ٥١٦ هـ = ... - ١٢٢٢ م]

حسين بن مسعود بن محمد، المعروف بابن الفراء، ويلقب بمحيي السنة، وركن الدين، البغوي، محدث، مفسر، من فقهاء الشافعية. نسبته إلى «بغّا» من قرى خراسان، بين هراة ومرو. ودرس في مرو، وأخذ عنه جماعة من الأعيان، ترجع شهرته إلى كتابه «مصابيح السنة»، من كتبه «معالم التنزيل» في تفسير القرآن الكريم، طبع مرات.

[معجم المفسرين: ج ١ ص ١٦١]

*** . . . ***

[الزمخشري]

[٤٦٧ - ٥٣٨ هـ = ١٠٧٥ - ١١٤٤ م]

محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جارا لله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشري (من قرى خوارزم)، وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلُقّب بجارا لله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم)، فتوفي فيها.

أشهر كتبه: «الكشاف - ط»، في تفسير القرآن، و«أساس البلاغة - ط» و«مقدمة الأدب - خ» في اللغة، و«الفائق - ط» في غريب الحديث و«المستقصى - ط» في الأمثال، مجلدان. وكان معتزلي المذهب، مجاهراً، شديد الإنكار على المتصوفة، أكثر من التشيع عليهم في «الكشاف» وغيره.

[الاعلام : ج ٧ ص ١٧٨]

*** . . ***

[أبو حيان النحوي]

[٦٥٤ - ٧٤٥ هـ = ١٢٥٦ - ١٣٤٤ م]

محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الجياني: النّفْزِيّ، أثير الدين، أبو حيان: نحوي عصره، ولغويّ، ومفسّر، ومحدّث، ومقرّئ، ومؤرّخه وأديبه، ولد بمطبخشارش من أعمال غرناطة. ودرس القرآن والحديث والنحو واللغة ببلس ومالقة والمرية بالأندلس، وتنقل بالمغرب ومصر والشام والحجاز. وسمع من نحو أربعمئة وخمسين شيخاً، وتولى التدريس بمدارس مصر والشام ومساجدها. واشتهرت تصانيفه في حياته، وقرئت عليه. كان ظاهري المذهب، وتحول بمصر شافعيّاً، وقد ظهرت آثار مذهبه في تفسيره ونحوه. توفي بالقاهرة بعد أن كفّ بصره.

من كتبه: «البحر المحيط»، في تفسير القرآن، طبع بمصر، ثماني مجلدات، والناحية النحوية هي أبرز ما فيه من البحوث التي تدور حول آيات الكتاب العزيز و«النهر المادّ» طبع، اختصر به البحر المحيط و«تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب» طبع. [معجم المفسرين : ج ٢ ص ٦٥٥]

[الخازن]

[٦٧٨ - ٧٤١ هـ = ١٢٨٠ - ١٣٤١ م]

علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل الشيعي، علاء الدين، المعروف بالخازن: عالم بالتفسير والحديث، مشارك في بعض العلوم، من فقهاء الشافعية. نسبته إلى «شيعه» من أعمال حلب. ولد ببغداد، وسمع بها من ابن الثعالبي، وانتقل إلى دمشق، فسمع من القاسم بن مظفر وغيره، وكان خازن الكتب بالمدرسة السميّسّاطية فيها، فاشتهر بالخازن بسبب ذلك، وتوفي بحلب. له تصانيف، منها «لباب التأويل في معاني التنزيل» في التفسير، يعرف بتفسير الخازن، طبع مراراً بمصر.

[معجم المفسرين: ج ١ ص ٣٧٩]

*** .. **

[البيضاوي]

[... - ٦٨٥ هـ = ... - ١٢٨٦ م]

عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي: قاض، مفسّر، عالم بالفقه والأصول والعربية والمنطق والحديث. من أعيان الشافعية، وُلِدَ في المدينة البيضاء (بفارس - قرب شيراز)، وولي قضاء شيراز مدّة، وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها.

من تصانيفه: : «أنوار التنزيل وأسرار التأويل - ط»، يعرف بتفسير البيضاوي، قال صاحب كشف الظنون: «وتفسيره هذا كتاب عظيم الشأن، غني عن البيان، لخص فيه من الكشاف ما يتعلّق بالإعراب والمعاني والبيان، ومن التفسير الكبير ما يتعلّق بالحكمة والكلام، ومن تفسير الراغب ما يتعلّق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات...». و«طوالع الأنوار - ط» في التوحيد و«منهاج الوصول إلى علم الأصول - ط»، و«الغاية القصوى في دراية الفتوى - خ» في فقه الشافعية.

[الاعلام: ج ٤ ص ١١٠، ومعجم المفسرين: ج ١ ص ٣١٨]

*** .. **

[النسفي]

[... - ٧١٠ هـ = ... ١٣١٠ م]

عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين: مفسر، متكلم، أصولي، من فقهاء الحنفية. من أهل إيدج - كورة وبلدة بين خوزستان وأصبهان - ونسبته إلى «نسف» من بلاد السند، بين جيحون وسمرقند، تتلمذ لشيخ كثيرين، ورحل إلى بغداد. من كتبه: «مدارك التنزيل وحقائق التأويل»، في التفسير، طبع، وهو كتاب وسط يعرض لوجوه الإعراب والقراءات ولشيء من البيان والبدیع.

[معجم المفسرين : ج ١ ص ٣٠٥]

*** . . ***

[الخطيب الشربيني]

[... - ٩٧٧ هـ = ... ١٥٧٠ م]

محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، المعروف بالخطيب الشربيني: مفسر، من فقهاء الشافعية، من أهل القاهرة. درس وأفتى في حياة شيخه، وحجّ مراراً. له تصانيف، منها (السراج المنير) في أربع مجلدات. طبع في القاهرة.

[معجم المفسرين : ج ٢ ص ٤٨٥]

*** . . ***

[أبو السعود]

[٨٩٨ - ٩٨٢ هـ = ١٤٩٣ - ١٥٧٤ م]

محمد بن محمد بن مصطفى العمادي المولى، أبو السعود، مفسر، أصولي، شاعر، عارف باللغات العربية والتركية والفارسية، من فقهاء الحنفية وعلماء الترك المستعربين، ولد بقرية بالقرب من القسطنطينية، قرأ على والده كثيراً، ودرس في بلاد متعددة، ثم تقلد القضاء في بروسة، فالقسطنطينية، فقضاء العسكر في ولاية الروم إيلي، ودام عليه مدة ثمان سنين، وأضيف إليه الإفتاء سنة ٩٥٢ هـ، قال

تراجم الأئمة والمفسرين والعلماء

صاحب العقد المنظوم: وقد حضر جنازته العلماء والوزراء وسائر أرباب الديوان.. ودفن في جوار أبي أيوب الأنصاري». من آثاره: «حاشية على الكشاف للزمخشري»، وهو صاحب التفسير المعروف باسمه، وقد سماه: «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم».

[معجم المفسرين : ج ٢ ص ٦٢٥]

*** .. ** .. **

[إسماعيل حقي]

[... - ١١٢٧ - ... - ١٧١٥ م]

إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي، المولى أبو الفداء: مفسر، متصوف، حنفي المذهب. تركي، مستعرب ولد في آيدوس، وسكن القسطنطينية، ثم انتقل إلى بروسة. وفيما كان يبحث عن مسائل تتعلق بالتصوف وشى به بعض العلماء فنفي إلى تكفور طاغ، وأوذي هناك من عامة الشعب، ثم عاد إلى بروسة، فمات بها. له تصانيف عربية وتركية، فمن العربية «روح البيان في تفسير القرآن» طبع أربعة أجزاء، ويعرف بتفسير حقي.

[معجم المفسرين : ج ١ ص ٨٨]

*** .. ** .. **

[الألوسي]

[١٢١٧ - ١٢٧٠ هـ = ١٨٠٢ - ١٨٥٤ م]

محمود بن عبد الله بن محمود بن درويش الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء، شيخ علماء العراق في عصره، محدث، فقيه: أديب، لغوي، مشارك في بعض العلوم. نسبته إلى جزيرة ألوس في وسط نهر الفرات، على خمس مراحل من بغداد. ولد ببغداد وتقلد الإفتاء فيها سنة ١٢٤٨ هـ، وعُزل، فانقطع للعلم، ثم سافر إلى الموصل، فالأستانة، ومرّ بماردين وسيواس، وأكرمه السلطان عبد المجيد، وعاد إلى بغداد، وعكف على التأليف إلى أن توفي، له تصانيف، من أشهرها [روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني]. وله أيضاً «دقائق التفسير» مخطوط.

[معجم المفسرين : ج ٢ ص ٦٦٥]

*** .. ** .. **

[البزدوي]

[٤٠٠ - ٤٨٢ هـ = ١٠١٠ - ١٠٨٩ م]

علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم بن موسى، أبو الحسن، فخر الإسلام البزدوي، فقيه أصولي، محدث، مفسر، من أكابر الحنفية، من سكان سمرقند، نسبته إلى بَزْدَة، قلعة بقرب نسف، مات بكش، ونقل جثمانه إلى سمرقند، ودفن بها. قال السمعاني: «البزدوي فقيه ما وراء النهر، وأستاذ الأئمة، وصاحب الطريقة على مذهب أبي حنيفة»، وقال الذهبي: «هو شيخ الحنفية وعالم ما وراء النهر». من كتبه: «كشف الأستار» في التفسير، كبير جداً: «يقال إنه مائة وعشرون جزءاً، كل جزء في ضخم المصحف». ولد عام ٤٠٠، وتوفي عام ٤٨٢ هـ.

[معجم المفسرين: ج ١ / ص ٣٧٦]

*** . . ***

[الإسنوي]

[٧٠٤ - ٧٧٢ هـ = ١٣٠٥ - ١٣٧٠ م]

عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، أبو محمد، جمال الدين: فقيه أصولي، من علماء العربية، ولد بإسنا، وقدم القاهرة سنة ٧٢١ هـ، فانتهد إليه رئاسة الشافعية. وولي الحسبة ووكالة بيت المال، ثم اعتزل الحسبة. من كتبه «المبهمات على الروضة - خ» فقه، و«الهداية إلى أوهام الكفاية - خ» و«الأشباه والنظائر» و«جواهر البحرين - خ» و«طراز المحافل - خ» فقه، و«مطالع الرقائق - خ» فقه، و«الكوكب الدرّي - خ»، في استخراج المسائل الشرعية من القواعد النحوية، و«نهاية السؤل، شرح منهاج الأصول - ط» و«التمهيد - ط»، في تخريج الفروع على الأصول» فقه، و«الجواهر المضوية في شرح المقدمة الرحبية - خ» فرائض، و«الكلمات المهمة في مباشرة أهل الذمة - ط» و«نهاية الراغب - خ» في العروض، وله «طبقات الفقهاء الشافعية - خ» رأيته في خزانة الأوقاف بحلب، مقروءاً عليه، كرر على بعض حواشيه قوله: بلغ سماعاً عليّ ومقابلة، كتبه مؤلفه.

[الأعلام - ج ٣ ص ٢٤٤]

*** . . ***

[السعد التفتازاني]

[٧١٢ - ٧٩٣ = ١٣١٢ - ١٣٩٠ م]

مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين: من أئمة العربية والبيان والمنطق. ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفي فيها، ودفن بسرخس، كانت في لسانة لكنة، من كتبه «تهذيب المنطق - ط» و«المطول - ط» في البلاغة، و«المختصر - ط» اختصر به شرح تلخيص المفتاح و«مقاصد الطالبين - ط» في الكلام و«شرح مقاصد الطالبين» ط، و«النعم السوابغ - ط» في شرح الكلم النوابع للزمخشري، و«ارشاد الهادي - خ» نحو، و«شرح العقائد النسفية - ط» و«حاشية على شرح العضد على مختصر ابن الحاجب - ط» في الأصول، . . وهو أول من صنف من الكتب، وكان عمره ست عشرة سنة. و«شرح الأربعين النووية - ط» .

[الأعلام - ج ٧ ص ٢١٩]

*** . . . ***

[الغزالي]

[٤٥٠ - ٥٠٥ هـ = ١٠٥٨ - ١١١١ م]

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، من أعيان فقهاء الشافعية، وُلِدَ بالطابران (قصة طوس، بخراسان)، ورحل إلى جرجان، فأخذ عن أبي نصر الإسماعيلي، ثم إلى نيسابور فأخذ عن إمام الحرمين ولأزمه، ثم جلس للإقراء، وحضر مجلس نظام الملك، فأقبل عليه نظام الملك، فعظمت منزلة الغزالي. وندب للتدريس بنظامية بغداد، ثم أقبل على العبادة والسياسة، فحجَّ، ورجع إلى دمشق فاستوطنها عشر سنين، ثم سار إلى القدس والإسكندرية. وعاد إلى طوس، فطلبه الوزير فخر الدين ابن نظام الملك إلى نظامية نيسابور فأجاب إلى ذلك. ثم عاد إلى الطابران وتوفي بها. نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي)، أو إلى غزاة من قرى طوس (لمن قال بالتخفيف).

تراجم الأئمة والمفسرين والعلماء

من كتبه : «إحياء علوم الدين - ط» ، أربع مجلدات ، و«تهافت الفلاسفة - ط»
و«الاقتصاد في الاعتقاد - ط» و«معارج القدس في أحوال النفس - خ» ، و«مقاصد
الفلاسفة - ط» و«المنقذ من الضلال - ط» و«بداية الهداية - ط» و«جواهر
القرآن - ط» و«رسالة «أيها الولد - ط» و«منهاج العابدين - ط» قيل : هو آخر تأليفه
و«إلجام العوام عن علم الكلام - ط» و«شفاء العليل - خ» في أصول الفقه
و«المستصفى من علم الأصول - خ» مجلدان . و«فيصل التفرقة بين الإسلام
والزندقة - ط» و«عقيدة أهل السنة - ط» و«ياقوت التأويل في تفسير القرآن» كبير ،
قيل : في نحو أربعين مجلداً .

[الأعلام : ج ٧ ص ٢٢ ، ومعجم المفسرين : ج ٢ ص ٦١٢]

*** . . *** . . ***

[القاضي عياض]

[٤٧٦ - ٥٤٤ هـ = ١٠٨٣ - ١١٤٩ م]

عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي ، أبو الفضل : عالم
المغرب وإمام أهل الحديث في وقته . كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم
وأيامهم . ولي قضاء سبتة . ومولده فيها ، ثم قضاء غرناطة . وتوفي بمراكش مسموماً .
قيل سمّه يهودي .

من تصانيفه :

«الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» ط ، و«الغنية» - خ - في ذكر مشيخته ،
و«ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك» - ط أربعة
أجزاء وخامس للفهارس . و«شرح صحيح مسلم» - خ - و«مشارق الأنوار» - ط مجلدان
في الحديث ، وجمع المقرري سيرته وأخباره في كتاب «أزهار الرياض في أخبار
القاضي عياض» ط ، ثلاثة مجلدات من أربعة ، و«الاعلام بحدود قواعد الإسلام» ط ،
و«شرح حديث أم زرع» - خ ، جزء لطيف في خزانة الرباط ، والظاهرية بدمشق .

[الاعلام : ج ٥ ص ٩٩ ، وما فيه من مصادر]

*** . . *** . . ***

[أبو بكر ابن العربي]

[٤٦٨ - ٥٤٣ هـ = ١٠٧٦ - ١١٤٨ م]

محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الأندلسي الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي: قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد وفي علوم الدين. وصنف كتباً في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. وولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس، ودفن بها. قال ابن بشكوال: ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها.

من كتبه: «العواصم من القواصم - ط» جزآن، و«عارضة الأحوذى في شرح الترمذي - ط» و«أحكام القرآن - ط» مجلدان، و«القبس في شرح موطأ ابن أنس - خ» في الرباط (٢٥ جلاوي) و«المسالك على موطأ مالك - خ» جزء منه في القرويين، و«الإنصاف في مسائل الخلاف» عشرون مجلداً و«أعيان الأعيان» و«المحصول» في أصول الفقه، و«كتاب المتكلمين» و«قانون التأويل - خ» جزآن منه في التفسير. وهو غير محي الدين بن عربي.

[الاعلام : ج ٦ ص ٢٣٠]

*** . . . ***

[الإمام ابن الجوزي]

[٥٠٨ - ٥٩٧ هـ = ١١١٤ - ١٢٠١ م]

عبد الرحمن بن علي بن محمد، القرشي، التيمي، البكري، جمال الدين، أبو الفرج ابن الجوزي: مؤرخ، حافظ، محدث، مفسر، واعظ، فقيه، من علماء الحنابلة. مولده ووفاته ببغداد، ونسبته إلى «مشرفة الجوز» من محالها. وفي هذا خلاف بين المؤرخين. سمع من «الدينوري» و«البارع» وطبقتهما. وصفه ابن الجوزي: «شيخ العراق وإمام الآفاق» وقال عبد اللطيف البغدادي: «له في كل علم مشاركة، ولكنه كان في التفسير من الأعيان، وفي الحديث من الحفاظ، وفي التاريخ من المتوسعين، ولديه فقه كاف، وأما السجع الوعظي فله فيه ملكة قوية» نالته محنة

تراجم الأئمة والمفسرين والعلماء

في أواخر عمره، ونقل إلى واسط وسجن بها خمس سنين، ثم أطلق وأعيد إلى بغداد. له نحو ٣٠٠ مصنف، منها:

«المنتظم في تاريخ الأمم - ط» و«الموضوعات» - ط و«جامع المسانيد» و«زاد المسير في علم التفسير» ط - .

[معجم المفسرين : ج ١ ص ٢٦٨ - ٢٦٩]

*** . . ***

[النووي]

[٦٣١ - ٦٧٦ هـ]

يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي الشافعي، أبوزكريا، محيي الدين، علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية)، وإليها نسبته. تعلّم في دمشق. وأقام بها زمناً طويلاً، من كتبه «تهذيب الأسماء واللغات» والمنهاج في شرح صحيح مسلم - ط « خمس مجلدات. و«رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين - ط » و«التبيان في آداب حملة القرآن - ط » و«شرح المذهب للشيرازي - ط ».

[الاعلام : ج ٨ ص ١٤٩]

*** . . ***

[ابن حجر العسقلاني]

[٧٧٣ - ٨٥٢ هـ = ١٣٧٢ - ١٤٤٩ م]

أحمد بن علي بن محمد، الكنانى العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: حافظ الإسلام في عصره، مؤرخ، أديب، شاعر، من فقهاء الشافعية. أصله من عسقلان بفلسطين. ولد بالقاهرة، وفقد أبويه في سن مبكرة، فتعهده أوصياؤه. درس الأدب والفقه واللغة والنحو، ثم أقبل على الحديث، وسافر في طلبه إلى الشام والحجاز واليمن. وعلت له شهرة، فتوافد عليه الطلاب والعلماء للأخذ عنه. وولي القضاء نحو إحدى وعشرين سنة. ثم أصبح قاضي القضاة بمصر. ودرّس التفسير بالحسينية والمنصورية، وخطب بالأزهر وجامع عمرو. زادت تصانيفه في الحديث والتاريخ والأدب والفقه والتراجم على مئة وخمسين مصنفًا، قال

تراجم الأئمة والمفسرين والعلماء

السخاوي: «واعتنى بتحصيل تصانيفه كثير من شيوخه وأقرانه فمن دونهم، وكتبها الأكابر، وانتشرت في حياته وقرأ الكثير منها». ومن أشهرها: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»، و«الإصابة في تمييز الصحابة» و«الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» و«تهذيب التهذيب»، وكلها مطبوعة في مجلدات.

[المصادر: معجم المفسرين: ٥١/١، والاعلام: ١٦٩/١]

*** . . . ***

[بدر الدين العيني]

[٧٦٢ - ٨٥٥ هـ = ١٣٦١ - ١٤٥١ م]

محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي: مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين. أصله من حلب ومولده في عيتاب (وإليها نسبته) أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس. وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، وتقرّب من الملك المؤيد حتى عُدّ من أخصائه. ولما ولي الأشرف سامره ولزمه، وكان يكرمه ويقدمه. ثم صُرف عن وظائفه، وعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة.

من كتبه: «عمدة القاري في شرح البخاري - ط» أحد عشر مجلداً، و«مغاني الأخيار في رجال معاني الآثار - خ» مجلدان في مصطلح الحديث ورجاله، و«شرح سنن أبي داود - خ»، مجلدان منه.

[الاعلام: ج ٧ ص ١٦٣، ومعجم المفسرين: ج ٢ ص ٦٦٠]

*** . . . ***

[ابن الصلاح]

[٥٧٧ - ٦٤٣ هـ = ١١٨١ - ١٢٤٥ م]

عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الشرخاني، أبو عمرو، تقي الدين، المعروف بابن الصلاح: عارف بالحديث والفقه والتفسير وأسماء الرجال، ولد في شرخان (قرب شهر زور) وسمع بها

تراجم الأئمة والمفسرين والعلماء

وبالموصل وبغداد وهمذان ونيسابور ودمشق وحلب وحرّان. ودرّس بالمدرسة الصلاحية ببيت المقدس، ثم دخل دمشق ودرّس بالرواحية، ثم ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية، فالتدريس بالشامية الصغرى. قال ابن خلكان: «كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه، وله مشاركة في عدّة فنون، وكانت فتاواه مسدّدة».

من كتبه: «معرفة أنواع علم الحديث - ط» يعرف بمقدمة ابن الصلاح، و«الأمالي - خ» و«الفتاوى - ط» جمعه بعض أصحابه و«أدب المفتي والمستفتي» و«طبقات الفقهاء الشافعية - خ».

[الاعلام: ج ٤ ص ٢٠٧ - ومعجم المفسرين: ج ١ ص ٣٤٢]

*** . . . ***

[الإمام بدر الدين الزركشي]

[٧٤٥ - ٧٩٤ هـ = ١٣٤٤ - ١٣٩٢ م]

محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والأصول. تركي الأصل، مصري المولد والوفاة. له تصانيف كثيرة في عدّة فنون، منها:

«الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة» - ط و«لقطة العجلان» - ط في أصول الفقه، و«الديباج في توضيح المنهاج» - خ، فقه، و«التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح»، خ. و«البرهان في علوم القرآن» - ط و«تفسير القرآن العظيم» وصل فيه إلى سورة مريم

[الاعلام: ج ٦ ص ٦٠ - ومعجم المفسرين: ج ٢ ص ٥٠٥]

[ابن بطّال]

[. . . - ٩٤٩ = . . . - ١٠٥٧ م]

علي بن خلف بن عبد الملك بن بطّال، أبو الحسن: عالم بالحديث، من أهل قرطبة. له «شرح البخاري» خ الجزء الأول منه والثالث والرابع في الأزهرية، والثاني [كتب سنة ٧٧٦] في خزانة القرويين بفاس، والخامس [الأخير منه] شستريتي (٤٧٨٥)، ومنه قطعة مخطوطة في استنبول، أولها: باب زيادة الإيمان ونقصانه.

[الاعلام: ج ٤ ص ٢٨٥]

[ابن فورك]

[... - ٤٠٦ هـ = ... - ١٠١٥ م]

محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر: فقيه شافعي، متكلم، أصولي، مفسر، محدث، واعظ، أديب، نحوي. سمع بالبصرة وبغداد، وورد الري، وحديث بنيسابور، وبني له بها مدرسة وداراً. ثم دُعي إلى غزنة بالهند، وجرت له بها مناظرات، فلما عاد إلى نيسابور سُم في الطريق، فمات، فنقل إليها.

له كتب كثيرة، قال ابن عساكر: بلغت تصانيفه في أصول الدين وأصول الفقه ومعاني القرآن قريباً من المائة، منها: «مشكل الحديث وغريبه - ط» و«النظامي - خ» في أصول الدين، ألفه لنظام الملك، و«الحدود - خ» في الأصول، و«أسماء الرجال - خ» و«حل الآيات المتشابهات - خ» و«غريب القرآن - خ» و«رسالة في علم التوحيد - خ».

[معجم المفسرين : ج ٢ ص ٥١٤ ، والاعلام : ج ٦ ص ٨٣]

*** . . *** . . ***

[المازري]

[٤٥٣ - ٥٣٦ هـ = ١٠٦١ - ١١٤١ م]

محمد بن علي بن عمر التيمي المازري، أبو عبد الله: محدث، من فقهاء المالكية، نسبته إلى «مازر» (MAZZARA) بجزيرة صقلية، ووفاته بالمهدية. له «المعلم بفوائد مسلم - خ» في الحديث، وهو ما علق به على صحيح مسلم، حين قراءته عليه سنة ٤٩٩، وقيدته تلاميذه. فمنه ما هو بحكاية لفظة وأكثره بمعناه. . . ومن كتبه: «التلقين - خ» في الفروع و«الكشف والإنباء» في الرد على الإحياء للغزالي، و«إيضاح المحصول في الأصول» وكتب في الأدب. وصنف حسن حسني عبد الوهاب: «الإمام المازري - ط» في سيرته، وتسلسل السند العلمي بإفريقية، من لدن العهد العربي إلى القرن الثامن للهجرة.

[الاعلام : ج ٦ ص ٢٧٧]

*** . . *** . . ***

[الكرمانى]

[٧١٧ - ٧٨٦ هـ = ١٣١٧ - ١٣٨٤ م]

محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرمانى: عالم بالحديث، والفقه والتفسير. أصله من كرمان. اشتهر في بغداد، قال ابن حجي: «تصدى لنشر العلم ببغداد ثلاثين سنة. وأقام مدة بمكة. وفيها فرغ من تأليف كتابه «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري - ط» خمسة وعشرون جزءاً صغيراً، قال ابن قاضي شهبة: فيه أوهام وتكرار كثير ولا سيما في ضبط أسماء الرواة. وله «ضمائر القرآن - خ» و«حاشية» على أنوار التنزيل، في التفسير، للبيضاوي، وصل فيها إلى سورة يوسف. و«النقود والردود في الأصول - خ» مختصره، و«شرح لمختصر ابن الحاجب» سماه «السبعة السيارة» لأنه جمع فيه سبعة شروح و«أنموذج الكشف - خ» تعليق عليه. ومات راجعاً من الحج في طريقه إلى بغداد، ودفن فيها.

[الاعلام : ج ٧ ص ١٥٣ ، ومعجم المفسرين : ج ٢ ص ٦٥٦]

*** ... ***

[الحافظ العراقي]

[٧٢٥ - ٨٠٦ هـ = ١٣٢٥ - ١٤٠٤ م]

عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقي: بحاث، من كبار حفاظ الحديث. أصله من الكرد، ومولده في رازان ومن أعمال اربيل، العراق، تحول صغيراً مع أبيه إلى مصر، فتعلم ونبغ بها. وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين، وعاد إلى مصر، فتوفي في القاهرة من كتبه: «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار - ط» في تخريج أحاديث «الإحياء»، و«نكت منهاج البيضاوي» في الأصول، و«ذيل على الميزان» و«الألفية - ط» في مصطلح الحديث، وشرحها «فتح المغيث - ط» و«التحرير - خ» في أصول الفقه، و«التقييد والإيضاح - ط» في مصطلح الحديث.

[الاعلام : ج ٣ ص ٣٤٤]

*** ... ***

[الراغب الأصفهاني]

[... - ٥٠٢ هـ - ٨ هـ = ... - ١١٠٨ م]

الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم، المعروف بالراغب الأصفهاني: أديب، إمام من حكماء العلماء، اشتهر بالتفسير واللغة. أصله من أصفهان، وعاش ببغداد. قال السيوطي: كان في ظني أن الراغب معتزلي، حتى رأيت بخط الشيخ بدر الدين الزركشي على ظهر نسخة من «القواعد الصغرى» لابن عبد السلام ما نصه: «ذكر الإمام فخر الدين الراغب من أئمة السنة» وقرنه بالغزالي، قال: وهي فائدة حسنة، بأن كثيراً من الناس يظنون أنه معتزلي.

من كتبه: «تحقيق البيان في تأويل القرآن» و«تفسير الراغب»، لعله جامع التفاسير - وقد طبعت مقدمته. قال صاحب كشف الظنون: وهو تفسير معتبر في مجلد، أورد في أوله مقدمات نافعة في التفسير وطرزه إنه أورد جملاً من الآيات ثم فسرها تفسيراً مشبعاً، وهو أحد مآخذ أنوار التنزيل للبيضاوي و«المفردات في غريب القرآن» تتبع فيه دوران كل لفظ في الآيات القرآنية، وأتى بالشواهد عليه من الحديث والشعر، وأورد ما أخذ منه من مجاز وتشبيه، ورتبه على الألفباء، فأصبح من أهم الكتب المفسرة لألفاظ القرآن.

[معجم المفسرين : ج ١ ص ١٥٨ - ١٥٩]

*** .. **

[الإمام الماوردي]

[٣٦٤ - ٤٥٠ هـ = ٩٧٤ - ١٠٥٨ م]

علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي: أقضى قضاة عصره. من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة. ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد. وولي القضاء في بلدان كثيرة، ثم جعل «أقضى القضاة» في أيام القائم بأمر الله العباسي. وكان يميل إلى مذهب الاعتزال، وله المكانة الرفيعة عند الخلفاء، وربما توسّط بينهم وبين الملوك وكبار الأمراء في ما يصلح به خلاً أو يزيل خلافاً.

من كتبه: «أدب الدنيا والدين» - ط و«الأحكام السلطانية» - ط و«أعلام النبوة» - ط .

[الاعلام : ج ٤ ص ٣٢٧ وما فيه من مصادر]

*** .. **

[علي الرضى]

[١٥٣ - ٢٠٣ هـ = ٧٧٠ - ٨١٨ م]

علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، أبو الحسن، الملقب بالرضى: ثامن الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، ومن أجلاء السادة أهل البيت وفضلائهم. ولد في المدينة. وكان أسود اللون أمه حبشية. وأحبّه المأمون العباسي، فعهد إليه بالخلافة من بعده، وزوجه ابنته، وضرب اسمه على الدينار والدرهم، وغير من أجله الزيّ العباسي الذي هو السواد فجعله أخضر، وكان هذا شعار أهل البيت، فاضطرب العراق، وثار أهل بغداد، فخلعوا المأمون، وهو في «طوس» وبايعوا لعمه إبراهيم ابن المهدي، فقصدهم المأمون بجيشه، فاخبتاً إبراهيم ثم استسلم وعفا عنه المأمون. ومات علي الرضى في حياة المأمون بطوس، فدفنه إلى جانب أبيه الرشيد، ولم تتم له الخلافة، وعاد المأمون إلى السواد، فاستألف القلوب ورضي عنه الناس.

[الاعلام : ج ٥ ص ٢٦]

*** . . *** . . ***

[أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي]

[. . . - ٤٢٧ هـ = . . . - ١٠٣٥ م]

أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق: مفسّر، من أهالي نيسابور، له اشتغال بالتاريخ. من كتبه: «عرائس المجالس» ط، في قصص الأنبياء، و«الكشف والبيان في تفسير القرآن»، خ - ، يعرف بتفسير الثعلبي.

[الاعلام : ج ١ ص ٢١٢ وما فيه من مصادر]

*** . . *** . . ***

[عبد القاهر البغدادي]

[. . . - ٤٢٩ هـ = . . . - ١٠٣٧ م]

عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي، التميمي الاسفراييني، أبو منصور: فقيه، شافعي، عالم متفنن، من أئمة الأصول. كان صدر الإسلام في عصره. ولد ونشأ في بغداد، ورحل إلى خراسان فاستقرّ في نيسابور. وفارقها على

أثر فتنة التركمان. ومات في إسفرائين. كان يدرّس في سبعة عشر فنّاً، وكان ذا ثروة. من تصانيفه «أصول الدين» - ط و «التحصيل» في أصول الفقه، و«الفرق بين الفرق» - ط.

[الاعلام : ج ٤ ص ٤٨ ، ومعجم المفسرين : ج ١ ص ٢٩٤ - ٢٩٥]

*** . . ***

[نعمة الله الجزائري]

[١٠٥٠ - ١١١٢ هـ = ١٦٤٠ - ١٧٠١ م]

نعمة الله بن عبد الله بن محمد بن حسين الحسيني الجزائري: نسبته إلى جزائر البصرة، من فقهاء الإمامية. ولد في قرية «الصباغية» من قراها، وقرأ بها، ثم بشيراز فأصفهان.

له كتب، منها:

«النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين» - ط و «فروق اللغة» - ط و «مقصود الأنام في شرح تهذيب الأحكام» اثنا عشر مجلداً.

[الاعلام : ج ٨ ص ٣٩ ، وما فيه من مصادر]

*** . . ***

[الداودي]

[. . . . - ٩٤٥ هـ = . . . - ١٥٣٩ م]

محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداودي: شيخ أهل الحديث في عصره، من علماء الشافعية، قيل: وكان مالكيّاً، عاش في القاهرة، وتلمذ للحافظ المؤرخ العالم جلال الدين السيوطي. ذكره الغزالي وقال: أثنى عليه المسند العلامة جمال الدين بن فهد، وشيخ الإسلام الوالد. توفي بالقاهرة ودُفِنَ بتربة فيروز بالصحراء خارج باب النصر.

من آثاره: «طبقات المفسرين» في مجلدين حققه الأستاذ علي محمد عمر، وطبع بمصر سنة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م و«الاتحاف بتميز ما تبع فيه البيضاوي صاحب الكشف».

[معجم المفسرين : ج ٢ ص ٥٨٩]

*** . . ***

[السفاريني]

[١١١٤ - ١١٨٨ هـ = ١٧٠٢ - ١٧٤٤ م]

محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون: عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق. ولد في سفارين (من قرى نابلس) ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها. وعاد إلى نابلس فدرّس وأفتى، وتوفي فيها.

من كتبه: «الدراري المصنوعات في اختصار الموضوعات - خ»، عند يوسف زخور بدمشق، و«كشف اللثام، شرح عمدة الأحكام - خ»، في الظاهرية بدمشق، و«تحرير الوفا في سيرة المصطفى» و«التحقيق في بطلان التلفيق» و«فتاوى متفرقة».

[الاعلام : ج ٦ ص ١٤]

*** . . . ***

[الطباطبائي]

[١٣٢١ - ١٤٠٤ هـ = ١٩٠٣ - ١٩٨٣ م]

محمد حسين الطباطبائي، مفسر، فيلسوف، زاهد، من أكابر علماء الشيعة الإمامية، ولد في تبريز، وبها أكمل تعليمه الابتدائي، وفي الثانية والعشرين من عمره انتقل إلى النجف في العراق، حيث واصل دراسته، وكان أكثر اهتمامه منصباً على الحكمة والأصول والتفسير والفقه، ولم يغادر النجف حتى نال درجة الاجتهاد، عاد بعدها إلى إيران وتصدّر للتدريس في مدينة «قم» فاجتمع حوله المئات من طلبة العلوم الدينية من كل أنحاء إيران ليتعلموا على يديه العلم والتربية والفكر. من آثاره: «الميزان في تفسير القرآن» في عشرين مجلداً، طبع.

[معجم المفسرين : ج ٢ ص ٧٧٧]

*** . . . ***

[الإمام محمد عبده]

[١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ = ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م]

محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني : مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الاصلاح والتجديد في الإسلام. قال عنه من كتبوا عنه: تتلخص رسالة حياته في أمرين: الدعوة إلى تحرير الفكر من قيد التقليد، ثم التمييز بين ما للحكومة من حقّ الطاعة على الشعب وما للشعب من حقّ العدالة على الحكومة.

ولد بحصة شبشير (من قرى الغربية بمصر)، ونشأ في محلة نصر (بالبحيرة) وأحبّ في صباه الفروسية والرماية والسباحة. وتعلّم بالجامع الأحمدى بطنطا، ثم بالأزهر. واتّجه إلى دراسة العلوم الطبيعية والتاريخية إلى جانب العلوم الإسلامية، وجاء جمال الدين الأفغانى إلى مصر، ف لازمه وأخذ عنه الفلسفة والمنطق وتأثر به كثيراً. ونال شهادة العالمية سنة ١٨٧٧ م، فاشتغل بالتدريس في دار العلوم ومدرسة الألسن. وأخذ ينشر آراءه الحرة في الصحف ولا سيما جريدة «الوقائع المصرية» وقد تولى تحريرها. مما أثار عليه حقد المحافظين، فعزل من وظيفته وأبعد إلى قريته، وأجاد اللغة الفرنسية بعد الأربعين. ولما احتلّ الانكليز مصر ناوهم. وشارك في مناصرة الثورة العراقية، فسجن ٣ أشهر للتحقيق، ونفي إلى بلاد الشام سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م)، وسافر إلى باريس فأصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغانى جريدة «العروة الوثقى» وعاد إلى بيروت، فاشتغل بالتدريس والتأليف، ولقيه الأمير شكيب أرسلان، وأخذ عنه واستفاد منه. وسمح له بدخول مصر، فعاد سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) وتولى منصب القضاء، ثم جعل مستشاراً في محكمة الاستئناف، فمفتياً للديار المصرية (سنة ١٣١٧ هـ) واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية، ودفن بالقاهرة.

من آثاره : «تفسير جزء عمّ - ط» قال أحد مؤرخيه: «ويتلخص منهجه في تفسير القرآن، في فهم الدلالة اللغوية، واستخدام العقل، والاستفادة من التقدّم العلمي، وطرح البدع والخرافات. وقد صوّر العقيدة الإسلامية تصويراً سليماً، وأنشأ جيلاً من العلماء هذا حذوه في التفسير، على رأسه محمد رشيد رضا

تراجم الأئمة والمفسرين والعلماء

ومحمد مصطفى المراغي»، وله أيضاً: «رسالة التوحيد - ط» و«شرح نهج البلاغة - ط» و«الإسلام والردّ على منتقديه - ط» من مقالاته: «والإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية - ط» وترجم رسالة «الردّ على الدهريين - ط» وللسيد محمد رشيد رضا كتاب جمع فيه آثاره وأخباره وما قيل في رثائه، سمّاه «تاريخ الأستاذ الإمام - ط» في ثلاثة أجزاء كبيرة.

[الأعلام: ج ٦ ص ٢٥٢، ومعجم المفسرين: ج ٢ ص ٥٦٦ - ٥٦٧]

*** . . ***

[محمد رشيد رضا]

[١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ = ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م]

محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن منلا علي خليفة، القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: السيد الإمام حجة الإسلام في هذا العصر، عالم بالحديث والتفسير والأدب والتاريخ، ومن كبار الدعاة إلى التجديد، والإصلاح في العالم الإسلامي، وصاحب مجلة «المنار»، ولد ونشأ بالقلمون، من أعمال طرابلس الشام، وتعلّم فيها وفي طرابلس وبيروت. ورحل إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م)، فلازم الإمام الشيخ محمد عبده وتتلّمذ له. ثم أصدر مجلة «المنار» (١٥ مارس ١٨٩٨) لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي، فكانت في طليعة المجلات العربية والإسلامية. رحل إلى الهند والحجاز وأوروبا، وعاد ليستقر في القاهرة، أشهر آثاره مجلة «المنار» (٣٤ مجلدًا) و«تفسير القرآن» ١٢ مجلدًا، ولم يكمله. وهو له وليس للإمام محمد عبده كما يشاع.

[معجم المفسرين: ج ٢ صفحة ٥٢٩]

*** . . ***

[الإمام محمد مصطفى المراغي]

[١٢٩٨ - ١٣٦٤ هـ = ١٨٨١ - ١٩٤٥ م]

محمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي. باحث مصري، عارف بالتفسير والفقه، من دعاة التجديد والإصلاح، ممن تولوا مشيخة الجامع الأزهر،

تراجم الأئمة والمفسرين والعلماء

عرف بمحمد مصطفى . ولد بالمرأغة (من جرجا في الصعيد)، وتعلّم بالقاهرة، وتتلّمذ للشيخ محمد عبده . وولي أعمالاً، منها القضاء الشرعي فقاضي القضاة في السودان (سنة ١٩٠٨ - ١٩١٩ م)، وتعلّم الانجليزية في خلالها. وعين شيخاً للأزهر سنة ١٩٢٨ م، فمكث عاماً. وأعيد سنة ١٩٣٥، فاستمر إلى أن توفي بالإسكندرية ودفن في القاهرة. له تأليف، منها:

«بحث في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية، ط» رسالة. و«تفسير سورة الحجرات» ط - و«تفسير سورة الحديد وآيات من سورة الفرقان - ط، و«تفسير سورتي لقمان والعصر» ط، و«بحوث في التشريع الإسلامي» ط، رسالة .
[الاعلام : ج ٧ ص ١٠٣ ، وما فيه من مصادر]

*** . . *** . . ***

[محمود شلتوت]

[١٣١٠ - ١٣٨٣ = ١٨٩٣ - ١٩٦٣ م]

فقيه ، مفسر ، مصري . ولد في مينة بني منصور (بالبحيرة) وتخرج بالأزهر (١٩١٨)، وتنقل في التدريس إلى أن نقل للقسم العالي بالقاهرة (١٩٢٧)، وكان داعية إصلاح، نير الفكرة، يقول بفتح باب الاجتهاد، وسعى إلى إصلاح الأزهر، فعارضه بعض كبار الشيوخ، وطرد هو ومناصروه، فعمل في المحاماة (١٩٣١ - ١٩٣٥)، وأعيد إلى الأزهر، فعين وكيلاً لكلية الشريعة، ثم كان من أعضاء هيئة كبار العلماء (١٩٤١)، ومن أعضاء مجمع اللغة العربية (١٩٤٦)، ثم شيخاً للأزهر (١٩٥٨) إلى وفاته ١٩٦٣. وكان خطيباً موهوباً، جهير الصوت. له ٢٦ مؤلفاً مطبوعاً، منها التفسير أجزاء منه في مجلد، ولم يتم، و«حكم الشريعة في استبدال النقد بالهدي» و«القرآن والمرأة» رسالة، و«القرآن والقتال» و«هذا هو الإسلام» و«عنصر الخلود في الإسلام» و«الإسلام والتكافل الاجتماعي» و«أحاديث الصباح في المذيع» و«فقه القرآن والسنة» الجزء الأول و«الفتاوى» و«الإسلام عقيدة وشريعة» و«الإسلام والوجود الدولي».

[معجم المفسرين : ج ٢ ص ٦٦٣]

*** . . *** . . ***

[محمد أبو زهرة]

[١٣١٦ - ١٣٩٤ هـ = ١٨٩٨ - ١٩٧٤ م]

محمد بن أحمد أبو زهرة: أكبر علماء الشريعة الإسلامية في عصره. مولده بمدينة المحلة الكبرى، وتربى بالجامع الأحمدى، وتعلم بمدرسة القضاء الشرعي (١٩١٦ - ١٩٢٥) وتولى تدريس العلوم الشرعية والعربية ثلاث سنوات، وعلم في المدارس الثانوية سنتين ونصفاً. وبدأ اتجاهه إلى البحث العلمي في كلية أصول الدين (١٩٣٣) وعين أستاذاً محاضراً للدراسات العليا في الجامعة (١٩٣٥) وعضواً للمجلس الأعلى للبحوث العلمية. وكان وكيلاً لمعهد الدراسات الإسلامية، وأصدر من تأليفه أكثر من ٤٠ كتاباً، منها المطبوعات الآتية:

«الخطابة» و«تاريخ الجدل في الإسلام» و«أصول الفقه» و«الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية» و«تواريخ مفصلة ودراسات فقهية أصولية للأئمة الأربعة» فأخرج لكل إمام كتاباً ضخماً: أبو حنيفة، مالك، الشافعي، ابن حنبل، ومن كتبه المطبوعة أيضاً: «الأحوال الشخصية» و«أحكام التركات والمواريث» و«خلاصة أحكام الأحوال الشخصية والوصايا والمواريث» كتبها إجابة لطلب معهد القانون الدولي بواشنطن، وترجمت إلى الإنجليزية، وله «الوحدة الإسلامية» و«تنظيم الإسلام للمجتمع» و«الجريمة والعقوبة في الشريعة الإسلامية» و«محاضرات في مقارنات الأديان» و«محاضرات في المجتمع الإسلامي» و«العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم» وله تفسير مخطوط من أول الفاتحة والبقرة إلى نهاية سورة النمل. وكانت وفاته بالقاهرة عليه رحمة الله.

[الاعلام: ج ٦ ص ٢٥ - ٢٦]

..***

[عبد الوهاب النجار]

[١٢٧٨ - ١٣٦٠ هـ - ١٨٦٢ - ١٩٤١ م]

عبد الوهاب ابن الشيخ سيد أحمد النجار: باحث، يُسلك في عداد المؤرخين، من فقهاء مصر، ولد في القرشية (من قرى الغربية بمصر) وتعلم بها ثم في طنطا،

تراجم الأئمة والمفسرين والعلماء

وانتقل إلى القاهرة، فتخرج بمدرسة دار العلوم سنة ١٣١٥ هـ واشتغل بالمحاماة الشرعية، ثم عين مدرساً للأدب والشرعة في كلية الخرطوم، فأستاذاً للأدب في مدرسة البوليس بالقاهرة. فأستاذاً للتاريخ الإسلامي في الجامعة المصرية القديمة، فأستاذاً للشرعة في دار العلوم، فناظراً لمدرسة عثمان ماهر باشا، إلى آخر حياته. واشترك في أكثر الجمعيات الإسلامية، وفي مقدمتها جمعية الشبان المسلمين. وألف كتباً، منها «زهرة التاريخ - ط» الجزء الأول منه، مدرسي و«تاريخ الإسلام» في ستة أجزاء: طبع منها جزءان، وقصص الأنبياء - ط و«تاريخ الخلفاء الراشدين - ط» و«الأيام الحمراء» وهو مفصل أخبار الثورة المصرية سنة ١٩١٩ م على طريقة يوميات الجبرتي، نشره تباعاً في جريدة البلاغ، و(مذكرات عن الهند) - خ كتبها بعد رحلة إليها، وكان خطيباً، حاضراً البديهة، له إلمام ببعض اللغات السامية، توفي ودفن بالقاهرة.

[الأعلام: ٤. ص ١٨٢، الطبعة الرابعة ١٩٨٠ - دار العلم للملايين]

..***

[عبد الوهاب خلّاف]

[١٣٠٥ - ١٣٧٥ هـ = ١٨٨٨ - ١٩٥٦ م]

عبد الوهاب بن عبد الواحد خلّاف: فقيه، من الكتاب العلماء، مفسّر، ولد بكفر الزيات، والتحق بالأزهر سنة ١٩٠٠، وتخرج بمدرسة القضاء الشرعي عام ١٩١٥، وعين مدرساً بها في نفس السنة. اشترك في ثورة سنة ١٩١٩، فعُرف بمواقفه الخطابية والكتابية، فأجبر على ترك المدرسة، وانتقل إلى القضاء الشرعي، فعين قاضياً بالمحاكم الشرعية سنة ١٩٢٠، ثم مديراً للمساجد بوزارة الأوقاف سنة ١٩٢٤، إلى أن عين مفتشاً بالمحاكم الشرعية في منتصف سنة ١٩٣١. وفي أوائل سنة ١٩٣٤ انتدبته كلية الحقوق بجامعة القاهرة مدرساً بها، واستمر أستاذاً لكرسي الشريعة الإسلامية حتى أُحيل إلى المعاش سنة ١٩٤٨ حين أقعده المرض عن إلقاء المحاضرات. انتخب عضواً بمجمع اللغة العربية فأشرف على وضع معجم القرآن، وألقى سلسلة محاضرات في تفسير القرآن الكريم لعدة سنوات بدار الحكمة.

من آثاره: «نور من القرآن الكريم» في التفسير، «أحكام الوقف في الشريعة

تراجم الأئمة والمفسرين والعلماء

الإسلامية» و«علم أصول الفقه» و«السياسة الشرعية او نظام الدولة الإسلامية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية» و«تاريخ التشريع الإسلامي» و«الاجتهاد والتقليد» و«الأحوال الشخصية» و«أحكام المواريث».

[معجم المفسرين: ج ١ ص ٣٣٨، والأعلام: ج ٤ ص ١٨٤]

..***

[سيد قطب]

[١٣٢٤ - ١٣٨٧ هـ = ١٩٠٦ - ١٩٦٦ م]

سيد بن قطب بن إبراهيم: كاتب، عالم بالتفسير، من كبار المفكرين الإسلاميين والأدباء في مصر في الثلث الثاني من القرن العشرين، ومن شهداء النهضة الإسلامية الحديثة، ولد في قرية «موشا» في أسيوط، تعلّم بالقاهرة، وتخرّج بكلية العلوم سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) وعمل في جريدة «الأهرام» وكتب في مجلتي «الرسالة» و«الثقافة» واشتغل بالتدريس، ثم عيّن موظفاً في ديوان وزارة المعارف، فمراقباً فنياً للوزارة. وفي سنة ١٩٤٨ أوفد في بعثة رسمية لدراسة برامج التعليم في الولايات المتحدة، له كتب كثيرة للدفاع عن الإسلام والتعريف به، منها «التصوير الفني في القرآن» و«مشاهد القيامة في القرآن» و«في ظلال القرآن» طبع مرات عديدة. رحمه الله.

[معجم المفسرين: ج ١ ص ٢١٩]

..***

[محمد محمد المدني]

[١٩٠٧ - ١٩٦٨ م]

محمد بن محمد المدني: كاتب، عالم بالتفسير والشريعة، ومن كبار المفكرين ورجال الإصلاح الإسلامي والأدباء المعاصرين، كالشيخ محمود شلتوت والمراغي. ولد الشيخ محمد محمد المدني بمركز المحمودية بحيرة في ٢٨ من سبتمبر ١٩٠٧ م، وأتم حفظ القرآن الكريم قبل أن تبلغ سنّه الثانية عشرة، وعرف بالنبوغ والتقدّم المتواصل، وحصل على الشهادة الثانوية في ابريل عام ١٩٢٧ م. ثم حصل على الشهادة العالمية بتفوّق في اكتوبر ١٩٢٧. مكثاً بالجامعة أقلّ من سنة دراسية، وهو ما لم يتحقق لغيره من العلماء، وحصل على العالمية من درجة استاذ

(الدكتوراه) من قسم التخصص بالأزهر في علوم البلاغة والأدب عام ١٩٣٠
تقدّم بانتاجه العلمي والفكري للانضمام الى هيئة جماعة كبار العلماء، - وقُبِلَ هذا
الانتاج - ووفق على انضمامه للجماعة . . وقد كان قانون الجماعة يشترط ٤٠ سنة
حدّاً أدنى لسنّ العضو، وقد تأجل انضمامه لحين بلوغه السنّ القانونية، وقد أغلقت
الجماعة قبل بلوغه السنّ القانونية.

في عام ١٩٥٦ عيّن أستاذاً للشرعية الإسلامية في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة،
ورئيساً لقسم العلوم الإسلامية بها، وفي مارس ١٩٥٩، عيّن عميداً لكلية الشريعة
بجامعة الأزهر.

من مصنفاته: «المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء - ط» و«القطيعات
والظنّيات ومواطن الاجتهاد في الشريعة الإسلامية - ط» و«القصص الهادف كما نراه
في سورة الكهف - ط» وله تحت الطبع «اجتهادات الفاروق عمر بن الخطاب» يصدر
قريباً عن دار الفتح للطباعة والنشر في بيروت

عمل أستاذاً ورئيساً لقسم الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت اعتباراً
من اول اكتوبر ١٩٦٧، الى ان لقي ربّه في أول مايو ١٩٦٨ م، رحمه الله، وأسكنه
فسيح جنّاته.

..***

[حسن العشماوي]

[١٣٤٠ - ١٣٩١ هـ = ١٩٢١ - ١٩٧٢ م]

حسن بن محمد العشماوي: كاتب، محام، من رجالات النهضة الإسلامية
الحديثة، ولد في المنيا بصعيد مصر، وأتم دراسة الحقوق في القاهرة سنة ١٩٤٢،
ثم تخصص في القانون الخاص والشريعة الإسلامية، مارس أعمال النيابة العامة
والمحاماة والقضاء، وشارك في الحياة السياسية المصرية، واختير عضواً في لجنة
وضع الدستور المصري سنة ١٩٥٣. مات في الكويت. من آثاره: «مع القرآن . .
زاد الرحلة الأولى في كتاب الله . .» وهو في جزء واحد: تفسير الفاتحة والبقرة وآل
عمران . . وله تفسير سورة النساء، وتفسير سورة الإسراء، وكتاب «حصار الأيام أو

تراجم الأئمة والمفسرين والعلماء

مذكرات هارب» و«الأيام الحاسمة» و«قلب آخر لأجل الزعيم» و«تركة الشيخ عlish»
و«هكذا نربي أولادنا».

[معجم المفسرين: ج ٢ ص ٧٦٩]

*** . . . ***

[أحمد مصطفى المراغي]

[١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م]

أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر من العلماء. تخرج بدار العلوم بالقاهرة،
ثم درس بها، وعين أستاذاً للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم.
توفي بالقاهرة، من آثاره: «تفسير القرآن»، ويعرف بتفسير المراغي، طبع في
ثمانى مجلدات.

[معجم المفسرين: ج ١ ص ٨٠]

*** . . . ***

فهرس الأعلام

١٢١، ١٢٣، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨،
١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣،
١٣٤، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٠، ١٤١،
١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٩، ١٥٠،
١٥١، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٨،
١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٦،
١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢،
١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧،
١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٣،
١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ٢٣٩، ٢٤٦،
٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤،
٢٥٥، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١،
٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٨،
٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣،
٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨،
٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٧،
٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢،
٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧،
٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٣،
٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٩،
٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٧،
٣١٨، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٤،
٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠،

[أ]

إبراهيم عليه السلام: ١٠، ٢٤، ٣٦،
٣٧، ٣٨، ٤٥، ٥٨، ٦٢، ٨٩،
١٠٥، ١١٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٩،
١٤٩، ١٧٩، ١٨٢، ٢٦٣، ٢٨١،
٢٨٢، ٢٩٨، ٣١٤، ٣٤٠، ٣٤٥،
٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٧٠،
٣٧٣، ٣٧٤، ٣٨٦، ٣٩١، ٣٩٩،
٤٠٥، ٤٧٣.
إبراهيم بن هشام: ٨، ٦٢، ٣١٤، ٣١٥،
٤٨٤.
إبليس (الشیطان): ١١١، ١١٤، ١٢٦،
١٢٧، ١٣٠، ١٣١، ١٣٧، ٢٤٦،
٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٩،
٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٩١،
٢٩٤، ٣٢٤، ٣٨٩، ٤٣٥، ٤٤٤.
أبي بن كعب: ١١٦، ٣٦٠، ٤٧٨.
آدم عليه السلام: ٥، ٧، ٩، ١٠، ١١،
١٢، ١٣، ٢١، ٢٣، ٣٣، ٤٠،
٤٨، ٤٩، ٥٨، ٦٢، ٧٣، ١٠٤،
١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩،
١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤،
١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٠،

فهرس الأعلام

ابن أبي حاتم: ٢٩٧، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٥٨، ٣٧٧.	٣٤١، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٥، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٨، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤٧٢، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٦، ٤٨٨، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٥، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠.
ابن أبي ذئب: ٤٦٧، ٤٦٨.	آدم عبد الله الألوري: ١٦، ٣٩، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ١٠٠، ١٣٨، ١٤٦، ١٨٣، ١٨٤.
ابن أبي دواد: ٤٣٠.	إدريس عليه السلام: ٨، ٢٣، ٤٦، ١٠٦، ١١٢، ١١٧، ١٢١، ١٢٣، ١٣٥، ١٣٨، ١٤٤، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٨، ١٦٣، ١٦٦، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ٢٦٢، ٣١٧، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٢، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٨٦، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٨، ٤٧٢، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦.
ابن أبي العز الحنفي: ١٧، ١٥، ٥٤.	
ابن أبي عمر: ٣١٨، ٤٨٤.	
ابن الأثير: ٢٧٢، ٢٧٣.	
ابن أم مكتوم: ٣٩٦.	
ابن بطلال: ١٧١، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٥١١.	
ابن تيمية: ١٦، ٢٧، ٥١، ٦٣، ٦٤، ١٠٤، ١٨٥، ٤١٣، ٤٣٠.	
ابن جرير الطبري: ١١٥، ١١٦، ١١٨، ١٨٥، ٢٩٧، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٦٠، ٣٧١.	
ابن الجوزي (عبد الرحمن): ٢٨٣، ٣١٥، ٣٦٧، ٤٧٥، ٤٨٤، ٥١٥.	
ابن حجر العسقلاني: ١٧٠، ١٧٧، ٣١٨، ٣٢١، ٤٧٣، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٤، ٥١٠، ٥١٩.	
ابن حزم: ١٦، ٢٢، ٦٥، ٧٣، ١٠٠، ١٠٧، ١٠٩، ١٩٧، ٢٠٤، ٢١٢، ٢١٣، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٢، ٣٢٩.	
ابن حبان: ٢٥، ٦٢، ٦٣، ١١٨، ١٧٧، ٣١٥، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٦٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٤٧٤، ٤٧٥.	
ابن خزيمة: ٣٢٠.	

فهرس الأعلام

أبو أمامة الباهلي: ٤٤، ١١٨، ١٤٢، ٣١٣، ٣١٦، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٦٨، ٤٧٦، ٤٨٨.	ابن دريد الأسدي: ٤٢٤.
أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي: ١٠٠، ١٢٠، ١٨٤، ٢٧٣، ٤٧٣.	ابن راهويه: ٢٥.
أبو بكر بن أبي شيبة: ٤٦٨.	ابن سعد: ٣٠٩، ٣٢٣.
أبو بكر البزار: ٣١٦.	ابن الصلاح: ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٠.
أبو بكر جابر الجزائري: ١٦، ٤٧، ١٠١، ١٥٨، ١٨٥، ١٨٦.	ابن عباس: عبد الله بن عباس: ٦٨، ٩٨، ١١٥، ١٣٠، ١٧٥، ١٨٥، ٢٩٧، ٣٠٢، ٣٦٠، ٣٦١، ٤٢٨، ٤٣٢، ٤٦٣، ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧٤، ٤٧٨، ٥٠٧.
أبو بكر بن فورك: ١٤٠.	ابن عبد البر: ٢٣٢.
أبو بكر الصديق: ٢١٩، ٤٣٠.	ابن عساكر: ١١٧، ٣٥٨، ٥٠٧.
أبو حاتم الرازي: ٣١٥، ٣٢١، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩.	ابن عدي: ٣٧٨.
أبو حنيفة النعمان: ١٩٦، ٤٣٦.	ابن العربي: ٣٧٢، ٣٧٣.
أبو حيان النحوي: ٣٥٤.	ابن عليّة: ٣٧٩.
أبو داود الطيالسي: ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٤٣٣.	ابن قيم الجوزية: ٨، ١٣، ٢٥، ٦٢، ٧٢، ٢١٨، ٢٢٦، ٤٥٧، ٤٥٩، ٤٦٥، ٤٧٠.
أبو ذر الغفاري: ٨، ٢١، ٢٥، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٨، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٧٢، ٧٤، ٧٩، ٨١، ١١٦، ١٤٢، ١٤٤، ١٥٠، ١٧٧، ١٨٦، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٧، ٣١٨، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٦٥، ٣٦٧، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٨٤.	ابن قتيبة: ١١٠.
أبو زرعة: ٣١٥، ٣٢٢، ٣٧٧، ٤٨٤.	ابن قدامة المقدسي: ٤٨٥.
أبو السعود: ٣٥٢، ٣٦٤، ٤٧٣.	ابن كثير: ٦٢، ٦٩، ٧٩، ١٠٠، ١٠٦، ١١٣، ١١٥، ١١٧، ١٣٥، ١٨٤، ١٨٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣١٣، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٠، ٣٧٠، ٣٦٧، ٤٧٥، ٤٨٤.
أبو سعيد الخدري: ١٤٤، ٣١٨، ٤٨٤.	ابن المبارك: ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١.
أبو سلمة بن عبد الرحمن: ٤٦٩.	ابن ماجه: ٦٨.
	ابن مردويه: ٣٥٣.

فهرس الأعلام

إسماعيل عليه السلام: ١٠، ٢٦، ٢٤، ٤٥، ٤٦، ٩٠، ١٠٥، ١١٢، ١٢٣، ٢٨٨، ٣٤١، ٣٧٢، ٣٧٤.	أبو عبد الله المازري: ٤٧٥.
إسماعيل حقي: ٣٥٢، ٣٦٥، ٥٠٧، ٥١٦.	أبو عوانة الواسطي: ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨.
إلياس عليه السلام: ٨، ٣٤٢، ٣٧٢، ٣٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥.	أبو موسى الأشعري: ٩٨، ٥٠٣.
إقليم: ١١٥، ١٣١، ١٨٥، ٣٠٥.	أبو النصر هاشم بن القاسم: ٤٦٨.
أم سلمة: ٤٦٩.	أبو نعيم الأصبهاني: ٣٢٢.
أم المغيث: ١١٥، ١٨٥.	أبو هريرة: ٩، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ١٠٩، ١١٤، ١١٥، ١١٨، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٣٠١، ٣٦٧، ٣٧٤، ٣٧٥، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٦٩، ٤٧٢، ٤٧٤، ٤٨١.
أم موسى عليها السلام: ٦٩، ٣٢٤، ٣٢٥، ٤٧٧.	أبو يعلى الموصلي: ٣١٦.
امرأة عمران: ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٥.	أحمد البراء الأميري: ١٧، ٥٠.
امرأة فرعون: ٦٩.	أحمد بن حنبل: ٢٥، ٤٣، ٤٤، ٦٢، ٦٣، ١٠٤، ١٩٦، ٢٠٠، ٣٢٧، ٣٨٠، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٧٩.
أنس بن مالك: ١٠٨، ٣١٦، ٣١٩، ٣٥٤، ٣٥٨، ٣٦٧، ٣٧٦، ٣٩٨، ٤٧٢، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٨١.	أحمد الزرقا: ٢١٤.
أوس بن الصامت: ٣٠٧.	أحمد الصباحي عوض الله: ١٠٠، ١٢٩، ١٨٥.
أيوب عليه السلام: ٣٤١.	أحمد العجوز: ١٠١، ١٧٨.
[ب]	أحمد كفتارو: ١٩٦، ٤٥٨، ٤٩٥.
الباقر: ١٢٣.	أحمد محمد جمال: ١٧، ٦٥، ٧٦.
الإمام البخاري: ٩، ٦٨، ١١٨، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٥٤، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٩٨، ٤٢٧، ٤٤١، ٤٧٤، ٤٨١، ٥١١، ٥٢٠.	أحمد مصطفى المراغي: ٣٥٣، ٣٥٩، ٣٦٩، ٤٨١.
بخت نصر: ١٢٣.	الإسنوي: ١٩٦.
بدر الدين الزركشي: ٤٣١.	أسامة بن زيد: ٤٣٣.
أبو عبد الله (الحسين بن علي): ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧.	إسحاق عليه السلام: ١٠، ٢٤، ٤٥، ١٢٣، ٢٨٢، ٣٤١، ٣٧٤.
	إسرافيل عليه السلام: ٥٧، ٢٧١.

فهرس الأعلام

البزدوي : ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٢٤ ، ٥٠٢ .	حجاج بن منهل : ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ .
بشر المريسي : ٤٢٠ .	الحسن البصري : ١٧٦ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٧٤ ، ٥٠٦ .
برهان الدين الحلبي : ٣٢٢ .	حسن خالد : ١٨٧ ، ٢٤٠ ، ٤٥٨ ، ٥٠٥ ، ٥١٢ ، ٥٢٤ .
البيضاوي : ١٥٣ ، ٢٩٢ ، ٤٠١ ، ٥١٦ ، ٥١٦ .	حسن العشماوي : ٢٨٦ .
البغوي : ٣٥١ .	حفصة بنت عمر : ٢١٩ .
بهاء الله الميرزا علي أحمد : ٦٤ .	حواء عليها السلام : ١١١ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٨٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٦ ، ٢٩٨ ، ٣٢٤ ، ٣٧٠ ، ٣٨٩ .
البهي الخولي : ١٨٥ ، ٢٨٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٨ .	
بولس الرسول : ٢٦٨ .	
البيهقي : ٣٦٨ ، ٤٧٦ ، ٤٨٤ .	
*** . . ***	*** . . ***
[ت]	[خ]
الترمذي : ١١٤ ، ١١٥ ، ١٤٤ ، ٣١٣ ، ٣١٨ ، ٣٣٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٤ ، ٥٢٠ .	الخازن : [علاء الدين علي بن محمد إبراهيم] : ٣٥٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٤٧٣ .
*** . . ***	*** . . ***
[ج]	[د]
جابر بن عبد الله : ٩٧ ، ١٠٩ ، ٣١٦ .	داود عليه السلام : ٢٤ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٣٤ ، ١٧٩ ، ٢٧٢ ، ٣٤٢ .
جبريل عليه السلام : ٣٧ ، ٥٧ ، ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٥٧ ، ١٦٣ ، ١٧١ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٤٣٢ ، ٥١١ .	الدجال : [الأعور الدجال] : ٢٠١ ، ٤٥٢ .
جعفر الصادق : ١٢٥ ، ١٢٦ .	
[ح]	
الجوزجاني : ٣٢٠ ، ٣٢١ .	
حاطب بن أبي بلتعة : ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٤ .	
الحاكم : ٢٥ ، ١١٠ ، ١١٥ ، ٤٣٤ .	
الحباب بن المنذر : ٤٣٩ ، ٤٤٠ .	

فهرس الأعلام

الدارقطني: ٣٢٢.	سعيد بن جبير: ٣٧٤.
الداودي: ١٧١.	سفيان: ٤٨٤.
** . . **	سفيان الثوري: ٣٧٩، ٣٨٠.
[ذ]	سعيد بن المسيب: ٣٧٤.
الإمام الذهبي: ٣١٥، ٤٧٩.	السفاري: ٦٤.
ذو القرنين: ١٢٣، ٧٥.	سليمان عليه السلام: ٢٤، ١٢٣، ٣٤٢.
ذو الكفل: ٤٦، ٣١٤، ٤٧٢.	سيد سابق: ٤٣٨.
** . . **	سيد قطب: ٢٤٦، ٣٥٣، ٣٦١، ٣٧٠،
[ر]	٣٧١، ٣٩٢، ٤٣٥، ٤٤١.
ربيعه بن أبي عبد الرحمن: ٤٦٨.	السيوطي: ٣٥٨، ٤٢٥، ٤٧٥.
الرضا: علي بن موسى: ٣٦، ١٢٤، ١٨٤.	[ش]
رضوان (خازن الجنة): ٥٧.	الشاذلي: ٣٦٨، ٤٧٧.
[ز]	الشافعي: ١٠٨، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤،
الزبير بن العوام: ٤٤١.	٤٢٥، ٤٣٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩،
الزجاج: ٥٠٦.	٥٠٢.
زرارة: ٣٦، ١٢٧.	شريك بن سحماء: ٤٦٧.
زفر: ٤٢٥.	الشعبي: ٣٧٤.
الزمخشري: ٣٩، ٢٩٢.	شعيب عليه السلام: ٤٦، ٦٢، ١١٢،
زيد بن ثابت: ٢١٩.	١٢٣، ١٨٢، ٣١٤، ٣٤١، ٣٤٧،
زكريا عليه السلام: ٢٨١، ٣٤٢، ٣٧٣.	٤٧٢.
[س]	شهر بن حوشب: ١٣٠.
سارة عليها السلام: ٢٨١، ٣٢٤.	الشوكاني: ٣٥٥، ٣٥٨، ٣٧٢.
٦٩. ٣٧٤.	شيث (ابن آدم): ٨، ٢٣، ٦٢، ١٠٦،
سام بن نوح: ١٢٤.	١٠٩، ١١١، ١١٢، ١١٦، ١٢٣،
سبيعة الأسلمية: ٤٦٩.	١٢٧، ١٢٨، ١٣١، ١٣٨، ١٤٤،
السُّدِّي: ١١٣، ٢٩٧.	١٥٢، ١٥٤، ١٥٨، ١٨٥، ٢٥٥،
سعد بن إبراهيم: ٤٦٨.	٢٦٢، ٢٦٦، ٢٦٨، ٣١٤، ٣٢٥،
	٣٣٩، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٩١، ٤٧٤،
	٤٧٥، ٤٧٦.

عبد الله بن عمر: ٣٧٤، ٤٢٧، ٤٣١، ٤٣٣.
عبد الله بن مسعود: ٩٧، ٩٨، ٣٠٥، ٣٠٦، ٤٤٥، ٤٧٤، ٤٧٨.
عبد الرحمن بن مهدي: ٣٧٨، ٣٧٩.
عبد الرحمن حسن حنكة الميداني: ١٦، ٣٢، ١٠٠، ١٣٩، ١٨٤، ١٨٥.
عبد الرحيم فودة: ١٦، ٢٧.
عبد المجيد مطلوب: ٤٥٨، ٤٩٣، ٤٩٤.
عبد السلام محمد بدوي: ١٠٠، ١٥٢.
عبد الحق بن عطية الغرناطي: ٥٠٧، ٥١٦.
عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكناني المكي: ٤٢٩.
عبد القادر عودة: ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧.
عبد القاهر البغدادي: ١٧٧، ٣٢٦، ٤١٢، ٥٠٩.
عبد الكريم التتآن: ١٧، ٥٦، ٧٤.
عبد المغيث: ١١٥، ١٣١، ١٨٥.
عبد المنعم النمر: ١٤، ٤٥٧، ٤٨٨، ٤٩٢، ٥١٣، ٥٢٠.
عبد الوهاب النجار: ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، ١٣٨، ١٨٣، ١٨٤.
عبد الوهاب خلّاف: ٢١٠، ٢١٩، ٢٢٥، ٢٢٧، ٣٠٠، ٣٠١، ٤١٠، ٤٣٦، ٤١١.

[ص]

صالح عليه السلام: ٤٦، ٦٢، ١١٢، ١٢٣، ١٧٩، ١٨٢، ٣١٤، ٣٤٠، ٣٥٧، ٤٧٢.
الصدوق: ١٢٣.
الصنعاني: ٤٢٤.
صمويل = شمويل: ٣٥.

[ط]

طالوت: ٢٨٢.
الطبراني: ٧٢، ٢٧٢، ٢٧٣، ٣١٥.

*** . . ***

[ع]

عائشة (أم المؤمنين): ٣٠٧، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٤٤.
عائشة عبد الرحمن [بنت الشاطيء]: ١٠٠، ١٣٦.
عبد الله بن أحمد بن حنبل: ١١٦.
عبد الله بن زيد آل محمود: ١٧، ٦٠، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٧٩، ٨٦، ١٣٢، ١٣٥، ٥١٣، ٥٢٠.
عبد الله الحبشي: ١٧، ٥٩، ٧٤، ١٦٥، ١٨٦، ١٨٥، ١٦٦.
عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري: ٥١٨، ٥٠٨.
عبد الله بن سلام: ١٣٠.
عبد الله المشد: ١٣، ٤٥٧، ٤٨٣، ٤٨٦.

فهرس الأعلام

القاضي عياض: [عياض بن موسى اليحصبي]: ١٦، ٢٠، ٧١، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦.	عبيد الله بن زحر: ٣٢٢، ٣٢٣. عثمان بن أبي شيبة: ٣١٩. عثمان بن عفان: ٢١٩، ٢٢٠. العجلي: ٣٧٧، ٣٨٠. عروة: ٤٦٧، ٤٦٨.
عياض بن حماد المجاشعي: ٣٦٨، ٤٧٩.	عزرائيل: [ملك الموت]: ١١٣، ١١٥، ٢٧١.
العايشي: ١٢٧.	عزيز: ٧٥.
عيسى عليه السلام: ١٠، ٢٥، ٤٥، ٥٨، ٦٢، ٦٩، ٨٢، ٨٩، ١٠٥، ١٠٩، ١٢٣، ١٥٩، ١٧٩، ١٨٢، ٢٠١، ٢٤٧، ٢٦٨، ٢٧٤، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣١٤، ٣١٧، ٣٤٢، ٣٦٤، ٣٦٩، ٣٧٣، ٣٨٦، ٤٥٢، ٤٧٣.	عفيف عبد الفتاح طيارة: ١٧، ٥٢، ١٠١، ١٦٢، ١٨٥.
*** .. *** .. ***	عقبة بن عامر: ٤٤٥.
[غ]	عمر بن الخطاب: ٢١٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٦٨، ٥٠٣.
الغزالي: [حجة الإسلام]: ٣٩٤.	عمر بن عبد العزيز: ٤٦٧، ٤٦٨.
*** .. *** .. ***	عمرو بن عبسة السلمي: ٩٢.
[ف]	علي بن أبي طالب: ٣١٥، ٣٧٤، ٤٤١.
فاطمة بنت محمد: ١٢٧.	علي بن أبي طلحة: ٤٦٣.
فرعون: ١٢٤.	علي بن إبراهيم: ١٢٥.
فخر الدين الرازي: ٤٧٣، ٤٨١، ٥٠٧، ٥١٧.	علي بن الجهم: ١٢٤.
*** .. *** .. ***	علي بن الحسين: ١٢٧.
[ق]	علي بن زيد: [ابن جدعان]: ٣١٩.
قابيل: [ابن آدم]: ١١٥، ١٣١، ١٦٣، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٥، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٦٢، ٢٦٦، ٢٦٨، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٨٨.	علي طنطاوي: ١٠٠، ١٥٦، ١٨٤.
	علي بن المديني: ٣٢١.
	علي بن يزيد الألهاني: ٣١٦، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٤٨٥.

فهرس الأعلام

١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٤٢ ،	قارون : ١٢٤ .
١٥٦ ، ١٦٤ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ،	القاسم بن عبد الرحمن : ٤٨٥ .
١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩١ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ،	قتادة : ١١٠ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ،
٢٥٨ ، ٢٨٨ ، ٣٠٨ ، ٣١٤ ، ٣٢٦ ،	٤٧٨ ، ٤٧٩ .
٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٦ ، ٣٥٣ ، ٣٨٧ ،	القرطبي : ٤٨١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٦ ، ٥٠٨ ،
٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٥ ،	٥٠٩ ، ٥١٥ ، ٥١٨ .
٤٠٦ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٩ ،	القسطلاني : ٤٧٥ .
٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٣ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ،	*** .. **
٤٧٢ ، ٤٧٣ .	[ك]
محمد أبو زهرة : ٢٢٢ ، ٢٢٤ .	الكرماني : ٥١١ .
محمد بن إسحاق : ١٠٦ ، ١١٥ ، ١١٦ ،	*** .. **
٣٦٨ ، ٤٧١ .	[ل]
محمد بن نصر المروزي : ٦٣ .	لقمان : ٧٥ .
محمد حسين طباطبائي : ٣٥٥ ، ٣٥٨ .	لوط عليه السلام : ٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٩ ،
محمد خضر : ١٠١ ، ١٧٩ .	١٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٩٨ ، ٣٤٠ ، ٤٧٢ .
محمد خليل رفاعي : ١٧ ، ٥٧ ، ١٠١ ،	*** .. **
١٦٤ .	[م]
الإمام محمد رشيد رضا : ١٣ ، ١٦ ، ٢٥ ،	مالك بن أنس : ١٩٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٦ ،
٢٨ ، ٧١ ، ٢٤٥ ، ٢٨٤ ، ٣٢٤ ،	٤٥٥ ، ٤٩١ .
٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٩ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ،	مالك [خازن النار] : ٥٧ .
٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٤٥٧ ، ٤٧١ ، ٥٠٨ ،	المأمون [ال خليفة] : ١٢٤ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ .
٥١٣ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥٢٠ .	الماوردي : [أبو الحسن علي بن محمد
محمد سعيد رمضان البوطي : ٥١ .	الماوردي] : ١٦ ، ١٨ ، ٥٠ ، ٦٩ ،
محمد سيد طنطاوي : ١٤ ، ٤٥٨ ، ٤٩٧ ،	٧٠ ، ١٠٠ ، ١١١ ، ١٨٤ .
٤٩٩ ، ٥٠٠ .	مجاهد : ١٧٦ ، ٢٩٧ ، ٣٧٤ .
محمد الغزالي : ١٣ ، ١٤ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ،	محمد ﷺ : ٥ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ٢١ ،
٢٦٢ ، ٤٥٧ ، ٤٨٦ ، ٥١٣ ، ٥٢٠ .	٢٢ ، ٣٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٦ ، ٧٣ ،
محمد مصطفى المراغي : ٣٦١ ، ٣٩١ .	٨٩ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١٢١ ،

فهرس الأعلام

مسلم: ٩، ٦٨، ١٠٥، ١٠٦، ١١٨، ١٧٧، ٢٥٩، ٤٢٧، ٤٤٣، ٤٨١، ٥٢٠. معاذ بن جبل: ٧٧، ٢٣٢، ٤٤٥. معاذ بن فضالة: ٣٧٦، ٣٧٩. معان بن رفاعه: ٣١٦، ٣٢٢، ٤٨٥. المغيرة بن شعبة: ١١٦. ملكي صدق: ٢٧٤. مقاتل بن سليمان: ١٢٦، ١٧٦. المهتدي [ابن الواثق]: ٤٣٠. المهدي: ١٢٥، ٢٠١، ٤٥٢. موريس بوكاي: ٢٦٣. موسى عليه السلام: ١٠، ٢٤، ٢٥، ٣٣، ٣٤، ٤٤، ٤٥، ٧٥، ٨٩، ١٠٥، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٥، ١٣٩، ١٤٩، ١٥٩، ١٧٩، ١٨٢، ٢٩٠، ٣١٤، ٣١٧، ٣٤١، ٣٤٤، ٣٨٦، ٣٩٩، ٤٠٣، ٤٧٣، ٥٠٨. موسى بن عبيدة الربذي: ٣١٦. ميرزا غلام أحمد: ٦٤. ميكائيل [عليه السلام]: ٥٧، ١١٣، ٢٧١. *** .. **	محمد علي الصابوني: ١٦، ٤٣، ٦٦، ٧٥، ١٠٠، ١٨٤، ١٨٥. محمد كنعان: ١٠١، ١٧٣، ١٨٥، ١٨٦. محمد محمد عبد اللطيف: ٢٨٥. محمد محمد المدني: ٢٩٤، ٢٩٦، ٣٠٣، ٣٠٤. محمد محمود حجازي: ٣٥٢، ٣٥٨، ٣٦٥، ٣٧٠، ٤٨١. محمد ناصر الدين الألباني: ١٧، ٥٥، ٧٤. محمد مهدي علام: ٢٧١. المسعودي: ٢٧١، ٢٧٣. الإمام محمود الألوسي: ١٦، ٢٥، ٥٥، ٥٨، ١٧٢، ٢٨٦، ٢٩٦، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣١١، ٣٥٢، ٣٦٥، ٤٧٣، ٤٨١، ٥٠٧، ٥١٦. محمود شلتوت: ١٩٠، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٧، ٢٩٠، ٣١١، ٣٢٦، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٥٣، ٣٩٤، ٤٠١، ٤٢٣، ٤٢٨، ٤٣٥، ٤٥٤، ٤٨١. محمود العيني [شارح صحيح البخاري]: ١٧٠، ١٧١، ٥١٠، ٥١١، ٥١٩. مخلد بن خفاف: ٤٦٧. مريم بنت عمران: ٦٩، ١٢٣، ٣٢٤، ٣٥٤، ٣٨٥، ٤٧٧، ٥٠٢. مسدد: ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨.
---	--

[ن]

نزار الحلبي: ١٠١، ١٧٥، ١٨٥، ١٨٧،
٥٠١، ٥٠٢.
النسائي: ٦٨، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٠٨،
٣٧٧، ٤١٤.

فهرس الأعلام

٥٠٦ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ .	نعمان عبد الرزاق السامرائي : ٤٢٤ ، ٤٢٦ .
النووي : ٦١ ، ٧٩ ، ٢٧٣ ، ٤٧٥ ، ٥١٠ ، ٥١٩ .	نعمة الله الجزائري : ١٦ ، ٣٦ ، ١٠٠ ، ١٢٣ ، ١٨٥ .
** .. ** .. **	
[هـ]	
هابيل [ابن آدم] : ١١٦ ، ١٢٧ ، ١٧٥ ، ٢٥٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣٢٥ ، ٣٨٨ .	نوح عليه السلام : ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ٢٣ ، ٣٣ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٨٢ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩١ ، ٢٣٩ ، ٢٤٧ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٠٧ ، ٣١٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٨٤ ، ٣٨٨ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤١١ ، ٤١٤ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٨ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٥ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٥ .
** .. ** .. **	
هارون عليه السلام : ٥٨ ، ٦٢ ، ٨٢ ، ١٢٤ ، ٣٤١ .	
هشام الدستوائي : ٣٧٦ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ .	
هشام بن محمد بن السائب الكلبي : ١١٧ .	
همّام بن يحيى : ٣٧٦ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ .	
هاجر [أم إسماعيل] : ٣٧٤ .	
هلال بن أمية : ٤٦٧ .	
هود عليه السلام : ٤٦ ، ٦٢ ، ١١٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٨٢ ، ٣١٤ ، ٣٤٠ ، ٣٥٧ ، ٣٧٠ ، ٤٧٢ .	
** .. ** .. **	
[و]	
الولي العراقي : ٦٣ .	
وهب بن منبه : ١١٢ ، ٣٧٣ .	
** .. ** .. **	
[ي]	
يأجوج ومأجوج : ٢٠١ .	

فهرس الأعلام

يعقوب عليه السلام: ١٠ ، ٢٤ ، ٤٥ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ٢٨٢ ، ٣١٧ ، ٣٤١ ، ٣٦٤ ، ٤٠٤ .	يافث : ١٢٨ . يحيى عليه السلام: ٢٨١ ، ٢٨٥ ، ٣٤٢ ، ٣٧٣ ، ٣٨٦ ، ٣٩٢ . يحيى بن معين: ٣٢٢ ، ٣٧٧ ، ٣٧٩ . يزيد الرقاشي: ٣١٦ . اليسع عليه السلام: ٣٤١ ، ٣٧٣ ، ٣٩٢ ، ٤٧٤ . اليقوبي: ٢٧٢ .
يوسف عليه السلام: ٢٤ ، ١٢٧ ، ٣١٧ ، ٣٤١ ، ٣٨٦ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ . يوشع بن نون: ٣٧٢ ، ٤٧٥ . يونس عليه السلام: ٢٨٨ ، ٣٤٢ . *** .. **	

□ □ □ □

المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - صحيح البخاري .
- ٣ - صحيح مسلم .
- ٤ - سنن الترمذي .
- ٥ - جامع البيان في تفسير القرآن : [محمد بن جرير بن يزيد الطبري] .
- ٦ - معالم التنزيل : [العلامة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي] .
- ٧ - التفسير الكبير «مفاتيح الغيب» : [للإمام فخر الدين الرازي] .
- ٨ - الجامع لأحكام القرآن : [للإمام عبد الله بن محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي] .
- ٩ - تفسير القرآن الكريم : [للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير] .
- ١٠ - الكشف في تفسير القرآن : [للإمام محمد بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري] .
- ١١ - الدرر المنثور في التفسير بالمأثور : [للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي] .
- ١٢ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل : [للعلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن مسعود النسفي] .
- ١٣ - لباب التأويل في معاني التنزيل : [للعلامة علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، المعروف بالخازن] .
- ١٤ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل : [للعلامة عبد الله بن عمر بن محمد ناصر الدين البيضاوي] .
- ١٥ - السراج المنير : [للعلامة الشيخ الخطيب الشربيني] .

المصادر والمراجع

- ١٦ - تفسير أبي السعود: [للعلامة محمد بن محمد بن مصطفى المولى، أبو السعود].
- ١٧ - روح البيان في تفسير القرآن: [للعلامة الشيخ إسماعيل حقي البرسوي].
- ١٨ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: [للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني].
- ١٩ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: [للإمام العلامة محمود الألوسي].
- ٢٠ - تفسير المنار: [للإمام السيد محمد رشيد رضا]، الناشر: دار المعرفة - بيروت [نسخة مصورة].
- ٢١ - تفسير المراغي: [للعلامة الشيخ أحمد مصطفى المراغي].
- ٢٢ - التفسير الواضح: [للدكتور محمد محمود حجازي]، الناشر: دار الجيل، بيروت.
- ٢٣ - الميزان في تفسير القرآن: [للعلامة محمد حسين الطباطبائي].
- ٢٤ - في ظلال القرآن: [للشهيد سيد قطب]، الناشر: دار الشروق - القاهرة - بيروت.
- ٢٥ - مع القرآن. . . زاد الرحلة الأولى في كتاب الله: [للمرحوم الأستاذ حسن العشماوي] - دار الفتح - بيروت.
- ٢٦ - أوضح التفاسير: [للعلامة الأستاذ محمد عبد اللطيف، المعروف بابن الخطيب].
- ٢٧ - الإسلام عقيدة وشريعة: [للإمام الشيخ محمود شلتوت، الناشر: دار الشروق - بيروت - القاهرة - الطبعة التاسعة، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م].
- ٢٨ - آدم عليه السلام (فلسفة تقويم الإنسان وخلافته): [البهي الخولي]، الناشر: مكتبة دار التراث - القاهرة - الطبعة الثالثة - ١٩٨٥].
- ٢٩ - القطعيات والظنّيات، ومواطن الاجتهاد في الشريعة الإسلامية: [للعلامة الشيخ محمد محمد المدني - الطبعة الأولى: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، الناشر: دار الفتح للطباعة والنشر - بيروت].
- ٣٠ - علم أصول الفقه: [عبد الوهاب خلاف]، الناشر: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع - الكويت - الطبعة التاسعة - ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.

المصادر والمراجع

- ٣١ - شرح القواعد الفقهية: [لفضيلة الشيخ أحمد الزرقا]، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٨٣ .
- ٣٢ - إعلام الموقعين عن رب العالمين: [للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم]، أربعة أجزاء، الناشر: دار الجيل - بيروت .
- ٣٣ - المعجزة الكبرى (القرآن) [للإمام محمد أبو زهرة]، الناشر دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٧٧ م - الطبعة الأولى .
- ٣٤ - القصص الهادف كما نراه في سورة الكهف، [للعامة الشيخ محمد محمد المدني]، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة - ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ٣٥ - منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين: [عز الدين بليق]، الناشر: دار الفتح للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الخامسة - ١٩٨٩ م .
- ٣٦ - أحكام المرتد في الشريعة الإسلامية: [للاستاذ نعمان عبد الرزاق السامرائي]، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت .
- ٣٧ - زاد المسير في علم التفسير: [للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي]، الناشر: المكتب الإسلامي بيروت - ٩ أجزاء - الطبعة الأولى: ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .
- ٣٨ - التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي: [للمشيد عبد القادر عودة] - القاهرة - مكتبة دار التراث .
- ٣٩ - لسان العرب [لابن منظور] .
- ٤٠ - فقه السنة [للشيخ سيد سابق]، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت .
- ٤١ - الحيدة أو المناظرة الكبرى في محنة خلق القرآن: [عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكنانى المكي]، الناشر: دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت .
- ٤٢ - تهذيب التهذيب: [للإمام ابن حجر العسقلاني]، ١ - ١٢، الطبعة الأولى: ١٣٢٥ هـ - مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند - حيدرآباد الدكن - أعادت طبعها بالتصوير - دار صادر - بيروت .

- ٤٣ - لسان الميزان : [للإمام ابن حجر العسقلاني] ٧ مجلدات، الطبعة الأولى: ١٣٢٩ هـ - مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند - حيدرآباد الدكن - أعادت طبعها بالتصوير: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - ١٩٧١ م - ١٣٩٠ هـ .
- ٤٤ - موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية: [الشيخ حسن خالد]، الناشر: معهد الإنماء العربي - بيروت - الطبعة الأولى: ١٩٨٦ م .
- ٤٥ - قذائف الحق: [لفضيلة الشيخ محمد الغزالي] - منشورات دار ذات السلاسل - الكويت - الطبعة الثانية - ١٩٧٦ .
- ٤٦ - العهد القديم (التوراة)، الناشر: دار المشرق - التوزيع: المكتبة الشرقية - بيروت .
- ٤٧ - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة: [موريس بوكاي] ، الناشر: دار المعارف القاهرة - الطبعة الرابعة - ١٩٧٧ م .
- ٤٨ - دائرة المعارف، بإدارة فؤاد أفرام البستاني - المجلد الأول - ١٩٥٦ .
- ٤٩ - دائرة المعارف الإسلامية [تأليف فريق من علماء الغرب المستشرقين] ، أعادت نشرها - دار المعرفة - بيروت - ١٥ جزءاً .
- ٥٠ - كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت .
- ٥١ - أحكام الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية [عبد الوهاب خلاف] ، الطبعة الثانية - مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة - ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .
- ٥٢ - الفقه على المذاهب الأربعة: [عبد الرحمن الجزيري] ، القاهرة .
- ٥٣ - الإجابة لإيراد ما استدرسته عائشة على الصحابة: [للإمام بدر الدين الزركشي] ، تحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني - الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت .
- ٥٤ - المبادئ القضائية التي استقرّ عليها اجتهاد محكمة الاستئناف الشرعية في المملكة الأردنية الهاشمية [للمؤلف: محمد حمزة العربي] - (المجموعة الثانية نشر: دار الفرقان - عمّان - الأردن .

المصادر والمراجع

- ٥٥ - معجم المفسرين: [الأستاذ عادل نويهض]، مجلدان، الطبعة الثالثة: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م، الناشر: (مؤسسة نويهض الثقافية) - بيروت.
- ٥٦ - الأعلام: (قاموس تراجم) [خير الدين الزركلي] ١ - ٨، الطبعة الخامسة - ١٩٨٠ - الناشر: دار العلم للملايين - بيروت.
- ٥٧ - أعلام النبوة: [أبو الحسن علي بن محمد الماوردي]، الناشر: دار إحياء العلوم - بيروت - الطبعة الأولى: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٥٨ - كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى: [للقاضي عياض بن موسى اليحصبي] (جزءان)، الناشر: مكتبة الفارابي دمشق - بالاشتراك مع مكتبة مؤسسة علوم القرآن - دمشق.
- ٥٩ - الإحكام في أصول الأحكام: [للإمام ابن حزم الأندلسي]، ثمانية أجزاء - مجلدان - الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٦٠ - كتاب النبوات: [للإمام ابن تيمية]، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- ٦١ - كلمات قرآنية: [عبد الرحيم فودة]، الناشر: مؤسسة دار الشعب - القاهرة - ١٣٩٥ - ١٩٧٥ م.
- ٦٢ - الوحي المحمدي: [للإمام محمد رشيد رضا]، الطبعة الثانية ١٣٥٢ هـ - القاهرة.
- ٦٣ - العقيدة الإسلامية وأسسها: [عبد الرحمن حسن حنكة الميداني]، الناشر: دار القلم - دمشق - بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ٦٤ - النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين: [للسيد نعمة الله الجزائري]، منشورات: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، الطبعة الثامنة - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ٦٥ - فلسفة النبوة والأنبياء في ضوء القرآن والسنة: [آدم عبد الله الألوري]، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ - توزيع مكتبة وهبة - القاهرة.
- ٦٦ - قصص الأنبياء: [عبد الوهاب النجار]، الطبعة الثالثة - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

المصادر والمراجع

- ٦٧ - النبوة والأنبياء: [محمد علي الصابوني]، الطبعة الثانية: ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- ٦٨ - قصص الأنبياء: [للإمام ابن كثير]، تحقيق وتعليق عبد القادر أحمد عطا، الناشر: المكتبة الإسلامية - بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- ٦٩ - حياة وأخلاق الأنبياء: [أحمد الصباحي عوض الله]، الناشر: دار إقرأ - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- ٧٠ - الإيمان بالأنبياء بجملة وضعف حديث أبي ذرّ في عددهم: [عبد الله بن زيد آل محمود]، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الثالثة: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .
- ٧١ - العقائد الإسلامية: [سيد سابق]، الناشر: دار الكتب الحديثة - القاهرة - ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .
- ٧٢ - عقيدة المؤمن: [أبو بكر جابر الجزائري]، الناشر: دار الكتب السلفية - القاهرة - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- ٧٣ - مع الأنبياء في القرآن الكريم: [عفيف عبد الفتاح طيارة]، توزيع: دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة السابعة: ١٩٧٩ م .
- ٧٤ - إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم: [أحمد البراء الأميري]، الناشر: دار المنارة - جدة - الطبعة الأولى: ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م .
- ٧٥ - عقيدة المسلم من الكتاب والسنة: [محمد خليل رفاعي]، الناشر: دار الاعتصام بالقاهرة - ١٩٧٦ م .
- ٧٦ - شرح العقيدة الطحاوية: [للإمام ابن أبي العزّ الحنفي]، المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الرابعة .
- ٧٧ - العقيدة الطحاوية (شرح وتعليق): [محمد ناصر الدين الألباني]، المكتب الإسلامي - الطبعة الأولى - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- ٧٨ - شرح الفقه الأكبر: [الشارح: الأستاذ عبد الكريم التتّان]، نشر: مكتبة الغزالي ومكتبة ابن الفارض - حماه - سوريا .
- ٧٩ - الصراط المستقيم: [عبد الله الحبشي]، الطبعة السادسة - ١٤٠٣ هـ - بيروت .

المصادر والمراجع

- ٨٠ - مختصر عبد الله الهرري الكافل بعلم الدين الضروري: [عبد الله الحبشي]، الطبعة الثانية: ١٤٠٤ هـ - بيروت.
- ٨١ - يسألونك: (فتاوى نشرت في مجلة المسلمون التي كانت تصدر في لندن) [أحمد محمد جمال]، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت - الطبعة الأولى: ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٨٢ - عقيدة الإسلام والمسلمين: [عبد الله بن زيد آل محمود]، رسالة منشورة في الجزء الثاني من مجموعة رسائل للمؤلف، نشرها المكتب الإسلامي في بيروت.
- ٨٣ - تعريف عام بدين الإسلام [علي الطنطاوي]، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة السادسة، الجزء الأول: في العقيدة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.
- ٨٤ - مناهج الشريعة الإسلامية: [الشيخ أحمد العجوز]، الجزء الأول، الطبعة الأولى - ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٩ م - منشورات مؤسسة المعارف - بيروت.
- ٨٥ - الهداية الإسلامية: [الدكتور محمد حمد خضر]، الجزء الأول، الطبعة الخامسة - ١٩٧٥ م - بيروت.
- ٨٦ - المبادئ الإسلامية (الأصدقاء الأربعة): منشورات: دار المقاصد الإسلامية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩.
- ٨٧ - الإسلام رسالتنا: (هيئة التأليف في جمعية التعليم الديني الإسلامي)، الجزء الأول - الطبعة السابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م - نشر الشركة العالمية للكتاب - دار الكتاب اللبناني - مكتبة المدرسة.
- ٨٨ - الكفاية لذوي العناية: [عبد الباسط الفاخوري]، بيروت -

الدوريات

- ١ - جريدة الاتحاد الظبائية: دولة الإمارات العربية المتحدة - مقال بعنوان: [القرآن والتاريخ]، للدكتورة بنت الشاطيء - ١٩ / ٤ / ١٩٨٨ .
- ٢ - مجلة الرسالة الإسلامية: بيروت - مقال بعنوان: [نعم . . آدم نبي]، للدكتور صبحي الصالح - العدد ٧٧ - السنة التاسعة، ١٩٨٦ م .
- ٣ - مجلة الفكر الإسلامي: تصدر عن دار الفتوى في بيروت - العدد السابع السنة السادسة عشرة: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م :
- مقال بعنوان: معذرة أبا البشرية - للشيخ محمد كنعان .
- مقال بعنوان: آدم عليه السلام نبي بالقطع واليقين - للشيخ نزار الحلبي .
- ٤ - مجلة المسلمون القاهرية: (وكان يصدرها الدكتور سعيد رمضان) . ، مقال بعنوان: (قصة نوح عليه السلام)، للعلامة الأستاذ البهي الخولي .
- الحلقة الأولى : العدد السادس ١٣٧٢ هـ .
- الحلقة الثانية: العدد السابع ١٣٧٢ هـ .
- ٥ - مجلة الشراع اللبنانية: مقال بعنوان: [علماء المسلمين ينقسمون حول آدم]، العدد رقم ٣٥٤ - يناير ١٩٨٩ .

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
مقدمة المؤلف	٧
الفصل الأول	
بين النبوة والرسالة	١٥
آراء العلماء قديماً وحديثاً في النبوة والرسالة	١٦
١ - الإمام الماوردي	١٨
٢ - القاضي عياض	٢٠
٣ - الإمام ابن حزم	٢٢
٤ - الإمام ابن تيمية	٢٣
٥ - الإمام الألوسي	٢٥
٦ - الشيخ عبد الرحيم فودة	٢٧
٧ - الشيخ محمد رشيد رضا	٢٨
٨ - الشيخ عبد الرحمن حسن حنكة الميداني	٣٢
٩ - السيد نعمة الله الجزائري	٣٦
١٠ - الشيخ آدم عبد الله الألوري	٣٩
١١ - الأستاذ محمد علي الصابوني	٤٣
١٢ - الشيخ سيد سابق	٤٥

- ١٣ - الشيخ أبو بكر جابر الجزائري ٤٧
- ١٤ - الأستاذ أحمد البراء الأميري ٥٠
- ١٥ - الأستاذ عفيف طيارة ٥٢
- ١٦ - العلامة ابن أبي العزّ الحنفي ٥٤
- ١٧ - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ٥٥
- ١٨ - الأستاذ عبد الكريم التّان ٥٦
- ١٩ - الأستاذ محمد خليل رفاعي ٥٧
- ٢٠ - الشيخ عبد الله الحبشي ٥٩
- ٢١ - الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود ٦٠
- ٢٢ - الشيخ أحمد محمد جمال ٦٥

*** . . . ***

- ٧٠ خلاصة آراء العلماء في النبوة والرسالة
- ٧٧ النبوة والرسالة في كتاب الله
- ٩١ النبوة والرسالة في السُّنة النبوية الصحيحة :
- ٩٢ - النبيُّ هو الرسول في أحاديث الرسول
- ٩٤ - النبيُّ يبلغ الرسالة
- ٩٥ - النبيُّ صاحب كتاب أو معجزة
- ٩٥ - النبوة والرسالة في الكتاب والسُّنة
- ٩٧ - لكلِّ نبيٍّ حوارِيّ
- ٩٧ - أحاديث عن الأنبياء
- ٩٨ - النبيُّ هو الرسول، ومحمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين

*** . . . ***

الفصل الثاني

٩٩

نبوة آدم ورسالته بين الظن . . واليقين

- آراء العلماء القائلين بنبوة آدم: ظنيّاً . . أو ترجيحاً . . أو يقيناً ١٠٠
- ١ - الشيخ عبد الوهاب النجار ١٠٢
- ٢ - الإمام ابن حزم ١٠٧
- ٣ - الإمام الماوردي ١١١
- ٤ - الإمام ابن كثير ١١٣
- ٥ - الإمام أبي إسحاق الثعلبي النيسابوري ١٢٠
- ٦ - السيد نعمة الله الجزائري الإمامي ١٢٣
- ٧ - الأستاذ أحمد الصباحي عوض الله ١٢٩
- ٨ - الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود ١٣٢
- ٩ - الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) ١٣٦
- ١٠ - الشيخ آدم عبد الله الألوري ١٣٨
- ١١ - الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ١٣٩
- ١٢ - الأستاذ محمد علي الصابوني ١٤٦
- ١٣ - الأستاذ عبد السلام محمد بدوي ١٥٣
- ١٤ - الشيخ علي الطنطاوي ١٥٦
- ١٥ - الشيخ أبو بكر جابر الجزائري ١٥٨
- ١٦ - الشيخ سيد سابق ١٦١
- ١٧ - الأستاذ عفيف طيارة ١٦٣
- ١٨ - الأستاذ محمد خليل رفاعي ١٦٤
- ١٩ - الشيخ عبد الله الحبشي ١٦٥

١٦٧	٢٠ - الشيخ صبحي الصالح
١٦٩	٢١ - الشيخ حسن خالد
١٧٣	٢٢ - الشيخ محمد كنعان
١٧٥	٢٣ - الشيخ نزار الحلبي
١٧٨	٢٤ - الشيخ أحمد العجوز
١٧٩	٢٥ - الأستاذ محمد خضر
١٨٠	٢٦ - كتاب المبادئ الإسلامية (الأصدقاء الأربعة)
١٨١	٢٧ - كتاب (الإسلام رسالتنا)
١٨٢	٢٨ - الشيخ عبد الله العلايلي
١٨٣	ملخص آراء العلماء حول نبوة آدم مع بعض الملاحظات

*** . . . ***

الفصل الثالث

١٨٩	العقائد الأساسية في الإسلام
١٩١	العقائد الأساسية في الإسلام
١٩١	كلمة الشهادة تجمع عقائد الإسلام وأصول شرائعه
١٩٢	الحدّ الفاصل بين الإسلام والكفر
١٩٣	القرآن . . . وثبوت العقيدة
١٩٤	السُّنة . . . وثبوت العقيدة
١٩٤	منشأ ظنية السُّنة
١٩٥	التواتر والآحاد
١٩٥	الآحاد لا تفيد اليقين
١٩٧	نُدرة المتواتر
١٩٩	الإسراف في وصف الأحاديث بالتواتر وأسبابه

*** . . . ***

الفصل الرابع

تعريفات وقواعد أصولية وفقهية وتفسيرية	٢٠٣
تعريفات : فصل في الألفاظ الدائرة بين أهل النظر	٢٠٤
الأدلة الشرعية والقواعد الأصولية	٢١٠
قواعد فقهية من مجلة الأحكام العدلية	٢١٤
تحريم القول على الله بغير علم	٢١٨
دلالة آيات القرآن إِمَّا قطعية . . وإِمَّا ظنية	٢١٩
السُّنَّة النبوية قسمان : سُنَّة متواترة . . وأحاديث آحاد	٢٢٢
السُّنَّة النبوية : قطعيُّها . . وظنيُّها	٢٢٥
السُّنَّة لا تعارض القرآن	٢٢٦
الإجماع في أصول الفقه	٢٢٧
الظن . . واليقين في كتاب الله سبحانه	٢٣١
الظن . . واليقين في أصول الأحكام	٢٣٦
قواعد أصولية وتفسيرية اتَّفَق عليها علماء أصول الفقه	
وعلماء التفسير	٢٣٨

** . . **

الفصل الخامس

قصة آدم عليه السلام	٢٤٩
أ - في العهد القديم (التوراة)	٢٥٠
ملاحظات المؤلف حول سفر التكوين	٢٥٧
ب - آدم عليه السلام كما جاء في «دائرة معارف البستاني»	٢٦٥
ج - آدم عليه السلام كما جاء في «دائرة المعارف الإسلامية»	٢٧١
ملاحظات المؤلف حول دائرة معارف البستاني ودائرة المعارف الإسلامية	٢٧٤

د - قصّة آدم عليه السلام في القرآن ٢٧٥

*** . . . ***

الفصل السادس

أدلة الذين يقولون بنبوة آدم ورسالته . . ومناقشتها ٢٧٩
أ - من القرآن الكريم :

أولاً : استنادهم إلى آية الاصفاء في سورة آل عمران ٢٨٠

آراء علماء التفسير في آية الاصفاء : ٢٨٣

— الإمام القرطبي في تفسيره ٢٨٣

— الإمام ابن الجوزي في «زاد المسير» ٢٨٣

— الإمام فخر الدين الرازي في «التفسير الكبير» ٢٨٣

— الإمام محمد رشيد رضا في «تفسير المنار» ٢٨٤

— الأستاذ محمد محمد عبد اللطيف في «أوضح التفاسير» ٢٨٥

— الشهيد سيد قطب «في ظلال القرآن» ٢٨٥

— المرحوم حسن العشماوي في «مع القرآن...» ٢٨٦

— الإمام الألوسي في «روح المعاني» ٢٨٦

ثانياً : استنادهم على آية ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ ٢٨٧

ثالثاً : استنادهم على آية ﴿ثم اجتباه ربّه فتاب عليه وهدى﴾ ٢٨٨

رابعاً : استنادهم على آية ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي،

ولم نجد له عزماً﴾ ٢٨٩

١ - عهد الله تعالى لآدم : عهد تكوين وفطرة، لا عهد

وحي وشريعة ٢٨٩

٢ - معنى النسيان المنسوب لآدم عليه السلام ٢٩٠

٣ - معنى العزم المنسوب لآدم عليه السلام ٢٩١

- خامساً : استنادهم على قوله تعالى : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ . . . ٢٩٢
- حديث النشأة الأولى : عند أهل التفويض ٢٩٤
- عند أهل التأويل ٢٩٤
- سادساً : استنادهم على آية ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ ٢٩٦
- ١ - رأي العلامة ابن كثير في تفسير هذه الآية ٢٩٦
- ٢ - رأي الإمام فخر الدين الرازي ٢٩٧
- ٣ - رأي الإمام الألوسي ٣٠٢
- ٤ - رأي الشيخ محمد محمد المدني ٣٠٣
- سابعاً : استنادهم إلى قصة ابني آدم في سورة المائدة ٣٠٤
- آراء المفسرين في قصة ابني آدم ٣٠٤
- تعقيب المؤلف على هذه القصة ٣٠٦
- ب - أدلة الذين يقولون بنبوة آدم ورسالته ، استناداً
إلى بعض الأحاديث المنسوبة للرسول الكريم (ﷺ) ٣١٣
- ١ - حديث أبي ذر الطويل : ٣١٣
- ٢ - حديث أبي سعيد الخدري ٣١٨
- ٣ - حديث أبي أمامة الباهلي ٣٢٠
- ج - استدلال الذين يقولون بنبوة آدم على خطاب الله سبحانه لآدم
بدون واسطة ٣٢٤
- د - استدلال الذين يقولون بنبوة آدم على الزعم بوجود ثلاثة أنبياء قبل نوح
وهم : آدم، وشيث، وإدريس !! ٣٢٥
- هـ - استدلال الذين يقولون بنبوة آدم
بإجماع علماء المسلمين على هذه النبوة ٣٢٦

شيوخ حكاية الإجماع في المسائل الخلافية	٣٢٨
الإجماع عند المحققين	٣٢٩
إجماع الأصوليين	٣٣١

** .. ** .. **

الفصل السابع

أدلة الذين لم يقتنعوا بنبوة آدم ورسالته نظراً لإيمانهم بأولية هذه النبوة والرسالة لنوح عليه السلام .. لا لآدم أبي البشر	٣٣٣
** .. ** .. **	
١ - تمهيد : ماذا كان بين آدم ونوح عليهما السلام من أجيال وقرون ؟	٣٣٤
٢ - الأدلة القرآنية القطعية على نبوة ورسالة الأنبياء عليهم السلام :	
من نوح عليه السلام .. إلى محمد عليه الصلاة والسلام	٣٤٠
٣ - من هو النبي الأول ؟	٣٤٣
٤ - أقوال العلماء والمفسرين القدامى والمعاصرين في أولية نبوة نوح عليه السلام ورسالته	٣٥١
٥ - دلائل وإشارات على أولية نبوة نوح ورسالته ..	
كما جاءت في سورة المؤمنون ، وسورة الأعراف	٣٥٦
٦ - آراء العلماء والمفسرين المؤكدة لأولية نبوة نوح ورسالته :	
في شرحهم للآية ٥٩ من سورة الأعراف	٣٥٨
٧ - أقوال العلماء والمفسرين في شرحهم لبعض الآيات القرآنية	٣٦٠
١ - الإمام ابن كثير وتفسيره لآية البقرة : ٢١٣	٣٦٠
٢ - الإمام محمد مصطفى المراغي وتفسيره لآية الحديد : ٢٦	٣٦١
٣ - الشيهد سيد قطب ، وتفسيره لمطلع سورة نوح :	
﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾	٣٦١

- ٨ - التناقض والاضطراب في أقوال بعض العلماء والمفسرين :
 حول أولية نبوة نوح ورسالته . . وأولية نبوة آدم ورسالته !! ٣٦٣
 ٩ - أولية نبوة نوح ورسالته من السنة النبوية الصحيحة ٣٧٥
 تراجم رواية أحاديث الشفاعة ٣٧٧

** . . **

الفصل الثامن

حوار ونقاش حول نبوة آدم ورسالته

- ١ - بداية الحوار ٣٨٤
 ٢ - حوار ونقاش حول نبوة آدم ورسالته ٣٨٦
 ٣ - شبهات . . . وردود ٣٩٧
 أ - الأولوية النسبية . . والأولية المطلقة ! ٣٩٧
 ب - أولية نبوة نوح عليه السلام . . ومفهوم المخالفة ! ٤٠٠
 ج - الردة المزعومة . . وانقلاب النكاح إلى سفاح ! ٤١٠

** . . **

الفصل التاسع

حرية التفكير . . والاجتهاد . . .

- لا حرية التكفير . . والتفسيق !! ٤١٧
 بين حرية التفكير . . وحرية التكفير ٤١٨
 ١ - حرية التفكير ٤١٨
 ٢ - حرية الاعتقاد ٤١٩
 ٣ - حرية القول ٤٢٠
 الردة والمرتب في شريعة الإسلام لغة وشرعاً ٤٢٤
 ١ - رأي العلامة نعمان عبد الرزاق السامرائي في الردة والمرتب ٤٢٦

٢ - رأي العلامة الفقيه سيد سابق في الردّة والمرتد	٤٢٧
٣ - رأي الإمام محمود شلتوت في الردّة والمرتد	٤٢٨
استدراك السيدة عائشة على بعض الصحابة	٤٣٠
استدراكها على ابن عباس	٤٣٢
استدراكها على أبي هريرة	٤٣٣
اجتهاد الفقهاء في مسألة (أكثر مدّة الحمل)	٤٣٦
١ - رأي الأحناف	٤٣٧
٢ - رأي المالكية	٤٣٧
٣ - رأي الشافعية	٤٣٧
٤ - رأي الحنابلة	٤٣٨
ومن اجتهاد الفقهاء إلى اجتهاد الصحابة	٤٣٨
١ - اجتهاد الصحابة في صلاة العصر في بني قريظة	٤٣٨
٢ - اجتهاد الصحابة في تنفيذ أمر القيادة العسكرية بدخول النار!	٤٣٩
٣ - اجتهاد الصحابة في غزوة بدر الكبرى	٤٣٩
٤ - اجتهاد الصحابي حاطب بن أبي بلتعة بإبلاغه قريشاً بعزم	
الرسول (ﷺ) على غزوهم!	٤٤٠
درء الحدود بالشبهات	٤٤٥
اجتهاد المحاكم الشرعية في قضايا الاتهام بالردّة	٤٤٨
النظريات الخلافية	٤٥١
الاختلاف فيما لا قاطع فيه يمنع التأثيم	٤٥٣

*** . . . ***

الفصل العاشر

٤٥٧ فتاوى العلماء والمفتين حول نبوة آدم ورسالته

تمهيد :

- ١ - في تحريم الإفتاء في دين الله بالرأي المتضمن لمخالفة النصوص،
والرأي الذي لم تشهد له النصوص بالقبول [للإمام ابن قيم الجوزية] ٤٥٩
 - ٢ - في تحريم الإفتاء والحكم في دين الله بما يخالف (النصوص)،
وسقوط الاجتهاد والتقليد عند ظهور النص، وذكر اجماع العلماء
على ذلك [للإمام ابن قيم الجوزية] ٤٦٥
 - ٣ - في أنواع الرأي الباطل .. [للإمام ابن قيم الجوزية] ٤٧٠
- *** .. ** .. **

٤٧١ البحوث والفتاوى

- بحث : [تحقيق مسألة الإيمان بالرسول إجمالاً وتفصيلاً ..
وعدد الرسل المذكورين في القرآن الكريم] [للإمام محمد رشيد رضا] ٤٧١
استفتاء المؤلف العلماء والمفتين حول أولية النبوة والرسالة :
لنوح عليه السلام .. أم لآدم عليه السلام ٤٨١

الفتاوى

- ١ - فتوى فضيلة الدكتور عبد الله المشد [رئيس لجنة الفتوى بالأزهر] ... ٤٨٣
- ٢ - فتوى فضيلة الشيخ محمد الغزالي [الداعية الإسلامي الكبير] ٤٨٧
- ٣ - فتوى فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر
[وكيل الأزهر ووزير الأوقاف المصري السابق] ٤٨٨
- ٤ - فتوى الدكتور عبد المجيد مطلوب
[أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بجامعة حقوق عين شمس] ٤٩٣

- ٥ - فتوى سماحة الشيخ أحمد كفتارو [مفتي الجمهورية العربية السورية] ٤٩٥
- ٦ - فتوى فضيلة الشيخ محمد سيد طنطاوي
[مفتي جمهورية مصر العربية] ٤٩٧
- [تعقيب المؤلف على فتوى فضيلة مفتي جمهورية مصر العربية] ... ٥٠٠
- ٧ - فتوى سماحة الشيخ حسن خالد [مفتي الجمهورية اللبنانية السابق] ٥٠٥
[ملاحظات المؤلف على فتوى الشيخ حسن خالد رحمه الله] ٥١٣
- ظنية نبوة آدم ورسالته .. والإجماع الوهمي!! ٥٢١
- تراجم الأئمة والمفسرين والعلماء ٥٢٧
- فهرس الأعلام ٥٧٣
- المصادر والمراجع ٥٨٥
- محتويات الكتاب ٥٩٣

*** . . . ***

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية العربية السورية

وزارة الأوقاف

إدارة الإفتاء العام
والتدريس الديني

الرقم ٨٧٦

السيد الأستاذ مدير دار الفتح للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته :
جوابا على سؤالكم الذي تقدمتم به إلينا حول نبوة آدم ورسالته
وغيرها ، فنقول :
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد العالمين
وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد ، فنفيدكم بالجواب التالي :
بعد اطلاعنا على الأحكام المتعلقة بهذا الموضوع ، وعلى
أقوال مختلف الفقهاء فيه ، تبين أن القضية في رسالة آدم أو عدم
رسالته ، وأنه هو أول رسول أم أن نوحا هو أول المرسلين ؟ هذه القضية
ذهب فيها العلماء قديما وحديثا إلى قولين ، والذي نراه أنه لا مرجح لأحد
الرأيين ، ولا يجوز الخوض فيها أكثر من ذلك مخافة الخط من قدر أحد الفريقين
من علمائنا ، ولكل وجهة نظر فيما ذهب إليه . وأنه يرجح لدينا بأن من
أخذ بأحد الرأيين فأنما يكون قد استند إلى نتيجة قال بها صفوة من العلماء
أن موضوع التكفير أو الارتداد عن الإسلام لمن قال بالرأي هذا أو ذاك
فهذا غير وارد ، إذ أن قولنا بذلك يكون كمن حكم على فريق منهما بالكفر
أو بالارتداد . بالإضافة إلى أن الخوض في هذه الأمور غير مجد ولا مفيد وخصوصا
في وقت يجدر بنا أن نصرف اهتمامنا فيه إلى جمع الكلمة والوقوف صفا
واحدا أمام ما يواحه هذه الأمة من أحداث جسام ، ومن موجات الكفر والتفليل
ومحاولات الصهيونية تقويض بناء عقيدتنا وتراثنا واستعبادنا وإدلالنا
ونهب خيراتنا ، وإشاعة الفتنة والخلافات بين صفوفنا ، وهذا ما يربأ به كل
مسلم أن يكون على حذر من الأمر ، لأن الأمر جسيم والخطب جليل ، ولو أن كتب
العقيدة التي بين أيدينا ترجح قول من ذهب إلى أن آدم عليه السلام نبي
مرسل وأن عدد الأنبياء الذين وردت أسماؤهم في القرآن الكريم خمسة
وعشرون نبيا ، أولهم آدم ، وآخرهم نبينا محمد عليهم الصلاة والسلام
أجمعين .

والحمد لله رب العالمين .

دمشق ١١ / ٥ / ١٤٠٩ هـ . الموافق ١٩ / ١٢ / ١٩٨٨ م .

الشيخ أحمد بكفتارو

المفتي العام للجمهورية العربية السورية



رأي الإمام العلامة شيخ الإسلام
محمد بن عبد الوهاب
في أولية النبوة والرسالة
لنوح عليه السلام

قال الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالته [الأصول الثلاثة
وأدلتها] (*) :

(فإذا قيل لك : ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها ؟

فقل : معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمداً ﷺ .)

وتحدث عن الأصل الثالث، فقال :

(. . .) وأرسل الله جميع الرُّسُل مبشرين ومنذرين . والدليل قوله تعالى :
﴿رُسُلًا مَّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾
وأولهم نوح عليه السلام، وآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، وهو خاتم النبيين . والدليل
على أن أولهم نوح عليه السلام قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى
نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (١)، وكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى
مُحَمَّدٍ، يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ . والدليل قوله
تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ﴾ (٢) . .

(*) نشر وتوزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، بالمملكة العربية السعودية .

(٢) النحل : ٣٦ .

(١) النساء : ١٦٣ .

[شكر وتقدير . . ورجاء]

يتقدم المؤلف بالشكر والتقدير إلى كافة علماء الإسلام الذين أسهموا في هذا الكتاب، والذين قاموا بواجب أمانة العلم، بالبيان . . وعدم الكتمان، وخاصة أصحاب السماحة والفضيلة :

١ - الدكتور عبد الله المشد [رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف].

٢ - الشيخ محمد الغزالي [الداعية الإسلامي الكبير].

٣ - الدكتور عبد المنعم النمر [وكيل الأزهر ووزير الأوقاف السابق].

٤ - الشيخ محمد سيد طنطاوي [مفتي جمهورية مصر العربية].

٥ - الشيخ أحمد كفتارو [مفتي الجمهورية العربية السورية].

٦ - الدكتور عبد المجيد مطلوب [أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية حقوق جامعة عين شمس].

كما يرجو من قراء العالم الإسلامي وعلمائه ومفتييه أن يبعثوا لنا بملاحظاتهم وتصويباتهم لاستدراكها في الطبعة الثانية إن شاء الله ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً . . .

[عنوان المؤلف]

دار الفتح للطباعة والنشر - ص . ب . : ٤٢٩٥ - بيروت - لبنان

[هذا الكتاب]

□ هل هناك فرق بين النبي والرسول . . أم أن كُلَّ نبيٍّ رسول، وكلَّ رسولٍ نبيٍّ ؟
□ هل صحيح أن آدم عليه السلام هو أول نبي، وأن نوحاً عليه السلام هو أول رسول؟

□ وإذا كان القرآن الكريم قد حدّد خاتم النبيين لقطع الطريق على مدّعي النبوة بعد محمد ﷺ، فهل أغفل القرآن الكريم الإشارة إلى النبي الأول حتّى لا يقع المسلمون في الحيرة والبلبلّة وتفرّق الكلمة ؟

□ لقد ادّعى بعض المنتسبين إلى أهل العلم الاجماع على نبوة آدم عند أهل الكتاب والمسلمين !

وادّعى بعضهم أن من لم يؤمن بنبوة آدم فهو كافر مرتدّاً !
وادّعى البعض الآخر بأن من لم يعترف بنبوة آدم فهو فاسق، وليس بكافر ! .
وزعم آخرون بأن من لم يعترف بنبوة آدم فهو يعيش مع زوجته في سفاح وليس في نكاح !

□ هل جاء في القرآن الكريم نصّ قاطع بنبوة آدم ورسالته . . وهل قضية نبوة آدم ورسالته من أصول العقيدة . . أم أنها ليست من أصول العقيدة ولا علاقة لها بكفر أو إيمان . . أو ردة . . وسفاح ؟

□ ما رأي كبار العلماء والمفسرين في أولية النبوة والرسالة هل هي لنوح عليه السلام أم لآدم من قبله ؟

□ ما هي (العقائد الأساسية في الإسلام) ؟ وما هي (قصة آدم عليه السلام في العهد القديم، ودائرة المعارف الإسلامية والقرآن الكريم) ؟ .

□ ما هي (أدلة الذين يقولون بنبوة آدم ورسالته)، و(أدلة الذين لم يقتنعوا بهذه النبوة والرسالة نظراً لإيمانهم بهذه الأوليّة لنوح عليه السلام لا لآدم أبي البشر ؟) .

□ هل الإسلام مع (حرية التفكير والاجتهاد . . أم مع حرية التكفير والتفسيق) ؟

□ ما هي حصيلة (فتاوى كبار العلماء والمفتين حول نبوة آدم ورسالته ؟) .

هذا ما سيطالعه القارئ الكريم في كتاب :

[نبوة آدم ورسالته بين الظن واليقين]

[الناشر]

